مكتبة لسان العرب

الكُلِّيات في الطب

تأليف

الإمام العلامة أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد
ابن رشد القرطبي
المتوفى ٥٩٥ هـ

تحقيق وتعليق
أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الكليات في الطب

تأليف

الإمام العلامة أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد
ابن رشد القرطبي
المتوفى ٥٩٥ هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة مختصرة للمصنف(١)

هو الإمام العلامة الكبير الشهير: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ويعرف بابن رشد الحفيد.

ولد في قرطبة سنة ٥٢٠، وتوفي بمراكش في صفر وقيل في ربيع الأول سنة ٥٩٥ هـ.

عالم، حكيم، مشارك في الفقه والطب والمنطق، والفلسفة، والعلوم الرياضية والإلهية.

نشأ بقرطبة، ودرس الفقه والأصول، وكان ينشد التوفيق بين الفلسفة والدين، يجمع بين العلوم الشرعية، والعلوم العقلية والمنطقية.

وكان طبيبا حاذقا، ثم أقبل على علوم الأوائل، ومال إلى علوم الحكماء، وولي قضاء قرطبة.

وتعرض لمحن واضطهادات بسبب تصانيفه التي لم يستوعب مقصودها بعض العلماء والأمراء.

من تصانيفه:

١- الكليات في الطب - كتابنا هذا. ٢- كتاب الحيوان.

٣- كتاب في المنطق. ٤- بداية المجتهد في الفقه.

٥- مختصر المستصفى في أصول الفقه للغزالي.

٦- شرح منظومة ابن سينا في الطب.

٧- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.

٨- تهافت التهافت وغيرها من الكتب الكثير.

كتبه

أبو الحسن أحمد فريد المزيدي

باحث المخطوطات العربية

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٧٠)، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبة (٢/٧٥، ٧٨)، ومرآة الجنان لليافعي (٣/٤٧٩). ومعجم المؤلفين (٣/٩٤).

وصف نسخ الكتاب

المخطوطة والمطبوعة والمترجمة

ومنهج التحقيق

أولا: لكتاب الكليات في الطب لابن رشد هذا عدة نسخ خطية منها:

١- نسخة غرناطة، وهي بدير الجبل المقدسي رقم (١) وتقع في ٢٢٧ صفحة، وهي أقدم النسخ، فقد كتبها عيسى بن أحمد بن محمد الأموي القرطبي سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م أي في حياة ابن رشد ، وقد طبع مصورا بالتصوير الشمسي في سنة ١٩٣٩م تحت إشراف وعناية مؤسسة الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الإسبانية بالعرائش المغربية.

٢- نسخة المكتبة الوطنية - بمدريد. تحت رقم (٥٠١٣) ويقع في ١٤٣ ورقة ذات وجهين. كتبه محمد بن أحمد بن عبد الملك بن حاضر وذلك سنة ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م، وقيل ما يقارب ذلك.

٣- نسخة أحمد الثالث - إستانبول تركيا تقع تحت رقم [٢٠٣٠] وتقع في ٢٣٥ ورقة ذات وجهين وكتبت في سنة ١٧٢٠م.

٤- نسخة جونتجن، وهي عبارة عن أجزاء من الكليات مضطربة الأوراق، متفرقة الموضوعات. وتقع تحت رقم (٩٦ عربي).

٥- نسخة بيتيرمبورغ، الواقعة تحت رقم (١٢٤). وتقع في (١٦٣) ورقة، وكتبت سنة ٦٦٩ هـ - ١٢٧٠ م.

٦- نسخة غرناطة (المطبوعة) بالمجلس الأعلى للبحوث العلمية بمدريد سنة ١٩٨٧م.

٧- مطبوعة العرائش المغربية - معهد الجنرال فرانكو، سنة ١٩٣٩م.

٨- مطبوعة جامعة الجزائر، سنة ١٩٨٩م.

٩- طبعة بيروت - بمركز دراسات الوحدة العربية.

١٠- الترجمة العبرية، لسليمان بن إبراهيم بن داود وهي من محفوظات المكتبة الوطنية باريس. تحت رقم (Hebr. ١١٧٢).

١١- ترجمة بالعبرية، لموسى بن ميمون القرطبي الإسرائيلي وهي من محفوظات مكتبة ميونيخ تحت رقم (Hebr. ٢٩) .

١٢- ترجمة بوناكسا الباروي اليهودي، وهي باللغة اللاتينية، وقد طبعت سنة

١٤٨٢م بالبندقية.

١٣- ترجمة باللاتينية للفرنسي شامبي. وقد طبعت مدرجة مع ترجمة بوناكسا اليهودي، وذلك سنة ١٥٥٣م.

ثانيا: تم تحقيق هذا الكتاب بالرجوع إلى النسخ والمطبوعات الوارد ذكرها آنفا، ولكل منها ميزة وفائدة تخصها، فقمت بتحقيق النص من جديد حيث محاولة التقريب بين النسخ، حيث إثبات نص المصنف مفردا، وما كان من توضيح، حاشية أو تعليق، أو ترجمة، فيذكر في الهامش، وبعضا من الزيادات اللازمة لتمام السياق. وكذلك عمل بعض التعليقات للمصطلحات والأدوية المفردة.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد نبينا الكريم وآله وسلم تسليما .

قال الفقيه القاضي العالم الفاضل، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد رضي الله عنه:

أما بعد حمد الله والصلاة على محمد نبيه:

١- في تعريف الطب

١- فإن الغرض في هذا القول أن نثبت ههنا من صناعة الطب جملة كافية على جهة الإيجاز والاختصار تتضمن أصول الصناعة، وتكون كالمدخل لمن أحب أن يتقصى أجزاء الصناعة، وكالتذكرة أيضا لمن نظر في الصناعة، ونتحرى في ذلك الأقاويل المطابقة للحق، وإن خالف ذلك آراء أهل صناعة الطب فنقول:

٢- إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرئ ولا بد، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة وقود الجيوش.

٣- ولما كانت الصنائع الفاعلة، بما هي صنائع فاعلة، تشتمل على ثلاثة أشياء:

أحدها: معرفة موضوعاتها.

والثاني: معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات.

والثالث: معرفة الآلات التي بها تحصل تلك الغايات في تلك الموضوعات، انقسمت باضطرار صناعة الطب أولا إلى هذه الأقسام الثلاثة.

٢- أقسام علم الطب

٤- فالقسم الأول، الذي هو معرفة الموضوعات. يعرف فيه الأعضاء التي يتركب منها بدن الإنسان البسيطة والمركبة وأخلاطه وأرواحه.

٥- ولما كانت الغاية المطلوبة[1] ههنا صنفين: حفظ الصحة وإزالة المرض، انقسم هذا الجزء إلى قسمين:

أحدهما: يعرف فيه ما هي الصحة بجميع ما به تتقوم، وهي الأسباب الأربعة التي هي العنصر[2] والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها.

والقسم الثاني: يعرف فيه ما هو المرض أيضا بجميع أسبابه ولواحقه.

---

(١) أي المطلوب تحصيلها وهي القسم الثاني.

(٢) أي المادة أو الهيولى.

٦- ولما كان أيضا ليس في معرفة ماهية الصحة والمرض كفاية في حفظ هذه وإزالة هذا، انقسم هذان الجزآن أيضا إلى جزأين آخرين:

أحدهما: يعرف فيه كيف تحفظ الصحة.

والثاني: كيف يبطل المرض.

٧- ولما كانت الصحة أيضا والمرض ليسا بينين بأنفسهما من أول الأمر، احتيج أيضا إلى تعرف العلامات الصحية والمرضية الدالة عليهما. وصار هذا أيضا أحد أجزاء هذه الصناعة.

٨- وإذا كان ذلك كذلك، فباضطرار ما انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظمى:

الجزء الأول: يذكر فيه أعضاء الإنسان التي شوهدت بالحس، البسيطة والمركبة، وأخلاطه وأرواحه.

والثاني: تعرف فيه الصحة وأنواعها ولواحقها.

والثالث: المرض وأنواعه وأعراضه.

والرابع: العلامات الصحية والمرضية.

والخامس: الآلات، وهي الأغذية والأدوية.

والسادس: الوجه في حفظ الصحة.

والسابع: الحيلة في إزالة المرض.

ونحن نقصد في ترتيبها ههنا إلى هذه القسمة: إذ كانت هي القسمة الذاتية لها.

٣- علم الطب
بين العلم الطبيعي والممارسة الطبية

٩- ولما كانت الصنائع الفكرية أحد ما يتسلم فيها هي الموضوعات والمبادئ سواء كانت الموضوعات والمبادئ بينة بنفسها أو مما شأنها أن تتبين في صناعة أخرى وجب أولا أن نعرف الصنائع التي تتسلم منها هذه الصناعة[1] كثيرا من مبادئها، ثم بعد ذلك نشير إلى القول في جزء جزء منها، فنقول:

١٠- إن هذه الصنائع بعضها نظرية وهو العلم الطبيعي، وبعضها عملية، وهذه[2]

---

(١) علم الطب.

(٢) الأخيرة.

منها صناعة الطب التجريبية. ومنها صناعة التشريح. أما العلم الطبيعي فإنها[١] تتسلم منه كثيرا من أسباب الصحة والمرض، ولاسيما الأسباب القصوى كالاسطقسات وغيرها.

وأما صناعة الطب التجريبية[٢] فإنها تستفيد[٣] منها معرفة قوى أكثر الأدوية، فإن الذي يدرك منها[٤] بالقياس[٥] نزر بالإضافة إلى ما يحتاج من ذلك، بل سبيل هذه الصناعة الطبية القياسية[٦] أن تعطي أسباب ما أوجدته الصناعة الطبية التجريبية. وأما صناعة التشريح، فإنها[٧] تتسلم منها كثيرا من أجزاء موضوعاتها.

١١- ولما كان صاحب الصناعة ليس يمكنه، بما هو صاحب تلك الصناعة، أن يعلم المبادئ المتسلمة في تلك الصناعة على ما لاح في كتاب البرهان[٨] بل إن كان، فمن حيث هو صاحب صناعة أخرى. وجب أن يأخذ تلك المبادئ في صناعته[٩] من حيث هي مشهورة وبخاصة في الممارسة الطبية التي لا يتفق له فيها الوقوف على اليقين في جميع أجزائها كتجربة الأدوية، فإنه بالإضافة إلى الوقوف على هذا الجزء[١٠] من الصناعة[١١] استقصر أبقراط العمر الإنساني في قوله: العمر قصير وأما في الجزء القياسي منها فليس هنالك قصر وكذلك الأمر في زماننا هذا في كثير من الأعضاء المشاهدة بالتشريح، إذ كانت هذه الصناعة قد دثرت.

١٢- وينبغي أن تعلم أن صاحب العلم الطبيعي يشارك الطبيب[١٢] إذ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطباع ، لكن يفترقان بأن هذا ينظر في الصحة والمرض من حيث هما أحد الموجودات الطبيعية.

---

(١) أي علم الطب.
(٢) الممارسة الطبية.
(٣) أي صناعة الطب.
(٤) الأدوية.
(٥) المنطقي: الاستنباطي.
(٦) التي تعتمد الاستنباط والقياس: الطب كعلم.
(٧) أي صناعة الطب.
(٨) في المنطق لأرسطو.
(٩) أي علم الطب.
(١٠) التجريبي.
(١١) الطبية.
(١٢) في موضوع صناعته .

وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وإزالة هذا. ولذلك يحتاج الطبيب بعد معرفة الكليات التي تحتوي عليها هذه الصناعة من العلم الطبيعي إلى طول مزاولة، وحينئذ يمكن أن يوجدها[١] في المواد[٢] فإن الكليات المكتوبة في هذه الصناعة يلحقها، عند إيجادها في المواد، أعراض ليس يمكن أن تكتب.

فإذا زاول الإنسان أعمال هذه الصناعة، حصلت له مقدمات تجريبية يقدر بها أن يوجد تلك الكليات في المواد. وذلك كالحال في الصنائع العملية التي تستعمل الروية كالملاحة وقود الجيوش، وأرسطو يخص هذه من بين الصنائع العملية بالقوى.

٤- ما به يتميز الطب عن العلم الطبيعي

١٣- ومن هنا يظهر أن ما قيل في حد الطب، من أنه معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليهما أنه حد غير صحيح. وذلك أنه أسقط من هذا الحد الفصل الذي به يتميز نظر صاحب هذا العلم من نظر صاحب العلم الطبيعي، وهو أن يزاد فيه: ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة.

وكذلك أيضا لا يلتفت إلى ما يقولونه في الحد[٣] من الحال التي ليست بصحة ولا مرض، فإنه ليس بين ضرر الفعل المحسوس ولا ضرره وسط، وإنما يختلف بالأقل والأكثر. وليس المتوسط بين الضدين أن يكون كل واحد منهما في جزء غير الجزء الذي فيه الآخر. ولا في زمن غير الزمن الذي فيه الآخر، وهذا بين مما قيل في العلم النظري.

١٤- وإذ قد تبين من هذا القول ما غرض هذه الصناعة وما أجزاؤها وكيف وجه النظر فيها، فقد ينبغي أن نشرع في القول في جزء جزء منها.

---

(١) أي الكليات

(٢) أي الأبدان.

(٣) أي تعريف الطب.

الكتاب الأول
تشريح الأعضاء
١- أصناف أعضاء بدن الإنسان

١ - الأجزاء المشاهدة بالحس في بدن الإنسان صنفان:

أحدهما: الأعضاء المتشابهة الأجزاء. أعني التي حد الجزء والكل منها واحد كاللحم والعظم، فإن جزء اللحم لحم ضرورة وكذلك العظم.

والثاني: الأعضاء المركبة، وهي التي ليس يشبه أجزاؤها بعضها بعضا كاليد المركبة من لحم عصب ووتر.

٢ - والأعضاء البسيطة: عظام وعصب ووتر وعروق ورباط ولحم وشحم وجلد وغشاء ودم وبلغم ومرة سوداء ومرة صفراء، وروح، وهو البخار المحسوس في القلب والدماغ. فنبتدئ أولا بذكر الأعضاء البسيطة ثم نذكر المركبة.

٢- القول في العظام

٣ - عظام الرأس ما خلا الأسنان ثلاثة وعشرون عظما: منها ستة تخص القحف، وملتقى هذه العظام في ظاهر القحف يسمى الشؤون، وأربعة عشر عظما للَّحي الأعلى، فيها الخدان والأذنان والعينان، واثنان للحي الأسفل، وواحد وهو المسمى وتدا، وهو عظم تحت القحف من ناحية خلف، فيما بينه وبين اللحي الأعلى.

وجميع هذه العظام يتصل بعضها ببعض اتصالا درزيا، إلا عظما الفك الأسفل، فإنهما يتصلان اتصالا مفصليا.

٤ - والأسنان ستة عشر في كل لحي، منها ثنيتان ورباعيتان ونابان، وخمسة أضراس يمنة، وخمسة أضراس يسرة، وربما نقصت الأضراس فكانت أربعة عند بعض الناس، وأصول أضراس الفك الأعلى ثلاثة في كل واحد، وربما كانت أربعة. وأما أضراس الفك الأسفل فأصولها اثنان. وربما كانت ثلاثة وسائر الأسنان لها أصل واحد. فجملة عظام الرأس خمسة وخمسون عظما.

٥ - ويتصل بالرأس عند الثقب الأعظم الذي فيه من خلف خرزات العنق. وهي سبع. فيها ثقب من الجانبين. ويتصل بهذه خرز الظهر، وهي سبع عشرة خرزة: اثنتا عشرة خرزة منها تنسب إلى أنها خرز الصدر، وذلك أن حد الصدر عندها ينتهي، وخمس منها خرز القطن. فجميع الخرز من لدن الدماغ إلى العجز أربع وعشرون خرزة، وربما زادت واحدة أو نقصت واحدة، وذلك في الأقل.

٦ - ويتصل بالخرز من هذا الموضع عظم العجز. وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء تشبه

الخرز. ويتصل أيضا بهذا من أسفله عظم العصعص. وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء. والثالث منها بالحقيقة هو العصعص، كأنه غضروف عظمي. وجميع هذه الخرز تتصل اتصالا مفصليا. ما خلا الفقارتين الأوليين من الرقبة.

وأما الفقارة الأولى، فإنها تتصل وترتبط مع الرأس بزائدتين تتشعبان من قحف الرأس وتدخلان في نقرتين من الفقارة الأولى، وأما الفقارة الثانية، فتتصل بالرأس وترتبط بزائدة شبيهة بالسن ترتفع منها وتدخل في موضع من الفقارة الأولى، وأما الفقارة الثانية، فتتصل بالرأس وترتبط بزائدة شبيهة بالسن ترتفع منها وتدخل في موضع من الفقارة الأولى، وترتبط بالرأس برباط قوي. ويتصل من الجانبين بعظم خرز العجز عظما الخاصرتين: من كل جانب واحد. وفيهما حق الورك الذي فيه رأس الفخذ المسمى رمانة الفخذ.

٧- فهذه هي جميع العظام التي في المؤخر. وأما التي في المقدم مما دون الرقبة، فالترقوتان وعظما الكتف وعظام الصدر وعظام اليد وعظام العانة وعظام الرجل، أما الترقوة فهو عظم محدب الخارج مقعر الباطن، يتصل أحد رأسيه مع المنكب ورأس العضد، والطرف الآخر يتصل بأعالي الصدر حيث نقرة الحلق.

وأما الكتف فإنه من حيث هو موضوع على الظهر هو عريض، ويتصل به رأس غضروفي، ومن حيث يقارب الترقوة يستدير، وله نقرة يدخل فيها رأس العضد.

٨- وأما عظام الصدر فالقَصُّ، وهو مؤلف من سبعة أعظم، في طرفها الأسفل غضروف شبيه بالخنجر مشرف على فم المعدة، وابتداؤه من حيث نقرة الحلق وانتهاؤه إلى أسفل من الثدي بقليل حيث أضيق موضع من المواضع التي تحس من البطن لينة الغمز لا عظم تحتها.

وعظام الأضلاع وهي من كل جانب اثنا عشر محدبة، أطولها أوسطها: سبعة يتصل منها أحد طرفيها من خلف بخرز الظهر ومن قدام بخرز عظام القص برءوس غضروفية، وخمس منها تنقطع دون الاتصال بالقص وتسمى ضلوع الخلف، ولذلك تنغمز هذه داخلا إذا غمزت. وليس فيما دون القص من البطن عظم إلا عظم العانة أسفل.

٩- وأما عظام اليد[1] فثلاثون عظما: عظم العضد، وهو واحد محدب من خارج مقعر من داخل، له رأس يدخل في نقرة الكتف، والطرف الآخر منه عند المرفق، وله

---

(١) أي الأطراف العليا.

هنالك خرزة شبيهة بالبكرة يدخل فيها طرف الزند الأعلى، وعظما الزند، وهما عظمان طولهما من المرفق إلى الرسغ.

أحدهما: أصغر ويسمى الزند الأعلى، والآخر: أكبر ويسمى الزند الأسفل، ولهما في طرفيهما اللذين يليان الرسغ زوائد يلتئم بها فيما بينهما وبين الرسغ مفصل، وثمانية أعظم يتركب منها الرسغ منضودة في صفين، وهي عظام صلبة عديمة المخ متقببة الشكل تقببا، يلتئم من اجتماعها هيئة موافقة لما هو عليه الرسغ، وأربعة يتركب منها المشط منضودة تتصل بأصل عظام الرسغ برباطات موثقة، وخمسة عشر للأصابع الخمس، ثلاثة في كل أصبع، وهي التي تدعى السلاميات، يتصل بعضها ببعض وتتصل هي بعظم المشط بمفاصل موثقة. والسلامية الأولى من الإبهام تتصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس.

١٠- وأما عظام الرجل فتسعة وعشرون عظما. أولها عظم الفخذ، وهو عظم واحد محدب الخارج أخمص[1] الداخل، له طرف مستدير في أعلاه يسمى رمانة الفخذ، وله من ناحية أسفل طرف يدخل في نقرة الزند الأعظم من زندي الساق. والزندان هما من لدن الركبة إلى عظم الكعب، والأعظم منهما يسمى الزند الأسفل، والأصغر يسمى الزند الأعلى، ويلتقي طرفا الزندين عند الكعب.

١١- فيحدث في الرجل[2] ثلاثة مفاصل: مدخل عظم الفخذ في الورك من ناحية خلف، ومدخل طرفه الآخر في نقرة الزند الأعظم[3] وهو مفصل الركبة وعلى هذا المفصل عظم مطبق عليه مستدير، فيه غضروفية تسمى عين الركبة، والثالث ملتقى الزندين، وهو الكعب، ويلاصق الكعب عظمان: أما من قدام، فعظم يسمى الزورقي، وأما من أسفل، فعظم العقب. ويتصل بهذين العظمين عظم الرسغ، وهو مؤلف من ثلاثة أعظم يلتئم منها شكل موافق له، ثم يتصل بهذا مشط القدم، وهو مركب من خمسة أعظم، ثم سلاميات الأصابع، وهي ثلاث لكل أصبع، ما خلا الإبهام فإن لها سلاميتين.

١٢- فمبلغ جميع العظام على رأي جالينوس مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما، سوى الأعظم الصغار التي حشي بها خلل المفاصل وتسمى السمسمية، وسوى عظم

---

(١) أي فارغ.

(٢) أي يوجد إذن في الأطراف السفلى.

(٣) أي حفيرة عظم القصبة الكبرى.

الحنجرة والعظم الغضروفي الذي يقول بعض المشرحين بأنه في القلب.

وإنما أضربنا عن أشكال اتصالات هذه العظام بعضها ببعض لأن الذي يتصور منها بالقول نزر بالإضافة إلى ما هو عليه الأمر في نفسه.

٣- في العروق

١٣- والعروق المحسوسة صنفان: ضوارب وغير ضوارب. أما العروق الضوارب فهي مؤلفة إلا واحدا من طبقتين متشابهتي الأجزاء. الداخلة منهما ليفها ذاهب عرضا وهي أصلب وأغلظ. والخارجة ليفها ذاهب بالطول.

١٤- وهذه العروق الضوارب يظهر بالحس أنها خارجة من القلب، وذلك أنه يخرج من تجويفه الأيسر شريانان: أحدهما أصغر وطبقته واحدة، وهي أرق من إحدى طبقتي سائر الشرايين، وهذا العرق يدخل إلى الرئة وينقسم فيها، وأما الآخر، فهو أكبر كثيرا، وهو المعروف بالأبهر.

وهذا حين يطلع يتشعب منه شعبتان، فتصير إحداهما إلى التجويف الأيمن من تجويفي القلب وهي أصغر الشعبتين، والأخرى تستدير حول القلب كما يدور ثم تدخل إليه وتتفرق فيه، ثم إن القسم الباقي من العرق النابت من تجويف القلب الأيسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين منه ينقسم قسمين، فيأخذ أحدهما إلى أسافل البدن. ويأخذ الآخر إلى أعاليه.

١٥- والقسم الآخذ إلى أعالي البدن تنقسم منه في مصعده في الجانبين شعب تتصل بما يحاذيها من الأعضاء، حتى إذا حاذى الإبط خرجت منه شعبة مع العرق الإبطي الغير ضارب إلى اليد، وتنقسم فيه كتقسمها آنفا، وتتصل منه شعب صغار بالعضل الظاهر والباطن من العضد وهو مع ذلك غائر مندفن، حتى إذا صار عند المرفق صعد إلى فوق قليلا حتى إن نبضه يظهر في هذا الموضع في كثير من الأبدان، ولا يزال تحت الإبطي ملاصقا له حتى ينزل عن المرفق قليلا، ثم إنه يغوص أيضا في العمق وتتشعب منه شعب شعرية تتصل بعضل الساعد، إلى أن يقطع من الساعد مسافة صالحة، ثم إنه ينقسم قسمين أيضا: فيأخذ أحدهما إلى الرسغ مارا على الزند الأعلى وهو العرق الذي يجسه الأطباء ثم يأخذ الآخر إلى الرسغ أيضا مارا على الزند الأسفل، وهو أصغرهما، ويتفرقان في الكف، وربما ظهر لهما نبض في ظاهر الكف.

١٦- وإذا بلغ هذا القسم الأعلى موضع اللبة، انقسم قسمين آخرين، وجاوز أحد هذين القسمين الودج الغائر ومر صاعدا حتى يدخل القحف، ويتصل في مروره منه شعب

بالأعضاء الغائرة التي هنالك.

وإذا دخل القحف انقسم هنالك تقسما كثيرا، وصار منه الشيء المعروف بالشبكة المفروشة تحت الدماغ، ثم إنه بعد تقسمه يجتمع ويغور، فيخرج من هذه الشبكة عرقان متساويان في العظم كحالهما قبل الانقسام، ويدخلان حينئذ جرم الدماغ، فينقسمان فيه.

١٧- وأما القسم الآخر من هذين القسمين وهو أصغرهما فإنه يصعد إلى ظاهر الوجه والرأس. ويتفرق فيما هنالك من الأعضاء الظاهرة كتفرق الودج الظاهر.

وقد يظهر نبض هذا القسم خلف الأذن وفي الصدغ. فأما النبض الظاهر عند الودجين فإنه نبض القسم العظيم المجاور للودج الغائر، ويسمى هذان الشريانان شرياني السبات.

١٨- وأما القسم النابت من القلب إلى أسافل البدن، فإنه يركب خرز الصلب نازلا إلى أسفل، وتتشعب منه عند كل خرزة شعب يمنة ويسرة وتتصل بالأعضاء المحاذية لها، وأول شعبة تتشعب منه شعبة تأتي الرئة، ثم شعب تأتي العضل الذي بين الأضلاع، ثم شعبتان تأتيان الحجاب، ثم شعب تأتي المعدة والكبد والطحال والثرب والأمعاء والكلى والأرحام والأنثيين والمثانة والقضيب وشعب تخرج منه حتى تتصل بالعضل الخارج المحاذية لهذه المواضع. حتى إذا جاء إلى آخر الخرز انقسم قسمين. وأخذ كل قسم منهما نحو إحدى الرجلين وانقسما فيهما كتقسم العروق، إلا أنهما غائران. ويظهر نبضهما عند الأربيتين وعند العقب تحت الكعبين، وفي ظهر القدمين بالقرب من الوتر العظيم.

٤- في العروق غير الضوارب

١٩- والعروق غير الضوارب هي من طبقة واحدة، وتوجد بالحس متشعبة من عرق عظيم في محدب الكبد يسمونه الأجوف وإذا طلع هذا العرق لم يمر كبير شيء حتى ينقسم بقسمين:

أحدهما: وهو الأعظم يأخذ إلى أسافل البدن.

والثاني: يأخذ إلى أعالي البدن.

وهذا الأعلى يمر حتى يلاصق الحجاب. وينقسم منه هنالك عرقان يتفرقان في الحجاب، ثم ينفذان الحجاب، حتى إذا نفذاه انقسمت منهما عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين وبغلاف القلب وبالغدة التي تسمى التوتة وتفرقت فيها، ثم تتشعب منه شعبة عظيمة تتصل بالأذن الأيمن من أذني القلب وتنقسم هذه الشعبة

ثلاثة أقسام:

أحدها: يدخل التجويف الأيمن من تجويفي القلب، وهو أعظم هذه الأقسام[١].

والثاني: يستدير حول القلب من ظاهره وينبث فيه كله.

والثالث: يتصل بالناحية السفلى من الصدر. ويغذو ما هنالك من الأجسام.

٢٠- وإذا جاوز[٢] القلب مر على استقامة إلى أن يحاذي الترقوتين. ويتقسم منه في مسلكه هذا شعب صغار في كل واحد من الجانبين. وتخرج منها شعب إلى العضل الخارج المحاذي لتلك الأعضاء الداخلة.

وعند محاذاته للإبط يخرج منه إلى خارج شعبة عظيمة تأتي اليدين من ناحية الإبط. وهو المسمى الباسليق.

فإذا حاذى من الترقوة الوسط وهو موضع اللبة انقسم قسمين: فصار أحدهما إلى ناحية اليمين، والآخر إلى ناحية اليسار. وانقسم كل واحد من هذين القسمين إلى قسمين: فركب أحد القسمين الكتف وجاء إلى اليد من الجانب الوحشي، وهو العرق المسمى القيفال ، وانقسم الثاني قسمين، في كل جانب يمر أحدهما غائرا صاعدا في العنق حتى يدخل القحف.

وفي مروره في العنق إلى أن يدخل الدماغ، تتشعب منه شعب صغار تتصل بما في العنق من الأعضاء الداخلة، ويسمى هذا القسم الودج الغائر، وأما الثاني، فيمر صاعدا في الظاهر حتى ينقسم في الوجه والرأس والعين والأنف وهو الودج الظاهر.

٢١- وتتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار تنبث في العضد. وتتشعب أيضا من الإبطي شعب صغار تتصل أيضا بباطن العضد. وإذا قارب العرق الكتفي والعرق الإبطي مفصل المرفق انقسما: فأحد أقسام العرق الكتفي يمازج قسما من العرق الإبطي، ويتحدان فيكون منهما عند المرفق العرق المسمى الأكحل.

والقسم الثاني من أقسام العرق الكتفي يمتد في ظاهر الساعد ، ويركب بعد ذلك الزند الأعلى، وهو المسمى حبل الذراع، وقسم من العرق الإبطي وهو الأسفل مكانا يمر في الجانب الداخل من الساعد حتى يبلغ رأس الزند الأعلى، ويكون من بعض شعبه العرق الذي بين الخنصر والبنصر، المسمى الأسيلم.

---

(١) الثلاثة.

(٢) يعني هذا القسم الأعلى.

٢٢- وأما القسم الذي يأخذ إلى أسافل البدن، فإنه يركب خرز الظهر آخذا إلى أسفل، وتتشعب منه أولا شعب تأتي لفائف الكلى وأغشيتها والأجسام التي بالقرب منها، ثم تتشعب منه شعبتان عظيمتان تدخلان في تجويف الكلى، ثم شعبتان تصيران إلى الأنثيين، ثم يتشعب منه عند كل فقارة عرقان يمران في الجانبين ويتصلان بالأعضاء القريبة منهما، ما كان منها داخلا كالرحم والمثانة، وما كان منها خارجا كمراق البطن والخاصرتين، حتى إذا بلغ[١] آخر الخرز انقسم قسمين: يأخذ أحدهما إلى الرجل اليمنى، والآخر إلى اليسرى.

وانشعبت منه شعب تتصل بعضل الفخذين، منها غائرة ومنها ظاهرة، حتى إذا بلغ منتهى الركبة انقسم ثلاثة أقسام: فمر قسم منها في الوسط واتصل بشعب له بجميع عضل الساق الداخل والخارج، ومر قسم في الجانب الداخل من الساق حتى ظهر عند الكعب الداخل، وهو الصافن، والقسم الآخر يمر في الجانب الظاهر من الساق ، وهو غائر إلى ناحية الكعب الخارج، وهو عرق النسا.

٢٣- وتتشعب من كل واحد من هذين[٢] عند بلوغه القدم شعب تتفرق في القدم، فتكون الشعب التي هي من القدم في ناحية الخنصر والبنصر من شعب عرق النسا، والتي في ناحية الإبهام من شعب الصافن.

٥- في العصب

٢٤- وهذه الأجسام تظهر متصلة رءوسها إما بالدماغ وإما بالنخاع. ولذلك قد يظن أن منهما نشوء جميعها. والنخاع يرى متصلا رأسه بمؤخر الدماغ مستجنًا بغشائه ممتدا إلى أن يبلغ العظم المسمى العصعص. ولذلك قد يظن أيضا أنه ينشأ من الدماغ.

٢٥- ويتصل بالنخاع عند كل ملتقى خرزتين منه رءوس زوج من العصب، يأخذ أحدهما يمنة والآخر يسرة، حتى ينتهي إلى آخر العصعص، فيتصل بأسفله رأس عصبة واحدة. وكذلك، يتصل بالدماغ رءوس سبعة أزواج من العصب.

الزوج الأول عصبتان تظهران كأنهما تنشآن من الدماغ وتتصلان بالعينين. وهاتان العصبتان مجوفتان. فإذا بعدتا من الدماغ اتصلتا وأفضى ثقب كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم تفترقان وهما بعد داخل القحف ثم تخرجان وتصير كل واحدة منهما إلى العين التي

---

(١) أي هذا القسم الآخذ إلى أسفل البدن.

(٢) أي القسمين الآخذ أحدهما إلى الرجل اليمنى والآخر إلى اليسرى.

تليها من جانبيها.

والزوج الثاني يرى كأنه ينشأ من خلف منشأ الزوج الأول، ويخرج من القحف في الثقب الذي في قعر العين، ويتفرق في عضل العين.

والزوج الثالث يظهر أيضا كأنه ينشأ من خلف منشأ الزوج الثاني من حيث ينتهي البطن المقدم إلى البطن الثاني، ويخالط الزوج الرابع الذي بعده، ثم يفارقه وينقسم أربعة أقسام: أحدها ينزل إلى البطن إلى ما دون الحجاب، والباقية منها ما يتفرق في أماكن من الوجه والأذن والأنف، ومنها ما يتصل بالزوج الذي بعده.

والزوج الرابع منشؤه من خلف منشأ الزوج الثالث، ويتفرق في الحنك.

والزوج الخامس يصير بعضه إلى الأذن، وبعضه إلى عضل الخد.

والزوج السادس يصير بعضه إلى الحلق واللسان، وبعضه يصير إلى العضل الذي في ناحية الكتف وما حواليها.

وبعضه ينحدر في العنق، وتتشعب منه في مروره شعب يتصل بعضها بعضل الحنجرة، وإذا بلغت إلى الصدر انقسمت أيضا فرجع بعضها صاعدا حتى يتصل بعضل الحنجرة ويتفرق شيء منها في غلاف القلب والرئة والمريء وما جاورها. ويمر الباقي[١] وهو أكثره حتى ينفذ في الحجاب، ويتصل بفم المعدة منه أكثره، ويتصل الباقي بغشاء الكبد والطحال وسائر الأحشاء، ويتصل به هنالك بعض أقسام الزوج الثالث.

والزوج السابع يبتدئ من مؤخر الدماغ حيث منشأ النخاع، ويتفرق في عضل اللسان والحنجرة.

٢٦- ويظهر بالحس كأنه ينشأ من النخاع أحد وثلاثون زوجا من العصب وفرد لا مقابل له[٢]. ثمانية أزواج منها تخرج ما بين خرز العنق، واثنا عشر زوجا من خرز الظهر إلى حيث يقابل من الظهر الصدر، وخمسة أزواج من خرز القطن وهو أسفل الظهر، وثلاثة[٣] من عظم العصعص، وفرد لا مقابل له يخرج من طرف عظم العصعص من وسطه.

٢٧- فالزوج الأول يخرج من الثقب الذي في الفقارة الأولى من فقار العنق،

---

(١) من هذه الشعب.

(٢) يعني لا ثاني له.

(٣) يعني ثلاثة أزواج.

ويصعد حتى يتفرق في عضل الرأس. والثاني يخرج ما بين الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الأولى والثانية.

وينقسم قسمين: فيتصل بجلدة الرأس بعضه[١] وبعضه[٢] بعضل العنق وعضل الكتف والزوج الثالث مخرجه من الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الثانية والثالثة، وينقسم قسمين: فبعضه يصير إلى بعض العضل الذي في الخد، وبعضه يتفرق في العضل الذي بين الكتفين.

والزوج الرابع منشؤه فيما بين الفقارة الثالثة والرابعة، وينقسم قسمين: يأخذ أحدهما في العضل الذي في الظهر، والآخر يأخذ إلى قدام ويتفرق في العضل الموضوع بحذائه وفوقه.

والخامس يخرج فيما بين الفقارة الرابعة والخامسة، وينقسم أقساما: بعضها يصير إلى الحجاب، وبعضها يصير إلى بعض العضل الذي في الرأس والرقبة، وبعضها إلى عضل الكتف.

والسادس منشؤه مما بين الفقارة الخامسة والسادسة والسابع منشؤه مما بين السادسة والسابعة والثامن مما بين السابعة والثامنة وهي آخر فقار العنق. وينقسم العصب الخارج من هذه كلها. فيصير بعض في عضل الصدر والرقبة، وبعض في عضل الصلب وفي الحجاب، ما خلا الزوج الثامن فإنه لا يأتي الحجاب منه شيء.

وبعضها يصير إلى العضد وإلى الذراع وإلى الكتف. ومن الزوج السادس يتصل بعض بعضل الكتف وبعض بالعضد ومن السابع يصير بعض إلى العضل الذي في العضد. وبعض يتفرق في جلدة العضد الباقي. وبعض من الزوج الثامن ينبث في جلدة الذراع، وبعضه يصير في عضل الذراع. والزوج التاسع يخرج ما بين الخرزة الثامنة والتاسعة. وهو أول العصب الخارج من خرز الظهر.

وينقسم بعضه في العضل الذي فيما بين الأضلاع، وبعضه في عضل الصلب، وبعضه ينزل إلى الكتف وينبث فيه. والزوج العاشر يخرج ما بين الخرزة التاسعة والعاشرة، ويصير منه جزء إلى جلدة العضد. وباقيه ينقسم: فيأخذ منه قسم إلى قدام ويتفرق في العضل الذي فيما بين الأضلاع، والعضل الملبس على الصدر، والآخر يتفرق

---

(١) أي أحد هذين القسمين.

(٢) أي القسم الآخر.

في عضل الظهر والكتف . وعلى نحو هذا يكون خروج العصب وتفرقه إلى[١] التاسع عشر.

والزوج العشرون وهو أول العصب الخارج من خرز القطن يخرج ما بين الفقارة التاسعة عشرة والعشرين. وعلى هذا القياس إلى أن تخرج خمسة أزواج من بين هذه الخرز، ويصير بعضها إلى قدام فيتفرق في العضل الذي على البطن، وبعض يتفرق في العضل الذي على المتن.

ويخالط الثلاثة أزواج العليا منه عصب ينحدر من الدماغ، والزوجان اللذان تحت هذه الثلاثة ينحدر منهما شعب كبار إلى السّاق، حتى يبلغ طرف القدم.

والزوج الخامس والعشرون وهو أول العصب الخارج من أول عظم العجز يخرج من العظم الأول من عظام العجز الأول من العظم الأول[٢] والثاني من الثاني، والثالث من الثالث.

وكلها[٣] يخالط العصب الخارج من أسفل الظهر، وينزل منها إلى الرجلين شيء كثير. وأما الثلاثة الخارجة من عظم العصعص والفرد الخارج[٤] فكلها تنبت في القضيب وفي عضل المقعدة وفي المثانة وفي العضل الموضوع بقرب هذا الموضع.

٢٨- وأما الرباطات فجوهرها فيما بين جوهر العظم وجوهر العصب، ومنشؤها من أطراف العظام المفصلية.

٢٩- وأما الأوتار فإنها متوسطة بين الرباطات والعصب، ومنشؤها من العصب الجائي[٥] إلى العضل ومن الرباط النابت من العظم.

٣٠- وأما اللحم فإنه ثلاثة أنواع: أحدها نوع اللحم المختلط مع العصب والوتر، ويقال له العضل، وهذا أكثر ما يكون في البدن، وهو يذكر في الأعضاء الآلية والنوع الثاني نوع اللحم المفرد، والليف فيه كثير.

وهذا النوع أقل ما في البدن، والنوع الثالث نوع اللحم الغددي، واللحم المفرد منه ما هو في الفخذ، ومنه ما هو في باطن الصلب، ومنه اللحم الذي بين الأسنان.

---

(١) أي حتى الزوج ...
(٢) من عظام العجز .
(٣) أي الأزواج من العصب.
(٤) أي العصب الفرد.
(٥) يعني الآتي.

وأما اللحم الغددي، فكالذي في الأنثيين وفي الثديين وفي أصل اللسان، وكاللحم الذي تحت الإبطين والأربيتين وخلف الأذنين وفي العنق، ومن هذا النوع اللحم الذي حول الأمعاء والعروق.

٣١- وأما الأغشية، فسنذكرها عند ذكر الأعضاء المركبة التي في داخل الجوف، إذ كان ذلك أخص بها.

٣٢- وأما الأخلاط المشاهدة في بدن الإنسان فأربعة: الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء.

٣٣- ومن هذه الأعضاء البسيطة: الجلد والأظافر والشعر، والأمر فيها بين. ومنها الروحان: الروح المشاهد في القلب. والروح المشاهد في الرأس، وأما الكبد فليس يظهر فيها بالحس روح.

٣٤- فهذه جملة القول في الأعضاء البسيطة الذي نظن به أنه كاف في هذا الغرض. ومن أحب ههنا أن يزيد في ذلك فليزد. فلنسر بعد إلى الأعضاء الآلية، ونبتدئ من أبسطها وهو العضل.

٦- القول في العضل

٣٥- العضل جسم مركب من لحم أحمر ورباط وعصب وغشاء يعلوه، وهو ملبس فوق العظام مرتبط برباطات تنشأ من العظم. وذلك أن العصبة إذا بلغت إلى الطرف الأعلى من العضلة انقسمت إلى أقسام واختلطت بليف لحم العضلة، ونبت من العظم الموضوع تحت العضلة رباط واختلط مع العصب واللحم فصار من جملة ذلك الجسم المسمى عضلة. فإذا صارت أقسام العصب إلى الطرف الأسفل من العضلة. اتحدت أجزاء العصب مع أجزاء الرباط على الانفراد من غير أن يخالطها شيء من اللحم. فصار منه[١] جسم يسمى وترا. ويمر هذا الوتر حتى يتصل من ذلك العضو بالطرف الأسفل.

٣٦- وجملة ما في البدن من العضل على رأي جالينوس خمسمائة وتسع وعشرون عضلة.

٣٧- وهذه الأجسام فيما زعموا تختلف بالشكل والمقدار والوضع، وفيما ينبت منها من الوتر وفي هيئة تركيبها. أما اختلافها في المقدار، فإن منها ما هو عظيم ومنها ما

(١) أي من جملة ذلك.

هو صغير.

فالعظيم بمنزلة العضل الموضوع على الفخذ، والصغير كالعضل الموضوع على العين. وأما اختلافها في الشكل، فإن منها ما هو مثلث بمنزلة العضل الموضوع على الصدر، ومنها ما هو مدور بمنزلة العضل الموضوع حول المثانة. وأما اختلافها في التركيب، فلأن من العضل ما لا يختلط لحمه بالعصب.

وأما اختلافها فيما ينبت من الوتر منها، فإن منها ما ينبت الوتر فيه من عضلتين. ومنها ما ينبت من كل عضلة وتران أو ثلاثة، وذلك للحاجة[١]. وأما اختلافها من قبل الوضع، فإن منها ما وضعه باستقامة العضو. ومنها ما ليس كذلك.

٣٨- ووصف هذه الأشياء في عضل عضل مما يطول، وليس له كبير جدوى في هذه الصناعة -أعني الصناعة التي تفعل بالغذاء والدواء- وأما التي تفعل بالحديد، فله كبير منفعة. وأيضا فإنه ليس يحصل في تصور ذلك عن القول شيء له قدر. وسنعدد هذه العضل عند تعديدنا منافعها وذلك في كتاب الصحة[٢].

٧- في الرأس

٣٩- والرأس شكله الطبيعي شكل مستدير، فيه تفرطح قليل من الجانبين جميعا، كما لو توهمت كرة شمع قد غمزت على جانبيها. وله في داخله تجاويف يفضي بعضها إلى بعض تسمى بطون الدماغ: اثنان منها في مقدم الدماغ، وواحد في وسطه، وآخر في مؤخرة. وعند اتصالات هذه البطون بعضها ببعض أجسام شكلها شكل موافق لسدها في بعض الأحايين ولفتحها في أخرى.

٤٠- وللدماغ زائدتان تنبتان من بطنيه المقدمين، شبيهتان بحلمتي الثدي، تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفى، وهو عظم مثقب ثقبا كثيرة على غير استواء بل مشاشي، وموضعه من القحف حيث ينتهي إليه أقصى الأنف. وللدماغ غشاءان: أحدهما صلب غليظ، والآخر رقيق. والرقيق ملاصق للدماغ، وهو المسمى أم الرأس، ويخالطه في مواضع. والغليظ ملاصق للقحف، وملاصق للدماغ في أمكنة منه.

وهذا الغشاء الصلب مثقب ثقبا كثيرة في موضعين: أحدهما عند الثقب الذي في أقصى الأنف المسمى المصفى، والآخر عند العظم الذي في الحنك، وهذا العظم أيضا مثقب.

---

(١) يعني حسب المنفعة التي جعل لها ومن أجلها.

(٢) وهو القسم الثاني من هذا الكتاب.

وتحت الدماغ، تحت الغشاء الغليظ توجد الشبكة العجيبة التي تتكون من الشرايين الصاعدة إلى الرأس.

٤١- وأما النخاع، فإن الفقار تحتو عليه احتواء قحف الرأس على الدماغ، ويحيط به غشاءان منشؤهما من غشائي الدماغ، ومنه يخرج العصب الذي يتصل به.

٨- في هيئة العين

٤٢- العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات. فأولها، مما يلي القحف، طبقة غشائية تنشأ من الغشاء الغليظ من أغشية الدماغ، وتسمى الطبقة الصلبة، ثم تليها إلى خارج طبقة أخرى غشائية تنشأ من الغشاء الرقيق من أغشية الدماغ، وتسمى هذه الطبقة المشيمية، ثم يلي هذه طبقة شبيهة بالشبكة تنشأ من نفس العصبة الخارجة من الدماغ[١] ثم في وسط هذا الغشاء جسم لين رطب يسمى الرطوبة الزجاجية، وفي وسط هذا الجسم جسم كري[٢] إلا أن فيه أدنى تفرطح شبيه بالجليد في صفائه.

ويسمى هذا الرطوبة الجليدية، وهذا الجسم مغوص في الرطوبة الزجاجية إلى النصف، ثم يلي النصف الآخر الذي بجهة الهواء من الرطوبة الجليدية جسم شبيه بنسج العنكبوت في غاية الصقالة والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية، ثم يلي هذا الجسم إلى خارج رطوبة في لون البيض تسمى الرطوبة البيضية.

٤٣- ويعلو هذه الرطوبة إلى خارج جسم رقيق خمل الداخل حيث يلي البيضية أملس الخارج، ويختلف لونه في الأبدان فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وربما كان أزرق، وفي وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيه، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة.

وهذا الثقب هو المسمى حدقة، وهذا الغشاء يسمى الطبقة العنبية، ويلي هذه الطبقة مغشيا لها جسم كثيف صلب صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض، وتسمى القرنية، وهي تتلون بلون الطبقة التي تحتها الطبقة العنبية.

٤٤- ويعلو هذا الجسم جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحم إلا أنه لا يغطي منه موضع سواد العين، وهذا هو بياض العين، ونباته من الجلد الذي يلي القحف من خارج. ونبات القرنية من الطبقة الصلبة، ونبات العنبية من المشيمية، ونبات العنكبوتية

---

(١) وتعرف بالشبكية.

(٢) أي مستدير.

من الشبكية[1].

٩- في هيئة الأنف

٤٥- مجريا الأنف إذا عَلَوَا تقسما قسمين: فيفضي أحدهما إلى أقصى الفم، ويمر الآخر صاعدا حتى ينتهي إلى العظم الشبيه بالمصفي الموضوع في وجه زائدتي الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي. وهذه المجاري ملبسة بغشاء غليظ منشؤه من غشاء الفم.

١٠- في هيئة الأذن

٤٦- إن مجرى الأذن في عظم صلب يسمى الحجري، وهو كثير التعاريج، ويمر كذلك إلى أن يلقى العصبة الخامسة النابتة من الدماغ التي ينشأ منها الغشاء الذي ينبسط على العظم الحجري. وأما الجسم الغضروفي الذي من خارج، وهو المسمى الأذن. فأمره بيّن.

١١- في هيئة اللسان

٤٧- اللسان لحم رخو أبيض قد التفت فيه عروق صغار كثيرة فيها دم، وفيه عروق وشريانات، وأعصاب كثيرة فوق ما يستحق قدره من العظم[2] وهو مغشي بغشاء الفم. وتحته فوهتان تفضيان إلى اللحم الغددي الموضوع تحت أصله.

١٢- في هيئة الحلق والفم

٤٨- إن أقصى الفم يفضي إلى مجريين: أحدهما من قدام، وهو الحلقوم، ويسمى قصبة الرئة، والآخر موضوع من خلف، من ناحية القفا على خرز العنق، ويسمى المريء، وفيه ينفذ الطعام والشراب. فأما الحلقوم، فإنما يخترقه وتنفذ فيه الريح التي تدخل وتخرج بالتنفس، وقد جعل له صمام[3] يلزمه وينطبق عليه في وقت الازدراد لأن لا يدخل فيه شيء مما يزدرد، لأنه متى دخل فيه شيء أهاج ذلك سعالا.

وقد هيئ في هذا الموضع آلة يكون بها الصوت، أعني عند فم الحلقوم. وهذه الآلة هي العضو المسمى الحنجرة، وهو مؤلف من ثلاثة غضاريف تأليفا موافقا شبيه بأنبوب المزمار، وفي هذا التجويف هو الجسم الشبيه بلسان المزمار. وهناك عضل كثير.

---

(١) انظر: أمراض العين ومعالجاتها من المعالجات البقراطية لأبي الحسن الطبري (ص٣١)، والمهذب في الكحل المجرب (ص٦٥).

(٢) أي من الحجم.

(٣) أي سداد.

١٣- في هيئة الصدر والرئة

٤٩- إن تجويف البطن كله من لدن الترقوة إلى عظم الخاصرة ينقسم إلى تجويفين عظيمين: أحدهما فوق، يحوي الرئة والقلب. والثاني أسفل، يحوي المعدة والأمعاء والكبد والطحال والمرارة والكلى والمثانة والأرحام. ويفصل بين هذين التجويفين العضو الذي يسمى الحجاب.

وهذا الحجاب يأخذ من رأس القص ويمر بتأريب بصعوبة إلى أسفل في كل واحد من الجانبين حتى يتصل بخرز الظهر عند الخرزة الثانية عشرة ويصير حاجزا بين ما فوقه وما تحته، ثم ينقسم هذا التجويف الأرفع إلى قسمين يفصل بينهما حجاب، ويمر في الوسط حتى يلصق أيضا بخرز الظهر، ويسمى هذا التجويف الأعلى كله صدرا. وحدُّه من فوق: الترقوتان، ومن أسفل: الحجاب القاسم للبطن عرضا. فهذه هيئة الصدر.

٥٠- وأما هيئة الرئة. فإن قصبتها تبتدئ من أقصى الفم على ما ذكرنا حتى إذا جاءت إلى ما دون الترقوة انقسمت قسمين. وينقسم كل قسم منهما أقساما كثيرة. وانتسج واحتشى حواليها لحم الرئة.

فصار من جملة هذا القصب المنقسم والعروق التي تحتها واللحم الذي يحتشي حواليها بدن الرئة. فنصف الرئة في تجويف البطن الأيمن. والنصف الآخر في تجويف البطن الأيسر.

فأما قصبتها فإنها مهيأة مؤلفة من غضاريف هي على شكل الدوائر، لكنها ليست بدوائر تامة بل مقدار ثلث دائرة. ويصل بين طرفيها غشاء لين يمر على خط مستقيم.

ويصل ما بين هذه الحلق أغشية لينة ليفية. فأما الحلق نفسها فصلبة غضروفية، وحدبة هذه الحلق تلي ظاهر البدن وتلمس باليد، وأما الموضع المستقيم منها فيلاصق المريء.

فإن أنت توهمت أنبوبتي قصب شقت إحداهما بقسمين، أحد القسمين على الثلث والآخر إلى الثلثين، وألصق على ما شق في القسم الأكبر منها كاغد ثم جيء به فضم إلى الأنبوبة الأخرى وألصق بها حيث هذا الكاغد، كنت قد لاحظت هيئة قصبة الرئة والمريء على كنههما.

١٤- في هيئة القلب

٥١- شكل القلب كشكل صنوبرة منكوسة. رأسها المخروط إلى أسفل البدن

وأصلها إلى أعاليه. وله غلاف من غشاء كثيف يحيط به. غير أنه ليس بملتصق به كله، لكن يلتصق به عند أصله. وهو موضوع في وسط الصدر، إلا أن رأسه يميل إلى ناحية اليسار قليلا. والشريان العظيم إنما ينبت من هذا الجانب، فيتبين النبض في هذه الجهة. ولذلك ظن قوم أن القلب موضوع في هذا الجانب.

وللقلب بطنان عظيمان: إحدهما في الجانب الأيمن، والآخر في الجانب الأيسر، وعند أصله ومنبته شيء شبيه بالغضروف، وكأنه قاعدة لجميع القلب ومن البطن الأيمن إلى البطن الأيسر منافذ وللبطن الأيمن فوهتان: أحداهما فوهة العرق المتصل بالكبد، الذي يرى جالينوس أنه نابت من الكبد ويرى أرسطو أنه نابت من القلب، وعلى هذه الفوهة أغشية ثلاثة تنفتح عند دخول الدم منه ثم تنسد انسدادا محكما.

والفوهة الثانية هي فوهة العرق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، وهو عرق غير ضارب، إلا أن أغشيته غلاظ، وهو شبيه بالشريان. وعلى هذه الفوهة الثانية أغشية تنفتح إلى خارج ولا تنفتح إلى داخل، بخلاف الأغشية التي على الفوهة الأخرى.

وفي البطن الأيسر فوهتان: إحداهما فوهة الشريان العظيم[1]، وعلى فمها أغشية ثلاثة تنفتح من داخل إلى خارج، والثانية فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة، وعلى هذه الفوهة غشاء ينفتح من خارج إلى داخل. وله[2] زائدتان شبيهتان بالأذنين، إحداهما يمنة والأخرى يسرة. والرئة مجللة للقلب . وهو ذو ليف كثير مختلف الوضع.

١٥- في هيئة المعدة والمريء

٥٢- قد قيل أعلاه في هيئة الحلق والفم إن في أقصى الفم منفذين: أحدهما منفذ النفس إلى الرئة، وهو المسمى قصبة الرئة، والثاني منفذ الطعام والشراب، وهو المريء. وهذا المجرى المسمى مريئا مؤلف من طبقتين: إحداهما من خارج، وهي طبقة لحمية ليفها ذاهب عرضا، والأخرى من داخل: عصبية ليفها ذاهب طولا، وفيه شيء من الليف ذاهب وراباً[3] وهو موضوع خلف على خرز العنق، ويمتد نازلا الى أسفل حتى ينفذ إلى الحجاب. وهو مشدود مع الخرز بأغشية تربطه، حتى إذا نفذ الحجاب اتسع، ويكون هنالك العضو المسمى المعدة.

---

(١) وهو الأورطي أو الأبهر.

(٢) يعني القلب.

(٣) يعني مائلا.

وإذا هو نفذ الحجاب، مال إلى الجانب الأيسر قليلا فلذلك رأس المعدة مائل إلى الجانب الأيسر وقعرها مائل إلى الجانب الأيمن، وإن أنت توهمت قرعة مستديرة طويلة العنق يتصل بها من أسفلها عنق آخر، كنت قد لاحظت هيئة المعدة والمريء غير أن المعدة من الجانب الذي يلي الظهر مستطيلة قليلا. وأحد رأسيها وهو الأعلى هو المريء، والأسفل هو ابتداء المعى وهو المسمى البواب وهي مربوطة مع الفقار ومع غيره من الأحشاء برباطات وثيقة تمسكها. وجسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات: إحداها يأخذ ليفها ذاهبا طولا، وفيها ليف ذاهب ورابا وهي الداخلة، وهذه الطبقة عصبية، والخارجة[1] لحمية، وليفها ذاهب عرضا.

١٦- في هيئة الأمعاء

٥٣- الأمعاء مؤلفة من طبقتين: ولها ليف ذاهب عرضا فقط وعلى الطبقة الداخلة لزوجات قد ألبستها الطبيعة إياها. وجميع الأمعاء ستة: ثلاث دقاق وهي العليا، وثلاث غلاظ وهي السفلى .

فأول الدقاق هو المعى المتصل بأسفل المعدة ويسمى الاثني عشر أصبعا، ويتلوه معىً يسمى الصائم، وهذان جميعا منتصبان قائمان ممتدان في طول البدن: والفوهات التي بها تتصل بالكبد في هذا المعى أكثر منها في سائر الأمعاء.

ويتلو الصائم معى يسمى الدقيق، وهو ملتف تلافيف كثيرة. وسعة هذه الأمعاء الثلاث كلها بقدر سعة المعى المسمى البواب. ويتلوه المعى المعروف بالأعور، وهو معى واسع وليس له منفذ ولا مجرى، لكن كأنه وعاء أو كيس، لأن له فما واحدا يدخل إليهٔ ما ينزل في وقت ويخرج منه في آخر من ذلك الفم بعينه، وهو موضوع في الجانب[2] الأيمن. ويتلوه المعى المسمى القولون.

وابتداؤه من الجانب الأيمن ويأخذ في عرض البطن إلى الجانب الأيسر. ويتلوه المعى المسمى المستقيم. وهذا المعى له تجويف واسع يجتمع فيه الثفل كما يجتمع البول في المثانة ، وعلى فمه وهو الدبر عضل.

١٧- في هيئة الكبد

٥٤- الكبد موضوعة في الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكلها هلالي له تقعير في الجانب الذي يلي المعدة وزوائد ربما كانت أربعا وربما كانت خمسا.

وتحتوي الكبد على الجانب الأيمن من المعدة. وحدبتها تلي الحجاب، وهي مربوطة برباطات تتصل بالغشاء الذي عليها. وتنبت من مقعر الكبد قناة تسمى باب الكبد، صورتها صورة عرق، لكنها لا تحوي دما.

وتنقسم أقساما، ثم تنقسم تلك الأقسام إلى أقسام كثيرة جدا.وتأتي منها أقسام كثيرة إلى قعر المعدة وإلى المعى المسمى: اثنا عشر إصبعا، وأقسام كثيرة إلى المعى الصائم، ثم تمر إلى سائر الأمعاء حتى تبلغ المعى المستقيم. والقناة التي في باب الكبد تنقسم أيضًا في داخل الكبد إلى أقسام في دقة الشعر.

ويظهر من حدبة الكبد عرق عظيم، منه تتفرع جميع العروق التي في البدن على ما ذكرنا في تشريح العروق.

وأصل هذا العرق ينقسم في الكبد إلى أقسام في دقة الشعر فتلتقي مع الأقسام المنقسمة في المجرى الذي يسمى الباب.

والغذاء الكيلوسي يدخل الكبد من بابها وينطبخ في تلك العروق حتى يعود دما، ثم يخرج من العرق العظيم الذي في حدبتها.

١٨- في هيئة الطحال

٥٥- الطحال مطاول الشكل، وهو موضوع في الجانب الأيسر، مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذي عليه. ويلزم المعدة من جانب، وضلوع الخلف من جانب آخر. وتنبت منه قناتان: إحداهما: تتصل بفم المعدة، والأخرى: بالكبد عند تقعيرها.

١٩- في هيئة المرارة

٥٦- والمرارة موضوعة على الكبد، ولها مجريان: أحدهما: يتصل بتقعير الكبد، والآخر: يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة.

٢٠- في هيئة الكلى

٥٧- الكليتان موضوعتان عند جنبتي خرز الصلب بالقرب من الكبد، والكلية اليمنى أرفع موضعا من اليسرى ولك واحدة منهما عنقان: يتصل أحدهما بالعرق العظيم

الطالع من حدبة الكبد. والثاني يمر سفلا حتى يتصل بالمثانة اتصالا عجيبا. وهذان المجريان يسميان الحالبين.

٢١- في هيئة المثانة

٥٨- المثانة بين[١] الدبر والعانة، وهي مؤلفة من طبقتين، وعلى فمها عضل، والبول يجيئها من الكلى في عنقيها اللذين يسميان الحالبين. وهذان المجريان يأخذان على تأريب، ويمران طولا حتى ينفذا إلى داخل المثانة. وتنشأ من جرمهما قشرة شبيهة بالغشاء تنفتح إلى المثانة وتنسد إلى جهة الكلى، وذلك لا شك لأن لا يرجع من البول شيء إلى الكلى.

٢٢- في هيئة مراق البطن

٥٩- إن تحت العضل الملبس على البطن غشاء مدمجا يسمى الصفاق. ووراءه الثرب، ووراء الثرب الأحشاء، ومنفعة هذا الغشاء ألا تبرز الأمعاء كما يعتري ذلك في الفتوق، ومنفعة الثرب تسخين الأحشاء. وهذا ما يتعلق بمنافع هذه الأعضاء فذكره أليق بكتاب الصحة.

٢٣- في هيئة الأنثيين والقضيب

٦٠- ينبت من عظم العانة جسم عصبي كثير التجاويف واسعها. وتحته شريانات كثيرة واسعة فوق ما يستحقه قدره من العظم. وهذا الجسم هو القضيب.

وينزل من الصفاق مجريان شبه البربخين. ثم يتشعبان فتكون منهما الطبقة الداخلة من كيس البيضتين، وفيه البيضتان، وتجيء إلى ناحية البيضتين من أقسام العروق المنسفلة شعب تلتف لفائف كثيرة، ويحتوي عليها لحم غددي أبيض، وللأنثيين مجريان يفضيان إلى القضيب.

٢٤- في هيئة الثدي

٦١- الثدي مركبة من شرايين وعروق وعصب قد حشيت بنوع من اللحم غددي أبيض. وهذه الشرايين والأوراد تنقسم في الثدي إلى أقسام دقاق، وتستدير وتلتف لفائف كثيرة.

٢٥- في هيئة الرحم

٦٢- الرحم موضوعة فيما بين المثانة إلى المستقيم، إلا أنها تفضل على المثانة إلى

---

(١) يكون موضعها.

ناحية فوق. وهي مربوطة برباطات سلسة، وهي في نفسها عصبية يمكن فيها أن تمتد وتتسع وتنضم وتتقلص.

ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد، وفي كل واحد من البطنين مواضع مقعرة يقال لها النقر، وهي أفواه العروق التي يصير فيها دم الطمث إلى الرحم.

وللرحم زائدتان تسميان قرني الرحم، وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من اللتين للرجل. ورقبة الرحم تنتهي إلى الفرج من المرأة. وللفرج زوائد تقيه من البرد. وفم الرحم من البكر مغضن، وقد نشأت في ما بين تلك الغضون عروق دقاق، وهو ذو طبقة واحدة مؤلفة من ليفين: أحدهما: ذاهب بالطول وهو أقل ما فيه، والآخر: ذاهب بالعرض.

وهذا القدر من القول في التشريح كاف ههنا. ومن شاء أن ينقل إلى ههنا أكثر منه، فليفعل.

الكتاب الثاني

الصـــحـــة

١- معنى الصحة، وما يأخذه الطب من العلم الطبيعي:

١- الصحة هي حالة في العضو. بها يفعل الفعل الذي له بالطبع أو ينفعل الانفعال الذي له بالطبع، وهذا الحد للصحة هو من الحدود الظاهرة بأنفسها(١).

٢- ولما كانت الأعضاء على ما يشاهد بالحس صنفين: إما متشابهة وإما آلية وجب أن ننظر في صنف صنف منها ما هي هذه الحال. ونعطي أنواعها وفصولها . ثم بعد ذلك نعرف ما الفعل الذي يخص عضوا عضوا، وما الانفعال؟(٢) فإنا إذا فعلنا ذلك نكون قد أحطنا بمعرفة ما هي الصحة على التمام . ولنبدأ بالقول في الأجسام المتشابهة الأجزاء . فنقول:

٣- أمـــا الحـــال الـــتي بهـــا يفعـــل العضـــو المتشابه الأجزاء الفعل الذي له أو يـــنفعل الانفعـــال الـــذي لـــه. فالسبيل إلى الوقوف على ما هي هذه الحال يكون في هـــذه الصـــناعة بعـــد أن نتسلم في ذلك أشياء قد تبينت في العلم الطبيعي . وذلك أنه قـــد لاح هـــنالك أن جمـــيع الأجســـام المتشـــابهة الأجـــزاء بما هي أجسام متشابهة الأجـــزاء مـــركبة مـــن الأسطقســـات الأربعة. التي هي النار والهواء والماء والأرض. وذلـــك في كـــتاب الكـــون والفســـاد(٣) . ولاح أيضـــا هنالك أن تولدها منها(٤) إنما يكون بجهة الاختلاط والمزاج.

٤- وتبين مع هذا في المقالة الرابعة من كتاب الآثار العلوية لأرسطو أن الاختلاط والامتزاج إنما يكون بالطبخ.

وأن الطبخ إنما يكون بالحرارة . وأن فصول هذه الأجسام المتشابهة الأجزاء إنما هي في مقادير الحرارة والبرودة الموجودة فيها . وفي مقادير الرطوبة واليبوسة.

---

(١) قال ابن البيطار «حفظ الصحة الموجودة هي مراعاة حفظ الصحة في حال عافية البدن والنظر في عاقبته لأن العاقل هو الذي يدبر الأمر قبل الوقوع فيه والوقاية خير من العلاج. وأما رد الصحة المفقودة فهي معالجة الأبدان بالأدوية عند حدوث المرض ، فلابد من أصل معرفة الطب» [تحفة ابن البيطار ص٤]بتحقيقنا.

(٢) الذي يخصه.

(٣) للحكيم أرسطو.

(٤) يعني المبادئ.

وبالجملة فتبين هنالك أنه ليست صورها شيئا غير صور الامتزاج والاختلاط،وأن الأعراض الخاصة بصنف صنف منها إنما توجد تابعة لمثل هذه الصور المزاجية . فهذه أحد الأشياء التي ينبغي أن يصادر ههنا عليها؛ وهي أشياء قد تبينت في العلم الطبيعي بالبراهين الخاصة المناسبة.

٥- والأطباء إذا راموا التكلم في هذه الأشياء ، في هذه الصناعة ، كانت أقاويلهم في ذلك غير خاصة ولا مناسبة . وذلك أنهم يرومون بيان أمور عامة لموجودات خاصة فتكون محمولاتهم غير أول ولا من طريق ما هو؟ فيقعون دون ما يرومونه من البرهان. فتصير أقاويلهم جدلية. وأرفع رتبتها أن تكون منطقية .

٦- وهذا لائح لمن زاول صناعة المنطق ونظر في كتبهم.ولذلك كثيرا ما تقع أقاويلهم في هذه الأشياء - إذا تكلموا فيها من حيث يظنونها جزءا من صناعتهم - أقاويل كاذبة. وجالينوس عرض له هذا كثيرا في كتاب المزاج: فإن كتاب المزاج ليس يتبع التعليم فيه التعليم الواقع في كتاب الأسطقسات اتباعا برهانيًا فلنرجع إلى حيث كنا فنقول:

٢- المزاج النوعي صنفان: معتدل وغير معتدل

٧-إنه إذا كانت هذه الأشياء على ما وصفنا فليست هذه الحال التي بها نقول في العضو المتشابه الأجزاء ، إنه يفعل فعله أو ينفعل انفعاله، شيئا غير الصور المزاجية المتولدة عن مقادير اختلاط الأسطقسات الأربعة. ولما كانت الأشياء المختلطة إنما توجد في المختلط على ضربين: أحدهما: أن تكون متساوية المقادير. وهذا الاختلاط يسمى معتدلا بالإضافة إلى الأطراف إذ كان هو الوسط بينها .

والوجه الثاني: أن تكون مختلفة المقادير. وهذا الاختلاف ضروب وبضروب هذا الاختلاف اختلفت أمزجة الأنواع: فصار مثلا مزاج الفرس إنما يخالف مزاج الإنسان لأن مقادير الأسطقسات امتزجت فيه على نسبة مخالفة لنسبة امتزاج مقاديرها في الإنسان.

٨- ولما كانت هذه الصورة المزاجية التي تخص نوعا نوعا يوجد فيها، في النوع الواحد بعينه، الاختلاف بالأقل والأكثر — ولذلك أطراف لا يخرج الاختلاف عنها إلا إذا فسدت صحة النوع — وجب أن يوجد في المزاج النوعي الواحد بعينه النوعان : معتدل وخارج عن الاعتدال — وذلك على ما يقوله جالينوس — إما في كيفية واحدة من الكيفيات الأربع[1] ، وإما في اثنتين منها مما يمكن أن تتركب منها، وهي الفاعلة والمنفعلة

(١) وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

التي ليست بأضداد ، مثل الحرارة والرطوبة والحرارة واليبوسة[١].

٣- أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء

٩- وإذا كان ذلك كذلك فأمزجة المتشابهة الأجزاء تكون ضرورة بحسب رأيه . تسعة أمزجة: إما معتدل، وإما حار. وإما بارد. وإما رطب، وإما يابس،وإما حار رطب، وإما حار يابس، وإما بارد رطب، وإما بارد يابس، وأما هل توجد هذه التسعة في بدن الإنسان — بالإضافة إلى أطراف الأسطقسات[٢]فإنه إنما يمكن هذا إن أمكن أن يوجد جسم ما متشابه الأجزاء ، مقادير الأسطقسات فيه متساوية —فإن في ذلك موضع فحص.

١٠- لكن يظهر أن ذلك غير ممكن في كمية أجرامها وفي الكيفية : أعني الثقل والخفة والحرارة والبرودة . وذلك أن الأجسام المتشابهة الأجزاء، الغالب عليها: الماء والأرض، وبذلك وكان لها قوام(=جسم) وأما وجود هذا التعادل في الكيفية، فقد يظن أن ذلك ممكن، كما يقول جالينوس ، في لحم اليد وبخاصة اللحم الذي على الأنملة ، والكيفيات المكونة هي الطابخة المنضجة .

ولذلك ما يكون الكائن منسوبا إلى غلبة الجزء الحار المكون وإلى القابل، وهي الرطوبة التي يكون بها النضج والاتحاد.

١١- وهذا كله قد تبين في الرابعة من الآثار العلوية لأرسطو . ومن تلك الأصول تبين أن الأمزجة خمسة فقط: معتدل وأربعة مزدوجة. وأنه ليس يمكن أن يوجد جسمان متساويان في الحرارة، وأحدهما أيبس من الثاني، كما توهمه جالينوس في الشاب والصبي . وقد بينا هذا في غير هذا الموضع.

١٢- وجملة الأمر في ذلك أن مقادير الكيفيتين الفاعلتين تتبعها مقادير الكيفيتين المنفعلتين ، فإن للصور الخاصة مواد خاصة. لكن ، رأينا أن مفارقة المشهور فيها إيحاش، والخطأ الداخل منه في هذه الصناعة لعله يسير، وكذلك الخطأ العارض فيما قاله (=جالينوس) في المزاج المعتدل ، فلنضع الأمر على ما يقوله جالينوس في لحم اليد وبخاصة في اللحم الذي على الأنملة .

١٣- وإذا كان هذا كله كما وصفنا ، فالحال التي بها تفعل المتشابهة الأجزاء فعلها، أو تنفعل هي ضرورة أحد هذه الأمزجة التسعة، سواء كانت المتشابهة الأجزاء

---

(١) انظر : فصل في تدبير الصحة بالهواء لابن سينا (ص١٢، ١٥) بتحقيقنا.

(٢) أي المبادئ.

جزء حيوان أو لم تكن، ولهذا ما ينبغي أن يعرف المزاج الطبيعي من هذه الأمزجة التسعة، لواحد واحد من الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي للإنسان فإن ذلك المزاج هو المعتدل بالإضافة إلى فعل ذلك العضو وانفعاله ، وهو الاعتدال الذي يقال بالإضافة إلى النوع ، وهو الذي ينبغي أن يقصد بالحفظ في هذه الصناعة، والاسترداد إذا ذهبت.

١٤-وبالوقوف على مزاج واحد واحد من أعضاء الإنسان المتشابهة الأجزاء نقف على مزاج العضو المركب من أكثر من واحد منها فإن المزاج إنما ينسب إلى العضو الآلي من جهة الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي تركب منها. لا من جهة ما هو آلي: أعني من قبل العضو الأول وإذا وقفنا بهذا الوجه على مزاج عضو عضو من الأعضاء الآلية . قدرنا أن نقف بذلك على المزاج المعتدل المنسوب إلى جملة البدن فإن المزاج أيضا إنما ينسب إلى جملة البدن من جهة وجوده للأعضاء الآلية الأول التي تركب منها، وللأعضاء الآلية من جهة المتشابهة الأول التي فيه.

١٥- وينبغي أن تعلم قبل أن هذه الأعضاء المتشابهة الأجزاء منها ما يتركب عن الأسطقسات تركيبا أوليا. ومنها ما يتركب تركيبا ثانيا ويتوسط المركبات تركيبا أوليا. والأعضاء المتشابهة الأجزاء التي هي أجزاء الحيوان هي من هذا الصنف.

وذلك أنها إنما تتولد عن الدم فقط والدم يتولد عن الأغذية والأشربة، وليس المني مما يمكن أن يتولد منه جزء عضو بسيط، ولا عضوا أصلا، على ما لاح في العلم الطبيعي ولا أيضا المرة السوداء أو الصفراء والبلغم أسطقسات هذه الأعضاء المتشابهة على الجهة التي نقول إن الدم هو أسطقسها، وإنها متولدة عنه.

وذلك أن الشيء المتولد عن أكثر من شيء واحد إنما يتهيأ ذلك بأن تختلط تلك الأشياء الكثيرة حتى تصير واحدا بالطبخ والنضج كالحال في السكنجبين الذي يكون عن اختلاط الخل والعسل والماء.

وليس في الرحم مرة سوداء بالفعل ولا صفراء تختلط بالدم حتى يتولد منها هذه الأعضاء بل المرة الصفراء والسوداء إنما في بدن الإنسان لمنافع ستبين بعد. فأما البلغم فإنه مادة بعيدة. وذلك أن الأعضاء إنما تتولد منه بتوسط الدم . فأما المرّتان فليستا بمادة للأعضاء لا قريبة ولا بعيدة : إذ كان ليس يمكن فيهما أن تستحيلا إلى الدم، وإنما هما موجودتان في الدم بالقوة والدم أيضا إذا فسد أكثر ذلك استحال إليهما.

٤- ما هو أسطقس للعضو وما هو غير أسطقس

١٦-وإنما غلطهم في ذلك موضع اللاحق (والجمع : اللواحق). وذلك أن

الأسطقسات موجودة في المركب منها بالقوة، وليس ينعكس هذا حتى يكون كل ما هو موجود في الشيء بالقوة فهو أسطقس له.

بل الدم يكون هيولى لهذه بالعرض، كما تكون الحياة هيولى للموت. والفرق بين القولين لمن زاول العلم الطبيعي بين، ولذلك: لا نقول إن الدردي والرغوة أسطقسات الشراب. بل إنما يتكون الشراب بتمييز هذه منه. وذلك أنها فضول هيولانية تتميز عند الطبخ. وكذلك الحال في المِرّتين مع الدم: أعني أنهما فضلتاه المتميزتان من الدم عند كونه، فإن لكل كائن فضلة تتميز عند الطبخ ، وإذ قد تبين هذا فلنرجع إلى حيث كنا وننظر في واحد واحد من أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي هي جزء من الحيوان، فنقول:

١٧ - أما العظام فظاهر من أمرها غلبة البرد واليبس عليها، وكذلك الغضاريف والأظفار والشعر والرباطات والأوتار والعصب والعروق والأغشية، وذلك أن الحرارة هي طابختها وأن البرد هو عاقدها ولذلك كانت الحرارة تلينها. وهي في هذا متفاضلة وذلك أنه يشبه أن يكون أيبس هذه هو الشعر، وبعده العظم، وبعده الغضروف، ثم الرباط ثم الوتر ثم الغشاء ثم العروق الضوارب وغير الضوارب ثم العصب.

وأما تفاضلها في البرد فالشعر أولا ثم العظم ثانيا ثم الغضروف ثالثا ثم الرباط ثم الوتر ثم الغشاء ثم العصب ثم العروق غير الضوارب ثم الضوارب، لأن الحرارة لهذه إنما هي موجودة بضرب من العرض.

وإنما تنسب هذه إلى البرودة لأنها هي المتممة لها، لا أنها تتكون من دون الحرارة والطبخ. وكذلك تنسب إلى اليبوسة لأن اليبوسة هي المتممة لها، لا أنها تكونت دون رطوبة ، لأن الرطوبة بها يكون النضج والطبخ.

١٨ - وأما الأعضاء الغالب عليها الحرارة والرطوبة فهي الدم واللحم والأرواح ، وهذه أيضا في الحرارة والرطوبة على مراتب : فأحرها الأرواح ثم الدم ثم اللحم، وأرطبها الروح ثم الدم ثم اللحم. إذ كان الروح من جنس الهواء والهواء أرطب من الماء ، على ما لاح في العلم الطبيعي .

وأما الأعضاء الباردة الرطبة فالشحم ثم السمين ثم المخ وهو جوهر الدماغ وهي في الرطوبة على هذا الترتيب.

١٩ - وهذا الترتيب ينبغي أن يتقصاه ههنا من وقع له فراغ ونظر في كتابنا فإنه

يجب أن تكون مراتبها في القوة الفاعلة على نسبة مراتبها في المنفعلة وأما المرة الصفراء فحارة يابسة، والسوداء باردة يابسة ، والبلغم بارد رطب والدم حار رطب وبالجملة فينبغي أن يتسلم أمزجة هذه الأعضاء صاحب هذه الصناعة من العلم الطبيعي وإذ قد تبينت أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء فقد يمكن أن نقف بذلك على مزاج عضو عضو من الأعضاء الآلية فنقول:

٥- أمزجة الأعضاء الآلية

٢٠-إن القلب، إذ هو مؤلف من أغشية ورباطات ولحم وعروق وغضروف ودم وروح ، هو ضرورة حار، لمكان الروح العظيم الذي فيه والدم ، إذ كان كالمستوقد لجميع البدن.

وأما هل هو يابس أو معتدل ، كما يقول الأطباء في ذلك ، أو مائل إلى الرطوبة؟ ففيه موضع نظر، والأقرب أن يكون مائلا إلى الرطوبة لكثرة الروح الذي فيه وأما الكبد فالظاهر من أمرها أنها حارة رطبة، إذ كانت أكثر أجزائها لحمية دمية ، وتأتيها أيضا شرايين كثيرة .

وأما الدماغ فبارد رطب لأن أعظم أجزائه هو المخ والعصب ، والمخ الذي فيه طبعه بارد رطب، بخلاف المخ الذي في العظام. والدليل على أن مخ الدماغ بارد رطب أكثر من مخ العظام أنه ليس فيه جزء دسم، وإذا طبخ صار جاسيا[1].

وذلك أن الجزء المائي ينفش منه بالحرارة فيبقى الجزء الأرضي صلبا. وكذلك النخاع والطحال والكلى من الأعضاء الحارة الرطبة ، وإن كانت الكلى في ذلك دون الطحال لمكان (بسبب) عكر الدم الموجود في الطحال، وهي في هذين أقل من الكبد.

٦- المزاج المعتدل أو الحال الصحية

٢١-وإذ قد تبينت أمزجة الأعضاء الآلية والبسيطة ، فقد يظهر من هذا ما هو المزاج المعتدل في جميع البدن، وذلك أن من وجدت هذه الأعضاء فيه على هذه النسب كان معتدل المزاج ضرورة ، ولحقته تلك الخواص والعلامات التي يصفها جالينوس في المعتدل المزاج. وبين أن هذا الاعتدال إنما هو بالإضافة إلى جملة أفعال البدن .

لكن لما كانت هذه الأعضاء المتشابهة الأجزاء مركبة فقد يمكن أن تشذ في مزاجها وتخرج إما لكيفية واحدة على ما يراه الأطباء بحسب المسامحة ، وإما لأكثر من

---

(١) يعني: صلبًا يابسًا.

واحدة مما يمكن أن تتركب من غير أن يكون ذلك الخروج ضارا بالفعل ، وذلك إما لمكان الإقليم ، أو لمكان الهيولي والفاعل ، أو لمكان السن، فإن الصبي حار رطب والشاب حار يابس والشيخ بارد يابس، وهذا بيِّن من أفعالهم وقربهم وبعدهم من الكون[١] .

وكذلك أيضا مزاج الذكر أحر وأيبس من مزاج الأنثى، وذلك أيضا بين من فعلهما. وقد تختلف الأمزجة لمكان المهن والأغذية ، وبالجملة الأمور التي من خارج. وإذا أمكن هذا في الأعضاء المتشابهة أمكن أيضا في الأعضاء الآلية أن يوجد فيها هذا الخروج. وإذا أمكن في الأعضاء الآلية أمكن في جملة البدن بمقايسة بعضها إلى بعض .

٢٢- وإذا أمكن ذلك ، وكان قد تبين أن أصناف خروج الممتزج من جهة ما هو ممتزج يكون إلى ثمانية أصناف ، بحسب رأي الأطباء ، فإذن الحالات التي يفعل بها عضو عضو أفعاله وينفعل انفعاله ، وأو جميع البدن، هي أصناف تسعة: واحد معتدل وهو الطبيعي ، وثمانية خارجه عن الاعتدال .

والحق أن الخارجة عن الاعتدال أربعة : وذلك أن البدن الذي تشذ فيه أعضاؤه اليابسة الحارة أو أكثرها ينسب إلى المزاج الحار اليابس ، وكذلك في صنف صنف منها. فعلى هذا ينبغي أن يفهم أن أصناف الأمزجة الصحية خمسة . وبين أن هذا النوع من المزاج هو مشترك للصنفين من الأعضاء ، لكن هو للبسيطة بالذات، وللمركبة بالعرض وثانيا. وذلك أنه لما كان الأطباء ينسبون أمزجة الأعضاء الخارجة عن الاعتدال إلى كيفية فاعلة ومنفعلة . فكذلك يجب أن ينسب جملة مزاج البدن إلى كيفيتين فقط. فتكون بالذات في الأعضاء المتشابهة الأجزاء وأنواعها، وثانيا للعضو الآلي ولجميع البدن فلنصر إلى بيان الحال الصحية الموجودة بالذات للعضو الآلي من جهة ما هو آلي. وإلى أنواعها فنقول:

٢٣-إن الأعضاء الآلية، من جهة ما هي مركبة ، يظهر من أمرها أنها إنما تكون على الحال التي بها تفعل أفعالها أو تنفعل أنفعالها متى كانت من كيفيتها أعني الكيفية التي في الكمية بما هي كمية ومن كميتها ومن وضعها . على الحال الطبيعية ، ومن مشاركة بعضها بعضا في اتصالها وانفصالها ، و كيفية اتصالها وانفصالها ، ومن ترتيبها ، وهذا قد

---

(١) والتكون.

يظن به أنه يدخل في جنس الوضع[1] ولكن إن قيل عليه اسم الوضع فباشتراك.

٢٤-وأما من كيفيتها فأن يكون شكلها الشكل الطبيعي ، وأن تكون التجاويف والمنافذ التي فيها على الحال الطبيعية في السعة والضيق، وأن تكون سطوحها في الملاسة والخشونة على الحال الطبيعية أيضا. وأما من الكمية ، فمتى كان عدد أجزائها العدد الطبيعي ، وكذلك مقاديرها ، وأما حالها في الاتصال والانفصال : أن يكون أيضا حالا طبيعية ، مثل اتصال أجزاء العضو الآلي بعضها ببعض ، وانفصالها بعضها عن بعض وكيفية الاتصال والانفصال يدخل في هذا وإن كان اسم الاتصال بالعضو المتشابه الأجزاء أولى منه بالعضو الآلي.

والكبير والصغير يدخل في جنس المقدار، وهو خاص بالكم المتصل كما أن القليل والكثير خاص بالكم المنفصل وإن كان المقدار من جهة ما هو متصل أولى بأن ينسب إلى العضو المتشابه منه إلى العضو الآلي، لأن العضو الآلي إنما يكون بالمقدار الطبيعي متى كان كل واحد من المتشابهة التي تركب منها بالمقدار الطبيعي.

٢٥- وأما الوضع الطبيعي الذي للعضو فهو أن تكون أجزاؤه محاذية لأعضاء محدودة، شأنه أن يحاذي تلك الأعضاء وبذلك يكون موضعه من الجسم الموضع الطبيعي الذي له، مثل الكبد والمعدة وغير ذلك من الأعضاء. وكذلك الحال في وضع أجزاء العضو نفسه بعضها بعضا وأما قولنا: وأن يكون حالها من مشاركة بعضها بعضا حالا طبيعيا، فإن هذا يوجد في التركيب الأول العام لجميع أعضاء البدن مثل مشاركة الأعضاء الرئيسة لما لا يتم فعلها إلا به ويوجد هذا في عضو مع عضو مثل مشاركة الدماغ للمعدة في فعلها الذي هو الشهوة، وتوجد في أجزاء العضو الآلي مع الجزء الأملك لفعل ذلك العضو، مثل مشاركة جميع أجزاء العين للرطوبة الجليدية.

٢٦- وأما جنس الاتصال والانفصال وكيفية ذلك فإن من الأعضاء ما هي منفصلة من غير أن تكون مرتبطة كالأصابع، ومنها ما هي متصلة برباط أو بزوائد يدخل بعضها في بعض أو بكليهما. ومن هذه ما يكون اتصالها اتصالا مفصليا. ومعنى ذلك أنه يمكن أن يتحرك ذلك العضو الذي هو جزء المتصل بذاته. مثال ذلك الكف: فإنها جزء من الساعد، واتصالها به يكون برباط وزوائد، وهو مع هذا اتصال مفصلي. فهذه هي أنواع

(١) نحو قائم جالس.

الهيئات التي إذا كانت في الأعضاء الآلية فعلت بها أفعالها التي لها بالطبع وانفعلت انفعالاتها الطبيعية.

٢٧- وأنت قد سلف لك ، مما ذكر في التشريح، كيفية كل عضو وكميته ووضعه ووجه مشاركته لغيره، أعني اتصاله وانفصاله وترتيبه ، فلا معنى لإعادة ذلك ههنا. وأنت فلا يخفى عليك ، إن كنت نظرت في كتب جالينوس أو كتب المتبعين له من الأطباء، أن ما قلناه في قسمة أنواع الصحة ههنا هو أولى مما قاله الرجل وبخاصة إن كنت قد ارتضت في العلوم. وإذ قد تبين هذا ، فنقول:

٧-الهيئة الفاضلة

٢٨-إنه لما كان قد يوجد من الأمزجة الصحية المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء ما هو غاية الاعتدال، وما هو خارج عن الاعتدال ، لكن خروجا لا يكون عنه ضرر محسوس في الفعل والانفعال، كذلك يشبه أن يكون الأمر في الأعضاء الآلية، فيكون ههنا كيفية معتدلة وكمية معتدلة ووضع معتدل ومشاركة معتدلة، وهذه هي الهيئة الفاضلة التي رام وضعها جالينوس في مقالته المترجمة بالهيئة الفاضلة. ويكون أيضا ههنا من هذه الأنواع ما هو خارج عن الاعتدال، فتكون على هذه أنواع الصحة الموجودة في الأعضاء الآلية ثمانية أصناف: أربعة معتدلة وأربعة ناقصة عن الاعتدال أو زائدة عليه .

وأما الجنس الخامس من أجناس هذه الهيئات الذي نظن أنه من أحد ما يشترك فيه الأعضاء الآلية والمتشابهة، وهو نفس الاتصال فيما شأنه يكون منها متصلا، فإن الاتصال قسمان: اتصال يكون بالربط، وهذا إنما هو تماس في الحقيقة، ولذلك مثل هذا الاتصال هو خاص بالآلية وهو معدود في هيئاتها الصحية.

وأما الاتصال الذي هو اتصال حقيقي، وهو الموجود للعضو المتشابة الأجزاء، فيلزم ضرورة أن يكون معدودا في الهيئات الصحية التي للأعضاء المتشابهة الأجزاء.

فقد تبين من هذا القول جميع أنواع الهيئات الصحية للأعضاء البسيطة والآلية المشتركة منها والخاصة بواحد واحد منها. وتبين مع ذلك في المشتركة على أي جهة شركتها.

وإنما عرض هذا التداخل فيها في الاشتراك، لأن الحد العام لها لم يكن مقولا بتواطؤ. وذلك أن نسبة المزاج على الأعضاء الآلية، غير نسبته إلى المتشابهة: فإنه للمتشابهة بالذات وللآلية بالعرض.

ولما لم يفصل الأطباء هذا التفصيل، كانت أقاويلهم في هذه الأشياء إقناعية أو

منطقية وقد ينبغي بعد هذا أن نصير إلى معرفة الأفعال والانفعالات التي تخص عضوا عضوا، وهذه هي التي تتنزل من معرفة الصحة منزلة الأسباب الغائية. والتي سلف القول فيها ،إنما كانت معرفة الأسباب الصورية لها أو المادية. وقبل هذا فلنقدم ما يجب تقديمه مما قد لاح في العلم الطبيعي فنقول:

٨- المادة والصورة والغاية في أعضاء الإنسان

٢٩- إنه قد تبين هنالك أن كل جسم مركب من مادة وصورة، وأن المادة إنما وجدت من أجل الصورة ، ومجموع الصورة والمادة، الذين هو بهما الموجود الطبيعي ما هو، إنما هو من أجل فعله الذي يخصه. ولذلك ما يقول أرسطو: إن الطبيعة لا تفعل باطلا، مثال ذلك، في الأمور الصناعية، أن خشب السفينة إنما وجد من أجل صورة السفينة وشكلها، ووجد مجموع هذين من أجل فعل السفينة وهو سيرها في الماء .

وإذا كان ذلك كذلك فهذه الأعضاء الإنسانية فيها، ضرورة شيء يجري هذا المجرى ، أعني أنه يلزم أن يكون فيها شيء يجري مجرى الهيولى، وشيء يجري مجرى الصورة، وشيء ثالث وهو الفعل والانفعال، ويكون هذا هو الغاية لمجموع تلك. ولهذا ما ينبغي أن نفحص ههنا أولا ما الشيء الذي يجري من هذه الأعضاء مجرى الصورة؟ وما الشيء الذي يجري مجرى المادة؟ وحينئذ نشرع في بيان فعل واحد واحد منهما وانفعاله فنقول:

٣٠- أما الأعضاء البسيطة فإنه يظهر في أكثرها أنها شبيهة بالهيولى للمركب، وذلك أن العظام الموجودة في اليد والرباط والأعصاب والعروق واللحم والجلد يظهر من أمرها أنها إنما وجدت من أجل خلقة اليد، وخلقة اليد المركبة من هذه إنما وجدت من أجل الأفعال التي تخصها والانفعالات، مثال ذلك أن اليد إنما أمكنها المد والانبساط والقبض وغير ذلك من أفعالها من جهة ما هي مركبة ولكن وإن كانت الأعضاء المتشابهة الأجزاء إنما كونت أولا من أجل المركب فلواحد واحد منها فعل خاص يتميز به في المركب، مثال ذلك أن اليد إنما كان لها قوام تحمل به الأشياء بما فيها من العظم، وإنما كان فيها الالتطاء[١] بما فيها من اللحم، وهذا كله ظاهر بنفسه، وإذا كان هذا هكذا ووضعنا أن الأعضاء البسيطة إنما وجدت من أجل المركبة فقد ينبغي أن ننظر هل هنا شيء من أجله وجد المركب وبمجموعها يلتئم فعل المركب؟ فنقول:

(١) أي الإمساك بالشيء.

٣١- أما أن أفعال هذه الأعضاء الطبيعية وانفعالاتها إنما تكون بحرارة غريزية مبثوثة فيها، غير الحرارة المزاجية التي للأعضاء المتشابهة الأجزاء، فذلك يظهر مما لاح في التشريح ومما قيل في العلم الطبيعي.

أما ما ظهر من ذلك في التشريح فهو أن القلب يوجد فيه جسم بخاري في غاية الحرارة متصل منه في السبل المسماة شرايين إلى جميع الأعضاء على ما قيل بعد.

وكذلك يظن أن الأمر أيضا في الدماغ. وإذا كان هذا هكذا، وأضيف إلى هذا أن جميع الأفعال والانفعالات إنما تكون بالحرارة الغزيزية على ما لاح في العلم الطبيعي وعلى ما سيتبين بعد، فجميع الأعضاء إنما تفعل أفعالها النفسانية بصورها المزاجية وبما يصل إليها من هذه الحرارة ، ومجموع هاتين الحرارتين في العضو هي صورته التي هو بها فاعل أو منفعل.

٣٢-ومن هنا تظهر رئاسة القلب على سائر الأعضاء : فإنه يظهر من هذا أنه مكتف بنفسه في فعله، وغيره مضطر في فعله إليه. وكذلك أيضا تظهر رئاسة الدماغ بهذا المعنى بعينه على الأعضاء التي هو رئيس عليها. وإذا وضع هذا هكذا فالأعضاء البسيطة إنما وجدت أولا من أجل المركبة ، والمركبة من أجل هذه الحرارة المنبعثة من القلب وحده أو من الدماغ والقلب. فإنه لا نبالي ههنا كيف كان الأمر في ذلك . وهذه الحرارة هي التي تتنزل منها منزلة الصورة. وبمجموعها تكون الأفعال والانفعالات التي تخص عضوا عضوا.

فأما هل في هذه الحرارة كفاية أم ههنا قوة أخرى تتنزل من هذه الحرارة منزلة الصورة، فذلك شيء ليس يحتاج الطبيب إلى الفحص عنه ولكن نضع أن ههنا قوى غير هذه الصورة المزاجية على ما تبين في العلم الطبيعي، وهي المسماة نفوسا. فهذا هو الذي كان ينبغي أيضا أن نقدم قبل النظر في فعل واحد واحد من الأعضاء وانفعالاته. وقد ينبغي أيضا قبل ذلك أن نعرف كم أصناف هذه الانفعالات والأفعال. وحينئذ نفحص عما يخص عضوا عضوا منها والسبيل إلى ذلك يكون بأن نعرف أولا القوى الصادرة عنها هذه الأفعال، وذلك يكون بمعرفة أجناس الأفعال، لأن الأفعال عندنا أعرف من قواها. والقوى عند الطبيعة أعرف، فنقول:

٩- وجهة نظر الأطباء ووجهة نظر الفلاسفة في قوى الكائن الحي

٣٣- إن الفلاسفة والأطباء لما نظروا إلى الأفعال قالوا: إن القوى الموجودة في الإنسان ثلاثة: إما قوى طبيعية، وإما قوى حيوانية ، وإما قوى نفسانية. ويعنون بالقوى

الطبيعية القوة التي بها تكون التغذية والتي بها يكون النمو والتي بها يكون التوليد ويعنون بالقوى الحيوانية القوة النبضية التي في القلب والقوة النزوعية وهي التي يكون بها الاشتياق إلى الشيء أو الهرب عنه.

ويعنون بالقوة النفسانية قوى الحواس الخمس التي هي اللمس والذوق والشم والسمع والإبصار – قالوا- والقوة المحركة في المكان، وقوة التخيل والفكر والذكر والحفظ، وهذه الثلاثة يدعونها بالسياسية. فهذه هي القسمة التي جرت عادة الأطباء أن يقسموا إليها قوى النفس.

وهي وإن كانت قسمة غير صحيحة فيشبه أن تكون قليلة الضرر في هذه الصناعة، لكن الأولى أن نضعها نحن ههنا على نحو ما تبين في العلم الطبيعي فنقول:

٣٤-إن هذه الأفعال قد تبين من أمرها أنها ليس يمكنها أن تنسب إلى الكيفيات الأربع فقط ، بل إلى قوى زائدة عليها. وهي المسماة نفوسا. فلما اعتبروا أفعال هذه القوى المسماة نفوسا. قالوا: إن النفس منها ما ينسب إلى النبات. وهي ثلاث قوى: إحداها: الغاذية، ثم النامية وهذه هي كمال الغاذية، ثم المولدة وهذه كأنها كمال للنامية. وتبين هنالك أنها أنفس إذا كانت آلية. وأنها ليست بقوى طبيعية .

فلذلك كانت تسميتها قوى طبيعية مجازا هذا إن أرادوا بها أنها أنفس ، وإن أرادوا بذلك أنها قوى مزاجية فقط ، فهو خطأ، ومما يدل على أنهم يريدون بها هذا المعنى ما يسمع من أن جالينوس يشبهها بحجر المغنطيس، ويأخذه في تفهيمها وأما قوة النبض فهي ضرورة قوة غاذية جزئية رئيسية إذ كان القلب بها يوزع الحرارة على سائر الأعضاء ، وأيضا فإنها كالخادمة للقوة الغاذية الرئيسية التي في القلب ، لأن بها تحفظ ، ولذلك ليس تستحق أن توضع أنها قوة أخرى من قوى النفس.

فإن الحال في وجود هذه القوة للنفس الغاذية كالحال في الخمس القوى الموجودة لها . التي هي القوة الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة والمميزة، وإن كانت القوة النبضية خاصة بالحيوان وذلك لموضع إفراط الحرارة فيه. وقد يسمى النبات بهذه القوى حيا، ولا يسمى حيوانا.

٣٥- ولعل الأطباء إنما سموا قوة النبض حيوانية ،وإن كانت من جنس الغاذية ، لكونها مختصة بالحيوان، وأما قسمتهم القوى النفسانية إلى الحواس والقوة المحركة في المكان والتخيل، والفكر والذكر والحفظ ، فقسمة غير صحيحة . لكن القوة المحركة في المكان ليست شيئا أكثر من القوة النزوعية ، إذا اقترن إليها الرأي والخيال وكان هناك إجماع،

على ما تبين في كتاب النفس[١] وهم يعدون القوة النزوعية في القوى الحيوانية، ويضعون المحرك في المكان نوعا آخر.

وهذا كله ليس بصحيح ، بل ليس ههنا قوى إلا غاذية أو نامية أو مولدة أو حسية أو متخيلة أو نزوعية أو نطقية. ومن رواضع المتخلية الذاكرة والحافظة. ومن رواضع النطقية وخدمها المفكرة والذاكرة. والحافظة، كما قيل، أكثر روحانية من المتخيلة. فهذه أمور ينبغي أن توضع ههنا وضعا، وتتسلم من صاحب علم الطباع. وإن كان ليس بصناعة الطب ضرورة إلى معرفتها إلا من جهة الأفضل ، بل يكفي الطبيب من هذه أن يعرف المزاج الذي يخص قوة قوة من هذه القوى، ليحفظه إذا وجد ويسترده إذا ذهب، فإنه يكفيه في هذه الصناعة أن ينتهي من معرفة الصور إلى الصورة المزاجية الروحية ،كما يكفيه أن ينتهي من معرفة المادة إلى معرفة الأعضاء والأخلاط الأربعة.

٣٦- ولكن إذا تقرر الأمر على ما وضع في هذه الصناعة ، فَبَيِّنٌ أن جميع الأعضاء ، إنما وجدت من أجل هذه القوى. وهذه القوى من أجل أفعالها . فإذن ولا عضو واحد في البدن إلا وهو موجود من أجل فعل واحد من أفعال هذه القوى وانفعالاتها، ولذلك قد آن ههنا أن نفحص عن فعل واحد واحد من الأعضاء و انفعاله والمزاج الذي يخصه. فإن بمعرفة ذلك تحصل لنا معرفة صحة عضو عضو بأسبابه الغائية. إذ كنا قد عرفناه بالسبب الصوري والمادي .

وأما السبب الفاعل. فلا حاجة بنا إلى معرفته ههنا، إذ كان قد ذهب وبطل، اللهم إلا ما كان من الأسباب الفاعلة يجري مجرى الحافظ. فلنشرع في ذلك ونبتدئ من منافع الأعضاء البسيطة.

١٠- القول في منافع الأعضاء البسيطة

٣٧-وينبغي أن تعلم أن الشيء يقال إنه موجود من أجل الشيء على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون من ضرورة وجود الشيء الأخير وجود الأول. مثال ذلك أن من ضرورة وجود الأعضاء الآلية وجود الأعضاء المتشابهة الأجزاء.

والثاني: أن يكون ليس من ضرورة وجود الأخير وجود الأول، بل من جهة أن يوجد الأخير بالحال الأفضل، مثال ذلك أن العين إنما وجدت من أجل ضرورة الإبصار،

---

(١) للحكيم أرسطو.

فأما كونها مضاعفة فمن جهة الأفضل على ما سنبين بعد هذا. ونحن إنما نذكر من هذه المنافع ما نرى أن أكثر ذلك نافع في صناعة الطب.

٣٨- وهذه الأعضاء البسيطة منها عظام وما يشبهها من الغضاريف وأظفار وشعر وعصب وعروق ورباط وغشاء ووتر ومخ ودماغ ونخاع ولحم وشحم وما يشبهه من الثرب والسمن وجلد ودم وبلغم ومرة سوداء وصفراء وروح.

٣٩-أما العظام فأشهر منافعها أنها جعلت لموضع العمدة والوثاقة، وهي بالجملة كالأساس لجملة البدن، والمنفعة الثانية لتجن[1] وتستر كعظام الصدر وعظام القحف . وأما كثرتها في البدن فإنما جعلت أولا لمكان الحركات الجزئية . وذلك أن ما كان تتهيأ حركة لليد بذاتها لو لم تكن مفصلة من الساعد، وكذلك في عضو عضو من الأعضاء المفصلية المتحركة . والمنفعة الثالثة بسبب تحلل الفضول البخارية كالشؤون التي في الرأس وربما صحبت في ذلك منفعة أخرى.

وذلك أنه متى نزلت بأحد العظام آفة لم تتعد إلى غيره من الأعضاء من جهة ما هو منفصل منه. وقد تكون الحاجة على كثرة العظام لاختلاف أشكالها وكيفياتها بحسب ما أعدت له.ولصغرها أيضا ولكبرها . أما اختلافها في الصغر والكبر فمثل سلاميات الأصابع وعظام الساق، وأما اختلافها في الشكل فمثل أن العظم الذي احتيج فيه إلى وثاقة مفرطة جعل صلبا مصمتا، وما احتيج فيه إلى الخفة جعل أجوفا، وما احتيج فيه إلى أن يتصل باللحم جعل لينا كالغضاريف. وهذه المنافع بينة بنفسها ، والإنسان يقدر أن يأتي بجلها من عند نفسه إذا كان ممن ارتاض أدنى ارتياض بالنظر في هذه الأشياء.

٤٠- وأما الأظفار فإنها جعلت لمنفعتين: إحداهما، وهي العامة لوقاية أطراف الأصابع، بمنزلة المراكز التي تجعل في الرماح ،والثانية لتدعم اللحم عند قبض الأصابع على الشيء ، وهذه أخص بأظفار اليد وهي أقل في أظفار الرجل. وأما المنفعة الأولى فهي عامة للإنسان والحيوان.

٤١- وأما العصب ففي منفعته شكوك كثيرة: أما جالينوس فيرى أن منفعتها إنما هي لتؤدي الحس والحركة الإرادية إلى جميع الأعضاء . وأما اللازم عن رأي أرسطو فإن العصب إنما جعل لموضع تعديل الحرارة الغريزية حتى يكون بها الحس ، وذلك تابع لرأييهما في منفعة الدماغ.

---

(١) أي تقي .

وأما كونها آلة الحركة الإرادية ففيه نظر أيضا. وما يحتج به جالينوس في إثبات وجود الحس والحركة عن الأعصاب من أن بارتفاع العصب يرتفع الحس والحركة فموضع غير برهاني ، وقد قيل ذلك في كتب المنطق لكن يظهر بالجملة أن منفعتها من جنس منفعة الدماغ. ومن هنا يظهر كل الظهور أنها نابتة منه لا من كونها مغروزة في الدماغ كما يقوله جالينوس.

٤٢- وأما الرباط والوتر فمنفعتهما في الحركة الإرادية ظاهرة للحس، متى كشطنا الجلد عن مفصل حيوان وجعلناه يتحرك.

٤٣- وأما الأغشية فاحتيج إليها لمكان السترة والوقاية، ولتحمل أيضا الأعضاء التي هي متعلقة بها وتربطها، وإن كانت هذه المنفعة أخص بالرباط ، ومنفعة الصفاق الموضوع على البطن هي من نوع هذه المنفعة ، أعني أنه يمنع الأحشاء من أن تبرز كما يعتري ذلك في الفتق.

٤٤- وأما العروق فهي قسمان: شرايين وهي التي تحمل الروح [الغريزي] والدم الذي في القلب، وهذه لا شك هي من أجل حمل هذا الدم والروح وإنما جعلت متشعبة في جميع البدن ومتفرقة فيه لتوصل إليه الشيء المبثوث فيها . إما من الروح فقط. وإما من الدم والروح معا. والقسم الثاني من العروق. وهي غير الضوارب فليس يوجد بالحس فيها روح ، اللهم إلا أن يؤدي إلى وجود ذلك القول- كما يزعم ذلك جالينوس- في الكبد أنها معدن الروح الطبيعي ، التي قلنا نحن فيها: إنهم يعنون بها القوة الغاذية ، وإنما الظاهر من أمر منفعة هذه العروق أنها جعلت لتوزيع الدم المنطبخ في الكبد على سائر الأعضاء .

ولذلك جعلت متشعبة كالحال في الشرايين . لكن ينبغي أن تعلم أن أرسطو يرى أن غذاء جميع أعضاء البدن إنما يكون باختلاط هذين الدمين، وأن الدم الذي في الكبد والعروق غير الضوارب هو كالمادة للدم الذي ينبعث من القلب في الشرايين ، وأن هذا الدم هو له كالصورة، أعني أنه المتمم له المنضج ، المصيِّر له غذاء قريبا بالفعل.

وجالينوس يرى أن الدم الذي يأتي من الكبد في الأوراد إلى الأعضاء هو الغذاء القريب. وحجة الحكيم أنْ الذي للدم بما هو دم هو أن يكون غذاء للأعضاء . ولما كان هذا النوعان من الدم يظهر من أمرهما أنهما يجريان إلى كل عضو وجب أن يكون كل عضو يغتذي منهما.

ولما كان أحدهما نيئا والآخر نضجا وجب أن يكون النضج يجري من النيئ مجرى

المفيد للصورة والتمام. وهذا أمر قد تبين على التمام في كتاب الحيوان[١].

وجالينوس يظهر من أمره أنه يعترف أن الأعضاء تغتذي بدم الشرايين. ولذلك يقطع الشرايين في أمراض الشقائق والصداع الدائم.

٤٥- وأما المخ فهو صنفان : أحدهما الموجود في القحف وهذا لا شك هو هيولى الروح الذي في الدماغ ، الذي به تكون الحواس . وأما المخ الذي في العظام فإنه فضلة غذائها . والعظام المصمتة ليس لها مخ. إذ ليس لها تجويف. واسم المخ بالجملة واقع عليهما باشتراك الاسم، وإنما سميناه بذلك لمكان عادة الجمهور .

فإن المخ الذي في العظام فضلة[٢] وهذا[٣] جوهر رئيس . وأما النخاع فطباعه من طباع الدماغ. ومنفعته تلك المنفعة بعينها . وسيأتي تفصيل هذا عند ذكرنا منافع الأعضاء الآلية.

٤٦- وأما اللحم فهو أصناف على ما تبين. وأرسطو يرى في جميعها أنها آلة حس اللمس الخاصة، التي تتنزل منه منزلة العين من الإبصار ويستشهد على ذلك من أن الحس البسيط إنما يلفي لجسم بسيط وأن العصب خادم للحم في هذا الإدراك على جهة تعديل الروح المنبث إليه من القلب. وهذه كلها مفاحص طبيعية فينبغي أن يتسلمها الطبيب ولكن لنعمل ههنا على أن الحس والحركة أحد ما به يتقوم هو الدماغ والأعصاب.

وأما الجنس من اللحم الذي يسميه جالينوس العضل، فهو عضو آلي، وهو عنده آلة الحركة المكانية ، وفيه المتحرك الأول إذ كان هو المتحرك من تلقائه، وليس يتحرك بأن جسما آخر يحركه، لأنه لو كان ذلك كذلك لأدى ذلك إلى جسم يتحرك عن جسم آخر ، والآخر عن آخر إلى غير نهاية لأن كل جسم لا يحرك إلا بأن يتحرك .

وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي، وسنتكلم فيه عند الكلام في الأعضاء الآلية. وأما اللحم الذي في الأربيتين وتحت الإباط فهو مع هذا لموضع دفع الفضول، وكذلك لا يبعد أن يكون كثير من اللحم لمكان الأملان والوقاية. وبالجملة فهو العضو البسيط المشترك لجميع الحيوان كما أن القلب هو العضو الآلي المشترك لجميع الحيوان أيضا.

٤٧- وأما الدم فالأمر فيه بين أنه إنما وضع لأحد شيئين، إما لمكان الغذاء كالدم

(١) للحكيم أرسطو.

(٢) مثل مخاط الأنف.

(٣) أي مخ الدماغ.

الذي في الكبد والعروق التي يظن أنها نابتة منه، وإما لأن يكون مطية للروح الغريزي الذي في القلب ، وهذا هو دم الشرايين.

٤٨ - وأما البلغم فإنه دم غير منهضم، ولذلك هو فضلة الدم، أعني فضلة مقصرة عن أن يكون منها دم، لا فضلة تمييزها شرط في كون الدم كالصفراء والسوداء .

وإذا كان ذلك كذلك فإما أن يكون وجوده في البدن من أجل الضرورة ، ومعنى ذلك أن الغذاء إذا استحال لم يمكن فيه ذلك إلا أن يتولد منه فضول بلغمية ، أو يكون مع ذلك أيضا فيه منافع ، وذلك لأنه يندي الأعضاء ويرطبها وكأنه غذاء معد لها عندما يتأخر عنها الغذاء.

٤٩ - وأما المرة الصفراء والسوداء فإن وجودهما أولا وبالذات إنما هو من أجل الضرورة ، وذلك لأن الغذاء الكيلوسي الذي يصير من المعدة إلى الكبد، ما كان يمكن فيه أن ينهضم ، حتى يعود دما، دون أن تتميز منه هاتان الفضلتان كالحال في عصير العنب الذي لا يمكن أن يكون منه شراب دون أن تتميز منه فضلتان: إحداهما غليظة أرضية والأخرى رقيقة.

ولذلك أعدت لهما أعضاء خاصة بهما، ولم تعد للبلغم : أعني من جهة أنه ليس في هاتين الفضلتين استعداد لأن يكون منهما جزء عضو كالحال في البلغم. وقد يظهر مع هذا أن الطبيعة قد استعملتها آلات خادمة للقوة الغاذية من جهة الأفضل. وذلك أنه يظهر بالتشريح أن للمرارة التي هي كيس المرة الصفراء مجرى يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة، وفي بعض الناس متصل بالمعدة ، فيفعل في المعدة مثل ما يفعل في المعى.

وذلك أن المرارة ترسل في هذا المجرى إلى المعى من المرة الصفراء ما يهيجها به على دفع الأثقال ويكون كالجلاء لها. وكذلك أيضا الطحال له سبيل يتصل بفم المعدة فيرسل إلى المعدة من المرة السوداء ما فيه حمضة ما لتقوي شهوة فم المعدة إلى الغذاء ، إذ كان هذا فعل الأشياء الحامضة فيها.

٥٠ - وأما الشحم فمنفعته في الأجسام الحيوانية التسخين، كالحال في منفعة الثرب. والشحم هو فضلة الدم المنطبخ الذي تتغذى الأعضاء به. ولذلك متى وجد في الحيوان باعتدال دل على صحته، إذ كان يدل على فضل قوة في التغذي وحسن حال. وإذا لم يوجد في الحيوان باعتدال دل على أنه ليس هناك جودة طبخ، إذ ليس ثم فضلة تدل على جودة الطبخ، وهي الفضلة الحارة الرطبة، بل ما يرد من الغذاء

على أبدان أمثال هذه الحيوانات مقصر عما تحتاج إليه أعضاؤها. وأما متى أفرط في الحيوان، فإنه يدل منه على سوء حال. وذلك أن أكثر هيولى الغذاء حينئذ، الذي هو الدم، ينصرف إليه فتبرد أعضاء الحيوان فيهلك لأن هذه الفضلة ليس فيها حس فتبطل الأعضاء الحساسة إذا كثرت.

٥١- وأما الشعر فمنفعته في الرأس والحواجب للوقاية، وذلك من أمره بَيِّنٌ أما للرأس فمن الحر والبرد. وأما شعر الحواجب فلوقاية العين مما يمكن أن ينزل من الرأس من المائعات التي تصب عليه. وكذلك شعر الأجفان بين من أمره أنه لمكان الوقاية.

وأما شعر الإباط والسرة وكثير من الشعر الخارج على ظاهر البدن فالأظهر فيه أنه لمكان ضرورة الهيولى. وذلك أنه إنما يتولد في البدن من البخار الدخاني المحترق كما يقول جالينوس؛ وفي قوله نظر وذلك أن الشعر يظهر أنه جسم متمدد يابس ومثل هذا هو فضلة للغذاء اليابس، إذا أفرط طبخه مع شدة مخالطة الدهنية.

فليس هو بخارا متراكما بل جسما متصلا شديد الاتحاد نام في الطول. والذي يمكن أن يقال: إن الطباع تصرف هذا البخار مادة للشعر، حتى يكون الشعر شأنه أن يجتذب تلك المادة الرديئة من الجسم لينقي بذلك الجسم، على ما نرى كثيرا من الفلاحين يعمدون إلى الأرض التي يريدون أن يصلحوها فيزرعون فيها من النبات ما شأنه أن يجتذب الجزء الأرضي المحترق الذي فيها. وعلى هذا الوجه فقد يكون له منفعة ما.

٥٢- وأما الجلد فالظاهر أنه لمكان الوقاية والسترة، وهو من خارج بمنزلة الأغشية من داخل.

٥٣- وأما الأرواح فإما أن تكون الآلة القريبة للقوة الأولى المدبرة لجسم الحيوان، المستعلمة للقوى الأربع أو الخمس، أعني الهاضمة والماسكة والدافعة والجاذبة والمميزة. وإما أن تكون هي المدبرة أنفسها. لكن الأولى أن نضع أنها الآلة القريبة والهيولى الخاصة. وأن القوى المدبرة العامة في بدن الحيوان هي نفس. ولذلك كان عدمها في الجسم موتا ضرورة.

٥٤-وإذ قد قلنا في منافع الأعضاء البسيطة فقد ينبغي أن نقول في منافع

الأعضاء الآلية وفي منفعة جزء جزء ،ونتحرى من جميع ذلك الأشهر وما يظن أنه ضروري في هذه الصناعة.

ولنبدأ من القول في الأعضاء التي هي آلات القوة الغاذية فإن هذه هي القوة الضرورية أولا في وجودنا ولذلك نرى أن إخلال فعلها موت. فنقول:

[١١-القول في منافع أعضاء الغذاء]

٥٥-:إنه يظهر بالحس أن الأعضاء المعدة في البدن نحو فعل هذه القوة هي المعدة وما يخدمها من الفم وآلاته والمريء ثم المعى والكبد والعروق والكلى والطحال والمرارة والمثانة.

٥٦-أما الفم فمنفعته الأولى في الغذاء سحق الطعام. ولذلك جعلت فيه الأسنان وقدرت بهيئة موافقة لذلك: فجعلت الأسنان للقطع، والأنياب للكسر، والطواحن للطحن. وفي الفم مع هذا إنضاج ما.

٥٧- وأما المريء فإنه المجرى الذي ينفذ فيه الطعام من الفم إلى المعدة، وفعله هذا إنما يكون بقوتين من رواضع القوة الغاذية، وهي الجاذبة والدافعة، لأنه يحتاج إلى أن يجذب الطعام من الفم ويدفعه إلى المعدة، ولذلك من تعطل منه هذا الفعل مات جوعا.

والآلة التي تصرفها الطباع في هذين الفعلين ينبغي أن تكون مختلفة. ولما كان قد ظهر بالتشريح أن المريء مؤلف من طبقتين، إحداهما ليفها ذاهب بالعرض والآخر بالطول، فمن البين أن بالطبقة الذاهب ليفها طولا، عندما تتقلص وتقصر وترتفع إلى الحنجرة نحو الفم، يكون الجذب. وبالطبقة الذاهب ليفها عرضا يكون الدفع عندما تنقبض وتعصر على الطعام، كما يقبض الكف على الأشياء الرطبة فيدفعها.

٥٨- وأما المعدة فأمرها بين أنها لمكان هضم الطعام السائر إليها من الفم حتي يصير كيلوسا، فإنه ليس في قوتها أن تصيره دما. وذلك ظاهر من أمرها. ويخدمها في هذا الفعل من القوى الجزئية: الجاذبة والماسكة والدافعة والهاضمة.

أما الهضم فإنه يكون فيها بالطبقة الخارجة اللحمية. وبما يصل إليها من الشرايين والعروق، وأيضا فهي موضوعة من الكبد بهيئة يسخنها بها الكبد، إذ كانت

محتوية على الجانب الأيمن منها.

وكذلك وضعها من الطحال إذ كان في الجانب الأيسر منها. وأيضا فإن من فوقها الثرب. وأما جذبها الطعام من المريء فيكون بالطبقة الذاهب ليفها طولا، ويعينها في هذا الفعل ما فيها من الليف المورب[١] وأما إمساكها ودفعها فيكون بالطبقة الذاهب ليفها عرضا: وذلك أنه إذا ورد عليها الغذاء احتوت عليه من جميع جوانبها إلى أن يكمل هضمه، وذلك من فعلها بَيِّنٌ بنفسه.

فإذا كمل هضمه انقبضت عليه أجزاؤها الفوقية فعصرته إلى أسفل ودفعته بهذا الليف الذاهب عرضا، ويكون لها هذان الفعلان أعني الدفع: إما إلى أسفل وذلك عند هضم الطعام.وإما إلى فوق عند القيء.

وأما فعل القوة المميزة فليس يظهر كل الظهور في المعدة، إلا أن نضع أنها تتغذى بالكيلوس المنطبخ فيها. وهذا قد يعضده القياس، فإنا إن لم نضعها متغذية به. فلأي سبب تتشوقه وتنضم عليه، ويكف الجوع عند الأكل؟ وإن كان قد يشكك في هذا وذلك أن الأعضاء إنما تتغذى بالكيلوس بعد أن يصير دما، وهو بعد لم يصر في المعدة دما.

لكن عسى أن يقال في ذلك: إنها تتغذى منه باليسير، وما تصيب من الطعام هو أشبه بالكيفية منه بالكمية. والدليل على ذلك سكون الجوع عند تناول الطعام كسكون العطش عند شرب الماء.

وأيضا فإنه غير ممتنع أن تكون فيها أجزاء تتغذى منه برطوبة ما، وإن كانت غير دموية؛ فإن كثيرا من الحيوان غير ذي دم. والهضم يكون فيها أولا بالحرارة والرطوبة، ويكون ثانيا بالاحتواء على الطعام وشدة الالتزاق به.

ولذلك كلما كانت المعدة أعظم جرما في الحيوان وأصلب كانت أقوى هضما، وذلك مشاهد من قوانص الطير.ولذلك كان يرى قوم من قدماء الأطباء أن الهضم يكون بالسحق. ولذلك يظن أن قوانص الطير نافعة له مثل قوانص الدجاج والكراكي، لأن هذا العضو من هذا الحيوان جعل قويا صلبا، إذ ليس له أضراس.

---

(١) المائل الملتوي.

٥٩- وأما المعى فأمرها بين أنها أيضا آلة من آلات الغذاء: وذلك أنها إنما أعدت أولا لينفذ فيها الغذاء المنهضم من المعدة إليها في الثقب الذي يسمى البواب.

فإن المعدة إذا أكملت هضمها فتحت هذا الموضع وأرسلت الغذاء إلى المعى فتجتذب الكبد منها عصارة ذلك الكيلوس في العروق المتصلة بها. فإذا تم فعلها دفعت الأمعاء تلك الفضلة إلى أسفل، وهي الفضلة اليابسة.

فإذن منفعة المعى منفعتان: الأولى أنها طريق يسير فيها الغذاء إلى الكبد، والثانية لدفع الفضلة اليابسة. وأظهر ما فيها من القوى: القوة الدافعة. ولذلك كان ليف طبقتيها ذاهبا عرضا، وأما القوة الجاذبة فليس لها فيها أثر، ولذلك لم يكن لها ليف ذاهب طولا. وفيها قوة هاضمة إذ كان جوهرها قريبا من جوهر المعدة. وإنما كانت ذات تلافيف كثيرة ليقف هنالك الغذاء حتى تأخذ منه الكبد حاجتها.ولذلك يقول أرسطو: إن ما كان من الحيوان قليل تلافيف الأمعاء فهو نهم. وجعلت ذات طبقتين للوثاقة إذ كانت سبيلا للفضول. وأيضا فإن فعل القوة الدافعة يكون بذلك أقوى.

[١٢- لمن الرئاسة على القوة الغاذية؟ للكبد أم للقلب؟]

٦٠- وأما الكبد فأمرها بين بالتشريح أنها التي تغير الغذاء حتى يصير دما. ثم تبعثه إلى جميع أعضاء البدن. ولرئاستها على جميع آلات الغذاء ظن بها جالينوس أنها الرئيسية في هذه القوة بإطلاق، أعني القوة الغاذية، ولم يشعر أن الغذاء الأخير هو بالقلب ،وأن فيه القوة الغاذية الأولى. وهو ظاهر من أمر هذا العضو أن فيه الخمس قوى: الهاضمة لفعلية الدم،والماسكة زمام الهضم، والجاذبة إليه الكيلوس من المعى، والدافعة عنه ما قد انهضم، والمميزة الثلاث فضلات: أعني الفضلة المائية التي تجذبها الكلى، والفضلة المرارية التي تجذبها المرارة، والفضلة السوداوية التي يجذبها الطحال.

وينبغي أن تعلم أن هذه الأربع قوى، أو الخمس، التي يضعها الأطباء أنها ليست مفترقة بعضها من بعض، بمنزلة الصناع الذين يجتمعون على مصنوع واحد، بل هي قوى كالآلات، لقوة واحدة، وهي منه في عضو واحد. وهي مدبرة الغذاء

وصانعته بالقوى الأربع في عضو عضو، وهي في جميع البدن لقوة واحدة هي منه في عضو واحد وهي الغاذية الرئيسية.

فأما هل القوة الغاذية الرئيسية هي في هذا العضو حتى يكون هو رئيس أعضاء هذه القوة، أما ههنا عضو آخر يرأسه في هذا الفعل، فذلك يظهر مما تبين في العلم الطبيعي، ومما ظهر في التشريح.

أما ما تبين من ذلك في العلم الطبيعي فهو أن هذه القوة إنما تفعل جزء عضو من المغتذي. ولما كانت الأعضاء مركبة من الأسطقسات، والمركب من الأسطقسات إنما يتكون عنها بالمزج، والمزج يكون بالطبخ، والطبخ بالحرارة الغريزية، وجب ضرورة أن تكون هذه القوة آلتها هذه الألة، أعني: الحرارة، لأنه لا فرق بين ما يحتاج إليه في تكوين الجزء أو تكوين الكل. وإذا كان ذلك كذلك فالكبد وسائر آلات التغذي، هذه الحرارة ضرورة موجودة فيها.

لكن إن كان الأمر، كما يقول جالينوس، أن سائر الأعضاء التي فيها هذه القوة إنما استفادت الحرارة التي بها تفعل فعلها من حرارة الكبد، فمن البين أن الكبد رئيس هذه الأعضاء. وذلك أن غيرها من الأعضاء إنما يتم لها هذا الفعل بالكبد، وللكبد بذاتها. وما هذا شأنه فهو لا شك رئيس. وهذا بعينه هو معنى الرئاسة في الأمور الإرادية، فإنه لا فرق بينهما. ولذلك قلنا في مدبر الفلاحين إنه رئيس الفلاحين: إذ كانت فلاحة أولئك إنما تتم بتدبيره وفلاحته هو بذاته. وكذلك في صنف صنف من أصناف الرئسات.

فليت شعري هل يمكن جالينوس أو غيره ممن يرى هذا الرأي أن يضع الكبد مكتفية بنفسها في هذا الفعل، مع أنه يقر أنه يصل إليها من القلب شرايين كثيرة تحمل إليها حرارة كثيرة؟! فإن كانت الكبد مكتفية بنفسها في هذا الفعل فتلك الحرارة عبث لا معنى لها! فإن قالوا إن هذه الحرارة إنما تفيد الكبد قوة حيوانية قلنا ما معنى القوة الحيوانية ؟ وهل في الأعضاء شيء غير قوة تَغَذٍّ أو قوة حس؟ وليس ينطبق اسم الحيوانية على شيء غير هذين؟ وإن كان اسم الحيوانية أحق بالحس، فإن الذي أوقفنا على كثرة هذه القوى هو كثرة أفعالها.وليس ههنا فعل غير هذين الفعلين، أعني: التغذي أو الحس. فإن قالوا: إن القوة النبضية التي في القلب قوة

ثالثة،وهي التي نعني بالحيوانية.

قلنا: وإن سلمنا لكم هذا فليس يفيد القلب الكبد قوة نبضية: فإن الكبد لا تنبض عروقها. ومن هنا يظهر أن القوة النبضية خاصة بالقلب، وأن بهذه القوة هو رئيس إذ كان بها يوزع القوى على سائر الأعضاء بتوزيعه الحرارة الغريزية عليها، مع أنه فيها أيضا حفظا له بالتنفس.

وإذا كانت هذه القوة، أعني: النبضية هي التي بها يفيد القلب غيره أولا الآلة الأولى للتغذي، فهي ضرورة منسوبة إلى هذه القوة، أعني إلى قوة التغذي من جهة ما هي غاذية قلبية، إذ كانت هي الآلة التي تستعملها هذه القوة في إفادة التغذي.ولو كانت قوة أخرى غير القوة الغاذية، لأفادها القلب غيرها من الأعضاء، فإنه من المستحيل أن تكون في عضو قوة مباينة بالنوع لسائر القوى الموجودة في سائر الأعضاء، لا توجد في عضو آخر غيره، مع أن يكون أيضا ذلك العضو رئيسا.وجالينوس ليس يقول بذلك، ولا أحد من الأطباء.

وإذا كان هذا كله كما وصفنا، وظهر ان نسبة القلب إلى الكبد في إفادتها الآلة الأولى للتغذي هي النسبة التي يضعها جالينوس بين الكبد وبين سائر أعضاء التغذي.

فالقلب ضرورة هو رئيس الكبد في هذه القوة: إذ كانت الكبد ليس فيها كفاية بأن تفعل فعلها بذاتها بل بالحرارة المقدرة في الكيفية والكمية التي تصل إليها من القلب. وهذه القوة المقدرة التي في القلب هي ضرورة القوة الرئيسية الغاذية: فإنه لم يزعم قط أحد من المشرحين، وجالينوس في جملتهم، أن القلب تصل إليه حرارة من غيره من الأعضاء، بل هو مكتف في فعله بذاته، على ما شأن الرئيس أن يكون. وكونه محتاجا إلى الكبد، في إعداد الغذاء له، لا يستحق بذلك الكبد رئاسة عليه؛ كما لا تستحق المعدة بإعدادها الغذاء للكبد رئاسة عليه، ولا الفلاح بإعداد الطعام لرئيس الفلاحين يستحق بذلك رئاسة عليه.

وإذ قد تبين أن القوة الغاذية الرئيسية في القلب، وكان يظهر بالتشريح أنه ولا عضو واحد في البدن إلا وتتصل به شرايين القلب، فالقلب إذن يفيد سائر الأعضاء قوة التغذي لا الكبد، وإلا كانت تلك الشرايين عبثا، مع أن الكبد ليس يظهر فيها

بالتشريح روح ينفذ منها في الأوراد إلى سائر البدن، بل ما في الأوراد من الدم هو دم غير نضج، وإنما مطية الروح الدم الشرايني.

وعسى أن يقول قائل: إن هذا الفحص كله مما لا يحتاج الطبيب إليه ! وأنا أقول: إن حاجة الطبيب إلى هذا أمس حاجة، وسنبين هذا فيما بعد. وما تسمع جالينوس يهزأ فيه بأركغانس عند معالجته القوة الذاكرة ويقول له: " يا هذا إن كنت تزعم أن القوة الذاكرة في القلب فما بالك لم تعلق المحاجم على القلب وتقصده بالمعالجة ؟» فليس الأمر على ما يقوله جالينوس، وسنبين هذا فيما بعد.

فالقلب لما كان رئيس هذه الأعضاء جعل مكانه المكان الأوسط، لأن هذا حق الرئيس: إذ كان يراد أن تكون نسبته إلى جميع ما يدبره بالسواء، وأيضا فلمكان الوقاية.

ولذلك جعل له غشاء كثيف يحيط به ووثق برباطه. وأما جهة تغذيته فإنه يتغذى من العرق الواصل بينه وبين الكبد، والأغشية التي على هذه الفوهة من القلب إنما جعلت تنفتح إلى داخل لمكان دخول الدم إليه، ثم تنسد بعد انسدادا محكما. وأما الفوهة التي في هذا الجانب، وهي فوهة العرق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، فإنه يظن أن من هذا العرق تتغذى الرئة إذ كانت ليس يتصل بها أوراد، والأغشية التي على هذه الفوهة إنما جعلت أيضا تنفتح إلى خارج، ولا تنفتح إلى داخل بخلاف الأغشية التي على الفوهة الأخرى لمكان خروج الدم منها إلى الرئة. وأما إحدى الفوهتين اللتين في البطن الأيسر، وهي فوهة الشريان العظيم، فإنه جعلت فيها تلك الأغشية الثلاثة تنفتح من داخل إلى خارج، لأن يخرج منها الدم والروح إلى الشرايين ثم لا يعود. والفوهة الأخرى التي في هذا الجانب هي فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة.

ومن هذا الشريان يكون تنفسه.ولذلك جعلت تلك الأغشية في فم هذه الفوهة تنفتح من خارج إلى داخل.

٦١- وأما الطحال، فلما كان ليس له إلا مجريان، أحدهما يتصل بالكبد والآخر بالمعدة، وكان يلفى فيه عكر الدم، ظن به أنه لموضع (=من أجل) جذب الفضلة السوداوية من الكبد، ويبعد أن يكون كبدا مضعفة، إذ كان ليس يلفى فيه

عروق تتصل بشيء من الأعضاء.

٦٢-وأما المرارة فالأمر فيها بين أنها أعدت نحو جذب الفضل المراري من الكبد.

٦٣-والكلى أيضا من الأعضاء الخادمة للكبد: وذلك أنه يظهر من أمرها أنه تجتذب المائية التي في الدم. ولذلك كانت يتصل عنقها بالعرق العظيم الطالع من حدبة الكبد.

٦٤-وأما المثانة فالأمر فيها أيضا بين أنها لمكان الفضلة الرطبة: وذلك أنها تجذبها من الكلى. ومنفعة الغشاء الذي فيما بينها وبين الكلى أن ذلك الغشاء، الشبيه بالقشرة مادامت الفضلة الرطبة تجري إليها، ينفتح هو، فإذا تم جذبها انسد، لأن لا يرجع شيء من تلك الفضلة إلى الكلى.

٦٥- وينبغي أن تعلم أن كل واحد من هذه الأعضاء التي أعدت لجذب هذه الفضلات من الدم أنها إنما تجذبها على جهة الملاءمة لها لتتغذى بها، فتصحب في ذلك المنفعة المقصودة.

ولذلك فيها ضرورة الخمس قوى الجزئية أعني: الجاذبة والماسكة والهاضمة والمميزة والدافعة، والكلية التي تفعل بكل واحدة من هذه في الوقت الذي ينبغي.

٦٦- فهذه هي جميع آلات الغذاء. وقد ظهر من ذلك أن الهضوم المشتركة للأعضاء كلها هضمان: هضم في المعدة وهضم في الكبد، هذا إن لم نجعل للعروق في الدم هضما آخر، لكن إن كان فيسير. وأما الهضم الثالث الخاص، فهو الهضم الذي في كل واحد من الأعضاء. وإذ قد تبين من هذا القول ما آلات أعضاء القوة الغاذية، فلنقل ما آلات القوة المولدة. فإنه ليس للقوة النامية أعضاء تختص بها بل هي بعينها أعضاء القوة الغاذية(١).

[١٣- في منافع أعضاء التناسل]

٦٧- وهذه الأعضاء منها ما يختص بها الذكر وهي الأنثيان ، والقضيب، ومنها ما تختص بها الأنثى وهي الرحم والثدي.

---

(١) انظر: دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية لابن سينا (ص٤٠، ٥٣) بتحقيقنا.

وأما الأنثيان فإنهما جعلتا لمكان تكوين المني، ولذلك جعلتا ذات لحم غددي أبيض كالحال في الثديين، فإن هذا اللحم عندما يحيل الدم ليشبهه به يصرفه إلى البياض كما أن الكبد لحمرتها عندما تحيل الكيلوس تصرفه أحمر. وذلك أن الفاعل إنما يصير المفعول شبيها به من جميع الوجوه.

٦٨- وينبغي أن تعلم أن هذا العضو وإن كانت فيه القوة المولدة، فليست هي الرئيسة على ما يرى ذلك جالينوس، لأنه ليس مكتفيا في فعله بذاته بل بما يصل إليه من الروح الذي في القلب المقدر في الكيفية والكمية. ولذلك ما نرى أن القوة القلبية التي تقدر له هذه الحرارة حتى يفعل بها فعله هي القوة الرئيسة المولدة، وأن القوة التي في هذا العضو خادمة أو رئيسة جزئية.

٦٩- وأما الأنثيان التي يزعم جالينوس أنها توجد للمرأة، فيشبه ألا يكون لهما تأثير في الولادة، إذ كان مني النساء المتولد فيهما لا مدخل له في الولادة. وليس ذلك بغريب: فإن الثدي في النساء لمكان الولادة وليس لها في الرجال هذه المنفعة.

٧٠- فأما من أين يظهر أنه ليس لمني المرأة مدخل في الولادة فمن الحس والقياس؟ أما من الحس فإن أرسطو يرى أن المرأة قد تحمل دون أن تمني. وأما أنا فمذ سمعت كلام أرسطو لم أزل أتعمد جس ذلك، فوجدت التجربة صحيحة، وألفيت أكثر الحمل الذي بهذه الصفة إنما يكون بالذكورة، وسألت النساء الثقات عن ذلك فأخبرنني أيضا بذلك، أعني أنهن كثيرا ما يحملن دون أن تكون منهن لذة.

وأما القول الموجب لذلك فلأن مني المرأة إن كان يفعل فعل مني الرجل فالمرأة مولدة بذاتها ولا حاجة ههنا أصلا إلى الذكر.

وليس يمكن أن يتصور أن هذا الفعل ينقسم بينهما بالكمية حتى يكون مني المرأة يفعل بعض الأعضاء ومني الرجل يفعل بعضا آخر: فإن الأعضاء وإن كانت كثيرة فإنها واحدة بالمبدأ الواحد الذي فيها. ومعطي هذا المبدأ الواحد، والذي هو القلب، هو معطي جميع الأعضاء بالقوة. فإن كان في مني المرأة كفاية في إعطاء هذا المبدأ فمني الذكر لا تأثير له في الولادة. وإن كان مني الرجل هو المعطي صورة هذا المبدأ فليس لمني المرأة هذا الفعل أصلا.

٧١- وليس لقائل أن يقول: إن مني الرجل ومني المرأة ليس لواحد منهما هذا

الفعل على الانفراد حتى يمتزجا ويختلطا ويصير لهما كون آخر؛ كما أنه ليس في الخل مفردا ولا في العسل مفردا أن يفعل فعل السكنجبين لكن إن وضع هذا أيضا فالمازج إذن لهذين المنيين والمعطي لهما هذه الصورة هو ضرورة المكون بالحقيقة، والمنيان يجريان منه مجرى الهيولى؛ وليس ههنا شيء يفعل هذا الفعل.

ويلزم أن يكون العضو الفاعل لذلك هو العضو الذي فيه القوة المولدة بالحقيقة. فتكون على هذا القوة المولدة إنما هي في الرحم. وأي حاجة، ليت شعري، كانت إلى المني والدم لأن يكون منهما مثل هذا الفعل، وفي الدم كفاية لأن تتكون منه جميع الأعضاء، إذ كان يظهر أنها تغتذي به.

٧٢- وإذا كان ذلك كذلك، وظهر أنه ليس يمكن أن يكون فعل مني المرأة وفعل مني الرجل واحدا بالنوع، وكان يظهر أيضا أن للمرأة تأثيرا في الولادة، فمن الواجب أن يكون فعل هذا غير فعل ذلك بالضرورة، ويكونان يؤمان بفعلهما غاية واحدة، وهو وجود الولد.

فكل واحد منهما يعطي للولد جزءا مما به يتقوم وجزءا الشيء المتكون بما هو متكون على ما تبين في الأقاويل الكلية هما المادة والصورة وهو الذكر.

٧٣- وليس يمكن أن نقول إن المرأة هي التي تعطي الصورة،والذكر المادة، بل الأمر بالعكس، فإن الذي يعطي الغذاء هو الذي يعطي الهيولى ضرورة. فالذكر إذن هو المعطي الصورة كما يرى ذلك أرسطو والأنثى تعطي المادة. وليس للأنثى شيء يمكن أن نظن أنه مادة إلا منيها أو دم الطمث.

لكن المني هو رطوبة مائية تشبه الفضلة، بل هي في الحقيقة فضلة ليس يمكن أن تتغذى بها الأعضاء. ولو أمكن فيها ذلك لكان في الدم كفاية في ذلك: إذ كان هو الذي به تتغذى الأعضاء فإنه لا فرق بين مادة الاغتذاء والتكوين إلا أن الاغتذاء يكون في الجزء، والتولد يكون في الكل ومادة الكل والجزء واحدة.

٧٤- وأيضا فمما يشهد على أن مني المرأة ليس هو هيولى للمولود أن نساء كثيرات يحملن دون أن ينزلن بالمني كما قلنا.

وأيضا فإنا نجد الرحم تقذف بالمني إلى خارج وتجذب مني الرجل إلى داخل. وهذا كله مما يدل على أن مني المرأة رطوبة فضلية تسيل عند اللذة كما

يسيل اللعاب من فم الجائع المبصر للطعام.

٧٥- ومن الدليل عندي على ان مني الرجل يتنزل منزلة الفاعل أن الأعضاء لما كانت إنما تغتذي بالحرارة الغريزية القلبية، وكانت هذه الحرارة هي الآلة الأولى للنفس الغاذية، وجب ضرورة أن تكون هي الآلة الأولى للقوة المكونة.

فلذلك يلزم ضرورة أن يكون في مني الرجل. أو في الدم الذي في الرحم، جزء كبير من هذه الحرارة الغريزية موجودا بالفعل. وليس يمكن أن يكون هذا إلا في المني لموضع الحرارة والرطوبة الموجودة فيه.

فأما الدم الذي يتولد منه الجنين وهو دم الطمث. فإنه بعيد جدا عن أن يكون فيه بالفعل مثل هذا الجوهر، لأنه دم غير منهضم. وأبعد من هذا أن يكون في مني المرأة.

٧٦- وليس لقائل أن يقول: إن الحرارة الغريزية تتولد في الجنين من ذاتها فإنه لا يولد الحرارة الغريزية إلا حرارة غريزية. كالحرارة الغريزية التي في المغتذي وعلى هذا فليس ينبغي أن يتوهم أن المني إنما يفيد كيفية فقط، بل حرارة ذات كيفية.

٧٧- ولذلك لا حجة لجالينوس ولا لأبقراط على أرسطو في الرقاصة التي أخبر أبقراط أنها أسقطت في اليوم السادس، والمني قد احتوى عليه أحد الأغشية المحيطة بالجنين.

وقد حكى أرسطو أنه شاهد مثل هذا، وذلك في كتاب الحيوان، ولا ينبغي أيضا أن يطالب أرسطو، كما يفعل جالينوس، أين ينفش المني ويتحلل.

٧٨- وأنا أعلم ضرورة أن هذا الفحص غير مهم في صناعة الطب. لأن أولى المواضع به هو القول في ولادة الحيوان، لكن آثرنا ذكره ههنا لينقله من شاء إلى ذلك الموضع. فإنه بعد لم يتهيأ لنا فراغ لتلخيص تلك المقالات في كتاب الحيوان. وأما بعد، فقد تهيأ لنا، فمن أحب أن يقف على جميع المسائل التي فيها الخلاف بين أرسطو وجالينوس فليقف على ذلك الكتاب، فلنرجع إلى حيث كنا، فنقول:

٧٩- أما القضيب فمنفعته الأولى ليقذف بالمني إلى داخل الرحم، له مع هذا منفعة ثانية: وذلك أنه سبيل لخروج الفضلة الرطبة.

٨٠- وأما الرحم فالأمر فيها بين أنها لمكان الولادة، وللرحم مع هذا منفعة

أخرى: وذلك أنها سبيل وطريق لفضول الدم غير النضج الذي يتكون في النساء، وهو دم الطمث.

وذلك أن النساء لمكان رطوبتهن وقلة الحرارة الغريزية في أبدانهن لا تفي الحرارة بإنضاج الدم الوارد على أعضائهن، فتدفعه الطبيعة بأدوار محدودة من هذا العضو؛ وجعلت ذات ليف كثير ذاهب ورابٍ لما فيها من القوة الماسكة وفيها بعض ليف ذاهب طولا لما فيها أيضًا من القوة الجاذبة للمني، وأما القوة الدافعة فأمرها أيضا بين فيها، ولذلك كان فيها ليف ذاهب عرضا.

وأما هل في الرحم قوة مغيرة؟ ففي ذلك نظر وذلك أنا لسنا نقدر أن نقول: إن الرحم هي التي تفعل أعضاء الجنين، بل إنما تفعلها القوة المصورة بالحرارة الموجودة في المني.

ولو كانت الرحم هي التي تخلق أعضاء الجنين لكانت الأنثى مولدة من ذاتها. وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المغيرة التي فيها إنما تتنزل منزلة الحافظة، ولذلك متى صادف المني الهواء فسد مزاجه. فعلى هذا ينبغي أن يفهم أن في الرحم قوة مغيرة.

٨١- وأما الثدي فالأمر فيها أيضا بين أنها لمكان توليد اللبن، ولذلك كان لحمها غدديا أبيض. وهي من الأعضاء المشاركة للرحم، ولذلك نجد الرحم متى انصرفت عنها المواد صارت إلى الثديين. كالحال في اللواتي يرضعن: فإن أمثال هؤلاء، إما أن يقل طمثهن، وإما أن لا يطمثن ألبتة. حتى أن بعض النساء لا يحملن ما دمن يرضعن. وكذلك متى انصبت المواد إلى الرحم انصرفت عن الثدي.

فقد قلنا في منافع آلات التناسل. وينبغي أن نصير إلى القول في منافع آلات الحس. فنقول:

١٤- القول في منافع آلات القوى الحساسة

٨٢- أما الحواس الأربع التي هي السمع والبصر والشم والذوق فبين أن الدماغ إنما جعل لمكانها، وأنها موجودة فيه، وبخاصة السمع والبصر والشم. وكذلك أيضا بين أن لكل واحد منها آلة خاصة: فآلة البصر العين وآلة السمع الأذن وآلة الشم المنخر وآلة الذوق اللسان، وسنفصل بعد منفعة جزء جزء من أجزاء هذه الآلات. وأما آلة اللمس الخاصة ففيها شكوك كثيرة.

٨٣- وجالينوس يرى أن العصب النابت من الدماغ هو الآلة الخاصة بهذه الحاسة، وأنه الذي يفيد غيره هذه القوة، وذلك فيما شأنه من الأعضاء أن يقبلها وأرسطو يرى أنها اللحم، وذلك تابع لرأييهما في الدماغ: فإن جالينوس يرى أن فيه الحواس الخمس، ويرى مع ذلك أنه رئيس في هذا الفعل، أعني أنه مستبد فيه بذاته غير محتاج إلى غيره. وأما أرسطو فيرى أن رئاسته رئاسة جزئية خادمة في هذا الفعل لرئاسة القلب، سواء وجدت فيه الحواس الخمس أو الأربع فقط.

١٥- لمن الرئاسة في الإحساس: للقلب أم للدماغ؟

٨٤- ولننظر نحن في ذلك على النحو الذي نظرنا في رئاسة الكبد، فنقول: أما أنه يظهر بالتشريح أن شرايين عظيمة كثيرة تتصل بالدماغ من القلب فذلك أمر يقر به جميع المشرحين وجالينوس في جملتهم، فمن هنا يظهر ظهورًا أوليا أن الدماغ مضطر في فعله هذا إلى القلب.

لكن إن كان على أن القلب إنما يفيد الدماغ بهذه الحرارة التي توصلها إليه القوة الغاذية التي بها يغتذي، فالقلب ضرورة خادم للدماغ في هذا ومرءوس: إذ كان التغذي والقوة الغاذية إنما وجدا في الحيوان من أجل الحس والقوة الحساسة وإن كان إنما يفيده بهذه الحرارة التي يوصلها إليه هذه الإحساسات الخمس فالقوة الحساسة الرئيسية الأولى فيه. وهذه القوة هي التي تعرف بالحس المشترك.

وقد تبرهن وجود هذه القوة في كتاب النفس[١] لكن جالينوس كما قلنا يرى أن هذه القوة المشتركة في الدماغ، وأرسطو يرى أنها في القلب.

فأما من أين يظهر أن القلب هو الذي يعطي الدماغ الحرارة المقدرة في الكمية والكيفية بحسب حاسة حاسة من الحواس التي في الدماغ؟ فإنه ليس بأي حرارة اتفقت يكون أي حس اتفق، ولا أيضا الحرارة التي تكون بها القوة الغاذية هي الحرارة التي يكون بها الحس، فذلك بين من حال النائم واليقظان: فإنا نرى أن القوة الغاذية أتم ما تكون فعلا في جميع الأعضاء في وقت النوم، وليس هنالك حس. وإذا كان ذلك كذلك فالحرارة التي بها يكون الحس في وقت النوم غير موجودة في الحواس.

(١) لأرسطو.

وأبين ما يظهر ذلك في الذي ينام مفتوح العين، فإنه لولا انصراف الحرارة التي بها يبصر حينئذ من العصبة المجوفة إلى داخل، لما كان يعدم البصر. فليت شعري هذه الحرارة إلى أين تنصرف؟ ومن أين تنبعث؟ فإن هنالك ضرورة القوة الحساسة المشتركة.

أما أنا فيظهر لي ظهورا أوليا أن منبعث هذه الحرارة من القلب ومنصرفها إلى القلب ولذلك كان ظاهر البدن أحر في اليقظة، والقوة الغاذية أظهر فعلا عند النوم، وظاهر البدن أبرد، وليس لأحد أن يقول إن انتشار هذه الحرارة التي بها يكون الحس في اليقظة يكون من الدماغ.

فإن الدماغ عضو بارد والأعصاب أعضاء باردة،وأكثرها ليس يظهر أن فيها روحا، فضلا عن أن تسخن البدن.

وأيضا فقد يظهر بالقول أن الحرارة التي هي هيولى النفس الغاذية، وهي والحرارة التي هي هيولى النفس الحسية، واحدة بالموضوع، وليست اثنين بالموضوع ولا في عضوين مختلفين.

وذلك أن النفس الغاذية لما كانت في الجنين مستعدة لقبول النفس الحسية، وكانت النفس الحسية تتنزل منها منزلة الصورة والكمال، والغاذية منزلة الهيولى، فحيث الاستعداد للقبول فهنالك ضرورة يكون القبول، وبَيِّنٌ أن النفس إنما صارت مستعدة بموضوعها الذي هو الحرارة الغريزية، فقبولها الصورة الحسية يكون ضرورة في هذا الموضوع بعينه.

وهذه حال الكمالات مع التوطئات، وبهذا صار المجتمع منها واحدا، أعني بالموضوع. وإذا كان هذا كله هكذا وظهر أن الحرارة التي بها تتدبر الحواس هي حرارة القلب، فالقوة المدبرة الحساسة المشتركة هنالك. والدماغ خادم لهذه القوة ورئيس على غيره من الأعضاء ،لا أن رئاسته رئاسة مطلقة.

وقد كان يمكن أن نبين هذه الأشياء بطرق أوضح، لكن قصدنا الإيجاز.

٨٥- وإذ قد تبين أن الدماغ يخدم القلب في إفادته القوى الحسية على جهة ما يخدم صاحب الجيش الملك في تتميم غرضه. والملك هو الذي رسم له الغايات التي إليها ينتهي ونحوها يفعل، فقد ينبغي أن ننظر اي جهة هي هذه الجهة التي بها

نقول إن الدماغ يخدم القلب: فإنه قد كان ظهر النحو الذي به يخدم الكبد القلب.

وذلك أنه يعد له الغذاء، فنقول: إنه لما كان ليس بأي مقدار من الحرارة يتم فعل حاسة حاسة، وكان يظهر من أمر الحواس أنها ليست تحتاج إلى حرارة قوية، فإن الحرارة القوية فيها، تعوقها عن إدراك محسوساتها التي من خارج وتشوشها عليها، حتى إن الذين تسخن رءوسهم في الأمراض الحادة يخيل إليهم أنهم يسمعون أشياء ويبصرونها من غير أن تكون موجودة. وأكثر ما يظهر هذا المعنى في حاسة اللمس: وذلك أنه لما أريد فيها أن تدرك المتضادات الأربع(١) ولم يمكن أن تكون آلتها خلوا منها، إذا كانت ممتزجة، جعلت في الغاية من الاعتدال ليكون بذلك حسها أصدق.

ولما كان القلب في الغاية من الحرارة جعل يقابله الدماغ، ليعدل من حرارته حتى تظهر المحسوسات على كمالها. ولم يمكن أن تجعل هذه البرودة نفسها في خلقة القلب أولا: فإنه كانت تنقص أفعال الغاذية بذلك نقصها بينا، وكأن الطباع لما رامت أن تجعل هذين الفعلين في الحيوان الكامل على أتم ما يكون، قرن إلى القلب الدماغ، وأما في الحيوان النباتي المعروف بإسفنج البحر، وفي كثير من الحيوان الناقص فيشبه أن لا تكون الحاجة فيه مضطرة مثل هذا الاضطرار إلى وجود الدماغ وبخاصة وجود العصب النابت من الدماغ. ولذلك متى فصل جزء من ذلك الحيوان النباتي، أي جزء كان، أمكن أن يعيش ويتغذى وينمو، حتى يعود إلى حاله.

وهذا هو السبب في أنك ترى كثيرا من الحيوان يعيش بعد أن يفصل. وهذه الجهة من خدمة الدماغ للقلب هي التي يراها أرسطو وجميع المشائين.

وإنما جعل عظم الرأس ليحجب الدماغ، وجعل مستدير الشكل لأنه أبعد من الآفات. ومنفعة النخاع من جنس منفعة الدماغ. وأيضا فكأنه مسمار يربط الفقارات.

٨٦- وإذا قد تبين من هذا القول كيف نسبة رئاسة الدماغ في الحس إلى رئاسة القلب. وتبين مع ذلك أي منفعة منفعته.

---

(١) أي الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.

فقد ينبغي أن نشرع في منفعة عضو عضو من الأعضاء التي أعدت نحو هذه القوى الخمس، فنقول:

١٦- عضو اللمس.. واللسان

٨٧- أما اللحم فإنه الآلة الخاصة لحس اللمس، إذ كان هو العضو المشترك لجميع الحيوان، كما أن اللمس هي الحاسة المشتركة.

وإنما جعل العصب في الحيوان الكامل لمكان تعديل مزاج اللحم. وذلك أنه لما كان شبيها بجوهر الدماغ لزم أن تكون منفعته من جنس منفعته.

ولذلك كانت الأعضاء التي لا يأتيها عصب كثير عسرة الحس. وهذه القوة منها عامة لجميع أجزاء اللحم، وهي الإحساس بالكيفيات المتضادة الأربع، التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها خاصة كإحساس فم المعدة بما يتحلل منه — وهذا الإحساس يسمى جوعا وعطشا: أما الجوع فإنه الإحساس بتحلل الجوهر الحار اليابس وأما العطش فإنه الإحساس بتحلل الجوهر البارد الرطب — وكإحساس الكمرة بالدغدغة التي تكون عند الجماع.

فهذان الصنفان من الإحساس هما ضرورة معدودان في هذا الجنس من الحس.

٨٨- وأما اللسان فالأمر فيه بين أنه إنما أعد نحو فعل الذوق وإن كان مع هذا يصحب فيه أمر آخر من جهة الأفضل، وهو أنه الذي به يتهيأ تقطيع الحروف.

وفي أصل اللسان فوهتان تفضيان إلى لحم غددي يقال له: مولد اللعاب. ومنفعة هذا اللعاب أنه يغسل الأشياء المذوقة حتى يظهر طعمها في الفم.

١٧- العين وتركيبها

٨٩- وأما العينان فالأمر فيهما بين أنهما آلة الإبصار. لكن لما كانت العين على ما ظهر بالتشريح مؤلفة من سبع طبقات وثلاث رطوبات، فقد ينبغي أن ننظر في منفعة واحدة واحدة منها.

أ- وقد يظهر أن الآلة الخاصة بهذه الحاسة هي:

١- الرطوبة المستديرة الشكل المسماة جليدية. أو الشبكة العنكبوتية الموضوعة على هذه الرطوبة. وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن آلة هذا الإدراك إنما يتم بالجسم المشف الذي هو الماء والهواء، وليس يظهر جسم في العين في غاية

الصقالة والصفاء اللتين شأنهما أن يتولد عن ممازجة الهواء والماء غير هذين الجسمين. وبهذا الصفاء الذي فيهما والشفيف أمكن أن يقبلا الألوان.

وإنما جعلت استدارة هذه الرطوبة مفرطحة قليلا لتلقى من المحسوسات مقدارا كبيرا. وأما سائر الرطوبات والطبقات فإنما جعلت لمكان هذه الرطوبة الجليدية.

٢- أما الزجاجية فإنها جعلت لتغذوها على جهة الرشح. وذلك أن الدم لما كان بعيد الطبع من هذه الرطوبة احتيج إلى متوسط يصير إليه الدم أولا ويتحول، وحينئذ يمكن أن يكون غذاء لهذه الرطوبة.

٣- وأما البيضية فإنما جعلت لتندي هذه الرطوبة وتحفظ مزاجها من الهواء الذي من خارج، ولتمنعها أيضا من ملاقاة الطبقة التي فوقها وهي العنبية.

ب- وأما الطبقات:

١- فإن الصلبة منها جعلت لتقي العين من صلابة العظم، وأن تربط العين بالعظم.

٢- وأما المشيمية فجعلت لتغذو الشبكية بما فيها من الأوراد، وتفيدها أيضا الحرارة الغريزية بما فيها من الشرايين.

٣- وأما الشبكية فمنفعتها الأولى أن تؤدي الروح الباصر بما فيها من العصب، وهو الحار الغريزي الذي قد تعدل مزاجه في الدماغ، وفي العصبتين اللتين تنفذان إلى العينين.

وأيضا فإنها تغذي الرطوبة الزجاجية على طريق الرشح وتفيدها حرارة غريزية بما فيها من الشرايين.

٤- وأما الطبقة العنكبوتية فإن جالينوس يقر أن هذه الطبقة في غاية الصفاء والصقالة، وأنها ترتسم فيها الألوان والأشكال. وإذا كان ذلك كذلك فهذه الطبقة هي الآلة الخاصة بالإبصار، إما مفردة بذاتها وإما مع عون الجليدية لها على هذا الفعل.

٥- وأما العنبية فزعموا أن لها ثلاث منافع:

إحداها: أن تغذو القرنية ولذلك جعلت كثيرة العروق.

والثانية: أن تحجب الجليدية من القرنية لأن لا تضر بها صلابة القرنية. ولذلك

جعلت هذه الطبقة لينة.

والثالثة: لأن لا يتبدد الروح، وذلك باللون الأسود الذي لها، إذ كان من شأن هذا اللون أن يفعل هذا والثقب الذي في وسط هذا الطبقة إنما جعل ليؤدي صورة الشيء المحسوس إلى الرطوبة الجليدية أو الشبكة العنكبوتية أو كليهما، فإنه ليس الإبصار لشيء يخرج من العين على ما يرى ذلك جالينوس، بل العين تقبل الألوان بالأجسام المشفّة التي فيها على الجهة التي تقبلها المرآة. فإذا انطبعت الألوان فيها أدركتها القوة الباصرة. وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي.

ولذلك أي جسم من هذه الأجسام التي تركبت منها العين، كان أحرى أن تنطبع فيه الألوان لشدة صقالته، فذلك الجسم هو الآلة الخاصة بالعين.

٦- والقرنية أيضا منفعتها الوقاية ،وجعلت صافية رقيقة لأن لا تعوق الرطوبة الجليدية من قبول الصور.

٧- وأما الملتحم فمنفعته أن يربط العين كلها بالعظام، قالوا: وأن يحرك العضل الذي يحرك العين.

٩٠- فهذه منافع أجزاء العين على ما يراه جالينوس. وأكثرها كما ترى منافع حدسية وتخمينية. ولكن لا شك بالقول المطلق أن في كل واحد منها منفعة ما خاصة، وأن الجزء الرئيس فيها إنما هو الذي شأنه أن تنطبع فيه الألوان.

[١٨-في السمع]

٩١- وأما آلة السمع فالأمر فيها أيضا بين أنها الأذنان، والآلة الأولى فيها للسمع هي العصبة التي تأتيها المغشية لثقب الأذن. وجعل ثقب الأذن مُوَرَّباً[١] زعموا، لأن لا يكون الهواء باردا في بعض الأوقات فيؤذي آلة السمع.

والأشبه أن يقال في ذلك إنه إنما جعل موربا لأن لا يلقى الهواء المؤدي للصوت الصماخ بشدة في الأصوات القوية. وبالجملة فينبغي أن يعتقد أن لذلك الشكل منفعة ما في تأدية الصوت، ولذلك جعل الجسم الغضروفي المسمى عند الناس الأذن مقعرا.

---

(١) يعني مائلا وملتويًا.

ومن منافع هذا الجسم: أما في الإنسان فلأن يستر الثقب مما ينزل من الرأس، وأما في سائر الحيوان فإن فيه منفعة أخرى ليلقى بها الأصوات من أي جهة وردت، ولذلك يحركها.

١٩- في الشم

٩٢- وهذا أيضا ظاهر أن آلة الشم هي الأنف، وأن ذلك يكون في الحيوان المتنفس بالاستنشاق، وفي غير المتنفس بغير استنشاق، كالزنابير وغير ذلك من الحيوان الذي ليس بمتنفس.

وأرسطو، فيما أحسب، يرى أن الموضع الذي به يكون هذا الإدراك هما المجريان الظاهران في الأنف. وجالينوس يرى أن هذا الإدراك إنما يكون بمقدمتي الدماغ بالزائدتين اللتين هنالك المشبهتين بحلمتي الثدي ويقول: إن لبعد هذا الموضع احتيج إلى الاستنشاق.

وأنا أقول: إنه لو كان الأمر كما يقول جالينوس لكنا متى سددنا أنوفنا واستنشقنا الهواء على الفم أحسسنا بالروائح ضرورة، إذ كان الحنك منفوذا إلى الأنف، وليس يلفى الأمر كذلك.

وكان يلزم أيضا كما يقول أبو نصر (الفارابي)، أن نحس بروائح الأطعمة عندما تطبخ في المعدة.

وليس الاستنشاق دليلا على أن بتلك الزائدتين يكون الشم.ولو كان ذلك كذلك لما أمكن أن يشم الحيوان الذي لا يستنشق، بل إنما جعل الاستنشاق لمكان الشم لأحد أمرين: إما من جهة الأفضل، وإما لغلظ هذه الحاسة في الحيوان المستنشق؛ لأنه قد كان يمكن أن يكون البخار يصل من ذاته إلى نفس الحاسة. لكن لما كان الحيوان المتنفس فعله أحد فعلين: إما إخراج الهواء. وإما إدخاله، ولم يكن يمكن أن يصل البخار المشموم عند إخراج الهواء. كان وصوله إلى حاسة الشم عند إدخاله أكثر: فإن وصول ذلك الهواء المشموم يكون بالاستنشاق أكثر منه بغير استنشاق، ولذلك يكثر من استعماله عند اختبار الروائح.

ويشبه أن يكون الحيوان الذي يشم دون استنشاق أذكى حاسة من الذي يستنشق، كما نرى ذلك في النمل والنحل. ولضعف هذه الحاسة في الذي يستنشق يكون ما يصل إليه في غير حين الاستنشاق نزرا لا يحسه. والإنسان في هذه الحاسة

مقصر بالإضافة إلى كثير من الحيوان الذي هي ضرورية في معاشه.

ولذلك يقال في أمثال هذه الحيوانات، إنها تأتي أغذيتها بوحي وإلهام. وإذ قد قلنا في آلات الحواس الخمس فلنقل في الأعضاء التي جعلت من أجل القوة المحركة.

[٢٠- القول في منافع أعضاء الحركة الإرادية]

٩٣-وهذه القوة المحركة للحيوان هي القوة النزوعية إذا تقدمها خيال ثم وقع بعد ذلك إجماع، وهو تحريك الصورة الخيالية للقوة النزوعية للبدن، لإحساس الصورة المتخيلة، على ما تبين في كتاب النفس. لكن الذي ينبغي أن نفحص ههنا عنه من أمر هذه القوة ما هي الآلات التي تستعملها هذه القوة؟ وكم هي؟ فنقول:

٩٤-إن هذه الحركة الإرادية منها كلية ومنها جزئية. أما الكلية فهي حركة المشي، وهي النقلة التي لجميع البدن.

وأما الحركات الجزئية فمنها حركة جلدة الجبهة، وحركة العينين والخدين وطرفي الأنف، والشفتين، واللسان، وحركة الحنجرة، والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف، وحركة مفصل العضد مع الكتف، وحركة مفصل العضد مع الساعد، وحركة مفصل الساعد مع الرسغ، وحركة الأصابع وكل واحد من مفاصلها، وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة الصدر للتنفس، وحركة القضيب، وحركة المثانة في غلقها على البول، وحركة طرف المعى المستقيم في منعه خروج الثفل، وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك وحركة مفصل الساق والفخذ والقدم، وحركة أصابع القدم.

فهذه هي جميع الحركات التي يظن بجلها أنها إرادية. وينبغي أن نفحص عما تلتئم به هذه الحركات من أعضاء الإنسان فنقول:

٢١- المتحرك الأول والمحرك الأول في جسم الإنسان

٩٥- إنه ظاهر من أمر هذه الحركات أنها تلتئم من محرك أكثر من واحد، ومثال ذلك أن حركة اليد إنما تكون مثلا بالوتر، وحركة الوتر إنما تكون بالعضل وأما حركة العضل فهي للعضل بذاته؛ والعضل هو المتحرك الأول.

وليس ههنا جسم آخر يحركه؛ لأن كل جسم يحرك جسما فهو متحرك ضرورة. ولذلك ما يجب أن ينتهي الأمر في الأجسام التي يحرك بعضها بعضا إلى

جسم يتحرك لا عن جسم آخر، لكن عن مبدأ فيه على ما تبين في العلم الطبيعي، وإلا مر الأمر إلى غير نهاية.

وإذا كان ذلك كذلك فهذه القوة المحركة هي في العضل ضرورة.وما يتوهمه الأطباء من أن حركة العضل إنما تكون بالعصب باطل: لأنه لو كان ذلك كذلك لكان العصب متحركا، إما من غيره وإما من تلقائه أي بمبدأ فيه. وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن كل متحرك له محرك وأن المحرك إذا كان جسما فإنه إنما يحرك بأن يتحرك.فلذلك ما يحتاج المحرك إذا كان جسما إلى محرك آخر.

فإن كان هذا أيضا جسما مر الأمر إلى غير نهاية، أو يكون ههنا جسم متحرك يتحرك عن محرك فيه يحرك، لا بأن يتحرك، وذلك بأن لا يكون جسما. فهذا أحد ما يظهر منه أن المحرك الأقصى للحيوان في هذه الحركات ليس بجسم أصلا، وأنه قوة نفسانية، وأن هذه القوة هي في العضل ضرورة.

ولننزلها كما قلنا القوة النزوعية إذا اقترنت إليها الخيالية أو التصورية، ووقع هنالك إجماع.

ولأن هذا المحرك الذي ليس بجسم يلزم ضرورة أن يكون المتحرك الأول عنه جسما. ولذلك بأن يكون المتحرك عنه كالهيولى له، وهو له كالصورة، إذ ليس يمكن في المحرك الأقصى في الحيوان أن لا يكون في غير هيولى، كما يقال إن ههنا مبادئ بهذه الصفة.

٩٦-وإذا كان ذلك كذلك، فلننظر أي جسم هو هذا الجسم؟ وهو ظاهر أنه الحرارة الغريزية التي في العضل الذي في أبدان الحيوان: ولذلك متى بردت الأعضاء بطلت حركتها. وبالجملة فهو من البين بنفسه، ومما قيل في العلم الطبيعي، إن أحد ما يؤخذ في حد هذه الأفعال هي الحرارة الغريزية.

لكن هذه الحرارة الغريزية تنقسم بفصول خاصة لعضو عضو هي المقتضية لفعله الخاص به، وبخاصة أفعال الغذاء. وهذا مما لا خلاف فيه. لكن جالينوس يرى أن ينبوع هذه الحرارة هو الدماغ، وأنها تنبثُ منه في الأعصاب إلى جميع البدن. وأما أرسطو فيرى أن الدماغ خادم في هذا الفعل للقلب على جهة خدمته في الحواس. أعني أنه يعدلها ، أنّ هذه الحرارة ينبوعها القلب.

وقد يمكن أن نبين ذلك بمثل البيانات التي تقدمت: وذلك أنه يظهر أن الماشي في حين مشيه تنتشر في بدنه حرارة لم تكن قبل. والعضو الذي شأنه أن تنتشر منه الحرارة في جميع البدن هو القلب لاشك فيه. ولذلك متى طرأ على الإنسان شيء يفزعه وانقبضت الحرارة الغريزية إلى القلب ارتعشت ساقاه حتى أنه ربما سقط ولم يقدر أن يتحرك.

وإذا كان ذلك كذلك فالقوة المدبرة الأولى في هذه الحركة ،وهي التي تقدر هذه الحرارة في الكمية والكيفية، هي في القلب ضرورة. وأيضا فقد يقر جالينوس وجميع الأطباء أن القوة النزوعية في القلب.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان ظاهرا أن الحيوان إنما يتحرك بالنزوع، فهذه القوة المحركة إذن في القلب. والدماغ خادم لها على أنه معدل لها. وسواء توهمت التعديل بجرم العصب أو بروح نفساني يسري فيه لا فرق بينهما، إلا أنه ليس من العصب شيء يظهر فيه روح على ما يقول جالينوس إلا العصبتان المجوفتان اللتان تأتيان العينين.

وأما المتحرك الأول عن الحار الغريزي فإن جالينوس يرى أنه العضل. أما في الأعضاء التي ليس فيها عظام ولا هي مفاصل وهي صغار فبنفسه. وأما في المفاصل فبالأوتار النابتة من العضلة إلى طرف العظم: وذلك أن العضل إذا انقبض إلى نفسه انجذب ذلك الوتر، ولأنه مربوط بطرف العظم يتحرك ذلك العظم بحركته.

وإذا كان للعضو حركتان متضادتان كانت له عضلات متضادة الوضع، تجذبه كل واحدة منها إلى ناحيتها وتمسك المضادة لها عن فعلها. فإن عملت كلاهما في وقت واحد استوى العضو وتمدد وقام.

مثال ذلك أن الكف إذا مدها العضل الموضوع في ظهرها انقلبت إلى خلف، وإذا مدها العضل الموضع في باطن الساعد انثنت. وإن مداها جميعا استوت وقامت.

٢٢- العضلات: عددها، وظائفها

٩٧- والعضل الموجود في البدن، كما قلنا على رأي جالينوس، خمسمائة عضلة وتسع وعشرون عضلة.

وذلك أن في الوجه خمسا وأربعين عضلة: أربع وعشرون منها لحركات العين

وأجفانها. واثنا عشر لحركات الفك. وتسع لحركات سائر ما يتحرك من أعضاء الوجه بالإرادة: منها عضلة مستبطنة لجلد الجبهة تعين على شدة فتح العين وعضلتان تحركان طرف الأنف.

وعضلتان تحركان الشفة العليا إلى فوق. وعضلتان تحركان الشفة السفلى إلى أسفل. وعضلتان تحركان الخد.

والعضل الذي يحرك الرأس والعنق وهي ثلاث وعشرون عضلة. منها ما يجذب الرأس وحده إلى الجهة التي هي موضوعة فيها. ومنا ما يجذب الرأس والعنق، ومنها ما يكون بها جذبه إلى فوق، ومنها ما يكون بها جذبه إلى قدام، ومنها ما يكون بها جذبه إلى خلف،ومنها ما يجذب إلى ناحية اليمين، ومنها إلى ناحية الشمال.

- وتسع عضلات يحركن اللسان.
- واثنان وثلاثون عضلة لحركات الحلق والحنجرة.
- وسبع عضلات لكل كتف في كل جانب، تحركه جميع حركاته.
- وثلاثة عشرة في كل ناحية يحركن العضد جميع حركاته.
- وأربع عضلات موضوعة على العضد في كل يد، اثنتان موضوعتان من داخل، تثنيان الذراع واثنتان من خارج تبسطانه.
- وسبع عشرة عضلة في كل ساعد، عشر منها موضوعة على ظهر الساعد، وسبع في باطنه تكون بها حركة الكف إلى داخل وإلى خارج وإلى ناحية الإبهام وإلى ناحية الخنصر. وتثني الأصابع الأربع وتبسطها.
- وثماني عشرة عضلة في الكف، في كل جانب، يكون بها ميل الأصابع إلى ناحية الإبهام وإلى ناحية الخنصر وتقعير الكف.

ومائة وسبع عضلات لحركة الصدر، منها ما يقبضه ومنها ما يبسطه.

- وثمان وأربعون يحركن الصلب جميع حركاته.
- وثماني عضلات ممدودة على البطن من لدن القص الى عظم العانة.منها بالطول ومنها بالعرض ومنها بالتأريب. تفعل جميع حركات البطن من الضم والعصر وتعين على حركات أخر.

- وأربع عضلات للأنثيين في الذكورة.
- وأربع عضلات يحركن الذكر.
- وعضلة تضبط فم المثانة لأن لا يخرج البول بغير إرادة.

وأربع عضلات تضبط فم المقعدة لأن لا يخرج النجو[1] بغير إرادة.
- وست وعشرون عضلة لحركات الفخذين ووضعها فوق الفخذين.
- وعشرون لحركة الساقين ووضعها على الفخذين.
- وثمان وعشرون لحركة القدم وبعض حركات الأصابع، ووضعها على الساقين.
- واثنان وعشرون لبقية حركات أصابع الرجل، ووضعها على القدمين.

٩٨- فهذه العضلات هي أول شيء يتحرك عن الحار الغريزي أو بالحار الغريزي الخاص بعضلة عضلة. وإذا كان كل عضو إنما يتحرك بحرارة غريزية هي فيه بمنزلة الصورة، وكانت الحرارة التي في العضل لا تحرك إلا بمبدأ نفساني.

فما هذا المبدأ ليت شعري؟ لكن أنا أضيف إلى هذا ما تبين بالقول الكلي أن القوة المحركة في المكان هي النفس، وتبين أن بدن الحيوان كله ينبغي أن يكون تحريكه بقوة نزوعية موجودة في عضو مشترك لجميع البدن متحرك من ذاته، وبقوة جزئية نزوعية في أعضاء جزئية متحركة بذاتها وهي العضل.

وإذا كان ذلك كذلك وكان يظهر بالحس أنه ليس في البدن عضو مشترك لجميع البدن متحرك من ذاته إلا القلب، فبين أن القوة النزوعية العامة هي في القلب، أعني في عضله، وأن القوة الجزئية النزوعية هي في عضل عضل من العضل الجزئية.

ولذلك ما نرى أن الحركة الكلية للحيوان التي هي الانقباض والانبساط مبدؤها من القلب. وهذه الحركة زائدة اعلى حركة التنفس النبضية. ولذلك نرى النبض يعظم في وقت حركة الحيوان ويصغر في وقت السكونة.

وإذا كان ذلك كذلك فالدماغ والأعصاب إنما هما معدلان لهذه الحرارة التي فيها المبدأ النزوعي الكلي والجزئي. وجالينوس لما رأى تأثير الدماغ في هذه الحركة

---

(١) أي: الريح والغائط.

ظن أن القوة النزوعية فيه، وكذلك ظن أنها في العصب، وذلك كله مستحيل: لأنه قد تبين أنه يجب أن تكون هذه القوة في عضو متحرك من ذاته.

ولذلك فالمرض الذي يكون عنه اختلال الحركة هو: أما أولا وبذاته ففي العضل، وأما بطريق المشاركة ففي الدماغ والعصب. ولذلك ينبغي أن نعالج اختلال الحركة: أما أولا فبالقصد إلى العضل. وأما ثانيا فبالقصد إلى الدماغ والعصب.

وينبغي أن تعلم أنه غير ممتنع أن تكون ههنا حركات إرادية بغير هذا العضل، بل بنفس الحار الغريزي أو ما يقوم مقامه في الحيوان الذي ليس بدمي. وإنما هذه العضلات لاشك في الحيوان الكامل. ولهذا اعتاص على جالينوس إعطاء عضل يحرك اللسان إلى خارج، وكذلك حركة الإنعاظ، لأنه رأى قطعا أنه لا تكون حركة إلا بعضل.

بل ليس الأمر كذلك. وإذ قلنا في منافع أعضاء الحركات الإرادية فينبغي أن نقول في التنفس وأعضائه، فإن جالينوس يرى أنه داخل في الحركات الإرادية.

[٢٣- القول في آلات التنفس]

٩٩-وآلات التنفس هي الحجاب، والرئة وقصبتها، والحنجرة واللهاة، وقد ينبغي قبل الفحص عن منفعة عضو عضو منها أن نبين ما منفعة هذا الفعل بإطلاق أعني التنفس. فنقول:

١٠٠- إنه قد جرت عادة الأطباء، من جالينوس فمن دونه، أن يقولوا: إن للتنفس منفعتين: إحداهما ترويح الحرارة الغريزية التي في القلب، باستنشاق الهواء البارد ودفعه إذا سخن، مع ما يمكن أن يتحلل من الحار الغريزي من جوهر دخاني غير ملائم. وهذه المنفعة، لعمري، هي حق وهي ضرورية في وجود الحيوان الحار الدموي.

وأما ما كان من الحيوان غير حار ولا دموي فلا ضرورة به إلى مثل هذا الفعل بل تكفيه من ذلك حركة الشرايين التي في القلب، فإنا نرى أن ذلك أيضا تنفس ما.

١٠١- وأما المنفعة الثانية، زعموا، فليغتذي الروح الغريزي بالهواء الداخل ويخلف منه بدل ما يتحلل. وهذا قول في نهاية السقوط. وذلك أن المركب ليس يمكن فيه أن يغتذى من البسيط لأنه لو أمكن ذلك لكان يوجد حيوان بسيط غير

مركب بل من أسطقس واحد. وجالينوس ينكر ذلك، ولذلك يقول: إن الماء ليس بغاذ وهذا بين بنفسه لمن زاول العلم الطبيعي. فلنعمل إذن على أن منفعة التنفس هي المنفعة الأولى.

١٠٢- وأما لأي قوة من قوى النفس هو هذا الفعل، فإن جالينوس يرى أن ذلك للقوة الإرادية. ويحتج على ذلك بأن لنا أن نتنفس وأن لا نتنفس.وأيضا فإنه يزعم أن الآلة الخاصة بهذه القوة هي العصب والعضل. ويزعم أنه إذا بتر العصب الذي يحرك الحجاب لم يعش الحيوان إلا مقدار ما يعيش المخنوق بالوهق[1].

١٠٣- وأما غيره فيرى أنه للقوة الغاذية كالحال في النبض.

ويمكن أن يحتج لهذا الرأي بأشياء:

أحدها: أنا نتنفس في النوم، والفعل الإرادي إنما يكون مع تخيل ونزوع على ما سلف.

والثاني: أنا نرى التنفس الذي لا نتعمده يحاكي النبض حتى إن أبقراط كان يقيمه في أكثر الحالات مقام النبض.

وذلك حيث لا يكون مرض في آلات التنفس. لأنه إذا كان الأمر هكذا دل حينئذ على مزاج القلب، كما يدل النبض نفسه.

١٠٤- وقوم رأوا أنه مركب من الفعلين جميعا، أعني من الفعل الإرادي والفعل غير الإرادي وهو الفعل المنسوب للقوة الغاذية التي يعرفها الأطباء بالقوة الطبيعية، وذلك كحركات كثير من الأعضاء، مثل حركة الجفن، فإن الأمر فيها بين أنها مركبة وكذلك حركة الازدراد ولذلك متى تعاوقت القوتان فيه، أعني الطبيعية والإرادية صعب الازدراد كما نرى ذلك يعترينا عند سقوط الشهوة. ويشبه أن يكون هذا الرأي الأخير أصوب الآراء، أعني أن هذا الفعل مركب.

١٠٥- لكن ينبغي أن نعتقد أن الأملك به أنه فعل طبيعي، إذ كان أكثر تنفسنا في حال الصحة وفي حال المرض إنما يكون من غير أن نتعمده. وبذلك أمكن أن يجعل دليلا على مزاج القلب. والتنهد الذي يصيب الإنسان هو شيء غير

---

(١) حبل للشنق.

متعمد له.

وأيضا إذا كثرت حاجتنا إلى التنفس فإنا لا نقدر أن لا نتنفس، كالحال في السعال وغير ذلك وإنما أرفدت الطبيعة هذه القوة بالإرادة للحاجة إلى ذلك في الموضع الذي لا تفي القوة الطبيعية بما يحتاج القلب من ذلك.

١٠٦- وأما ما يحتج به جالينوس على أن هذه القوة إرادية محضة، من أنها تبطل بقطع العصب، فليس في ذلك حجة، وهو موضع مختل كما قيل غير ما مرة فإنه إذا ارتفع العصب فارتفع بارتفاعه حركة ما، فليس يلزم ضرورة إذا وجد العصب أن توجد تلك الحركة، حتى يكون العصب هو السبب الخاص في ذلك الفعل، وقد شوهد أن من شُد له عرقا السبات الصاعدان إلى الدماغ أنه تختل أفعاله الإرادية كلها، ولذلك سمي هذان العرقان بهذا الاسم، وحكى الرازي أن ملوك الهند كانت تقتل بذلك.

إلا أن جالينوس ينكر ذلك وزعم أنه ليس يعرض عن شد هذين العرقين شيء، وإنما يعرض عن شد العصبتين الملتصقتين به أن يبطل الصوت فقط. وأيضا فما الذي يمنع أن يكون فعل العصب في ذلك إنما هو أحد ما يتم به هذا الفعل، فإذا اختل هو ضرورة اختل ذلك الفعل. وليس هو سبب خاص بذلك. ولا يلزم أن تكون كل حركة للعصب مدخل في وجودها أن تكون ولابد إرادية محضة وكيف لا وهو يقر أن حركة الأجفان إنما تكون بالعصب. وهذا كله بين بنفسه.

١٠٧-وإذ قد تبين ما منفعة التنفس وأي قوة هي هذه القوة، فقد ينبغي أن نشرع في منفعة عضو عضو من الأعضاء المنسوبة إلى هذا الفعل، فنقول:

[٢٤-الرئة وعملها: لمن حركتها، لذاتها أم للصدر؟]

١٠٨- إن أشهر الأعضاء منفعة في هذا الفعل هي الرئة، وذلك أنها إذا انبسطت جذبت الهواء إلى داخل، وإذا انقبضت دفعته إلى خارج. وبالجملة فمما لا يشك فيه أنها الآلة الخاصة بهذا الفعل.

لكن مما فيه موضع نظر: هل حركتها، هذه الحركة التي بها يكون إدخال الهواء ، وإخراجه، تابعة لحركة الصدر من غير أن يكون لها في نفسها حركة ؟ أم حركة الصدر في التنفس شيء مصاحب لحركتها وكأنه معين لها؟ أما جالينوس فيرى

أنه ليس لها في ذاتها حركة تخصها وأن حركتها إنما هي تابعة لحركة الصدر على جهة استتباع الاستفراغ الذي يكون من قبل ضرورة امتناع وجود الخلاء.

وأن حركة التنفس الذي على المجرى الطبيعي إنما تكون بالعضلة العظمى التي تسمى الحجاب، وهي الفاصلة بين الأعضاء الفوقية والسفلية.

ويرى أن أخص منافع هذا العضو هو هذا الفعل. وذلك أنه يرى أن الصدر إذا انبسط تبع ذلك أن تمتلئ الرئة بالهواء، كما يعتري في كير الحداد فإذا انقبض الصدر خرج الهواء كما يعتري أيضا ذلك في كير الحداد ويستدل على ذلك بأن الجراحة إذا وقعت ودخل الهواء منها إلى الصدر تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان.ويحتمل أن يكون تعطل حركة الرئة عند انخراق الصدر؛ لأنها تبرد.

١٠٩- وأما في وقت أرسطو فلم يكن وقف من منفعة هذا العضو -أعني الحجاب- على شيء سوى أنه حاجز بين الأعضاء الرئيسية وبين الأعضاء التي تطبخ الغذاء؛ لأن لا يصل إليها في حين الطبخ شيء من الحرارة، وليس مثل هذا بنكير: فإن الحال فيما يدرك بالتشريح، كالحال فيما يدرك من حركات الأجرام السماوية، وجالينوس، مع أن في زمانه كانت هذه الصناعة -أعني: صناعة التشريح- أكمل شيء، يقول إنه ليس يمتنع أن يقف غيري من هذه الأشياء على ما لم أقف.

ولذلك جل الأمور التي يظن بجالينوس أنه يناقض فيها أرسطو ليست في الحقيقة مناقضات، وإنما هي كالتتميمات والزيادات.

مثال ذلك ما حكاه أرسطو في منفعة الحجاب، وما يظن به أنه لم يحس الأجسام التي تسمى عصبا. لكن لم يكن ذلك ضارا له فيما يعتقده من الأقاويل الكلية، في الحركة والحس، وفي منفعة القلب والدماغ. وكما أن من شأن من أدرك في علم الهيئة حركة زائدة أن يضيفها إلى ما أدرك المتقدم، كذلك ينبغي في هذه الأشياء ههنا، لا أن ما أتى به جالينوس من الأمور الجزئية يناقض تلك الكليات. وقد خرجنا عما نحن بسبيله فلنرجع إلى حيث كنا، فنقول:

١١٠- إنا إنما قلنا فيما يراه جالينوس -من أن حركة الرئة تابعة لحركة الصدر- موضع نظر؛ لأنه إنما يصحح ذلك بأنه إذا تعطلت حركة الصدر تعطلت حركة الرئة ومات الحيوان.

وكذلك أيضا إذا جرح الحيوان في صدره جراحة نافذة عظيمة يدخل منها الهواء عند حركة الصدر فلا يكون هناك ضرورة تدعو إلى استتباع حركة الرئة لحركة الصدر، فيختنق الحيوان وكل هذا ليس يظهر منه ولا بد أن حركة الصدر هي السبب الخاص لحركة الرئة.

وذلك أنه قد يمكن أن يكون الصدر والرئة في هذه الحركة كل واحد منهما متحرك من ذاته، لكن ليس يمكن لأحدهما حركة دون الأخر، فعلى هذا أيضا متى تعطل أحدهما تعطل الأخر؛وليس ولا واحد منهما بسبب لصاحبه في هذه الحركة.

ولو قدرنا الرئة في هذه الحركة غير متحركة، على ما يراه جالينوس، لتعطلت ضرورة حركة الصدر. أفترى كنا نقول إذ ذلك إن الرئة تحرك الصدر؛ لأنها إذا لم تتحرك لم يتحرك الصدر؟! فهذا هو اختلال هذا الموضع هنا: فإنه غير ممتنع أن تكون حركة الصدر والرئة كالمتحركين معا من تلقاء أنفسهما في رباط واحد.

فإنه متى لم يتحرك أحدهما لم يتحرك الأخر.وليس واحد منهما يحرك صاحبه. وأيضا فليس ممتنعا عندما يتولد بالصدر سوء مزاج من قطع العصب الواصل إليه أو شده، أن يتعدى ذلك إلى الرئة على سبيل المشاركة: فإن أحد ما تعتل به الأعضاء هي جهة مشاركتها، وجالينوس يقر بذلك.

وعلى هذه الجهة تكون حركة الصدر كأنها معينة لحركة الرئة، ولاسيما عند الحاجة إلى التنفس الشديد. والأولى أن يكون العضو الذي يلحقه الأذى لعدم إدخال الهواء وإخراجه هو العضو الذي فيه مبدأ إدخال الهواء وإخراجه: فإن كان القلب هو الذي يلحقه الأذى بل الموت بانقطاع هذه الحركة، فهو الذي فيه مبدأ هذا الحركة ضرورة.

١١١- وحركة الرئة على مذهب جالينوس تكون قسرا على نحو ما تتحرك الأجسام الصناعية. والأولى أن يكون ذلك بمبدأ فيها على ما عليه الأمر في الأجسام الطبيعية.

وأيضا إن كانت هذه الحركة تتم بحركتين، طبيعية وإرادية، فالأولى أن يظن بهما أنهما يكونان متحركين أولين من تلقائهما فليكن الأول في الحركة الإرادية هو العضل، وليكن الثاني في الحركة الطبيعية هو القلب، أو القلب والرئة.

وجالينوس لزم في هذا القول أصوله. وذلك أنه لما كانت هذه الحركة عنده إرادية، وكانت الحركة الإرادية عنده إنما تكون بالعصب فقط، ولم يكن ظهر له بالتشريح أنه يأتي من العصب للرئة ما به تحس فضلا عما به تتحرك، وكانت طريقة الارتفاع عنده يقينية، أعني أنه وجد حركة الرئة ترتفع بارتفاع حركة الصدر حكم حكما باتا أن الصدر يحرك الرئة في هذه الحركة، وأن الرئة مستتبعة له.

١١٢- ويشبه أن لا يكون في أيدينا من المقدمات ما نصل به إلى اليقين في كثير من هذه المطالب، لكن مع هذا ينبغي أن يقال في ذلك بحسب الطاقة: فإنه غير ممتنع أن تلوح ههنا أشياء فيما بعد يمكن منها الوقوف على اليقين في كثير مما لا يمكننا نحن في زماننا هذا.

والسبب الذي أعطاه جالينوس في حركة الرئة، هو أن يكون سببا بالقسر أولى من أن يكون سببا بالطبع.

وإنما قسم الصدر بقسمين وجعلت أجزاء الرئة مضاعفة ليكون متى اعترى في أحدهما شيء يقوم الآخر بالمنفعة. مثال ذلك ما يعتري في الجراحات التي تخرق أحد التجويفين من تجاويف الصدر: فإن القسم من الرئة الذي في التجويف غير المنخرق يقوم حينئذ بمنفعة التنفس. وأما إذا انخرق تجويفا الصدر معا فيهلك الحيوان.

[٢٥- قصبة الرئة وعملها]

١١٣-وأما قصبة الرئة فإنها أيضا من أجل إدخال الهواء وإخراجه، لكن يصحب إخراج الهواء منفعة أخرى، وهي حدوث الصوت. ولذلك جعل في طرفها العضو الذي به يمكن ذلك، وهو المسمى حنجرة.فإن هذا العضو خلق خلقة مواتية لحدوث الصوت ولذلك جعل فيه الجسم الشبيه بلسان المزمار، ووصل به من العضل ما يتأتى به أن يتشكل بأشكال مختلفة حتى تحدث عنه أصوات مختلفة.

وهذه المنفعة في الحيوان هي من أجل الأفضل لا من أجل الضرورة: فإنه ليس الصوت ضروريا في وجود الشخص. وكثيرا ما تتوخى الطباع هذا فتصرف العضو الواحد في منفعتين وثلاث، إذا أمكن ذلك فيه، كالحال في الخياشيم: فإنها جعلت للشم، واتفق فيها أيضا أن كانت سبلا لتنقية فضول الدماغ، فهي بهذا الوجه تخدم

القوة الغاذية. وبالوجه الثاني القوة الحساسة.

١١٤-ومن الدليل على أن الحنجرة هي الآلة الخاصة بالصوت، أنا متى نفخنا بشدة في قصبة الرئة -رئة أي حيوان اتفق- حدث صوت شبيه بصوت ذلك الحيوان، وجعل على فم هذا المجرى غطاء يحجبه؛ لأن لا يصل إليه شيء مما يمر بالفم فيهلك الحيوان، ولذلك متى ذهب هنالك شيء له قدر ما، أحدث سعالا، وأما العنبة فإن منفعتها أن تمنع أيضا الغبار والدخان وما أشبهه مما يمكن أن يصل إلى الحنجرة، وهي مع هذا تحجب البرد لأن لا يصل إلى أعضاء التنفس، ولذلك متى أفرط في قطعها غلب على الصدر والرئة البرد، حتى إن كثيرا من الناس يهلكون لذلك ويشبه أن يكون لها أيضا مدخل في وجود الصوت. فهذا هو القول في منافع آلات التنفس.

[٢٦-المتخيلة والمفكرة والحافظة...]

١١٥-وأما القوة المتخيلة والمفكرة والذاكرة والحافظة فإنها وإن لم تكن آلية، فلها مواضع خاصة بالدماغ، فيها يظهر فعلها. أما القوة المتخيلة ففي البطن المقدم من الدماغ. وهذه القوة هي التي تحفظ صنم[1] الشيء بعد غيبوبته عن الحس. وأما القوة المفكرة فظهورها يكون في البطن الأوسط من الدماغ، وبهذه القوة نروي في المجهول حتى نستنبطه. ولذلك لا توجد هذه القوة إلا للإنسان.

وأما القوة الذاكرة والحافظة فموضعهما مؤخر الدماغ ولا فرق بين الذاكرة والحافظة إلا أن الذكر هو حفظ منقطع، والحفظ ذكر دائم. والفرق بين الذاكرة والحافظة وبين المتخيلة أن المتخيلة تحضر صنم الشيء المحسوس بعد غيبة المحسوسات، ولذلك لم تكن حسا.

والقوة الحافظة إنما تحفظ معنى ذلك الصنم، وكذلك الذاكرة إنما تتذكر ذلك المعنى الذي للصنم. ومن ههنا يظهر أنها أكثر روحانية من المتخيلة.

١١٦- وينبغي أن لا يذهب علينا أن هذه القوى وإن كان أحد ما يتم به فعلها هي هذه البطون من الدماغ، أنه إنما وجودها بالحقيقة في القلب، وأن هذه

---

(١) أي صورته.

المواضع إنما هي لها بمنزلة الآلات. فكما أن القوة الباصرة إنما تكون بالرطوبة الجليدية -مع أنها في القلب- كذلك هذه القوى.

ومنفعة هذه المواضع في هذه القوى هي التعديل على ما قلناه في منفعة الدماغ، في سائر الإدراكات. والسبيل التي بها يتبين هذا هي السبل التي تقدمت.

وذلك أن هذه القوى إنما تفعل بالحرارة الغريزية، والحرارة الغريزية المقدرة إنما تصل إليها من القلب. فالقوة المقدرة ضرورة في القلب. فهذه القوى إذن محلها القلب. وأيضا فإن القوة المتخيلة، كما قيل، إنما فعلها في الآثار الباقية من المحسوسات في الحس على ما تبين في كتاب النفس ،والحس المشترك قد تبين قبل أن محله القلب؛ لأنه كالصورة للقوة الغاذية.والقوة الغاذية قد تبين أنها الصورة الأولى للقلب في الكون[1] فالمتخيلة ضرورة محلها القلب وأيضا فإن المتخيلة هي المحركة للحيوان بتوسط النزوعية، والنزوعية في القلب فالمتخيلة إذن في القلب.

وحيث المتخيلة فهناك ضرورة المفكرة، فإن الفكر إنما هو تركيب الخيالات وفصلها، وكذلك حيث تكون المتخيلة فثم الذاكرة والحافظة، وليس يجب من كون اعتلال هذه القوى باعتلال هذه البطون من الدماغ أن يقال: إن هذه القوى في الدماغ فقط.

كما أنه ليس يلزم عن اعتلال البصر باعتلال الرطوبة الجليدية أن يقال: إن قوة الإبصار الرئيسية إنما هي في الجليدية. وقد تعتل هذه القوى باعتلال الحجاب، وليس أحد يظن أنها في الحجاب. ولما كانت هذه التجاويف من الدماغ، إنما وضعت أولا من أجل هذه القوى، هيئت في أمزجتها للفعل الموافق لهذه القوة. فالروح الغريزي إنما يكون أولا في البطنين المقدمين، ومنهما يصير إلى البطنين المؤخرين في المسلك الذي بينهما. وللاحتياط والتقدير جعل في تلك المسافة أجسام تنفتح في وقت الحاجة لدخول الحار الغريزي منها، ثم تنسد على ما ذكر في كتاب التشريح.

ولكون الدماغ جسما لينا رطبا وقي بعظم القحف وبالأغشية المحيطة به، كما وقي القلب بأضلاع الصدر، وجعل هذا العظم مستديرا إذ كان هذا الشكل هو

(١) أي: التكون، الوجود.

أحكم الأشكال.

وذلك أنه يحتوي على أكثر مما يحتوي عليه سائر الأشكال المساوية له على ما بينه المهندسون.وأيضا فإنه أبعد شيء عن الآفات، وجعل الدماغ في أرفع موضع في الحيوان الكامل، لمكان الحواس. فإن الحواس كما يقول جالينوس هي طلائع البدن. ومن شأن الطلائع أن تكون في المواضع المشرفة.

١١٧- فقد قلنا في منافع عضو عضو من أعضاء بدن الإنسان بحسب ما رأينا أنه كاف في عرضنا. وقد بقي علينا أن نبين من الأفعال الصحية، النوم ما هو؟ وبأي عضو يكون؟ فإنه من الأمور الضرورية في وجود الحيوان الذي شأنه أن ينام والإنسان هو أحدها.

ولذلك كان اختلال هذا الفعل مما يهلك الحيوان. وعند تمام القول في هذه القوة نختم هذه المقالة،ونشرع في القول في الأمراض وأسبابها وأعراضها، فنقول:

[٢٧-النوم: ما هو؟ وبأي عضو يكون؟]

١١٨-أما أن النوم هو سكون الحواس وانصرافها عن آلاتها إلى داخل البدن، فذلك من الأمور الظاهرة بأنفسها. ولذلك تمر بها في تلك الحال المحسوسات فلا تحسها[1] وأيضا فقد يظهر ذلك ظهورا أبين في من ينام مفتوح العينين، فإنه لو كانت هنالك القوة المبصرة لما مر به شيء إلا رآه.

وليس هذا العارض يعرض لنا في وقت النوم فقط، بل قد يعرض عندما يفكر الإنسان في شيء ما. ولذلك كثيرا ما تمر بنا في تلك الحال محسوسات كثيرة لا نحسها.

وإذا كان جنس النوم إنما هو انصراف الحواس إلى باطن البدن، وكانت الحواس إنما يمكن فيها الحركة بحركة الجسم الذي هو الهيولى الخاصة بها، وكان هذا الجسم قد تبين من أمره أنه الحار الغريزي، فالنوم إذن ضرورة يكون بانصراف الحار

---

(١) قال ابن سينا: ينبغي أن يكون النوم بعد الغذاء نومًا معتدلا، فإن كان الغذاء كثيرا وغليظا فليكن النوم أكثر من المعتدل، وإن اتفق أن يمتلئ إنسان من الغذاء امتلاءً مفرطًا، فلا ينبغي أن ينام حتى ينحل عن معدته لئلا يقلب عليه الحرارة الغريزية فيطفئها، وأما السهر فلا ينبغي أن يستعمل فإنه يخشى وقوع الاستمراء (حفظ الصحة ص ٣٣) بتحقيقنا.

الغريزي إلى قعر البدن. وقد يشهد لهذا أن ظاهر البدن يبرد عند النوم. وأيضا فإن فعل الهضم يكون أتم عند النوم، وذلك أن الحرارة الغريزية التي كانت تستعملها الطباع في ظاهر الجسم في الحس والحركة تنصرف حينئذ داخل الجسم، إلى إنضاج الغذاء والفعل فيه.

ولما كان انبعاث الحرارة الغريزية على ما قيل قبل إلى ظاهر الجسم إنما يكون من القلب فرجوعها ضرورة في وقت النوم، إنما هو إلى القلب. وذلك أن الموضع الذي منه تبتدئ الحركة إليه تنتهي كالحال في رئيس الجيش، فإنه الذي إليه تنتهي الأخبار ،ومنه تبتدئ. وإذ قد تبين من أمر النوم أنه سكون الحواس وتعطل فعلها لانصراف الحار الغريزى المحمولة فيه إلى القلب، فلننظر ما سبب هذا الانصراف: فإن هذا هو الذي يجري من تصور ما هو النوم مجرى الفصل الأخير، فنقول:

١١٩-إن انتشار الحار الغريزي إنما يكون ضرورة بتزيد في كميته، والتزيد في الكمية إنما يفعله تزيد الحرارة فيه. وأما انقباضه فهو نقص في الكمية. وذلك يكون ضرورة لغلبة البرودة والرطوبة عليه.

وإذا كان هذا كما وضعنا فالنوم إنما يعرض لنا عند برد الحار الغريزي الذي في القلب ورطوبته: فإنه إذا برد ورطب عاد إلى ينبوعه ونقصت كميته. ولما كانت منفعة الدماغ إنما هي في أن يعدل حرارة القلب ويبسه، وجب ضرورة أن يكون القلب إنما يلقى أكثر هذا الفعل من الدماغ، وذلك إذا أفرط مزاجه في البرد والرطوبة. وإما يكون ذلك عند وقت ورود الغذاء عليه. وأيضا فمع هذا، إن القلب إذا ورد الغذاء عليه يرطب ويبرد. ولكون هذا الفعل إنما يوجد للقلب أكثر ذلك بتوسط الدماغ، وكان من قل نومه نطلنا[١] منه الدماغ بالأشياء المرطبة، ظن كثير من الناس أن النوم إنما هو فعل خاص بالدماغ.وليس الأمر كذلك.

١٢٠- ومن الدليل على أن النوم إنما يكون بالبرودة والرطوبة أن الأغذية المنومة هي باردة رطبة كالخس وغير ذلك مما شأنه أن ينوم. والأشياء المسهرة هي الحارة اليابسة. وإنما صار الحيوان يصيبه النوم كثيرا إثر التعب لأن الحيوان إذا تحرك

(١) أي: خدرنا.

وأجهد نفسه في ذلك تبددت الحرارة الغريزية ونقصت كميتها وبردت، فعادت ضرورة لمكان الاحتياط والتوفر إلي مبدئها، كما يعتريها ذلك عند ورود الأشياء المفسدة عليها والمضادة أن تتراجع إلى مبدئها.

فإن الجند متى دهمهم أمر فإنما يفزعون إلى الرئيس. ولذلك كان هذا العضو آخر عضو يبرد عند الموت. وهذا الفعل هو من فعل الطبيعة المدبرة لأبدان الحيوان، ولهذا كان النوم من ضرورة وجود الحيوان الكامل. لأنه لولا النوم لفسدت حواسه بكثرة الاستعمال وإذا فسدت الحواس فسد الحيوان.

ولذلك تصفر وجوه الذين لا ينامون وتعتل أفعالهم وبخاصة الغاذية وأيضا فإن استعمال الحواس مما يبدد الحرارة الغريزية بانتشارها. وإذا بردت عادت إلى عمق البدن ونقصت كميتها.

١٢١- وينبغي أن تعلم أن هذا الفعل، وإن كان إنما يكون بمزاج ما في الحرارة الغريزية، وهو مزاج البرودة والرطوبة. فالفاعل بالحقيقة لذلك هي القوة المدبرة التي في القلب. والحرارة التي بهذه الصفة هي آلتها. ولذلك قد ينشأ ههنا موضع فحص، وهو لأي قوة من قوى النفس ينسب هذا الفعل؟ ويشبه أن يكون ذلك للقوة الحسية، إذ كانت هي التي تتوفر بهذا الفعل وتكمل أفعالها. وليس هذا للغاذية بما هي غاذية: فإن النبات ليس له نوم. إذ كان ليس له حس. وهذه القوة هي من قوى الحس للحس المشترك. وإنما نسبنا هذا الفعل للقوة الحسية؛ لأنها أحد ما ينحفظ وجودها به.

١٢٢- فهـــذه هـــو القـــول في جميع الأفعال الصحية بما هي صحية. وبين مـــن مـــنافع هـــذه مـــا هـــو ضروري في وجود الحيوان وما ليس بضروري. أما أعضـــاء القـــوة الغاذيـــة وأفعالهـــا فضـــرورية في وجود الحيوان ما عدا المولدة، وكذلك حاسة اللمس.

ولذلك كان تعطل هذه القوة موتا ضرورة. وكذلك التنفس فعل ضروريّ. ومن هنا يظهر أن الأشياء التي تجري من بدن الإنسان مجرى الحافظة هو الهواء والماء والغذاء.

وإنما تكون هذه الأشياء حافظة إذا كانت على المجرى الطبيعي. ولما كان

الهواء إنما يكون على صورته الطبيعية بحفظ الشمس والأجرام السماوية له كانت الأسباب القصوى التي تجري من بدن الحيوان مجرى الحافظة له هي الأجرام السماوية. وهذا الفعل إنما يتم في الهواء بفعل الشمس فيه الفصول الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء. وذلك بمسيرها في فلكها المائل.

ولذلك قد يجب على الطبيب أن يعرف ههنا طبائع هذه الفصول.إذ كانت هي أحد ما به تتقوم الصحة. فنقول:

[٢٨- الفصول الأربعة وتأثيرها في الصحة]

١٢٣- أما الربيع فإنه الزمان الذي تكون أفعال القوة الغاذية فيه أتم فعلا، وذلك إنما يكون بإنمائه الحرارة الغريزية في أبدان الحيوان. ولما كانت الحرارة الغريزية حارة رطبة قلنا في هذا الفصل إن مزاجه الحرارة والرطوبة: فإن النظر في مزاجه ههنا إنما هو بالمقايسة إلى بدن الإنسان. والشبان أتم ما يوجدون أفعالا في هذا الفصل.

ولذلك إن شئت فقل فيه إنه الفصل المعتدل. وذلك بمقايسته إلى فعل الإنسان. وأما القول فيه إنه معتدل بإضافة الكيفيات التي يقوم منها بعضها إلى بعض فباطل.

وذلك أن كل منسوب إلى المزاج لابد أن يكون منسوبا إلى غلبة كيفية واحدة من الكيفيات الفاعلة لضدها وإلى غلبة كيفية فاعلة من الكيفيات المنفعلة التي تتنزل من الكيفية الفاعلة الغالبة على ذلك الممتزج منزلة المادة، وإلا لم يكن ذلك الممتزج واحدا بالصورة، ولا كان له فعل واحد مأخوذ في حده، حتى تكون فيه الكيفيتان الفاعلتان الغالبتان عليه بالقوة والغالبتان بالفعل.

فإن الأضداد ليس يمكن أن يتولد منها واحد بالفعل وهما في مرتبة واحدة بالفعل. لأنه لا يكون من شيئين بالفعل شيء واحد بالقوة، وهذا ليس يشعر به كثير من المنتسبين إلى الفلسفة في وقتنا.

[٢٩- أعدل البلدان]

١٢٤- وهذه الفصول ليس لها حد معلوم في القصر والطول بل تختلف في البلاد، وذلك بحسب عرضها. وأعدل البلاد هي التي يقصر فيها زمان الخريف

ويطول فيها زمان الربيع.

وتلك هي البلاد التي في الإقليم الخامس،وبخاصة ما كان منها قريبا من البحر. والخريف في بلادنا هذه، وهي بلاد الأندلس ،هو نحو من شهرين. وهي في أول الإقليم الخامس وليس تحت معدل النهار زمان معتدل كما يزعم ذلك كثير من الناس وقد تبين ذلك فيما كتبناه في غير هذا الموضع ولا أيضا تفضيله من يفضل الإقليم الرابع على الخامس بشيء.

وجالينوس يرى أن أعدل المواضع هي بلاد يونان. ومن هذه بلدة أبقراط، ويقول: إن هذه البلدة يكاد أن يكون زمانها كله ربيعا.

١٢٥- فقد تبين من هذا القول ما صحة عضو عضو من أعضاء الإنسان بجميع أسبابه الأربعة التي هي المادة والصورة والحافظ والغاية، وذلك ما قصدنا له من أول الأمر.

وأنت تعلم أنه يلزم أن تكون جميع الأشياء التي قيلت هنا ضرورية من معرفة الصحة وأنواعها، وأنها لذلك جزء واحد من هذا العلم.وهي في كتب جالينوس منتشرة. ولذلك يكاد أن لا يفهم من جميعها غرض واحد ولا تقرأ على الترتيب الذي ينبغي أعني الترتيب البرهاني، بل كاد أن يكون ذلك ممتنعا فيها إلا بحسب ما توجبه الشهرة.

هذا، فضلا على الأطباء. ومن ههنا يبين لك بيانا واضحا أنه ليس يوجد مزاج معتدل في الكيفيات الأربع أبدا، أعني الاعتدال في مرتبتها المنسوب إلى الأطراف. كما أنه لا يوجد مزاج منسوب إلى كيفية واحدة من أجل أن كل كيفية فاعلة لها في مرتبتها من الفعل كيفية منفعلة خاصة بها تتنزل منها منزلة المادة. وإذ قد تتقرر هذا فلنرجع إلى ما كنا بسبيله.

١٢٦- وأما الصيف فيظهر من أمره أن الحر واليبس عليه أغلب، وكذلك يظهر أيضا من أمر الشتاء أن البرودة والرطوبة عليه غالبة.وهذا كله بالإضافة على مزاج الربيع وإلى مزاج الإنسان: فالربيع موافق لهذين، أعني الصيف والشتاء، في نسبة مزاجه إلى غلبة كيفيتين ومخالفهما في نسبته إلى بدن الإنسان؛ لأنه بالقياس إلى بدن الإنسان معتدل.

١٢٧- وأما مزاج الخريف فمن حيث إنه متوسط بين الصيف والشتاء، قد كان يظن أنه يلزم فيه أن يكون باعتدال الربيع بالإضافة إلى بدن الإنسان، لكن الأمر في ذلك بالعكس، بل هو في غاية المضادة لزمن الربيع: فإنه الزمن الذي فيه تهرم القوى وتتشتت. وذلك ظاهر من فعله ذلك في النبات وفي الحيوان.

ولذلك قيل: إن البرد واليبس غالبان عليه، اللذين هواهما ضد الحرارة والرطوبة. وأما مزاجه في نفسه فإنه و إن كان غير مفرط الحرارة، فإن البرد واليبس غالبان عليه. وهو بالجملة متشتت الأجزاء مختلفها: إذ ليس هو على نسبة واحدة في اليوم الواحد بعينه، فضلا عن أكثر زمانه، ونسبة الشمس فيه إلينا في القرب والبعد، فإنها وإن كانت بعينها هي نسبتها في الربيع، فبين النسبتين فرق عظيم لمكان الاستعداد. وذلك أن في زمن الخريف قد تناهت فيه القوى وقد استولى اليبس على جميع الموجودات، فيكون الاعتدال الموجود في الحرارة المكونة في ذلك الوقت لا غناء له في النشء. وأما الاعتدال الموجود في زمن الربيع الذي هو المكون فهو وارد على هيولى ملائمة للنشء وهي الرطوبة.

كمل كتاب الصحة بحمد لله كثيرا.

الكتاب الثالث

المـرض

[١- تعريف المرض مفهوم من تعريف الصحة]

١- إن حد المرض مفهوم من حد الصحة. إذ كان مقابله. ولما كانت الصحة هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع أو ينفعل الانفعال الذي له، لزم ضرورة أن يكون المرض حالة في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفعل.

٢- وقد ينبغي أن نفعل أولا في تعرف أنواع المرض ما فعلناه في تعرف أنواع الصحة: فنعرف أولا ما هي هذه الحال وأنواعها، ونعطي أسباب جميع ذلك، ثم نعرف بعد ما الأفعال التي تكون على غير المجرى الطبيعي، وما الانفعال وهو المسمى عند الأطباء عرضا[١]، فإنا أيضا متى فعلنا ذلك نكون قد أحطنا علما بالأمراض بجميع الأسباب الأربعة وهي غاية المعرفة بالشيء.

٣- والوقوف على جميع ذلك، كما قلنا، يكون مما تقدم من معرفة الصحة فإن أنواع المرض معادة[٢] لأنواع الصحة ومفهومة منها. وإن كان يظن أن كثيرا من أنواع الأمراض أعرف من أنواع الصحة؛ لأن كثيرا من الأمراض لها أسماء وليس للحصة المقابلة لواحد واحد منها اسم.لكن لا سبيل هنا إلى معرفة الأمراض بيقين إلا بمعرفة مقابلها. ولذلك قيل: إن علم الأضداد واحد. فلنرجع فنقول:

٤- لما كانت الحال الصحية في العضو صنفين: إما مزاج وذلك في الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وإما تركيب وذلك في الأعضاء الآلية وجب أن نقسم الأمراض أولا إلى هذين القسمين، فنبتدئ نحن فنعرف أولا أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء ،ونعطي أسبابها الفاعلة والمادية.

ثم نعرف بعد ذلك أنواع أمراض التركيب ونعطي أيضا أسبابها فنقول:

[٢-أصناف الأمراض]

٥- لما كانت الأعضاء المتشابهة الأجزاء، إنما تفعل أو تنفعل على المجرى الطبيعي متى كانت مقادير الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فيها هي مقادير صنف

---

(١) أي: أعراض المرض.

(٢) أي: مساوية في العدد.

صنف من أصناف الأمزجة الصحية التي عددت في كتاب الصحة، لزم أن تكون أمراض هذه الأعضاء إنما هو خروجها عن تلك المقادير في كيفية واحدة أو اثنتين مما يمكن أن تتركب.

فتكون أصناف أمراض هذه الأعضاء ثمانية على مذهب جالينوس: إما حارة وإما باردة وإما رطبة وإما يابسة، وإما حارة رطبة وإما حارة يابسة وإما باردة رطبة وإما باردة يابسة. وهذه الأصناف المركبة فقط هي الأمراض على مذهب المشائين.

٦- وهذه الأصناف من الأمراض إنما توجد أولا للأعضاء المتشابهة الأجزاء وثانيا للمركبة من جهة المتشابهة. وذلك كالحال في المزاجات الصحية. وهذه الأصناف الثمانية منها مادية ومنها غير مادية.

إلا أنه يعسر تصور مرض مادي مفرد. بل كل كيفية بها يفعل العضو فعله أو ينفعل انفعاله. كالصلابة واللين وغير ذلك مما يخص بعض الأعضاء؛ لأن كل مرض مادي إنما يضر بالأفعال من قبل مرض غير مادي يحدث في العضو: إما حرارة وإما برودة وينبغي أن نصير إلى إعطاء أسبابها فنقول:

٧- أما الأمراض المادية فأسبابها هي الأخلاط[1] الأربعة إذا خرجت عن الاعتدال، إما في كيفيتها وإما في كميتها. وسبب خروجها في كيفيتها يكون إما من قبل الهيولى، وإما من قبل الفاعل.

وذلك أن الأعضاء إنما تكون على أمزجتها الصحية إذا كان ما يصل إليها من الدم موافقا في الكمية والكيفية.

وإنما تكون بهذه الحال متى كانت الأعضاء الفاعلة للغذاء على أمزجتها الصحية وكانت الأغذية التي ترد البدن أغذية طبيعية واستعملت بالمقدار الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي وعلى الترتيب الذي ينبغي، وموافقة الأشياء التي من خارج والأحوال النفسانية والنوم واليقظة.

٨- وأما إذا كانت الأغذية غير طبيعية واستعملت على غير المقدار الذي ينبغي وفي غير الوقت الذي ينبغي أو على غير الترتيب الذي ينبغي، فإنها ليس تكون

(١) الخلط: هو سائل نظري موجود في الجسم له أهمية كبرى في الطب الجالينوسي والأيورفيدي.

فقط أسبابا هيولانية لتولد مثل هذه الأخلاط في البدن، بل وتكسب الأعضاء الفاعلة للغذاء سوء مزاج حتى يكون تولد الأخلاط الخارجة عن الطبع، وتكون الأشياء التي من خارج تكسب الأعضاء الفاعلة سوء مزاج موافق لتوليد خلط خلط منها. والأشياء التي من خارج هي مثل الأهوية والمهن وغير ذلك.

وقد يجتمع الأمران جميعا وحينئذ أعظم ما يكون تولد أمثال هذه الأخلاط وخروجها في الكمية والكيفية.

وقد يكون ذلك من رداءة مزاج أصلي في خلقة الأعضاء الفاعلة للغذاء. وكثيرا ما يكون سبب هذا المزاج الآباء إذا كانت أمزجتهم منحرفة. وبهذه الاستعدادات الأولى التي في الخلقة ترى كثيرا من الناس متشابهين في الخلقة الظاهرة وفي التدبير، ويختلفون فيما يصيبهم من كثرة الأمراض وقلّتها وفي طول العمر وقصره.

وإذ قد تبين أسباب حدوث هذه الأخلاط بإطلاق، فينبغي أن ننظر كيفية حدوث واحد واحد منها وكم هي الأمراض التي تتولد عنه؟ فنقول:

[٣- في أسباب الأمراض الحارة اليابسة المادية]

٩- إن المرض الحار اليابس إنما يحدث متى كانت الأغذية في أمزجتها أحر مما ينبغي وأيبس، أو كانت قليلة أو متباعدة الوقت: فإن الأغذية التي بهذه الصفة، إذا وردت المعدة والكبد استحالت إلى أحر مما ينبغي وأيبس مما ينبغي مع أنها إلى جانب أنها تكسب المعدة والكبد مثل هذا المزاج فيكون فعلا ذلك بجهتين.

١٠- وإذا كان ذلك كذلك، فيكون الدم المتولد عنها أحر وأيبس مما ينبغي، وتكون الصفراء[١] حينئذ أحر مما ينبغي أو أكثر أو كليهما، فيختل لذلك فعل المرارة: إما أنها لا تفي بما تحتاج إليه من جذب الصفراء، وذلك لخروج الصفراء عن المجرى الطبيعي في الكمية أو في الكيفية أو كليهما، فتبقى الصفراء مبثوثة في الدم فلا تزال الأعضاء إذا تغذت بمثل هذا تخرج شيئا فشيئا عن مزاجها الطبيعي إلى الحرارة واليبس، حتى يتولد فيها أمراض كثيرة. وهذا المعنى الذي يلحق من أمر الأغذية

(١) الصفراء: خلط جلينوسي يرتبط بعنصر النار ويعتبر حارًا وجافًا.

يلحق من الأمور التي من خارج إذا أحرت ويبست الأعضاء الفاعلة للغذاء.

١١- والأشياء التي تفعل مثل هذا المزاج من خارج هي الهواء الحار، والرياضة المفرطة، والسهر، والأعراض النفسانية التي تحر الجسم: مثل الغضب والفكر وغير ذلك.

وأعظم هذه الأسباب فعلا هو الهواء والمهنة.وقد يفعل ذلك استحصاف(١) البدن؛ لأن الحرارة حينئذ تحتقن. وقد يكون ذلك كما قلنا عن مزاج أصلي طبيعي.

١٢-والصفراء غير الطبيعية المتولدة في أبدان المرضى عن هذه الأسباب هي في الأشهر أربعة أنواع:

- أحدها: الشبيه بمح البيض. وجالينوس يرى أن هذا الصنف أحر من الطبيعي وأكثر نارية، وذلك أنه إنما غلظ عنده لفعل الحرارة فيه، قال: ولذلك كان ناري اللون. وأما غيره من الأطباء فإنهم زعموا أن هذا الصنف أقل حرارة، قالوا وسبب الغلظ فيه إنما هو مخالطة البلغم له. وهذا إن كان، كما قالوا، فيجب أن يكون هذا الصنف أقل صفرة من الطبيعية، وجالينوس يزعم خلاف ذلك. ويكون مع هذا فيه نيئية ما و الزوجة ما، لمكان البلغم، وسبيل الوقوف على هذا الخلاف يكون بالحس والمشاهدة لهذه الأعراض.

- والنوع الثاني نوع أصفر. وتولده يكون عن مخالطة الصفراء الطبيعية للرطوبة المائية. وهذا لا خلاف فيه أنه أقل حرارة من الطبيعي لكن الأمراض الحادثة عن هذين الصنفين أعني المحي -على رأي من يرى أنه إنما غلظ لبلغم خالطه- والصفر ليس ينبغي أن تعد في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة، بل في المركبة.

وأما على رأي جالينوس في المحي فالأمراض المتولدة عنه هي الغاية في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة. وأظن أن هذه هي التي يسميها جالينوس المرة الحمراء.

- وأما الصنفان الأخران فهما الزنجارية والكراثية. قالوا: وتولد هذين إنما يكون في المعدة. ولا أعلم جالينوس ينسب هذين الصنفين من الأخلاط إلى الصفراء

(١) أي: استحكام، اشتداد.

البسيطة، بل قد صرح في كتابه "في القوى الطبيعية" أن سائر ضروب الصفراء إنما تتولد عن مخالطة المحية لسائر الأخلاط.

ومما يشهد أن هذين الصنفين من الصفراء مركب أن تولدهما، زعموا، إنما يكون في المعدة، وليس المعدة مما شأنها أن تولد صفراء، لا طبيعية ولا غير طبيعية، فإن الذي شأنه أن يولد الطبيعية هو الذي شأنه إذا انحرف مزاجه أن يولد صفراء غير طبيعية وإذا كان ذلك كذلك فهذه الكراثية والزنجارية ليست صفراء إلا باشتراك الاسم.

ويشبه أن يكون السبب في تولدها إنما هي الصفراء الخارجة عن الطبع جدا في الحر واليبس إذا انصبت إلى المعدة ثم خالطها هناك بعض الأخلاط.

وبخاصة السوداء، فتعفنت هنالك ضربا من التعفن، وحدث لها مثل هذا المزاج. ولذلك أمثال هذه الأخلاط في طباع السموم، وبخاصة، زعموا، الزنجارية. والأمراض المتولدة عنها لا يكاد يتخلص منها لأنها لا تجيب إلى النضج ولا تنفعل عن الحرارة الغريزية، بل تضادها بصورتها الطبيعية كما تضادها السموم. وهذه الأخلاط، كما قلنا: إذا تكونت في البدن حدثت عنها أمراض شتى ،ومن أكثر ذلك حدوثا وأشهرها هي الحميات الصفراوية والأورام الصفراوية.

وينبغي أن نقول: كيف تولد هذين الجنسين عنها؟ فنقول:

[٤- الحميات الصفراوية]

١٣-أما الحميات[١] فيظهر أنها حرارة تعم البدن مضرة بجميع أفعال الأعضاء وانفعالاتها، فمن حيث إنها مضرة بأفعال الأعضاء وانفعالاتها نرى أنها حرارة غريبة، ومن حيث إن لها أيضا أفعال الحرارة الغريزية.

وذلك أنها تنضج الأخلاط ويكون عنها البرء. وبالجملة فليست هي مثل الحرارة الغريبة التي تكون في أبدان الموتى. قد نرى أيضا أنها طبيعية. ولذلك الحق

---

(١) الحمى: حرارة غير طبيعية تنبعث من القلب في العروق إلى سائر البدن وتضر بالأفعال الطبيعية وهي في الأصل ثلاث: حمى يوم تأخذ في الروح وكثيرا ما يكون سببا للنوعين الآخرين. وحمى دق تأخذ في الأعضاء المتشابهة الأصلية الصلبة الباطنة وحمى عفن تأخذ في الأخلاط.

من أمرها أنها حرارة طبيعية خالطتها عفونية ما، فاشتدت بذلك كيفيتها.

ومن حيث أيضا إن هذه الحرارة تعم جميع البدن وتنتشر فيه، وكان هذا من فعل الحرارة التي في القلب المنبثة في الشرايين إلى جميع البدن، حكمنا أن الموضوع الأقرب لهذه الحرارة هو القلب.

وأيضا فلما كانت حرارة القلب هي التي بها تفعل جميع الأعضاء أفعالها. وكان الضرر الداخل على جميع أفعالها إنما هو ضرورة من تغير مزاج هذه الحرارة. وإذا كان ذلك كذلك فحد الحمى إذن هو أنها حرارة ممتزجة من الحرارة الطبيعية والحرارة العفونية تنبعث في جميع البدن من القلب فتضر بجميع الأفعال والانفعالات.

وإذا حققنا قلنا إن هذه الحرارة هي تغير الحرارة الطبيعية في كيفيتها وكميتها لفعل منها في مادة غير طبيعية.

وإذ قد تبين ما هي الحمى بإطلاق، فينبغي أن ننظر في تولد أمثال هذه الحرارة في البدن، فنقول:

١٤ - إن أسبابها هي بعينها أسباب تولد الحرارة الغريبة، لكنها على التنصف وإلا كانت حرارة غريبة محضة.

وقد تبين في الرابعة من الآثار[1] ما أسباب تولد الحرارة الغريبة وكيف تولدها؟

وذلك أنه قيل هنالك إن الفاعل للعفونة سببان:

أحدهما: فاعل بالذات وعلى القصد الأول، وهي الحرارة التي من خارج.

وذلك أن من شأن هذه الحرارة أن تبدد الحار الغريزي، وبخاصة إذا اشتدت كيفيتها كالحال في زمن الحر.

فإذا تبددت الحار الغريزي المستولي على الهيولى حدثت هناك في هيولاه حرارة غريبة. وبخاصة متى كانت رطبة: فإن الرطوبة سهلة الانفعال عما من خارج عسرة الانفعال من ذاتها. وأما السبب الفاعل لذلك على القصد الثاني فهي البرودة.

وذلك أنه متى غلبت على الحرارة الغريزية أطفأتها فتولدت في هيولاها من الحرارة التي من خارج حرارة غريبة.

(١) أي كتاب الآثار العلوية لأرسطو.

وبالجملة تبين هناك أن الموجود الطبيعي إنما ينحفظ بقاؤه ما دامت القوى الفاعلة تقهر المنفعلة وتستولي عليها.

وأعني بالفاعلة الحرارة والبرودة وبالمنفعلة الرطوبة واليبوسة.

وأما إذا ضعفت عن تدبيره. وفعلت فيه القوى التي من خارج. صار في طريق الفساد.

١٥ — والأسباب المعينة في بدن الحي على تولد أمثال هذه الحرارة فيه، هي ضرورة الأسباب المعينة على إطفاء الحرارة الغريزية. وذلك إما استعداد الموضوع فقط لتكون الحرارة الغريبة، كالحال في الدم إذا تولدت فيه صفراء خارجة عن الطبع في كميتها وكيفيتها، وإما بكثرة الدم وغلظه ولزوجته، فيبرد الحرارة الغريزية ويطفئها بمنزلة الحطب الكثير الأخضر إذا وضع على النار.

والسدد الحادثة عن أمثال هذه الأخلاط مما يعين على ذلك، فإنها تمنع الحرارة الغريزية من أن تتنفس فيعتريها ما يعتري النار التي لا تتنفس، فإنها لا تلبث أن تنطفئ أو تضعف.

وذلك بين من فعل الذين يعالجون عمل الفحم، فإنهم يغطونه بالتراب لئلا تسري النار في جميع أجزائه فيترمد.

وإذ قد تبين ما هي الحمى بإطلاق وما أسباب تولدها فقد يمكننا أن نقف على جهة تولد الحمى الصفراوية فنقول:

١٦ — إن أملك الأسباب في تولد هذه الحمى في أبدان الأحياء يكون لتزيد مزاج الدم في الحرارة واليبس، واستعداده لأن يتولد فيه مثل هذه الحرارة أو استعداد فضلات الهضم الأخير التي في الأعضاء.

وأما الغلظ أو اللزوجة أو السدد فليس تتصور ههنا، اللهم إلا في الصفراء المُحَّيَّة أو من جهة الكمية.

وينبغي أن تعلم أنه ليس في بدن الحي صفراء محضة على أنها جزء عضو منه، على ما سلف من قولنا، إلا الصفراء الموجودة في المرارة أو ما تدفعها الطبيعة من الأعضاء أو الدم عند تميزها.

ولذلك ليس يمكن أن يتوهم الموضوع لهذه الحميات الصفراوية هي صفراء محضة، بل إنما هو دم ورطوبة الصفراء أكثر أجزائه، وبذلك أمكن أن تقبل النضج وتصير إلى الحال الطبيعية.

فمتى تميزت منه صفراء محضة دفعتها الطباع.

وما أمكن فيه أن يقبل النضج تغذت به الأعضاء.

وليس يمكن في الصفراء نضج بتة ولا فيها جزء تتغذى به الأعضاء أصلا.

وإذا لم يكن ذلك في الطبيعة فكم بالحري أن لا يكون ذلك في غير الطبيعة،وإنما هذا الرأي من آراء الأطباء مبني على رأيهم أن هذه الأخلاط الأربعة اسطقسات المتشابهة الأجزاء، وقد بينا الأمر في ذلك في كتاب الصحة.

١٧ — ولما كانت الحرارة الغريبة إنما تتولد في الرطوبة الخارجة عن الطبع، مع ضعف الحرارة الغريزية، لا مع زيادتها كما ظن جالينوس، إذ كانت هي أسرع إلى التعفن، إن قلنا إن كل حرارة غريبة عفونية فإن فيه نظر.

وذلك أن كل حرارة غريبة فإنها تتولد عند أرسطو أولا وبالذات إما عند الحر وإما عن البرد.

فإذا ضعفت الحرارة الطبيعية من البرد غلبت الرطوبة، فتعجز الحرارة الغريزية أن تستولي على الرطوبة فيعرض العفن إذا كانت غير منحصرة من ذاتها بل من غيرها، وأما إذا كان سبب الحرارة الغريبة الحر فإن الذي يعرض هو الشيء والاحتراق لا العفونة، فلذلك ليس يلزم ضرورة أن تكون كل حرارة غريبة عفونية ولا كل حمى، وبخاصة المحرقة.

فإن كانت الحرارة الغريبة في المواضع التي فيها الهضم، أعني في فضلاتها، نضج وطبخ من الأغذية، وصار جزء عضو بالفعل، إذا اجتمعت هنالك فضلات خارج عن الطبع حارة منسوبة إلى الصفراء.

إما في الكيفية أو الكمية أو كليهما.

وكانت الرطوبة الصفراوية في البدن إنما توجد في مواضع الهضم.

وكانت أعظم هذه المواضع إما الموضع الذي فيه الهضم الثاني وهو الكبد والعروق.

وإما موضع الهضم الثالث وهي التي في الأعضاء نفسها.

ولا يبعد أن يكون أمثال هذه الفضول في الهضم الأول، كانت هذه الحميات صنفين:

صنف يكون في العروق وصنف يكون في الأعضاء أنفسها.

أعني في مواضع الهضم منها لا في أنفسها، وسنبين في كتاب العلامات الفصول التي ينفصل بها هذان الصنفان من الحمى.

١٨ — وهذه الحميات يلفى لها فصول أخر أيضا من قبل الأخلاط الصفراوية التي هي أسباب تولدها.

وذلك أن منها ما ينسب إلى الصفراء الخالصة وهي التي تعرف بالغب[1] الخالصة.

ومنها ما ينسب إلى الصفراء غير الخالصة وستأتي العلامات التي ينفصل بها بعضها من بعض.

وإذ قد تبين ما هي هذه الحميات الصفراوية وكم أنواعها فينبغي أن نقول في الأورام الصفراوية.

٥ - الأورام الصفراوية

١٩ — والورم بالجملة إنما يحدث عن مثل هذه الأخلاط في عضو عضو على أحد وجهين:

إما أن يندفع إلى ذلك العضو من ذلك الخلط ما لا يفي ذلك العضو بهضمه، حتى يعرض لذلك العضو أن يتزيد في أقطاره.

ولذلك يظن بالورم أنه مركب من أمراض المتشابهة الأجزاء والآلية على ما سيظهر بعد.

وسبب اندفاع هذا الخلط يكون لوفور القوة الدافعة في العضو الدافع وضعفها في المندفع إليه.

وقد يعين على ذلك سعة المجاري والوضع: مثل أن يكون العضو الدافع فوق المندفع إليه، وبخاصة متى كان الخلط أرضيا غليظا. فإذا اندفع هذا الخلط إلى عضو انغمرت هنالك الحرارة الغريزية وتولدت حرارة غريبة إن لم يكن الخلط في غاية اليبوسة. فإن كان الورم في عضو رئيس اتصلت تلك الحرارة الغريبة بالقلب وكانت الحمى، وإن كان في عضو غير رئيس لم تكن حمى.

وأما الوجه الثاني من تكوُّن هذه الأورام فإنه يكون متى ضعف العضو عن

---

(١) حمى الغب: هي حمى تعرض عن عفن صفراوي داخل العروق والأوراد وهي التي تغيب يومًا وتنوب يومًا.

هضم ما يصل إليه من الغذاء، إما لخروجه في الكمية وإما في الكيفية ولم يقدر على دفعه: فإنه إذا كانت حال العضو مع ما يصل إليه هذه الحال لم تزل المادة تكثر في ذلك العضو حتى يعظم في أقطاره وتنطفئ حرارته. فتحدث هنالك حرارة عفونية.

٢٠ — والأورام الصفراوية، أعني التي الغالب عليها خلط صفراوي، والحادثة على هذا الوجه ضربان:

الضرب المسمى حمرة[1]، وهذا يظهر من أمره أن فيه خلطا دمويا صالحا لمكان الحمرة الظاهرة فيه، وليس يحدث منه في العضو كبير تزيد.

والضرب الآخر المسمى نملة، وهذا الخلط الصفراوي فيه أكثر تمييزا، ولذلك صار يقرح الأعضاء ويأكلها.

وهذا منها ما يكون التأكل الحادث عنه في الجلد فقط، ومنها ما يكون في نفس الأعضاء، وهذا أشر الصنفين، وربما استكن هذا الخلط في تجويف عضو فأضر بفعله مثل المعدة والأمعاء، على ما سنبين بعد، من غير أن يورمه.

٦ - القول في الأمراض الباردة الرطبة المادية

٢١ — وحدوث هذه الأمراض إنما يكون ضرورة عن خروج الخلط البلغمي في الكمية والكيفية.

وأسباب خروج هذا الخلط في بدن الحيوان هي بعينها أضداد أسباب خروج المرة الصفراء، وأنت فقد يمكنك أن تفهم المقابل من مقابله.

وأشهر الأمراض المتولدة عنه هي الحميات البلغمية والأورام البلغمية، إلا أن الذي يعين على تولد هذه الحمى، أكثر ذلك في بدن الحي من هذا الخلط، هي السدد الحادثة عن غلظه ولزوجته، وبالجملة إنما تحدث العفونة فيه من حيث تطفئ الحرارة الغريزية.

كالحال فيما يلقى على النار من الحطب الأخضر. والحمى أيضا، المتولدة عن هذا الخلط تكون في العروق وفي موضع الهضم الثالث.

٢٢ — وهذا الخلط، الخارج عن الطبع في كيفيته، أربعة أصناف:

١ — إما مالح.

٢ — وهو أيبس من الطبيعي الذي هو حلو، فإن الملوحة إنما تتولد عن جوهر

---

(١) الحمرة: داء يعتري الناس فيحمر موضعه ويرم.

أرضي محترق تخالطه رطوبة ما على ما يشاهد من تكون الأملاح.

٣ – وإما حامض، وهذا مع أنه يابس هو بارد، فإن الحمضة إنما تكون عن البرودة. ولذلك ما ترى الفواكه تحمض أولا، ثم تحلى ثم تطيب.

٤ – وأما الصنف المعروف بالزجاجي، فهذا هو أردأ أصنافه، إذ كان فيه مع البرد غلظ مفرط.

وأصناف الحميات المتولدة من البلغم تختلف بحسب هذا الاختلاف، لكن أصناف البلغم أكثر إمكانا فيها قبول النضج من الصفراء وإنما صارت حمياتها أشد خطرا من حميات الصفراء لغلظ هذا الخلط وتسديده، وأن العفونة لا تكاد تنفك منه لرطوبته إلا زمانا يسيرا على ما سيقال بعد.

٢٣ – وأما الأورام البلغمية فمنها ما يحدث عن بلغم رقيق، وربما كان ريحيا أكثره كالذي يكون في أطراف المستسقين.

ومنها ما يحدث عن بلغم غليظ مثل الأورام المسماة خنازير، وهي أورام تحدث إما في اللحم الرخو الذي في العنق أو في الأربيتين أو في الإباط أو في المادة المحتقنة في هذه الأورام كأن لها غشاء خاصا، ومنها العقد الغددية وهي أورام في مقدار البندقة أو الجوزة تحدث في المواضع من اللحم.

وقريب من هذا الجنس هي الثآليل، وكأنها مسامير العقد الغددية.

ومن الأورام الرديئة المنسوبة إلى غلظ الأخلاط الخارجة عن الطبع الأورام المسماة دبيلات، وهذه الأورام توجد محتوية على مادة شبيهة بالحمأة أو الزبل أو عكر الزيت أو الطين أو الفحم، وهذه الأورام أكثر ذلك إنما هي مركبة من الخلطين الأسود والبلغم.

٢٤ – ومن الأورام المنسوبة إلى البلغم جنس الأورام المسماة سلعا، وهي كما زعموا أصناف أربعة الشحمية والعسلية والأزدهاجية والشيرازية: فالشحمية تتولد من بلغم غليظ، والعسلية تكون عن بلغم عفن وتحتوي على مادة شبيهة بالعسل، والأزدهاجية والشيرازية تحدث عن بلغم مثل البلغم الذي تحدث عنه العسلية.

وإنما سميت بهذه الأسماء من الشبه الذي بين هذه المواد التي تلفى فيها وبين ما اشتقت لها منها هذه الأسماء.

والأزدهاج هو الحسو المتخذ من الدقيق، والدبيلات هي أيضا منسوبة إلى هذا الخلط وقد يحدث عن هذا البلغم أمراض كثيرة سنخبر بها عند تصنيفنا الأعراض التي تلفى لأفعال الأعضاء وانفعالاتها.

٧ – في الأمراض الباردة اليابسة المادية

٢٥ – وهذه الأمراض إنما تتولد عن الأخلاط السوداوية إذا خرجت عن الطبع في كميتها أو كيفيتها أو كليهما.

والأشياء المخرجة لهذه الأخلاط هي، كما قلنا غير ما مرة:

إما المواد الشبيهة به وهي الأغذية الباردة اليابسة أو الحارة اليابسة.

وإما خروج أمزجة الأعضاء الفاعلة للغذاء إلى البرد واليبس أو الحر المفرط واليبس وخروج أمزجة الأعضاء يكون من الأشياء التي من خارج كالهواء والمهن وقد يجتمع الأمران جميعا.

وقد يكون ذلك شيئا في أصل الخلقة، ولا سيما في كثير من العلل التي تتولد عن هذا الخلط، كالجذام وغير ذلك.

وأكثر ما يعتري ذلك من على جهة الإرث عن الآباء. فمثل هذه إذا كثرت في البدن لم يف الطحال بجذبها، وذلك لخروجها إما في الكمية وإما في الكيفية أو كليهما.

فتشيع في الدم فلا تزال الأعضاء تتغذى بها حتى تحدث عن ذلك أمراض صعبة عسيرة البرء، فإن هذا الخلط أشد شيء منافرة للطباع.

٢٦ – والسوداء غير الطبيعية في الكيفية صنفان: صنف يتولد عن احتراق المرة السوداء الطبيعية، وصنف يتولد عن احتراق الصفراء الخارجة عن الطبع. وهذان الصنفان فاعلهما حرارة ويبس، وهما في طباعهما باردان قد خالطتهما حرارة غريبة جدا، خارجة عن الطبع.

ويدل على هذا المزاج منهما الحمضة الموجودة فيهما، وأنهما إذا صبا على الأرض أحدثا نفاخات وغليانا، كما يغلي الخل.

وكلا هذين الصنفين أكال للأعضاء، مقرح لها، وبخاصة الذي يكون عن احتراق الصفراء.

٢٧ – والأمراض الحادثة عن مثل هذه الأخلاط، منها حميات ومنها أورام.

والحميات المتولدة عنها منها ما هي في مواضع الهضم الثاني وهي العروق، ومنها ما هي في الأعضاء أنفسها أعني في مواضع الهضم الثالث منها.

وأسباب تولد هذه الحميات من هذه الأخلاط هي بعينها أسباب تولد سائر الحميات، ويعين على هذه الأشياء انسداد المسام وغلظ الخلط وعسر نضج.

وأما الأورام الحادثة عنها فمثل الورم المسمى سفيروس، وهو يتولد عن الخلط

السوداوي الطبيعي، ومنها الورم المسمى سرطانا.

وهذا الورم صنفان: منه ما يكون بغير تآكل، وحدوث هذا عن السوداء الطبيعية، ومنه ما يكون معه تآكل، وحدوث هذا يكون عن السوداء غير الطبيعية.

وربما انتشر هذا الخلط في جميع الأعضاء فحدث عنه المرض المسمى جذاما. ولذلك قيل في الجذام إنه سرطان عام. وهذا أيضا نوعان: منه ما لا يكون معه تآكل، ومنه ما يكون معه تآكل، وهو المتولد عن السوداء الخارجة عن الطبع.

٨ – في الأمراض الحارة الر ـبة المادية

٢٨ – وهذه الأمراض إنما تحدث عن خروج الدم عن الطباع: إما في كميته وإما في كيفيته، لكن خروجا قليلا؛ لأنه متى خرج خروجًا كثيرًا نسب ذلك المرض إلى طبيعة الخلط الذي خرج إليه؛ لأنه إذا استحر أكثر مما ينبغي فإنما يكون ذلك لمكان ظهور الخلط الصفراوي فيه ووفوره. ولذلك ينسب حينئذ ذلك المرض إلى ذلك الخلط وكذلك إن برد جدا ورطب نسب إلى البلغم.

٢٩ – وينبغي أن تعلم، كما قلنا، أن هذه الأمراض البسيطة ليست موجودة عن هذه الأخلاط صرفا، وبخاصة ما كان منها لا يجيب إلى النضج ولا يقبله.

ومهما قربت الأمراض من أن توجد عنها صرفا قتلت ضرورة وبخاصة السوداوية والصفراوية، إذ كانت هذه من شأنها أن لا تقبل النضج.

وإنما معنى البساطة ههنا فيها نسبتها إلى الخلط الأغلب، كما أن معنى التركيب فيها إنما هو نسبتها إلى ظهور خلطين من هذه الأخلاط أو أكثر من ذلك فيها.

والأمراض المتولد عن الدم هي أيضا في الأكثر حميات وأورام، والحميات المتولدة عنه صنفان إما حميات حادثة من قبل تزيده في الكمية فقط، فإنه إذا تزيدت كميته جدا انسدت المسام وكثرت الحرارة فأصابت منه هذا النوع من الحمى.

وليس في هذه الحمى في أول حدوثها حرارة عفونية، لكن إن تروخي في علاجها حدثت فيها ضرورة.

وهذا الصنف من الحميات كأنه متوسط بين الحمى العفونية وحمى يوم، المتولدة في الأرواح، والصنف الآخر من هذه الحميات هي التي تكون مع عفونة ما.

وهذا النوع من الحميات أعني الدموية إنما تكون في العروق فقط، إذ كان ليس في البدن دم إلا محمول في العروق، وجميعها تسمى مطبقة من قبل أن ليس لها نوائب.

وأما الأورام الحادثة عن هذا الخلط ومنها الورم المسمى فلغموني وحدوث هذا

الورم إنما يكون عن خروج هذا الخلط في الكمية أكثر ذلك.

وقد يعين على حدوثه الأسباب التي من خارج بمنزلة الرض والقطع وحرق النار وغير ذلك.

وهذا الورم يختلف بقدر غوره في الجسم وقلة غوره. وأخفه ما كان قليل الغور.

وأما إذا كان الدم المنصب إلى العضو قد خرج في كيفيته خروجا يسيرا فإنه يحدث الورم المسمى حمرة خالصة.

وإنما سميت بذلك لأن ههنا حمرات تحدث عن اختلاط الدم بالمرة بالصفراء المحترقة، وهو أشد أصنافها خطرا.

٣٠ - والأورام بالجملة ينبغي أن يعلم من أمرها أنها تختلف من جهة الأعضاء الحادثة فيها، وأنها متى حدثت في عضو رئيس يتبعها ضرورة مرض آخر وهو الحمى.

والحميات التي تكون عن الأورام الفلغمونية عظام جدا.

وربما حدثت أورام فلغمونية عظام جدا في الإباط أو في الأربيتين أو خلف الأذن.

فدلت على عفن عظيم في الدم، وبخاصة ما كان منها في الإباط؛ لأن فضول القلب هنالك تندفع. ولذلك تسمى مثل هذه الأورام طواعن. وربما حدثت في هذه المواضع أورام عن ضربات تكون في أطراف الجسم، أو أورام في غيرها من المواضع. وهذه فلا خطر فيها لأن هذه الأماكن لما أعدتها الطبيعة مغيضا للفضول.

وكانت رخوة جدا، صار متى اعتل عضو في البدن دفع إليها بقدر طاقته، فترم[1] هي لأدنى ورم يكون في الأطراف أو ما يجاورها، لأن في كل عضو كما قيل قوة دافعة.

٣١ - والجدري والحصبة من الأمراض الدموية.

وهذان النوعان من الأمراض لما كانا يصيبان جميع الناس في وقت النشء لم يكن أن يظن أن سبب ذلك هي الأغذية.

وبالجملة الأشياء التي من خارج: إذ الأمراض المتولدة عن هذه ليس تصيب جميع الناس.

وهذا المرض كأنه شيء طبيعي، أي لاحق ولابد، فجعلوا سبب ذلك التغيير ما

---

(١) ورم يرم. قال ابن النفيس في الموجز: أردؤها الأسود، ثم البنفسجي ثم الأخضر، ثم الأحمر، ثم الأصفر، ثم الأبيض، وأسلمها الأبيض الكبير الحجم القليل العدد السهل الخروج بغير كرب ولا حُمر قوية انظر: (ص٣٠٠).

يكون من المادة الرديئة المحمولة في الدم الذي يغتذي به الجنين في زمان الحمل.

وهذا المرض يكون معه ضرورة حمى دموية، وربما كان هذا المرض قتالا إذا كان الدم المتولد عنه دما فاسدا جدا.

٩ – القول في الأمراض المركبة المادية

٣٢ – وينبغي أن تعلم أنه قليلا ما توجد هذه الأمراض التي وصفناها عن الأخلاط في الغاية من البساطة التي وصفناها وجعلناها أسبابًا لمرض مرض من الأمراض المتولدة عن خلط خلط، بل إنما تلفى أكثر ذلك مركبة من أكثر من خلط واحد من هذه الأخلاط وتركيبها يكون: أما في الأورام فعلى جهة المزاج وأما في الحميات فقد يكون على جهة المزاج وقد يكون على جهة التجاور، مثل أن يتفق أن يكون بإنسان واحد حمى صفراوية في مكان من جسمه، وحمى بلغمية في موضع آخر.

ويتفق أن تكون نوبتهما واحدة والمختلطة منها ما هي محضة الاختلاط، ومنها ما هو أولى أن يسمى تركيبا منه اختلاطًا، وإذا كان كذلك اشتركت في العلامات والخواص التي تخص البسائط.

٣٣ – وهذا الامتزاج والتركيب في الأخلاط يحدث أنواعا كثيرا من الاختلاط تكاد تكون غير متناهية.

ولما كانت الحمى يلفى فيها هذان الصنفان من التركيب أمكن أن توجد حميات مختلطة.

ليس من نوعين فقط من الأخلاط، بل من نوع واحد، وذلك إذا كانت في موضعين من البدن مختلفين.

وأشهر الحميات المركبة هي الحمى المعروفة بشطر الغب.

وهي أصناف، وهي بالجملة إنما تتولد عن البلغم والصفراء، فمنها ما يتركب عن حمى بلغمية(١) في العروق وصفراوية في موضع الهضم الأخير، ومنها ما يتركب عن صفراوية داخل العروق، وبلغمية في موضع الهضم الأخير.

ومنها ما يتركب من بلغيمة وصفراوية في موضع واحد، وذلك إما في العروق وإما في موضع الهضم الأخير.

٣٤ – والحميات تختلف بقدر الكمية والكيفية، مثل الحميات التي تسمى محرقة،

---

(١) الحمى البلغمية: انظر: الموجز في الطب لابن النفيس (ص: ٢٨١).

ومثل الحمى البلغمية التي يكون فيها الحر والبرد معا في باطن الجوف، وهي المتولدة عن البلغم الزجاجي.

ومثل الحمى البلغمية أيضا، التي يجد صاحبها حرارة شديدة في باطن جوفه، وملمسه فاتر، وربما كان ظاهر البدن فيه برد شديد. وهذه تسمى الزمهريرية.

٣٥ - فهذه هي أشهر الأمراض المتولدة عن الأخلاط الأربع. ولجميع هذه الأمراض أوقات أربعة: ابتداء وتزايد وانتهاء وانحطاط.

أما زمان الابتداء فهو الزمان الذي يظهر فيه المرض بالفعل من غير أن يبدو للطبيعة فيه فعل ما، فإذا ابتدأ الخلط ينضج وظهر فعل الطبيعة فيه فهو زمان التزيد. وإنما سمي زمان التزيد لأن الأعراض فيه تشتد.

فإذا انتهى النضج فهو زمان الانتهاء، وهو أشد وقت تظهر فيه المقاومة بين المرض والخلط.

فإذا استولت الطبيعة على الخلط وقهرته سمي زمان الانحطاط.

٣٦ - ومن الأمراض ما يتحلل الخلط فيها من غير استفراغ محسوس، حتى تكون الصحة.

ومنها ما تتحلل فيه القوى شيئا شيئا حتى يؤول ذلك إلى الموت.

ومنها ما تكون الصحة أو الموت فيها باستفراغ محسوس من الطبيعة، وحركة عنيفة في زمان قصير وهو المسمى بحرانا[1].

والذي تكون الصحة به نوعان:

أحدهما: أن يكون ذلك الاستفراغ يقع فيه برء تام.

والثاني: أن تبقى بعد من المرض بقية حتى تتحلل ويقع البرء.

وكذلك يوجد هذان النوعان في البحران الرديء، أعني أن منه ما يقع فيه الموت دفعة، ومنه ما يؤول الأمر فيه بعد إلى الموت، والبحارين إنما توجد في الأكثر في الأمراض الحادة، وهي الأمراض التي يكون انقضاؤها في زمن يسير.

ولما كانت البحارين إنما تكون بعد نضج ما. وذلك إما تام كما يكون في البحارين المحمودة وإما غير تام.

وكان النضج إنما يتم في زمان ما، طوله على مقدار نسبة الفاعل إلى القابل.

---

(١) انظر: الموجز لابن النفيس (ص: ٢٩٠).

فإنه ليس في أي زمان اتفق ينفعل أي منفعل اتفق عن أي فاعل اتفق، بل لكل منفعل زمان خاص، بإضافة نسبة الفاعل إلى المنفعل.

وذلك ظاهر في الأمور الصناعية، فإن مقادير أزمنة النضج في الأشياء التي تعالج بالمهنة مختلفة.

٣٧ — ولما كان ذلك كذلك، وطال إحساس الأطباء للأمراض، وقفوا منها على الأزمنة التي يكون فيها النضج، إما محمودا وإما مذموما، وهي الأيام التي تسمى أيام البحران.

إلا أنه لما كان النضج المحمود فعلا تاما من الطبيعة كان زمانه في الأكثر محدودا. وأما النضج الذي هو غير تام فله عرض.

فلذلك ليس صدق البحارين غير المحمودة كصدق البحارين المحمودة في الإنذارات الدالة عليها. وقد رأى قوم أن سبب كون هذه البحارين تجري على نظام وترتيب هو القمر.

وأنت فينبغي لك أن تعلم أنه وإن كان سببا فإنما هو سبب بعيد. والسبب القريب في ذلك هو ما وصفناه.

٣٨ — والموت يكون في الأزمنة الأربعة، فقد يكون في الابتداء وذلك لغلبة الأخلاط الحرارة الغريزية وإطفائها دفعة واحدة، إما بكميتها وإما بكيفيتها وإما بكليهما، وقد يكون أيضا في التزيد وفي الانتهاء وفي الانحطاط.

ومعنى الانحطاط في الأمراض التي يكون فيها الموت إنما هو من ضعف القوة، لا من ضعف المرض، كالحال في الانحطاط الذي يئول بصاحبه إلى الصحة، فإن الانحطاط ههنا إنما هو باستيلاء القوة على المرض. وهذا المقدار من القول في الأمراض المادية وإعطاء أسباب تكونها كاف بحسب غرضنا في الإيجاز. وينبغي أن نقول في الأصناف غير المادية.

١٠ — القول في الأمراض غير المادية

٣٩ — وهذه الأمراض لما لم تكن أسبابها الأخلاط كانت موضوعاتها ضرورة هي إما الأعضاء وإما الأرواح، وكان فاعلها أحد أمرين: إما الأشياء التي من خارج وإما الأمراض المعدية. ونحن نعدد من ذلك أشهره.

في المرض الحار اليابس:

٤٠ — والأمراض الحارة اليابسة منها ما يكون في الروح الذي في القلب فقط.

وهذا المرض هو المسمى بحمى يوم.

وإنما سمي بذلك لقلة لبثه، وأسباب هذا النوع من الحميات هي الأشياء التي من خارج، وهي بالجملة منحصرة في أربعة أجناس:

أحدها: الأشياء التي تلقى ظاهر البدن من خارج؛ وهذه أقسام: منها بالذات ومنها بالعرض. والذي بالذات منه بالقوة ومنه بالفعل.

أما الذي بالذات وبالفعل فمثل لقاء النار والشمس. وبالجملة الأشياء الحارة بالفعل من خارج. وأما الذي بالقوة فمثل الاستحمام بماء فيه أدوية حارة بالقوة بمنزلة ماء الكبريت وغير ذلك. وأما التي بالعرض فما يكثف المسام حتى تشتعل الحرارة داخل الجسم، كالاستحمام بماء الشب وغير ذلك.

والجنس الثاني: الأشياء التي ترد باطن البدن بمنزلة الأغذية الحارة والأشربة الحارة.

والثالث: الحركة المفرطة، إما للبدن بمنزلة الرياضة الشاقة وإما للنفس بمنزلة الغضب والهم والأرق.

والرابع: الأمراض التي تعرض في ظاهر الأعضاء من الأسباب التي من خارج مثل الأورام التي في الأربيتين وفي الإباط، بسبب قروح في اليد أو في الرجل.

٤١ — ومن هذه الأمراض الحميات المسميات بحمى الدق.

وهذه الحمى هي حرارة غريبة قد تمكنت في الأعضاء أنفسها حتى عاقتها عن أفعالها الطبيعية. ولها عرض ثلاث مراتب تختلف فيها أعراضها بالأقل والأكثر: فأخفها هي التي تشبثت الحرارة الغريبة فيها بالرطوبات الطبيعية التي في العروق الصغار أنفسها، ثم يتلو هذا أن تكون الحرارة في الرطوبات التي في اللحم نفسه الذي يمكن أن يعود بدل ما تحلل منها بالغذاء، ثم يلي هذه، وهو أشدها، أن تكون الحرارة في الرطوبات الأصلية التي في الأعضاء، وهي التي ليس يمكن أن يخلف الغذاء ما تحلل منها، بل مقادير أعمار الناس الطبيعية، إنما هي بقدر وفور هذه الرطوبة في شخص شخص.

وحدوث هذا الصنف الأول من الحميات يكون في الأكثر عن حمى يوم.

وأما الصنفان الأرديان فحدوثهما إنما يكون في الأكثر عن الحميات الخلطية.

في الأمراض الباردة اليابسة:

٤٢ — وأما الأمراض الباردة اليابسة فمنها المرض المسمى شيخوخة، وهو استيلاء البرد واليبس على الأعضاء.

وذلك أنه لما كان فاعل الحياة إنما هو الحرارة والرطوبة كان هذا المرض لازما

للشيوخ ضرورة.

لكن إنما سمي مرضا، أكثر ذلك، إذا عرض لمن هو في غير سن الشيوخ.

وأما مرض حار رطب في غير مادة، فيعسر وجوده. وكذلك بارد رطب. وأما يابس مفرد، أو بارد مفرد، أو رطب مفرد أو حار مفرد، فقد يمكن ههنا أن يتصور وجودها إذا سلمنا وجود مرض مادي مفرد.

وسنعدد جميع ذلك عند إعطاء الأشياء الضارة بالأفعال والانفعالات.

وإذ قد تبين كم أنواع الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة وأسبابها، فقد ينبغي أن نشرع أيضا في أمراض الأعضاء الآلية.

١١ – القول في أمراض الأعضاء الآلية

٤٣ – ولأنه قد سلف من قولنا إن صحة هذه الأعضاء الآلية تكون في الكيفية التي في الكمية وفي الوضع وفي حال المشاركة – وذلك أن هذا هو جنس مفرد بعينه لا راجع إلى الأجناس الأربعة التي يذكرها الأطباء وهو داخل في مقولة الإضافة كما أن الأغشية والجلد داخلة في مقولة «له»[١] فأجناس الأمراض توجد في خمس مقولات: في الكيف. وفي الكم المنفصل والمتصل، وفي الوضع، وفي مقولة «له» وفي الإضافة.

والاتحاد والانفصال هو من لواحق الكم المنفصل: وذلك أن الكم العددي ينقسم إلى وحدة وإلى كثرة.

ثم يوجد هذا للكم المتصل بتأخير، وأما الترتيب الذي يوجد في الأعضاء الآلية، والتقديم والتأخير، فهو من لواحق المقولات.

٤٤ – وينبغي أن تعلم أنه ليس في كل جنس من أجناس الصحة يدخل المرض، مثل الترتيب الذي في طبقات العين، وفي أكثر الأعضاء الآلية. فإنه لا يلحقه مرض بأن يرجع المتقدم متأخرا.

وأما الاتصال والانفصال وكيفية ذلك فقد تدخل في أجناس الأمراض وجنس المشاركة لا يدخل في الأمراض أنفسها. وأما أمراض الأعضاء بذاتها فتدخل على الأعضاء بسبب أمراض الأعضاء المشاركة لها:

فالمشاركة هي أحرى أن تعد في أسباب الأمراض منها في أجناسها.

---

(١) الملكية.

وأما الجنس من المرض الذي هو مقابل الاتصال الطبيعي، وهو المرض المعروف بتفرق الاتصال، فهو في الحقيقة قسمان:

تفرق اتصال حقيقي، وهو الاتصال الموجود في العضو المتشابه الأجزاء؛ وهذا الجنس من المرض ينبغي أن يكون خاصا بهذه الأعضاء، وذلك أن مثل هذا التفرق إنما يوجد للآلي من أجل المتشابه.

والقسم الثاني تفرق الاتصال الذي يكون بين أجزاء العضو الآلي، أو بين الأعضاء الآلية أنفسها. وهذا الاتصال يكون بالمماسة والتداخل وبالربط. وهذا هو أحد أنواع الأجناس التي عددناها من أمراض الأعضاء الآلية، وهو جنس مشاركة اتصالها وانفصالها وكيفية ذلك.

فلذلك ليس تفرق الاتصال، كما يقول الأطباء، مرضا مشتركا للأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية، بل معنى التفرق فيهما معنيان اثنان.

٤٥ — ولما كان جنس الصحة الذي يكون في الكيفية يكون في الشكل وفي المنافذ والتجاويف وفي الملاسة والخشونة كانت أمراض هذا الجنس تنقسم إلى هذه الأنواع الثلاثة. وكذلك أيضًا الأمراض التي في الكمية منها ما هي أمراض في المقدار، وذلك بالزيادة أو النقصان.

وهذه إنما توجد أولا للمتشابهة على ما سلف من قولنا.

لكن جرت عادتهم بذكرها ههنا. ومنها في العدد. والتي في العدد صنفان: إما زيادة أو نقصان.

والنقصان والزيادة منها ما يجري مجرى الأمر الطبيعي مثل زيادة الأصبع السادسة أو نقصان أصبع من الأصابع الخمسة، وإما زيادة ما هو خارج عن الطبع، مثل الدود وحب القرع.

وأما مرض الوضع فهو مثل الخلع وغير ذلك مما يمكن أن يفسد وضع العضو من عضو آخر، ووضع أجزاء العضو الواحد بعضها من بعض.

٤٦ — وأما الأمراض التي يعرفها الأطباء بأمراض المشاركة فتكون في اتصال الأعضاء الآلية بعضها مع بعض بأجزاء الشرك، مثل مشاركة القلب لجميع الأعضاء بالشرايين التي تتصل بها، ومشاركة الكبد، وربما كانت المشاركة بين بعضها دون بعض مثل مشاركة فم المعدة الدماغ بالعصب الواصل بينهما.

وأما أمراض المشاركة فتكون في الاتصال والانفصال، وكيفية الاتصال والانفصال، فهذه هي أنواع أمراض الآلية. وينبغي أن نصير إلى القول في أسبابها فنقول:

٤٧ — أما المرض الطارئ على شكل العضو فإنه إنما يكون عن سببين: إما من قبل الطبيعة. وإما من قبل الأشياء التي من خارج.

أما من قبل الطبيعة فأن تكون المادة غير ملائمة لفعل القوة المصورة أو الآلة التي بها تفعل القوة المصورة.

وأما الأشياء التي من خارج فمثل ما يعتري الأطفال في حين الولادة وفي حين التربية. وقد يكون ذلك من قبل المعالجة الرديئة مثل الأعضاء التي تجبر على اعوجاج.

٤٨ — وأما أسباب ضيق المجاري وانضمامها فيكون إما لغلبة البرد واليبس على مزاجها، وإما لتضاغط يعرض لها من غيرها، وإما لسدة. والسدة تكون إما لورم وإما لخلط غليظ متحجر كالحال في الحصى، أو غير متحجر. وربما كان ذلك الخلط دما منعقدا.

وقد تكون السدة من شيء ينبت في نفس المجرى مثل ثؤلول أو غير ذلك. وقد يكون الانضمام لإفراط القوة الماسكة أو ضعف القوة الدافعة.

وقد يمكن أن يجتمع جميع هذه.

وأما أسباب سعة المجاري فهي إما حرارة ورطوبة، وإما خلط لذاع أو أدوية فتاحة. وقد يكون ذلك من ضعف القوة الماسكة.

٤٩ — وأما أسباب الملاسة فهي الأشياء اللزجة الرطبة مثل الأخلاط الغليظة وغير ذلك.

وأما الخشونة فسببها الأشياء الحادة الأكالة، وذلك إما خلط وإما شيء من خارج.

٥٠ — وأما أمراض الغدد فما كان من ذلك زيادة تجري مجرى الأمر الطبيعي، فإنما يكون ذلك من قبل فضل يكون في المادة.

وأما ما كان منها ليس يجري مجرى الطبع، كالدود وحب القرع فسببها خلط خارج عن الطبع: إما في الكيفية وإما في الكمية.

وأما النقصان فإنه يعرض إما عن عفونة كتساقط الشعر وكثير من الأعضاء المتعفنة. وبخاصة إذا كانت العفونة عن خلط أكال، وإما من سبب من خارج.

٥١ — وأما عظم الأعضاء فإنما يكون سببه، إذا كان يجري مجرى الطبع، وفور المادة واستيلاء القوة المصورة عليها.

فأما إذا كان غير طبيعي فتزيد خلط من الأخلاط في ذلك العضو وانصبابه إليه.

وأما صغره إذا كان يجري مجرى الطبع فقلة المادة، وما لم يجر منه مجرى الطبع فضعف القوة الغاذية كما يعتري المسلولين.

٥٢ – وأما أسباب اختلاف وضع العضو فسببان:

أحدهما الحركة المفرطة كالذي يحدث من القفز والطفر، وبالجملة عما يكون من خارج مثل انخراق المجرى النافذ من الصفاق إلى الأنثيين، فتنزل فيه الأمعاء والثرب[1] ومثل انخراق صفاق البطن نفسه حتى تخرج الأمعاء أو الثرب، وربما انخرق حتى خرجت زائدة من زوائد الكبد؛ أو كالذي يعرض في مفصل الورك عند خروج الزائدة التي في عظم الفخذ عن حفرة الورك.

وأما السبب الآخر فالأشياء التي من داخل مثل رطوبة مفرطة ترخي العضو حتى تزيله عن موضعه.

كالذي يعرض أيضا للثرب وللمعى إذا حدث في المجرى النافذ إلى الأنثيين رطوبة لزجة.

٥٣ – وأما أسباب فساد مشاركة العضو في الاتصال والانفصال فسبب الاتصال في ذلك سببان: أحدهما: ضعف القوة المصورة أو رداءة المادة، وذلك فيما كان من ذلك خلقة.

وأما ما لم يكن من ذلك خلقة فسببه قرحة تخرج بين العضوين، فيعرض منها عندما تندمل أن يتصل ما بين ذلك العضوين لفساد المادة أو لأن العضوين في حال نبات اللحم متصلان.

٥٤ – وأما أسباب تفرق اتصال هذه الأعضاء فهي بعينها أسباب تفرق اتصال الأعضاء المتشابهة الأجزاء:

وذلك إما من الأشياء التي من خارج مثل الأشياء التي تقطع وتهتك أو ترض، وإما من الأشياء التي من داخل بمنزلة الأخلاط الأكالة أو الهاتكة بتمديدها، وإما بثقلها وإما لريح تتولد منها.

٥٥ – فهذه هي جميع أصناف الأمراض البسائط ومن عرفها ضرورة عرف المركبات.

فقد ينبغي بعد أن نقول في الأعراض التي تعرض في أفعال الغذاء وانفعالاتها، ونسب واحدا واحدا منها إلى المرض الفاعل له فإنه بمعرفة هذا يحصل علم الأمراض

(١) الثرب: في تعريف القدماء هو اسم الغشاء الشحمي الذي يغطي الأحشاء وتسميه العامة الرداء والمنسج وهو شحم على الكرش والأمعاء.

على التمام في عضو عضو وعلم شفاء الأمرين جميعًا.

١٢ – القول في الأعراض

٥٦ – ولأن العرض، لما كان ليس شيئا غير ضرر فعل الأعضاء أو انفعالاتها أو لاحق من لواحق ذلك، كانت أجناس الأعراض الأول معادة لأجناس الأفعال والانفعالات.

وقد تقدم في كتاب الصحة أن الأفعال منها ما ينسب إلى النفس الغاذية، ومنها ما ينسب إلى النفس الحساسة، ومنها ما ينسب إلى الحركة، ومنها ما ينسب إلى قوة التخيل والفكر والذكر.

وينبغي أن نبتدئ أولا بالأعراض التي توجد في أفعال القوى الغاذية إذ كانت هذه الأفعال أشد ضرورة في وجود الحيوان فنقول:

٥٧ – إن الأعضاء التي اعدت نحو أفعال هذه القوة، كما قيل في كتاب الصحة هي الفم والمريء والمعدة والمعى والكبد والكلى والمثانة والمرارة والطحال.

والضرر اللاحق بالجملة لأفعال الأعضاء وانفعالاتها يكون على ثلاثة أنحاء: إما أن يعدم العضو فعله أو انفعاله أصلا، حتى يكاد يكون تعطلا محضا.

وإما إن ينقص عن الحال الطبيعية، وإما أن يكون عنه فعل رديء أو انفعال رديء.
وينبغي أن نبتدئ من أعضاء الغذاء على الترتيب الذي لها في خدمة الغذاء فنقول:

٥٨ – أما الفم فينقص فعله أو يتعطل بالبثور الحادثة فيه، والأورام، وتعفن الأسنان. وبالجملة جميع الأمراض التي تتولد عن سوء المزاج المادي.

وأما المريء فإنه أيضا يعتل بالأورام الحادثة فيه، وهي المسماة خوانيق.

ومن شأن هذه الأورام أن تحدث: إما في عضله وإما في غشائه.

وقد يتعطل أيضا فعله بانخزال فقرات العنق إلى داخل، إما لخلط مخاطي تنزلق به، وإما لشيء من خارج .

وهذا النوع من الخوانيق أكثر ما يعتري الأطفال لرطوبة مزاجهم. وبالجملة تلحقه جميع أصناف أمراض سوء المزاج المادي.

وقد تلحقه أيضا أمراض سوء المزاج غير المادي، كما حكى جالينوس أن فتى كانت الأطباء تمنعه من الماء فشرب ماء باردا دفعة، فاختل فعل القوة الجاذبة والدافعة من مريئه، ولم يقدر أن يزدرد شيئا.

١٣ - في المعدة[١]

٥٩- وأما المعدة فلما كانت توجد فيها خمس قوى، هاضمة وجاذبة وماسكة ودافعة ومميزة، وجب أن تكون الأعراض اللاحقة لها معادة لهذه القوى، فنبتدئ فنخبر بالأعراض اللاحقة لواحد واحد من هذه الأفعال فنقول:

٦٠ - أما فعل الهضم فيها فإنه إذا نقص يتولد عن ذلك حمضة في الطعام، وذلك أن الحمضة سببها البرد، ولذلك ما يكون هذا العرض لاحقا لها عن سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي. وغير المادي يكون إما من الأسباب التي من خارج، وإما من الأسباب التي من داخل.

أما الأسباب التي من خارج فمنها الأشياء الباردة بالفعل، ومنها الأغذية الباردة بالقوة أو الكثيرة الكمية أو المتناولة في أزمنة متقاربة، وأما الأسباب التي من داخل فهي الأخلاط الباردة.

٦١ - وهذه الأخلاط على ضربين: إما أن تتولد فيها، وإما أن تنصب إليها من أعضاء أخر. والمخصوص بصب الخلط البلغمي إليها هو الدماغ. كما أن المخصوص بصب الخلط السوداوي إليها هو الطحال.

لكن ما يصب الطحال من ذلك، إذا كان مقدرا في الكيفية والكمية، كان فعلا طبيعيا.

وأما إذا خرج في أحدهما فإنه يحدث فيها هذا النوع من المرض.

وهذه الأسباب بعينها إذا أفرطت عليها تعطل فعلها جملة، كما يكون ذلك في الهيضة التي يخرج فيها الطعام غير متغير.

وقد تكون هذه الأخلاط، إذا طال مكثها في المعدة، سببا لأن تكتسب المعدة منها سوء مزاج بارد في نفس جرمها عسير البرء. وإن تمادى ذلك آل إلى المرض المسمى شيخوخة.

وقد تكون الأورام الباردة سببا لأن تلقى المعدة عنها مثل هذا العرض، ولا سيما إذا يبس الورم وصلب.

والإسكندر يرى أن الحمضة فيها قد تتولد عن الحرارة، ولكني ينبغي أن نفهم ذلك بالعرض مثل ما تحمض الأشربة في زمن الحر. ويشبه أن تكون كيفية عرضية يوجد لها أن

---

(١) انظر: الموجز لابن النفيس (ص١٩٨).

تتولد عن شبيهها بالذات وعن ضدها بالعرض. فينبغي للطبيب أن يميز ذلك ويتحفظ منه غاية التحفظ.

٦٢ - والأخلاط المتولدة في المعدة بالجملة قد تكون متشربة في جرمها، وقد تكون مصبوبة في تجويفها.

ويتولد أيضًا أن هذا العرض قد يشارك فيه ضعف القوة الماسكة، فإن المعدة إذا احتوت احتواء جيدا على الطعام فعلت فيه طبخا تامًّا.

ومتى لم تحتو عليه طفا إلى أعلاها فبرد هنالك وتولدت فيه رياح، لأن هذا الجزء منها عصبي كما تبين.

وإنما كانت الحرارة الضعيفة سببا لتولد الرياح لأن القوية تفشها وتحللها تحليلا غير محسوس، كما أن البرودة القوية ليس يتولد عنها رياح، إذ كانت ليس من شأنها أن تفعل في الغذاء تبخيرا.

وأما رداءة الفعل اللاحق لهذه القوة فيلزم عنها بالجملة استحالة الطعام فيها إلى كيفية رديئة. إما دخانية وإما سهكية أو غير ذلك. وهو ظاهر أن هذا العرض، أعني تغير الطعام إلى السهوكة أو التعفن بالجملة، إنما يعرض لها من جهة الحرارة الغريبة. لكن بالجملة هي حرارة خارجة عن الطبع أكثر من الحرارة التي تدخن الأطعمة.

ولذلك كان المتولد عن هذه في الكيلوس إنما هو عفونة وطعوم رديئة مثل الجشأ السهك، والذي رائحته شبيهة برائحة من أكل الفجل، فإنه يظهر من أمر هذه البقلة أنها تستحيل في المعدة استحالة رديئة.

٦٣ - وإذا كان ذلك كذلك، وتبين أن هذا العرض إنما تلقاه الأطعمة في المعدة من أجل الحرارة الغريبة، فالأمراض الفاعلة لهذه هي ضرورة سوء مزاج حار: إما مادي وإما غير مادي.

وغير المادي يتولد من الأطعمة الحارة والأشياء التي من خارج. وأما المادي فيكون عن الأخلاط الصفراوية.

وهذه الأخلاط إما أن تكون منصبة إليها من غيرها من الأعضاء، والعضو الأخص بذلك هو الكبد والمرارة في الذين تتصل المرارة بمعدهم.

وذلك أن المرارة في بعض الناس يلفى لها مجرى متصل بالمعدة كالحال في الطحال.

وإما أن تكون متولدة فيها، لكن إن قيل لهذه صفراء فباشتراك الاسم. والخلط الذي بهذه الصفة، إما أن يكون مصبوبا في قعرها، وإما أن يكون متشربا في جرمها.

وقد تلقى المعدة مثل هذا العرض بالأورام الحارة الحادثة فيها. فهذه هي جميع الأعراض التي تلحق القوة الهاضمة.

٦٤ — وأما القوة المميزة التي فيها فإنه إذا بطل فعلها أو نقص تبع ذلك ضرورة ذبول فيها، ونقص في سائر أفعالها. وسبب ذلك أحد أمرين: إما سوء مزاج حار يابس. وقد تشبثت بجوهرها الأصلي.

وإما بارد يابس. والأول إذا طال به الزمان أفضى بصاحبه إلى حمى الدق. والآخر إلى الهرم المسمى شيخوخة.

وإنما كان كذلك لأن المميزة متى ضعفت أو بطل فعلها تبع ذلك أن تضعف الغاذية التي فيها، أو تبطل.

فإنا قد كنا وضعنا أن للمعدة اغتذاء ما بالكيلوس وإلا لم تحتو عليه.

٦٥ — وأما القوة الماسكة فإنه إذا نقص فعلها تبع ذلك نفخ وقراقر، وربما خرج الغذاء غير منهضم.

وسبب هذا هو سوء مزاج بارد رطب أو بارد فقط، مادي أو غير مادي: فإذا كاد أن يتعطل هذا الفعل جملة حدث عن ذلك المرض المسمى بزلق المعى وأما إذا كان إمساكها الطعام إمساكا رديئا فإنه تعرض لها حركة رعشية للمقاومة التي هنالك بين القوة الماسكة التي فيها وبين الثقل الذي في الأغذية.

ولذلك إنما يظهر مثل هذا العرض، في من شأنه أن يعرض فيه أكثر ذلك عند الشبع المفرط والتملي من الطعام، وهذا العرض إنما تلقاه المعدة عن أحد أصناف سوء المزاج المادي أو غير المادية.

٦٦ — وأما القوة الدافعة فإما أيضا أن ينقص فعلها.

وهذا يلزمه ضرورة أن تبطئ الأغذية في المعدة أو تتعطل، فيكون عنه ضرب من المرض المسمى قولنجا، وسبب هذا سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي.

وقد يتعطل فعل القوة الدافعة لسدة حادثة في الأمعاء، كما يعتري ذلك في القولنج. لكن هذا التعطل هو لها عرضي.

وأما الإفراط الحادث في فعل هذه القوة فيتبعه ضرورة ضرب من زلق الأمعاء، هو غير هذا النوع الحادث عن تعطل فعل القوة الماسكة، ولذلك، سبب هذا إنما هو شيء يهيج القوة الدافعة إلى الدفع حتى يفرط في ذلك، كالأخلاط اللذاعة مثل الصفراء والبلغم المالح البورقي والسوداء الحامضة. وربما كان ذلك لقروح في سطح المعدة.

وقد يكون ذلك أيضا لفساد الأغذية واستحالتها إلى مثل هذه الأخلاط، كما نرى ذلك يعرض في الهيضة العظمية.

وربما ارتفعت أمثال هذه الأسباب وبقيت القوة الدافعة تتحرك هذه الحركة الرديئة عن أدنى شيء يطرأ عليها، وذلك منها على سبيل الغلط لأن تلك الحال قد صارت كأنها ملكة ثابتة لها.

ولذلك جعل الأطباء المخدرات من أحد ما يعالج به هذا العارض. وسنبين هذا في الجزء العلاجي.

٦٧ — والعارض المسمى فواقاً، وهو منسوب إلى هذه القوة. وسبب ذلك شيء مؤذ بكيفيته: إما بارد وإما حار.

وقد يكون ضرب منه عن سوء مزاج حار يابس، قد تمكن من جرم المعدة حتى أحدث فيها ضربا من التشنج. وهذا الصنف برؤه عسير أو ممتنع.

وربما كان هذا التشنج من رطوبة في جرم المعدة العصباني، على ما سيقال في أسباب التشنج. وكذلك القيء هو أيضا منسوب إلى فعل هذه القوة، لكن ليس طبيعيا كالدفع الذي يكون إلى أسفل.

وذلك سببه إنما هو شيء يطفو على فم المعدة، إما رطوبة بلغمية أو صفراوية: وذلك أنه متى كان أمثال هذه الأخلاط في أعلى المعدة هاج عنها القيء، ومتى كان في أسفلها هاج عنها الذرب.

وربما كانت أمثال هذه الأخلاط منصبة إلى المعدة من سائر الأعضاء من الكبد ومن غيرها، كما نرى ذلك في الذين يفرط بهم القيء ويلقون منه برحا شديدا، وبخاصة ما يكون عن الأخلاط الصفراوية. وقد يكون عن السوداوية. وهو رديء جدا.

٦٨ — وأما اختلال القوة الجاذبة من هذا العضو فأسبابها هي أسباب اختلال المريء.

وأما ما يعرض لها من سقوط الشهوة وإفراطها فسنذكر أسباب ذلك عند ذكرنا الأعراض التي تلقى القوى الحسية.

١٤ — في الأمعاء[١]

٦٩ — وأما الأمعاء فلما كانت أظهر القوى فيها هي الدافعة ثم الماسكة كانت

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص:٢١٧).

الأعراض اللاحقة لها بحسب اختلال هاتين القوتين.

أما القوة الدافعة فإنه إذا تعطل فعلها أو نقص كان عنه المرض المسمى قولنجا، والعلة في اختلال هذه القوة إما سوء مزاج بارد أو حار مادي أو غير مادي.

أما البارد فالأمر فيه بين لأنه يخدر القوة الدافعة.

وأما الحار فليس أيضا بغريب أن يعرض عنه مثل هذا التعطل، فإن الأعضاء إنما تفعل أفعالها بحرارة مقدرة.

فمتى خرجت تلك الحرارة في إحدى الكيفيتين، خروجا كثيرا، تعطل فعلها: أعني متى خرجت إلى البرودة أو إلى الحرارة. إلا أنه متى خرجت إلى البرودة خروجا قليلا نقص فعلها. وأما إذا خرجت إلى الحرارة خروجا قليلا فإنه يكون لها فعل رديء، مثل الدخانية التي تحدث في المعدة الحارة.

٧٠ — وقد يكون السبب أيضا في تعطل فعل هذه القوة في الأمعاء السدة الحادثة فيها.

وذلك إما زبل غليظ أو خلط غليظ أو ريح أو ورم، وإن كان الورم يوجد فيه ضرر الفعل بالجهتين: أعني من حيث تكتسب المعى به سوء مزاج مادي، ومن حيث يطمس المجرى.

والريح تسد المعى بجهتين: إما أن تقوم في وجه الثفل، كما يعتري ذلك في القنوات التي يسير فيها الماء تحت الأرض، وإما أن ينفتل بها المعى حتى تنسد.

وقد تنسد المعى من الحيات المتولدة فيها.

ويعرض في هذا النوع من اختلال القوة الدافعة: أعني الذي يكون بالسدة أن ينعكس فعلها فتدفع الثفل الذي فيها إلى المعدة فتدفعه المعدة بالقيء.

٧١ — وقد يكون سبب ضعف هذه القوة انسداد المجرى الذي يصل بين المعى وبين المرارة، فلا ينفذ إليها من المرارة ما يهيجها على دفع الثفل.

وأما إذا كان فعل هذه القوة فعلا رديئا فإنه يكون عنه إسهال. وذلك أن الثفل ليس يمكث فيها الزمان الذي ينبغي له أن يمكث فيها.

وسبب إفراط القوة الدافعة يكون من انصباب الأخلاط اللذاعة إليها: إما من الكبد والعروق وإما من المعدة وإما من المرارة.

وبالجملة من سائر الأعضاء.

وإذا أفرط لذع مثل هذه الأخلاط المعى حتى ينكأها يكون عن ذلك المرض

المسمى سحجاً. وقد يكون اختلال هذه القوة لموضع كيفية الأغذية إذا كانت منحرفة، أو دفعتها المعدة إليها غير منهضمة.

وقد يكون لموضع كميتها إذا كانت كثيرة، وقد يكون ذلك لقروح في سطحها.

وقد يكون ذلك لموضع انسداد المجاري التي بين الكبد وبين المعى فلا ينفذ إلى الكبد من الغذاء شيء فيثقل على القوة الدافعة فتدفعه.

وقد يكون أيضا السبب في أن لا ينفذ الغذاء إلى الكبد غلظه في نفسه، وهذا الغلظ إما أن يكون من طبيعة الغذاء، وإما من ضعف فعل المعدة فيه أو من كليهما.

وقد يكون ذلك أيضا من تعطل فعل القوة الجاذبة التي في الكبد، كما نرى يعتري في أمراض الكبد.

٧٢ – وأما القوة الماسكة فإنه أيضا متى ضعف فعلها حدث عن ذلك ضرب من الخلفة. وسبب ذلك ضرورة يكون من سوء مزاج: إما مادي وإما غير مادي. وإما متى تعطل فإنه يحدث عنه نوع من أنواع العلة المسماة زلق الأمعاء.

وإما طرف المعى وهو العضو المسمى مقعدة، فإنه يختل فعله بثآليل تتولد فيه، وإما من هتك البراز اليابس للحم الذي في ذلك الموضع.

وإما من انفتاح العروق التي في ذلك الموضع، وهذا النوع من الثآليل يكون عنه نزف الدم.

وربما كان خروج الدم من هذا الموضع على سبيل التنقية، ويكون حينئذ محمودا.

ولذلك ما يقول أرسطو: إن الدم الرديء يجري من الأنف والمقعدة واللثة.

١٥ – في الكبد[١]

٧٣ – وأما الكبد فإنه لما كانت أيضا توجد فيها القوى الخمس كانت الأعراض اللاحقة لها بحسب ذلك: فالقوة الهاضمة التي في هذا العضو إما أن ينقص فعلها فتولد دما بلغميا فلا تزال الأعضاء تغتذي بذلك حتى ينقلب مزاجها إلى طبيعة هذا الخلط. وحينئذ يحدث المرض المسمى استسقاءً لحميًّا. وسبب حدوث هذا العرض لها يكون لسوء مزاج بارد يغلب عليها إما مادي وإما غير مادي، وهذا المزاج قد يكون سببه الأغذية وتدبيرها، وقد يكون من الأمور التي تلقى البدن من خارج.

وبالجملة الأشياء التي عددنا أنها أسباب المزاج البارد، وقد يكون ذلك أيضا من

(١) انظر: الموجز في الطب لابن النفيس (ص٢٠٩).

مشاركة الأعضاء الخادمة له في فعله والمعينة كالمعدة، فإنها متى قصرت في طبخ الكيلوس وأرسلته إليه غير نضج ودام ذلك منها استحالت طبيعة الكبد إلى البرد، ويشبه أن يكون الطحال يفعل ذلك عند ضعفه، فإنه إذا لم ينق الدم من الجزء البارد اليابس أحال طبيعة الكبد إلى البرد.

وكذلك أيضا تفعل المعي الدقاق، فإنه قد يستضر الكبد بمشاركتها أعني متى عرض للمعي سوء مزاج.

٧٤ — وسوء المزاج المادي الحادث في الكبد قد يكون مع تورم، وقد يكون مع غير تورم.

لكن الأورام إنما تكون أكثر ذلك سببا لمثل هذا المرض عندما تتحجر وتصلب. وقد يكون سبب سوء هذا المزاج في الكبد مرض آلي كالسدة العارضة فيه: فإن السدة من شأنها أن تطفئ الحرارة الغريزية لا سيما إذا كان الخلط الفاعل لها باردا.

وأما إذا كان فعل القوة الهاضمة في هذا العضو رديئا فإنه يتبع ذلك من الأعراض احد أمرين: إما الاستسقاء المعروف بالطبلي، وإما الأمراض عن المرة الصفراء.

٧٥ — وذلك أنه ينبغي أن نتصور من أمر هذه الأعضاء أنها تفعل أفاعيلها الطبيعية بحرارة مقدرة بالبرودة.

فإنه قد تبين في العلم الطبيعي أن البرودة آلة على جهة التعديل للحرارة التي هي الفاعلة أولا وبالذات.

وإذا كان ذلك كذلك فكل عضو إنما يفعل بحرارة مقدرة ملائمة لفعله.

فمتى تزيدت البرودة في ذلك العضو تزيدا ليس بالمفرط ولا تخرج به تلك الحرارة عن صورتها الطبيعية نقص فعل ذلك العضو ضرورة، كالطعام الذي يحمض في المعدة الباردة والدم البلغمي الذي يتولد في الكبد الباردة.

ومتى تزيدت الحرارة الفاعلة تزيدا يسيرا ليس يبلغ بذلك أن تخرج تلك الحرارة الفاعلة عن طبيعتها، أفرط ذلك العضو في فعله كالمعدة التي تدخن الأطعمة والكبد التي تولد مرارا كثيرا.

وأما متى تزيدت الحرارة أو البرودة تزيدا كثيرا حتى يخرج بذلك الحار الغريزي الذي في ذلك العضو عن صورته الطبيعية، كان فعله حينئذ مباينا بجوهره للفعل الطبيعي، كالمعدة التي تتعفن فيها الأطعمة وتسهك.

ولذلك أمثال أسباب هذه الأمراض تكون عن سوء المزاج الحار، كما تكون عن

سوء المزاج البارد: أعني قد يكونان سببا متقدما لذلك.

٧٦ — وإذ قد تبين هذا بالقول العام، من أمر جميع الأعضاء فالكبد إذا أصابها سوء مزاج حار غير مفرط ولدت مرارا كثيرا، وإذا أفرط ذلك بها حتى يكاد أن تخرج بذلك عن صورتها الجوهرية، كانت —بالحرارة التي فيها— أفعالها حينئذ غريبة عن الأفعال الطبيعية، فتكون حينئذ أكثر أفعالها إنما هي من حيث هي حرارة مطلقة لا من حيث هي حرارة كبدية.

وإذا كان ذلك كذلك فالفعل الذي للحرارة بما هي حرارة بسيطة إذا وردت عليها رطوبة مائية هو أن تبخر الجزء المائي الذي فيها وتولد عنها رياحا.

ولذلك ما يحدث عن مثل هذه الحرارة إذا حصلت في الكبد النوع من الاستسقاء المعروف بالطبلي.

فإن كان السبب في انسلاخ الحرارة الطبيعية مرضا حارا نسب إليه، وإن كان باردا نسب إليه.

ولذلك ما نرى الأطباء يتحيرون في توفية أسباب هذا النوع من الاستسقاء، لأنهم يجدونه يحدث عن الحر كما يحدث عن البرد، وهو من أعسر أنواع الاستسقاء علاجا لهذا السبب بعينه.

وأما أسباب حدوث سوء المزاج الحار في الكبد فهي بالجملة أسباب حدوث الأمراض حدوث الأمراض المادية وغير المادية.

٧٧ — ويخص الكبد أنها ربما لحقها هذا الضرر من تعطل فعل المرارة: إما لسدة تعرض في المجرى الواصل إليها، وإما لضعف القوة الجاذبة التي في المرارة، وإما لانسداد المجرى النافذ من المرارة إلى المعى ولضعف القوة الدافعة، لأن هذا إذا انسد عرض عن ذلك ما يعرض لمن انسدت أمعاؤه من أنه لا يشتهي الغذاء ولا يطلبه.

وإنما كان كذلك لأن كل عضو إنما فيه القوة الجاذبة من أجل الغاذية. والغاذية، إنما يتم فعلها بالأربع قوى.

فمتى تعطلت واحدة تعطل الغير. وكذلك ينبغي أن يتصور الأمر في الكبد مع المرارة.

٧٨ — والعرض المسمى يرقانا إنما يحدث ضرورة لأحد أمرين:

إما لتعطل فعل المرارة أو نقصان فعلها فيبقى المرار منبثا في الدم فتقذف به القوة الدافعة إلى سطح البدن على جهة ما تدفع الفضول، وهذا نوع سالم.

وإما لأن الكبد أو الأعضاء قد ساء مزاجها وأفرط جدا في الحر، كما يعرض ذلك عند تولد الورم الصفراوي فيها أو شرب السموم الحارة، فيكثر توليدها للمرة الصفراء حتى تظهر على سطح البدن ويكون ظهورها لمكان كثرتها، لا لمكان الأصلح وتنقية البدن. ولذلك كان هذا الصنف مذموما.

وقد يحدث ذلك في الكبد عن دواء سمي يسقاه الإنسان كالبيش وغير ذلك.

٧٩ — وأما القوة المميزة التي في هذا العضو فإنها إذا ضعف فعلها تبع ذلك انتشار الأخلاط في البدن حتى تحدث عن ذلك آفات كثيرة: وأحد ما يحدث عن ذلك هو الاستسقاء الزقي.

وذلك أن المائية المبثوثة في الكيلوس إذا لم تخلصها هذه القوة انتشرت في الدم فتدفع بها الطبيعة إلى ما تحت صفاق البطن.

وقد قيل إنها إنما تدفع بها إلى ما تحت الصفاق في عروق السرة.

وذلك أن هذه العروق متصلة بالكبد، ومنها تخرج الفضلة المائية التي في الجنين في حين تكونه في الرحم.

٨٠ — وقد يلفى هذا العرض أيضا لضعف القوة الجاذبة التي في الكلى، أو انسداد المجرى وضيقه.

وقد يمكن أن يكون عدول هذه الفضلة عن طريق خروجها عن الطبع خروجا لا يصلح أن يكون غذاء للكلى، فلا تجذبها الكلى حينئذ فتعدل بها الطبيعة إلى تلك المواضع. ولهذا تجد هذا الماء ينعقد سريعا كما ينعقد ماء الملح.

٨١ — وأما القوة الماسكة فإنها أيضا إذا ضعفت في هذا العضو كان ذلك سببا لأن يخرج عنه الدم غير منهضم فجا.

والقوة الدافعة إذا ساء فعلها في هذا العضو قذفت بالدم المتولد فيه إلى المعى، وكان ذلك سببا لأن يخرج عنه الدم على الجداول التي منها تجتذب الغذاء. فتحدث عن ذلك خلفة دموية. وذلك لمكان حدة الدم أو لسوء المزاج.

٨٢ — أما القوة الجاذبة فإنها إذا ضعفت أو تعطل فعلها حدث عن ذلك خلفة وذرب.

وسبب الضرر الداخل على هذه القوى بالجملة يكون إما من الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء الآلية أو البسيطة، لكن الآلي يكون ههنا بالعرض ويتوسط المرض المزاجي إلى الأعضاء البسيطة. وهذان الصنفان من الأمراض يضران العضو: بجهتين إما بحلولهما أولا

فيه وإما بكونهما في عضو مشارك له.

٨٣ - وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان أحد ما تختلّ به أفعال الأعضاء هي أمراض الأعضاء المشاركة لها، وكان على رأيكم القلب هو الذي يعطي الكبد الحرارة الغريزية التي بها تكون أفعاله، فما بال الكبد لا تختل أفعالها بأمراض القلب؟ فنقول: لما كان القلب هو العضو الرئيس بإطلاق لم يحتمل أن يوجد فيه من الأمراض ما يضر بالكبد أو غير ذلك من الأعضاء، والحيوان بعد حي، وذلك على الأكثر. بل معظم الآفات التي يلقاها القلب، والحيوان بعد حي، هي بالنسبة إلى غيره من الأعضاء غير محسوسة لكن مع هذا ليس بممتنع أن تلحق القلب أمراض خفية من سوء المزاج هي بالإضافة إلى الكبد عظيمة: فإن أدنى حركة تقع للسكان تكون سببا لحركة عظيمة في مقدم المركب.

وكذلك يشبه أن يكون حال القلب مع الأعضاء الرئيسة كلها ولذلك ينبغي عند معالجة الكبد أن لا تهمل العناية بالقلب كل الإهمال، بل يجب أن يصرف إليه منها مقدار كبير، وسنبين هذا عند القول في حيلة البرء.

وكلام الحكيم يدل على أنه إذا مرض القلب لم يكن برؤه، لأن القوة المبرئة الأولى هي في القلب.

٨٤ - وأما الهضم الذي يكون في العروق فإن الأعراض التي تلحقه هي أكثر ذلك تابعة لأمراض الكبد.

وقد تلقى العروق عرضا خاصا بها، وهو انبثاق الدم وسيلانه.

وسبب ذلك يكون: إما في الأمراض فالقوة الدافعة وخاصة في البحارين المحمودة، وأما ما كان منه عرضا صرفا فالسبب فيه يكون إما لذع الدم وحدته حتى يفرق الاتصال الذي في أفواه العروض، وإما لطافته كما نرى ذلك في الخيلان التي تخرج على الجسم، وكما يعتري ذلك في زقاق الزيت، وإما لموضع كثرة الدم إذا لم يسع تجاويف العروق.

وقد يكون ذلك بسبب ضعف العروق أنفسها وتأتيها لأن تتصدع، إما لرقتها وإما لإفراط الصلابة عليها.

والذي يهتك مثل هذه العروق بسرعة هي: إما كثرة الدم وإما الأشياء التي من خارج بمنزلة السقطة والطفرة.

وقد يلحق عن الأمراض الموجودة في هذه الأعضاء، وفي الكبد، أعراض كثيرة سنفصلها في كتاب العلامات، فإن أولى المواضع بذكرها هو ذلك الكتاب.

وأما الأعراض التي تلحق الهضم الأخير الذي في الأعضاء أنفسها فإنها أيضا تلك

الأصناف الثلاثة بعينها: إما أن تبطل أفعال الغاذية فيه كالذي يعرض في السل، وإما أن تنقص كالذي يعرض في الهزال، وإما أن تختل فيعرض عن ذلك البرص والبهق.

٨٥ — وسبب هذه الأعراض يكون إما لسوء مزاج في الأعضاء أنفسها، وإما بالمشاركة.

مثال ذلك البرص، فإنه يتولد من أحد أمرين: إما لضعف القوة الهاضمة التي في العضو المبروص، وإما لرداءة المادة الواصلة للعضو، وذلك لرداءتها في نفسها أو لضعف الكبد والعروق.

وأما البهق فالسبب فيه، أكثر ذلك، إنما هو من ضعف القوة المميزة التي في الكبد، أو لضعف الطحال عن جذب العكر السوداوي، أو سوء مزاج الكبد والعروق حتى يكثر تولد هذا الخلط عنها.

وقد يكون ذلك لسوء مزاج في الأعضاء أنفسها: فإن هذا غير ممتنع. وقد يكون ذلك لمكان الأغذية أنفسها.

٨٦ — وينبغي أن تفهم عنا، عند تعديدنا لأسباب هذه الأعراض، أنه ليس تعديدا لأشياء متعاندة لا يمكن أن تجتمع بأسرها، بل في الأكثر إنما تكون الأعراض اللاحقة لها عن أكثر من سبب واحد منها. وربما كانت عن جميعها.

٨٧ — وأما الهضم الذي يكون في الدماغ فيلفى عرضا خاصا به.

وذلك أنه تنقص قوته الهاضمة أو تتعطل، فيلحق عن ذلك سيلان فضول على الأنف والحنك غير نضجة. وهذا العرض هو المسمى نزلة.

وهذا المرض يلفى متكونا عن الأشياء الباردة التي من خارج، وقد يلفى عن الأشياء الحارة.

٨٨ — وينبغي أن ننظر كيف تولد ذلك عنهما فنقول: لما كانت الفضلة التي تسيل في هذا المرض نيئة غير نضجة دل ذلك على أن الفاعل لهذا المرض هو ضعف القوة الهاضمة لسوء مزاج بارد غلب عليها.

لكن: أما هذا في النزلات التي سببها الأشياء الباردة التي من خارج فمطابق لما يظهر من هذا القول.

وأما النزلات التي تحدثها الأشياء الحارة من خارج فيعسر فيها تصور ضعف القوة الهاضمة.

لكن ضعفها في هذا المرض إنما يكون بضرب من العرض، أعني لكثرة المادة

ورطوبتها.

وذلك أن الحرارة من شأنها أن ترطب الأشياء المنعقدة وتذيبها مع أنها تجذبها إلى الرأس من جميع البدن.

٨٩ – فإذا كان ذلك كذلك فتلقى القوة الهاضمة التي في الدماغ مثل هذا المرض أعني أنها تبرد، مع أن الحرارة الغريبة التي من خارج من شأنها أن تبرد الحرارة الغريزية كما تفعل الشمس بالنار.

فهذا هو القول في جميع الهضوم إن شئت أن تجعلها ثلاثة على ما يقول جالينوس أو اربعة على ما يقوله ابن سينا.

إلا أن الأولى أن لا تجعل الهضم الذي في العروض هضما ثالثا: إذ كان ليس يلفى فيها للدم انقلاب إلى صورة أخرى، كالحال في المعدة والكبد والأعضاء أنفسها، فإن المعدة تقلب الغذاء كيلوسا، والكبد تقلب الكيلوس دما أحمر، والأعضاء نفسها تقلب الدم منيًّا أبيض.

وأما العروق فليس لها فيه مثل هذا التأثير. وإن كنا ندرك بالقياس أن لها فيه تأثيرا ما.

٩٠ – وقد ينبغي أن نصف الأعراض الداخلة على العضو الرئيس في هذه القوة الغاذية وهو القلب، ثم نصير بعد ذلك إلى الأعراض التي تدخل على الأعضاء الخادمة للكبد، ثم الأعراض الداخلة على أعضاء آلات التناسل، وبذلك يكمل القول في الأعراض الداخلة على القوة المنسوبة للنبات من قوى النفس، فنقول:

١٦ – القول في القلب(١)

٩١ – إن الأعراض التي تلحق القلب هي الغشي والخفقان، وبالجملة خروج النبض عن المجرى الطبيعي.

وسبب هذا ضرورة يكون إما من شيء من خارج، وإما من شيء من داخل.

أما الأشياء التي من خارج: فالأمور النفسانية التي تسخن مزاج القلب كالغضب والحزن، أو التي تسير بالحرارة المنتشرة في جميع البدن إليه، كالفزع.

وذلك أن من شأن مزاج القلب، إذا استحر أكثر مما ينبغي، أن تفرط حركته النبضية طلبا لتعديل مزاجه بإدخال الهواء وإخراجه.

---

(١) انظر: الموجز لابن النفيس (ص١٩٣).

وأما الأشياء التي من داخل فهي سوء المزاج: إما فيه أولا، وإما في عضو مشارك له.

وسوء المزاج المتولد في القلب ربما كان غير مادي كحمى الدق وغير ذلك، وربما كان ماديا: وذلك بأن يتغير الدم الذي فيه بعض التغير.

فأما الورم فلا يحتمله هذا العضو في نفس جرمه، بل يبادر الموت إلى العليل في أول حدوثه.

قالوا: وربما حدث الورم في غشائه فلم يقع الموت، فإن بادر الطبيب إلى علاج ذلك أمكن الخلاص منه وإلا قتل.

وقد حكى جالينوس أن من أمراضه المادية رطوبة مائية تكون في غشائه، يتبع ذلك ذبول البدن، قالوا: ويعرض فيه أن تراكم على غشائه أشياء صلبة.

وبالجملة فليس يمتنع عليه جميع أصناف سوء المزاج، ما لم يكن مفرطا أو لم يكن عن ذلك تورم. وأما إذا أفرط به سوء المزاج فإنه يؤدي إلى الغشي.

٩٢ - والغشي هو انصراف الحار الغريزي دفعة إلى القلب عن سائر الأعضاء وتخليه عن تدبيرها، وذلك لقلته وفرط تحلله.

وأما الأعضاء التي يختل بمشاركتها فجميع الأعضاء الضرورية التي لها رئاسة، ومن أقواها مشاركة فم المعدة، ولذلك سمته القدماء فؤادا باسمه. وذلك أنه كثير ما يعرض من ألم هذا الموضع العارض المسمى الغشي.

ولكون[1] مشاركته لهذه الأعضاء كانت الأعراض التي تلحقه في النبض دلائل على أكثر أمراض هذه الأعضاء.

وتعديد أنواع هذه الأعراض وإعطاء أسبابها: كتاب العلامات أولى بذلك.

١٧ - الأعضاء الخادمة للكبد

وأما الأعضاء الخادمة للكبد فقد قلنا: إن منها المرارة والطحال والكلى والمثانة:

٩٣ - أما المرارة فقد تبينت أسباب الأعراض اللاحقة لتعطل فعل فعل من أفعالها، عندما ذكرنا أعراض الكبد.

٩٤ - وأما الطحال فإذا تعطلت قوته الجاذبة حدث عن ذلك كما قلنا انتشار المرة السوداء في الدم، فربما دفعتها الطبيعة إلى سطح البدن. فيحدث عن ذلك اليرقان

---

(١) أي: بسبب.

الأسود. وبالجملة يلحق هذا العرض جميع الأمراض السوداوية.

وإذا أفرطت قوته الدافعة حدث عن ذلك مرض المعدة المنسوب إلى هذا الخلط، وقد يحدث عن ذلك خلفة سوداوية، وسبب هذه الأعراض اللاحقة هي ضرورة أسباب سائر الأعراض.

وذلك إما مرض آلي وإما سوء مزاج وإما مركب منهما كالورم.

وهذا العضو لغلظ ما يتغذى به كثيرا ما تصيبه أورام جاسية.

٩٥ - وأما الكلى فإنه يظهر من أمرها أن فيها أيضا الخمس قوى: فإذا ضعفت القوة المميزة التي فيها أو الهاضمة أو الماسكة تبع ذلك أن يخرج الدم مبثوثا في البول، لأن المائية الدموية الواصلة إليها من الكبد لتغتذي بها لا تغيرها.

وأما متى ضعفت القوة الجاذبة في هذا العضو، فإنه يحدث عنه الاستسقاء الزقي، كما قلنا (فقرة ٧٩).

وقد يفرط فعل القوة الجاذبة في هذا العضو فيتبع ذلك سلس بول مع شرب ماء كثير، وهذه العلة هي المسماة بالبركار.

ويصحب إفراط فعل القوة الجاذبة في هذا العضو ضرورة ضعف الماسكة والهاضمة. ولذلك يخرج البول في هذه العلة غير نضج.

وسبب هذه الأعراض يكون أحد أصناف سوء المزاج، والأمراض الآلية أو المركبة منهما جميعا.

وأنت فقد ظهر لك من قوة القول المتقدم ما تقدر به، من تلقاء نفسك، كيف تنسب عرضا عرضا من هذه الأعراض إلى صنف صنف من أصناف الأمراض.

لكن علة البركار هي أولى أن تنسب إلى المزاج الحار، من جهة أن الجذب إنما يكون بالحرارة، من أن تنسب إلى المزاج البارد.

وجالينوس ينسبها إلى المزاج البارد كالحال في الشهوة الكلبية في المعدة.

ويشبه أن يكون هذا العارض في الفضلة الرطبة شبيها بالعارض الذي يعرض في الفضلة اليابسة المسمى إسهالا بل وجوده في الفضلة الرطبة أولى من وجوده في الفضلة اليابسة وغير ممتنع أن يكون شدة الجذب لضعف الماسكة، فإنها متى ضعفت لم تغتذ الكلى بالمائية التغذي الذي يجب لها لقلة وقوف المائية فيها، فتتحرك القوة الجاذبة فيها أكثر مما يجب.

لكن هذا الصنف يلزم أن يتبعه قلة وقوف البول في المثانة من غير أن تمتلئ، وقد

تختل القوة الدافعة التي في هذا العضو لسدد تعرض فيها من أجسام حجرية تتولد فيها عن أخلاط غليظة وحرارة مجففة، على جهة ما ينعقد الخزف.

قالوا وأكثر ذلك إنما يتولد في جرمه لا في تجويفه، وهذا المرض هو الذي يسمى حصاة في المثانة.

٩٦ — وأما المثانة فإنه يختل فعل القوة الدافعة فيها لسدة حادثة فيها: إما مثل ورم أو خلط غليظ أو دم جامد، وإما بالحصى المتولدة فيها؛ ويتبع جميع ذلك عسر خروج البول.

وقد يكون عسر البول لاختلال القوة الدافعة نفسها، وقد يكون تقطير البول لإفراط فعل القوة الدافعة التي فيها.

وسبب ذلك إما قروح فيها، وإما أن في البول كيفية لذاعة.

وأما الذين يخرج عنهم البول بغير إرادة اصلا، ولا وجع، فذلك يكون من استرخاء العضلة المحيطة بعنق المثانة.

وهذا سيعدد في الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية.

وينبغي أن تعلم أن هذين العضوين، أعني الكلى والمثانة، كثيرا ما تلحقهما أعراض رديئة من أمراض الخشونة، حتى إنها ربما آلت إلى التقرح، وهو المرض المسمى في أول الأمر جرَباً وذلك يكون عن أخلاط رديئة تنصب إليها، أعني في نفس جرمها، وفي تجويفها.

وبالجملة الفاعل لهذا المرض المسمى جرَباً إنما هو سوء مزاج مادي خبيث.

وحق لمثل هذا العضو أن يلقى مثل هذا العرض، إذ كان طريقا لفضول الجسم ومغيضا لها.

١٨ — في الأعراض الداخلة على آلات التناسل

وهذه الأعضاء، كما قلنا، منها الرحم والأنثيان والقضيب والثدي.

٩٧ — أما الأنثيان فإنه قد يلحقهما ضعف قوتهما الهاضمة حتى لا تفعلا منيًّا مولدا.

وذلك ضرورة عن أحد أصناف سوء المزاج: فإنه متى أفرط مزاجها في الحر واليبس شيطت[١] المني وأحرقته.

---

(١) أي: جعلته قريبًا من الاحتراق.

وكذلك إن أفرط في البرد واليبس أو في الرطوبة أو في البرد مفردا لم تنضج المني وخرج رقيقا مائيا.

وهذه الأمزاج منها ما هي في أصل الخلقة، وهذه لا سبيل إلى برئها، ومنها ما هي عرضية وهذه يمكن برؤها.

وقد يختل فعل هذا العضو من الأورام المتولدة فيه ومن انقطاع معاليقه أو من المرض الذي يعتريه في المقدار والوضع، وهو المرض المسمى أدرة وهذا المرض يحدث من اتساع الثقب الذي فيه معاليق الأنثيين وذلك أن ثقب هذه المعاليق إذا اتسع، إما لرطوبة فضلية تكون هناك وإما لقحل يعرض للمعاليق أنفسها، انحدر المعى إلى هناك.

وربما اندفع إلى كيسها رطوبة أو ريح فيحدث المرض المسمى أدرة.

وقد يكون هذا المرض عن خرق كبير يكون في هذا الثقب حتى ينزل في الكيس شيء من المعى، وهو أردأ أصنافها.

٩٨ – وأما القضيب فإنه تختل القوة الدافعة التي فيه بانسداد مجراه أو لضعف طارئ عليه أو لفساد في شكله عند الإنعاظ.

والفساد في الشكل يعرض له إما إذا انقطع الوتر الذي به يكون إنعاظه مستقيما، وهو المسمى شكالا، وإما من يبس مفرط وإما من ورم متحجر.

٩٩ – وأما الأرحام فلما كان خلقتها لمكان الولادة[١] مع أنه صحب ذلك إن كانت سبيلا لفضول الهضم الثاني، كانت الأعراض اللاحقة لها داخلة على هذه الأفعال أنفسها.

والرحم، كما قيل، فيها الأربع قوى: الهاضمة وإن شئت سميتها الحافظة فهو أليق بها.

ولهذا ما ليس يظهر فيها فعل القوة المميزة، إذ كان لا يظن أنها تغتذي بما تحتوي عليه، وإن كان في هذا موضع شك.

ولذلك ينبغي أن نعتقد أن جذبها المني واحتوائها عليه هو لمناسبة طبيعية بينهما، وكذلك احتواؤها على الجنين.

والشك إنما هو في أمر المعدة هل يحتوي على الطعام لمكان الاغتذاء أو للمناسبة التي بينهما، أو للأمرين جميعا.

---

(١) أي: من أجلها.

وأما الجاذبة والدافعة والماسكة فأمرها فيها بين.

١٩ – الأعراض والأمراض الداخلة على الرحم

١٠٠ – فنبتدئ بذكر الأعراض الداخلة على واحدة واحدة من هذه القوى فنقول: أما القوة الحافظة التي فيها للجنين فإنها متى ضعفت أو بطلت كان عن ذلك إما قلة الحمل وإما ألا تحمل المرأة أصلا.

وسبب هذا يكون ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي، إلا أن غير المادي، منه ما هو في أصل الخلقة وهذا يسمى عقرا، ومنه ما هو طارئ وجهة ضرر هذه الأمزجة بالمني هي بعينها جهة ضرر سوء المزاج في الأنثيين به.

وذلك أنها متى كانت حارة يابسة شيطت المني وأحرقته، ومتى كانت باردة بردته حتى يعود مائيا.

وأما إذا ضعفت القوة الماسكة فيه فإنها تكون سببا للإسقاط. والسبب أكثر ذلك في ضعف هذه القوة، هي رطوبة مزلقة.

وأما القوة الدافعة فيه فإن ضعفها يكون سببا لعسر الطلق، كما أن إفراطها في الدفع يكون سببا للإسقاط.

والقوة الجاذبة في هذا العضو قد تكون سببا لعسر الحمل أو لعدمه، وذلك إذا تعطل فعلها أو نقص.

١٠١– وقد تختل جميع هذه القوى في الرحم من الأورام التي تصيبها، ومنها المرض المعروف باختناق الرحم.

وهذا المرض ليس يضر بأفعال الرحم فقط، بل وبأفعال سائر الأعضاء وبخاصة أعضاء التنفس.

وذلك أن سبب هذا المرض إنما هو عن تولد خلط سُمِّيٍّ يتكون في هذا العضو، فيترقى منه بخار مضاد بصورته للحرارة الغريزية على جهة ما تضادها السموم، فيعتري عن ذلك تعطل أفعال الحياة حتى لا يكاد في تلك الحال أن يحس للقلب نبض.

ولما كان يصيب مثل هذا العرض في الأكثر النساء البعيدات العهد بالجماع ظن أن هذا التعفن إنما يعرض لمني النساء، إذا لم يستفرغن بالجماع، مع أنه أكثر شيء استعداد لأن يلقى مثل هذا العرض.

وليس يمتنع في الأبدان الرديئة أن يتولد في أعضاء منها أخلاط تشبه السموم في جواهرها، وبخاصة في هذا العضو لكونه مغيضا لفضول البدن التي هي أكثر شيء استعدادا

لقبول العفونة.

ولذلك رأى بعضهم أن هذه العلة قد تعرض عند امتناع درور الطمث ولكون هذا العضو مغيضا لهذه الفضلة كان كثيرا ما يصيبه التآكل، فيعسر برؤه أو لا يمكن.

وهذا العضو يصيبه من أمراض الوضع المبطلة لجميع أفعاله، أنه يسترخي حتى يخرج عن موضعه ويتعلق.

وهذا قد يكون سببه الأشياء التي من خارج كالطفر والولادة، وقد يكون سببه رطوبة لزجة، وقد يجتمع الأمران جميعا.

١٠٢ — ومما يعوق الرحم عن الحمل العلة المعروفة بالرحى.

وهذه العلة تعرض عن تقصير القوة المصورة التي في المني، وذلك إما من فساد الآلة وإما من فساد الهيولى فتتولد في الرحم بضعة لحم.

ويعرض للمرأة أن يكون بطنها شبيها ببطن الحبلى، حتى ترمي بتلك البضعة. وقد تنضجها الطبيعة إلى رطوبات ورياح.

وأما الأعراض التي تلحق دم الطمث فالفاعلة لها هي الأعراض التي تلحق القوى التي في هضم العروق، وذلك أن إفراط خروج هذا الدم إنما يكون سببه أحد أمرين: إما ضعف القوة الماسكة وإما إفراط الدافعة وإما كلاهما.

أما السبب في ضعف القوة الماسكة فهو أحد أصناف سوء المزاج.

وأما السبب في إفراط القوة الدافعة فهو إما خلط لذاع وإما الكثرة.

وأسباب امتساك هذا الدم هي أضداد هذه الأسباب بعينها، إلا أن أحد ما تضعف به القوة الدافعة أو يتعطل فعلها في هذا العرض هي السدد الحادثة عن غلظ الدم ولزوجته.

والطمث الطبيعي في النساء أقل زمانه يكون يوما وأكثر زمانه سبعة أيام، والطهر المتخلل بين هذه الحيض أقل زمانه عشرون يوما، وأطوله ثلاثون يوما.

٢٠ — أعراض تنسب إلى النفس النباتية

١٠٣ — فهذه هي جميع الأعراض الداخلة على القوى المنسوبة للنفس النباتية.

وقد تظهر في جميع البدن أو في عضو منه أعراض تنسب إلى القوة الدافعة فقط من خوادم هذه القوى.

أما التي في جميع البدن فالرعدة والنافض والقشعريرة والتمطي والاختلاج.

وأما التي في أعضاء خاصة فكالسعال في الرئة والعطاس في الرأس والتثاؤب في الفم

والفواق[١] في المعدة. ونحن نشير إلى أسباب جميع هذه.

وإنما نسبنا هذه الأفعال إلى هذه النفس إذا كانت ليست إرادية، وإن كان قد يكون للإرادة في بعضها مدخل ما، فنقول:

١٠٤ — أما النافض فإنه حركة القوة الدافعة التي في العضل لدفع الخلط المؤذي لها بالحرارة والبرودة.

ومن الدليل على ذلك أن مثل هذا العرض يلقى البدن عن الأشياء التي من خارج.

مثال ذلك أنه متى صب على البدن ماء حار شديد الحرارة اقشعر منه الجسم على المكان. وربما ارتعد.

وكذلك يلقى من الهواء البارد. وإذا ضعفت أسباب هذا العرض كان عنه قشعريرة. فإذا اشتدت أسبابه كان عنه النافض[٢].

ولذلك لا يرى نافض إلا تتقدمه قشعريرة.

وهذا النافض إنما يكون أكثر ذلك في الحميات، وبخاصة النافض الذي يكون عن الأخلاط الحارة.

وأما الذي يكون عن الخلط البارد البلغمي، فقد يكون عنه، فيما زعموا، نافض بغير عفونة. وذلك في النوع الزجاجي منه فقط.

١٠٥ – وزعم الأطباء أن النافض الذي يكون عن الخلط الحار أشد، لمكان لذعه، وأن الذي يكون عن الخلط البارد أقل لذعا، ونحن نرى أن الأبدان إنما تلقى هذا العرض أشد ما يكون عن الهواء البارد.

وأما الهواء الحار فليس يكاد يعرض عنه نافض، بل إنما تعرض عنه قشعريرة، والشاهد على هذا الرعدة التي تصيب المقرورين.

ولهذا ما نرى أن أقوى الأسباب في النافض هو غور الحرارة الغريزية إلى باطن البدن وبرد الأعضاء التي من خارج، فتتحرك الطبيعة إلى دفع ما يضادها، سواء كان باردا أو حارا، إلا أن البارد أشد مضادة.

وأما صاحب الكتاب الملقب بالنفخ، وهو منسوب إلى أبقراط، فهو يرى أن سبب

---

(١) الفواق: هو ترجيع الشهقة العالية.

(٢) النافض هو حمى الرعدة، وهو من نفض الثوب ليزول عنه الغبار، حركه بقوة وأحدث فيه اهتزازات.

ذلك هي رياح غير طبيعية، تتولد عن أخلاط في البدن.

ويحتج لذلك بأن الجزء الرياحي هو أشد الأسطقسات تحريكا للبدن.

وأن ما يلحق من ذاك للبدن شبيه بمثل ما لحق منه للأرض في الزلازل.

١٠٦ — وأما النافض الذي يكون عند الموت فسببه هو تريك القوة الدافعة لضعفها عن حمل الأعضاء أنفسها، ولذلك تنطفئ بأثره الحرارة الغريزية على السقام وتتحلل.

وحركتها في هذه شبيهة بالحركة غير المحصلة، التي ليس لها سبب إلا الضعف فقط، كحركة السراج عندما يريد أن ينطفئ.

ولذلك ما نرى الطبيعة عندما يطرأ عليها أمر مهلك من خارج، مثل ضرب العنق وغير ذلك، تدفع بفضول الجسم بهتا منها لما طرأ عليها من خارج.

وأما على قول أبقراط فيكون لموضع تحلل الروح إلى خارج أو لموضع استيلاء الريح، الخارجة عن الطبع المرضية، على البدن في ذلك الوقت أو للأمرين جميعا، وهو الأشبه.

١٠٧- وأما السعال فإنه حركة القوة الدافعة التي في الرئة للأشياء المؤذية لآلات التنفس. وقذفها بها للهواء الخارج بمعونة الصدر لها. ومن هنا يظهر أن للإرادة مدخلا ما في هذا الفعل.

والسبب الفاعل للسعال هو أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي.

أما المادي فإنه إما أن يكون من رطوبة تنزل من الرأس، كما يعتري في النزلات.

وإما من شيء يصل إلى الرئة من الصدر ونواحيه كما يعتري ذلك في الأورام التي فيه، وإما من شيء يتكون في جوهر الرئة بمنزلة الورم أو القرحة أو الدم المنفجر.

والدم ينبعث من هذا العضو، إما عندما ينشق عرق من عروقه وهو خطر، وقد ينبعث منه الدم على جهة الرشح لتخلخله، وقد يصير أيضا إليه من نواحي الصدر. وقد زعموا أنه كان برجل سعال شديدا حتى قذف حجرا من رئته، فسكن سعاله.

وقد زعموا أنه يكون ضرب من السعال عن تولد بعوض في الرئة!

وقد تكون المواد المحركة للسعال أمورا تطرأ من خارج، بمنزلة الغبار والدخان، وبالجملة الأشياء التي من طبيعتها أن تهيج هذا العرض، كالقطن الذي يكون في عليق الكلب.

وأما الأمزجة غير المادية فإنها أيضا تهيج هذا العرض، وإن كانت القوة الدافعة لم

تعد نحو هذا الفعل، لأنه ليس يحصل عن ذلك الفعل منفعة، كالحال في السعال المادي. لكن لحقها ذلك بالعرض.

وذلك أنه لما أريد من هذا العضو أن يتحرك لقذف الأشياء التي ترد عليه، جعل فيه قوة جيدة الحس.

فعندما تحس بأدنى شيء يصل إليها قذفت به الدافعة، فإذا عرض لها سوء مزاج غير مادي وأحست به تحركت القوة الدافعة على جهة تحركها عن المادي، لأنه لم يمكن في طباعها غير ذلك؛ فإن كل ما في الطباع إما أن يكون لمكان الضرورة، وهو الذي لا يمكن غيره، وإما أن يكون لمنفعة. وهذا المزاج يعرض إما من الأشياء التي من خارج، كما يحكى أن بعض الأطباء أمر من كان يشكو سعالا أن تضم أطواق ثيابه فبرئ. وربما كان هذا المزاج من خلط متقدم. وربما كان من مزاحمة بعض الأعضاء للرئة، كما يعتري ذلك في تورم الكبد وفي الشبع المفرط.

١٠٨ — وأما العطاس فإنه حركة بالقوة الدافعة التي في الدماغ، لتنقية الفضول التي فيه.

وقد يصحب فيه مع تنقية الدماغ أنه ينقي مع ذلك الفضول التي في الصدر والرئة. وربما اندفع به بعض ما يكون في فم المعدة. ولذلك ما نرى العطاس يهيج الجشاء.

وهذه الحركة للقوة الدافعة إنما تكون عن لذع الخلط المؤذي بكيفيته باطن الأنف. ولذلك ما نرى الأشياء التي تدخل في الأنف تهيج العطاس. وأما هل يكون هذا الفضل في بطون الدماغ فيهيج منه عطاس من قبل أن يسيل منه شيء إلى المنخرين فيبعد ذلك.

١٠٩ — وأما الفواق فهو من حركات القوة الدافعة في المعدة، وقد ذكرناه.

وكذلك الأمر في الجشاء، أعني أنه أيضا من حركة القوة الدافعة للرياح المستكنّة هنالك.

وأما التمطي فهو تمديد الأعضاء لينتفض منها الفضل البخاري المحتقن فيها — والتثاؤب هو تمط في عضل الفكين لتنقية الفضل الذي هنالك.

وأما الاختلاج فإنه يكون عن فضل بخاري تولد في العضو عن تقصير القوة الهاضمة أو رداءة المادة، أعني إذا كانت متنفخة.

فهذا هو القول في جميع الأعراض الداخلة على القوة الغاذية والقوى المنسوبة إليها.

وينبغي أن نصير إلى القول في الأعراض الداخلة على قوى الحس ونبتدئ من ذلك بأبسطها وهو اللمس.

٢١ – في الأعراض الداخلة على حس اللمس

١١٠ – والقوة الرئيسة المشتركة الحساسة، وإن كانت في القلب كما قلنا، فإنه لا يتم فعلها إلا بالدماغ والنخاع والعصب.

ولما كانت هذه الأعضاء أعني الدماغ والنخاع والعصب باردة المزاج بالطبع، رطبة سهلة الانفعال، ولم تكن رئاستها في شرف رئاسة القلب، كانت الأعراض الداخلة على هذه القوى إنما هي أكثر ذلك من جهة الدماغ أو النخاع أو العصب النابت منهما.

وأما القلب فليس يحتمل أن يلقى من الآفات والأمراض ما يكون عنه تعطل هذه القوى، بل الموت يبادر قبل ذلك، وإن كان ليس ممتنعا أن يعرض عنه ضعف في هذه الحواس.

والدليل على ذلك أنه متى قطع شريان كبير من بعض الشرايين التي تأتي الأعضاء عسر حس ذلك العضو. وما يعتري عند الغشي من ذهاب الحس والحركة شاهد على ذلك. وكذلك ما يعتري عند الفزع من الرعشة.

١١١ – وليس استعمالنا هذا الموضع على الجهة التي استعمله جالينوس في الأعصاب، لأنه قد تبين بالقول أن للقلب مدخلا في فعل هذه القوى.

وإنما استعملنا ههنا موضع الوجود والارتفاع على جهة الاستظهار.

ولما كان الأمر على ما قلنا، كان توفية الأطباء أسباب دخول الأعراض على هذه القوى، إنما هي فقط من جهة الدماغ والنخاع والعصب.

وأنت فينبغي لك أن تفهم الأمر على ما قلناه.

ومتى قصدت بالعلاج إلى هذه الأعضاء فلا تهمل أمر القلب على ما سنقوله في الجزء العلاجي. وإذ قد تبين هذا فلنشرع في تعديد الأعراض الداخلة على حس اللمس، ثم نصير بعد إلى إعطاء أسبابها وهي الأمراض الفاعلة لذلك، فنقول:

١١٢ – إن هذه القوة هي من جنس القوى المنفعلة. وذلك أنها تنفعل عن الكيفيات الأربع فتحكم عليها.

والأعراض الداخلة عليها أصنافها هي أصناف الأعراض الداخلة على سائر القوى. وذلك إما أن تتعطل جملة كالفالج، أو تنقص مثل الخدر، أو يكون انفعالها انفعالا رديئا مثل حس الوجع.

لكن تعطل هذه الحاسة جملة في جميع أجزاء البدن هو موت ضرورة.

وأما تعطلها في عضو أن نقصها في جميع البدن فذلك ممكن.

والأسباب الفاعلة لهذه الأعراض هي ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي أو غير المادي، ولننزل أن هذه الأعراض إنما تحدث أكثر ذلك والإنسان حي، متى كان سوء المزاج الفاعل لذلك إما في الدماغ وإما في النخاع وإما في الأعصاب النابتة منهما.

١١٣ — لكن ينبغي أن ننظر هل هذه الأعراض تحدث عن جميع أصناف سوء المزاج الثمانية المرضية، أم إنما تحدث عن بعضها؟ فنقول: إنه لما كانت هذه الأعضاء منها باردة يابسة وهي الأعصاب، وباردة رطبة وهي الدماغ والنخاع، كان تأثر هذه الأعضاء عن البرد أسرع، أو عن البرد والرطوبة.

ولذلك كانت أسباب هذه الأعراض في الأكثر هي البرد مفردا أو البرد والرطوبة.

وأما سوء المزاج الحار فلست أمنع أن يعرض عنه هذا العرض: فإنه إذا تبين أن كل عضو إنما يفعل بحرارة مقدرة، فلا فرق في أي جهة كان خروج تلك الحرارة التي بها تفعل في كونها سببا في تعطل فعله واختلاله. لكن إن كان مثل هذا فهو نادر.

وأما اليبس فلست أمنع كذلك أن تتولد مثل هذه الأعراض عنه.

ولذلك ما نرى الذين علت أسنانهم يعسر حسهم، لكن مثل هذا السبب يبعد أن يحدث دفعة.

لكن ينبغي أن تعلم ان المرض إذا نسب إلى كيفية واحدة أن ذلك لمكان شدة تأثير تلك الكيفية في ذلك المرض.

وذلك أنه ليس تلفى يبوسة خارجة عن الطبع خلواً من برودة، أو حرارة خارجة عن الطبع.

وكذلك الأمر في الحرارة والبرودة مع الرطوبة واليبوسة.

لكن لما كانت إحدى الكيفيتين المتلازمتين هي أملك بذلك المرض. نسبه الأطباء إليه: فإن الأمر في الأخلاط المرضية كالأمر في الأخلاط الطبيعية، أعني أنها إنما تتقوم بغلبة الكيفيتين، مثل الصفراء بالحرارة واليبوسة والدم بالحرارة والرطوبة.

١١٤ — وإذ قد تبين أن المزاج البارد، بما هو بارد، هو السبب أكثر ذلك في هذه الأعراض، سواء كان رطبا أو لم يكن، وإن كان أيضا المزاج الرطب قد يمكن أن يفعل ذلك بإرخائه لكن يعسر، كما قلنا، أن يوجد مزاج مادي رطب فقط، بل إنما يكون مركبا مع برودة أو حرارة، لكن متى كان مع حرارة فبعد أن يولد مثل هذا العرض، وإن كنت لا أمنع ذلك.

وإنما يعسر تصور مزاج مادي رطب فقط، لأن الحامل لهذا المزاج إنما هو خلط

خارج عن الطبع في البدن. والأخلاط الأربعة هي إما باردة رطبة أو باردة يابسة أو حارة رطبة أو حارة يابسة.

١١٥ – وإذ قد تبين أي أصناف سوء المزاج يكون في الأكثر سببا لدخول الأعراض على انفعالات هذه الحاسة، فلننظر كيف دخولها فنقول: إن هذا المزاج إذا حدث في الدماغ تبع ذلك عسر الحس في جميع البدن. وحدوثه في الدماغ يكون إما حدوثا أوليا، وإما بمشاركة فم المعدة. وأما متى حدث في جانب واحد منه فإنه يعتري ذلك الشق من البدن هذا العرض. وكذلك أيضا متى عرض في عصب خاص بعضو ما تعطل ذلك العضو.

والخلط الذي من شأنه أن يفعل هذا في العصب إنما يفعل ذلك بأحد وجهين: إما أن يغتذي به العصب قليلا قليلا، حتى يسوء مزاجه. وإما أن يكون العصب مستنقعا فيه وهو مبثوث حواليه. وقد يعرض ذلك في العصب المجوف من قبل السدة. والسدة تحدث من الورم ومن الخلط الغليظ ومن الضغط. وهذا مع أنه مرض آلي هو أيضًا مرض متشابه: فإن الورم والخلط الغليظ والضغط يتبعها سوء مزاج.

وهذه الأسباب إذا قويت كانت سببا إما لتعطل الحس في عضو واحد أو أكثر من واحد، وإما في جميع البدن. وإذا كانت يسيرة كانت سببا لنقصه.

فأما الإحساس الرديء، وهو المسمى وجعا، فإن سببه إما سوء مزاج حار وإما بارد مادي أو غير مادي.

١١٦ – والوجع إنما يحدث متى لم يغلب مثل هذا المزاج على جملة العضو وهذا هو الذي يعرفه الأطباء بسوء المزاج المختلف.

وأما متى غلب على جميع العضو هذا المزاج فإنه لا يحسه بتة أو يعسر حسه. والسبب في ذلك أن العضو إنما يحس بمزاجه الطبيعي: فمتى كان فيه سوء مزاج خارج عن الطبع فإنما يحسه بمزاجه الطبيعي، فإذا أفرط سوء المزاج حتى يتغير جملة مزاجه الطبيعي لم يحس به أصلا.

وكان ذلك شبه موت للعضو والكيفيات المنفعلة التي هي الرطوبة واليبوسة يقل حدوث مثل هذا العرض عنها مفردة، إذ كانت هذه الكيفيات إنما من شأنها في الأكثر أن تنفعل لا أن تفعل، بخلاف الأمر في البارد والحار، فإن الفعل في هذه أكثر. كما أن الانفعال في تلك أكثر.

ولذلك ينبغي أن تعلم أن حدوث الأمراض يكون عن سبب فاعل وقابل وكيفية

تحدث من الفاعل في القابل، فتكون الأمراض مؤلفة من شيئين: شيء يجري منها مجرى المادة، وشيء يجري مجرى الصورة، كالحال في الموجودات الطبيعية والصناعية.

١١٧ - وليس سبب الوجع تفرق الاتصال، كما يقول ذلك جالينوس، بل تفرق الاتصال هو سبب سوء المزاج الذي يحدث الوجع. فإن تفرق الاتصال إنما يكون بحركة، والحركة من شأنها أن يتبعها سوء مزاج، ولا أيضا يكون سبب الوجع من الأمرين معا: أعني التفرق والحرارة أو البرودة، كما يقول ذلك ابن سينا، فإنه قد تبين في كتاب النفس (لأرسطو) أن هذه الحاسة إنما تحس حسا أوليا الكيفيات الأربع، التي هي الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة.

وإذا كان ذلك كذلك فالآلام إنما تعتريها في إفراط محسوساتها الخاصة، على نحو ما يعتري سائر الحواس.

فإن العين إنما تألم لإفراط الألوان وخروجها عن التوسط وكذلك حال اللسان مع الطعوم والسمع مع الأصوات، والشم مع المشمومات.

ولو كانت هذه الحاسة، أعني حاسة اللمس، إنما يحدث لها الوجع بتفرق الاتصال لكان محسوسها الخاص بها إنما هو نفس تفرق الاتصال فقط؛ كما أن العين إذا كانت تألم بالألوان المفرطة فمحسوسها إنما هو جنس الألوان.

وإنما تفرق الاتصال شيء يعرض عن الكيفيات المفرطة.

ونفس الإحساس إنما هو للكيفيات، وجالينوس يقر بذلك ويقول: إن جلدة الكف إنما جعلت في غاية الاعتدال من المزاج لتدرك بها المتضادات الخارجة.

١١٨ - وإذا كان ذلك كذلك، فإفراط المتضادات هو السبب في ألمها.

فإن الأقل والأكثر يلزم ضرورة أن يكون في جنس هو هو، واللذة التي هي مقابل الوجع ليست شيئا أكثر من إدراك الحاسة المتوسطة الشبيه بها، كالحال في استلذاذ حاسة اللمس بالماء اللين، وحاسة البصر باللون الأخضر، وحاسة الذوق بالطعوم المركبة، والسمع بالألحان المعتدلة، والشم بالروائح العطرة.

فمن هذه اللذات ما يتقدمها أذى قبل، فيكون موضع اللذة في ذلك أظهر عن الطباع.

ومنها ما ليس يتقدمها أذى، فإنه ليس من شرط اللذة ولابد أن يتقدمها أذى، والأوجاع منها ما يحدث في جملة البدن، ومنها ما يحدث في عضو من أعضائه، مثل الأوجاع الحادثة في الرأس، وأوجاع المعدة. والأوجاع الحادثة في المعى ونحن نعدد من

هذه أشهرها، ونعطي أسباب جميع ذلك فنقول:

٢٢ – الأوجاع: أنواعها وأسبابها

١١٩ – إن من الأوجاع ما يحدث بالرأس، ويسمى صداعا، وسببه لا شك يكون إما سوء مزاج حار أو بارد مادي أو غير مادي. وينبغي أن تفهم من المادي الريحي وغير الريحي. وسوء هذا المزاج ربما حدث أولا في نفس الدماغ، وربما عرض له بمشاركة عضو آخر. وأكثر ما يعرض له ذلك بمشاركة المعدة.

ومن أنواع الصداع نوع مزمن يكون في جوهر الدماغ وهو المسمى بيضة، ينوب بأدوار، وليس يكون هذا النوع إلا من قبل رداءة الأخلاط مع استحالة القوى التي في الدماغ وتوليدها لمثل هذا الخلط: فإنه هكذا ينبغي أن يفهم الأمر في الأمراض المزمنة، أعني أن الأعضاء لا تزال الأخلاط تغيرها حتى تكتسب سوء مزاج فعال لذلك الخلط ولذلك يعسر برؤها أو يمتنع.

ومن هذا النوع الصداع المسمى شقيقة، وهو وجع يأخذ في نصف الرأس مع الصدغ الذي في ذلك الجانب والعين، والمادة الفاعلة لبعض أنواع هذا المرض قد تكون محمولة في دم الشرايين والدليل على ذلك أنها قد تبرأ بسل الشريان.

وهذا النوع يحدث عن صنفي سوء المزاج أعني الحار والبارد، إلا أنه لا يكون إلا ماديا فإن غير المادي قليل اللبث.

١٢٠ – ومن الأعضاء التي يحدث بها الوجع كثيرا المعدة والمعى، وذلك لمكان الطبخ الذي يكون فيها، وبالجملة إنما تحدث فيها عندما يسوء هضمها، والأسباب الفاعلة لذلك: إما غذاء ريحي وإما خلط.

والأخلاط التي تحدث بها الأوجاع في المعدة إما خلط سوداوي ريحي، وبالجملة خلط غليظ، وهذا النوع من الأوجاع هو أبرح أوجاعها. وقد يحدث ذلك عن خلط صفراوي.

وأما الأخلاط التي تحدث منها الأوجاع المزمنة، فهي إما خلط غليظ بارد كالبلغم الزجاجي وغيره، وإما خلط حار.

وأما الأوجاع الحادثة في جملة البدن فهي المسماة إعياء، وأصناف الإعياء عند الأطباء ثلاثة: الإعياء القروحي والتمددي والورمي.

وهذه الأصناف الثلاثة منها ما يحدث من خارج، ومنها ما يحدث من قبل الأخلاط أنفسها.

فالإعياء القروحي فاعله بالجملة رداءة الأخلاط وذلك إما في النوع الذي يحدث عن التعب فيما يذوب منها عند الحركة، وإما في الذي سببه خلط مادي فبكثرة مثل هذا الخلط في البدن. أعني الأخلاط الرديئة الكيفية.

وأما النوعان الأخران من الإعياء فهما من نوع واحد وإنما يختلفان بالأقل والأكثر وذلك أن التمددي إذا قوي حسه عاد وَرَمِيًّا.

وفاعل هذين أيضا إما الأخلاط التي في البدن وإما الحركة والتعب.

والذي يكون منه عن الأخلاط إنما يكون ضرورة مع كثرة الأخلاط وتزيدها في الكمية، سواء كانت خارجة في كيفيتها أو لم تكن.

والكثرة في الأخلاط إنما تكون إما من قبل الأخلاط أنفسها أو من قبل ضعف القوة أو من كليهما.

والكثرة التي تكون من قبل الأخلاط أنفسها مع صحة القوة، تعرف عند الأطباء: الامتلاء بحسب الأوعية.

وأما الكثرة التي تكون مع أحد هذه الأعراض فيعرفونه: الامتلاء بحسب القوة وذلك أن القوى تكون قد ضعفت من جهة الكمية والكيفية، وذلك في الأكثر وغير ممتنع أن يكون ضعفها من قبل الكمية، لكن عند ضعف القوى تصحبه ضرورة رداءة الكيفية.

وقد يحدث الإعياء عن سوء المزاج الحار أو البارد من غير مادة، وبالجملة فالأوجاع تحدث في البدن عن الأورام، كما تحدث عن الأخلاط أنفسها.

٢٣ – حس الشهوة للطعام والأعراض اللاحقة له

١٢١ – ولما كان الحس المسمى شهوة يخص فم المعدة فقد ينبغي أيضا أن ننظر في الأعراض اللاحقة له فنقول، إن الأعراض تدخل على هذا الانفعال على ما من شأنها أن تدخل على جميع الأفعال والانفعالات، وذلك إما بأن تبطل وإما بأن تنقص، وإما بأن يكون انفعالا رديئا.

والأسباب التي تكون للنقصان هي بعينها سبب البطلان إذا قويت، والأشياء التي تبطل هذا الانفعال المسمى شهوة أو تنقص منه هي ضرورة أحد أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي.

وهذه الأصناف من سوء المزاج منها ما يحدث بهذا العضو حدوثا أوليا، ومنها ما يحدث فيه بمشاركة غيره على ما من شأن الأعضاء أن تلقى الآفات من غيرها فالمزاج الذي إذا حدث بنفس هذا العضو أضر لانفعاله هي الحرارة الخارجة عن الطبع.

وأما البرودة فقد يظن بها أنها أولى أن تكون سببا في إفراط الشهوة منها لبطلانها لأن هذا الفعل من هذا العضو إنما يتم بالبرودة ولذلك كان ما يصير إليه من الطحال من الحمضة معينا على هذا الانفعال لكن متى أفرطت البرودة لست أمنع أن تكون سببا لتعطل هذا الانفعال وكذلك متى فرطت عليه الرطوبة أو اليبوسة.

فإن كان عضو إنما يفعل أو ينفعل على المجرى الطبيعي بمزاج مقدر في الكيفيات الأربع.

وأما الذي يكون لها بمشاركة غيره فمثل أن يكون سوء المزاج الواصل إليها من قبل الدماغ للمشاركة التي بينهما وذلك إما في الدماغ نفسه، وإما في العصب الواصل إليها منه.

وقد يكون ذلك من قبل أن البدن يكون مملوءا فضولا كثيرة يعسر تحللها، فلا تحتاج الأعضاء عند ذلك إلى غذاء، لأن حس الشهوة إنما يكون عندما يتحلل من أبداننا شيء يجب أن يخلف مكانه.

وليس يمتنع، كما يقول جالينوس، أن يكون أحد أسباب حس هذا العضو أنه إذا فقدت الأعضاء الغذاء اجتذبت من الكبد، فتجتذب الكبد منها وبخاصة بالعروق الواصلة منها لفم المعدة، فيفرط تحلل فم المعدة، فيحدث الاشتياق إلى بدل ما تحلل مع ما تحلل أيضا مع العضو نفسه. والجذب في هذه الحركة هو مضاد للجذب الذي يكون على طريق التغذي لأن الذي يكون على طريق التغذي هو جذب فم المعدة من الكبد. والجذب الذي يحرك الشهوة هو جذب الكبد من فم المعدة.

لكن إنما أنسنا بهذا القول أن كل واحد من الأعضاء مضطر في أن يخلف فيه بدل ما تحلل منه، وليس فيه مع هذا حس بهذا الألم، أعني بالتحلل الذي يصيبه.

١٢٢ — وإذا كان ذلك كذلك كان جميع الأعضاء إنما تحس بالتحلل بهذا العضو وهو خادم لها في هذا، ونقول أيضًا إن التحلل الذي يصيبه في ذاته هو أبدا كأنه مقارن لتحلل الأعضاء أنفسها من جهة ما هو عضو واحد منها، لأن الأعضاء من شأنها أن تجتذب منه شيئا.

لكن لما كان مع تحلل الأعضاء تفرط شهوة هذا العضو وتنقص مع عدم التحلل، ظهر أن ذلك لمناسبة ذاتية ومواصلة غير عرضية بينه وبين سائر الأعضاء، وكأنه كما قلنا سبارها الذي تحس به هذا الألم كما أن بالعصب تحس الأعضاء التي ليست عصبا، وباللسان يدرك المرء الأغذية الموافقة لجميع جنسه وغير الموافقة.

١٢٣ – ولما كان حس هذا العضو واشتياقه إلى الحار اليابس وهو الغذاء، والبارد الرطب وهو الماء، وجب أن يكون تقاؤه للأعراض في هذين الصنفين إما تعطل شهوته للحار اليابس أو نقصانها فمن قبل وجود الحار اليابس له فقد وفينا أسباب ذلك.

وأما تعطل شهوة البارد الرطب فمن قبل أيضا وجود هذا المزاج له، ولذلك قال الأطباء إن عدم شهوة الغذاء يكون من الحرارة واليبس، وعدم شهوة الماء من وجود الرطوبة والبرودة له.

وبالجملة فإنه يكون عن سوء مزاج بارد رطب، أو بارد فقط.

وأما عن سوء مزاج حار يابس فيعسر تصوره، اللهم إلا ما يظن أن ذلك يعترى في أواخر الحميات المحرقة عند القرب من الموت.

وأما اختلال هذا الانفعال وخروجه عن المجرى الطبيعي، إما في الكمية وإما في الكيفية: أما في الكمية فمثل الشهوة التي تكون أكثر من الهضم، وأما في الكيفية فمثل اشتهاء الأشياء الرديئة الطعوم، مثل أكل الفحم والطفل[1] وغير ذلك، فسببه يكون: إما في إفراط كمية شهوة الطعام فأحد أمرين، إما تحلل مفرط أصاب الجسم كما يعتري الناقهين، فإن هؤلاء شهوتهم أكثر من هضمهم، وإما لبرد في فم المعدة أكثر مما ينبغي، فإن هذا الفعل كما قلنا إنما يتقوم ويتم بالبرد، فإذا تزيد برده من غير إفراط حدثت شهوة كاذبة. ولذلك كانت الأشياء الحامضة تهيج الشهوة. سوء المزاج هذا قد يكون غير مادي، وقد يكون ماديا عن بلغم حامض أو سوداء، والحادث عن سوء المزاج المادي يسمى الشهوة الكلبية.

وأما إفراط الشهوة للبارد الرطب فسبب ذلك ضرورة سوء مزاج حار يابس مادي أو غير مادي، وسوء المزاج المادي الذي يفعل هذا العرض في هذا العضو هو إما مرة صفراء وإما بلغم مالح، وسوء المزاج الحادث بهذا العضو قد يكون حدوثه فيه أوليا، وقد يكون لمجاورة غيره ومشاركته مثل الكبد والرئة وغير ذلك.

١٢٤ – وبالجملة فكما قلنا قبل إن إحساس الأعضاء بما يتحلل منها من الجزء الحار اليابس إنما يكون بهذا العضو عندما يجذب منه غيره من الأعضاء، كذلك لست أمنع أن يكون الأمر في شهوة البارد الرطب.

وينبغي أن تعلم أنه قد تدخل أعراض رديئة على القوة الدافعة أو الجاذبة من تعطل

---

(١) أي: سقط النار.

فعل الحس: وذلك أن القوة إنما تدفع في الأكثر عندما تحس بالمؤذي كالحال في المعى.

ولذلك متى تعطل حسه عرض عن ذلك نوع من القولنج، وكذلك متى تعطل حس فم المعدة تعطلت القوة الجاذبة التي في المعدة.

٢٤ – الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية

١٢٥ – وإذ قد قلنا في الأعراض الداخلة على حس اللمس فقد ينبغي أن نقول في الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية.

فإن في الأكثر مع تعطل أحدهما يتعطل الآخر، وبخاصة إذا كان العرض في جملة البدن.

وأما إذا كان في عضو واحد منها فقد يتفق فيه أن يتعطل أو يعسر منه الحس والحركة، وقد يتفق أن تبطل الحركة ويبقى الحس أو يبطل الحس وتبقى الحركة، وذلك فيما حكى جالينوس.

وهذه المشاهد مطابقة لما قيل في سبب الحس والحركة، فإن الحرارة النفسانية التي بها يكون الحس غير الحرارة النفسانية التي بها تكون الحركات، والمغايرة التي بينهما إنما هي في المزاج المقدر في حرارة حرارة من الحرارات المختصة بفعل ذلك العضو.

ولذلك ما يلزم ضرورة أن تكون أمزجة أعصاب الحركة غير أمزجة أعصاب الحس لموضع تعديلها للحرارة التي بها يكون هذا الفعلان، ولذلك متى بتر عصب الحس ارتفع الحس وبقيت الحركة، ومتى بتر أو شد عصب الحركة بقي الحس وتعطلت الحركة، ومتى شد العصبان بطلا معا.

وهذا العرض إذا حدث في جميع البدن أعني عدم الحركة سمي استرخاء، وإذا حدث في عضو واحد سمي فالجا.

١٢٦ – وأنت فتقدر من نفسك أن تأتي بعرض عرض من الأعراض الداخلة على جميع أعضاء الحركة لعلمك بها مما قد سلف، فإنه متى انقطع عصب الصوت تعطل أو ضعف، وكذلك عصب حركة الصدر والحجاب متى تعطل اختنق العليل، وبالجملة سائر الحركات الإرادية.

كما يصيب من يخدر منه العصب الذي به تكون حركة عضل المثانة أو عضل الدبر، فإن هؤلاء تخرج منهم الفضلة الرطبة واليابسة من غير إرادة وأنت أيضا بمعرفتك بمنابت العصب وباتصاله بعضو عضو فقد تقدر أن تعلم، إذا اختل فعل عضو ما، أي العصب هو السبب في اختلال فعل ذلك العضو والأعراض اللاحقة لهذه الآلات، أعني

آلات الحركة، هي أيضا ثلاثة أصناف: إما أن تتعطل فتسمى كما قلنا استرخاء أو فالجا.

وإما أن تنقص فيسمى ذلك خدرا، وإن كان هذا الاسم إنما يتطلق على نقصان الحس والحركة، وإما أن يجري مجرى رديئا وهذا يسمى رعشة وتشنجا.

١٢٧ — وينبغي أن ننظر في جميع أسباب ذلك فنقول: أما أسباب تعطل الحركة أو نقصانها فهي بعينها أسباب تعطل الحس، وينبغي ما قلناه هنالك من مشاركة القلب أن نتصوره أيضا ههنا.

وكذلك ما قلناه أيضا في تعديد أصناف سوء المزاج الفاعلة لذلك العرض يجب أن يتصور الأمر ههنا كذلك.

وأما الرعشة فهي حركة مركبة تحدث للعضو من مقاومة القوة المحركة النفسانية لقوة الميل التي في العضو ومجاذبتها لها، إذا لم تستطع القوة المحركة أن تغلبها كل المغالبة بل تحدث بينهما حركة متضادة أحيانا إلى فوق، إذا غلبت القوة المحركة، وأحيانا إلى أسفل، إذا غلبت قوة الميل التي في العضو فيحدث بينهما لذلك تجاذب ما.

وسبب هذا الضعف يكون أحد أصناف سوء المزاج، لكن أكثر ذلك إنما يعرض هذا العرض عن المزاج البارد فقط، أو البارد الرطب.

والسبب في ذلك أن العصب إنما يلقى الأفات أكثر ذلك عن هذا المزاج على ما سلف من قولنا.

وأما التشنج فإنه اجتماع العصبة إلى نفسها وقصرها في الطول، فينجذب لذلك العضل نفسه حتى يتشنج العضو.

وهذا العرض يلقاه من أحد شيئين على مثال ما تلقاه الأشياء التي من خارج، مثل الأوتار وغيرها.

وذانك الشيئان هما إما سوء مزاج حار يستوي عليه فينقبض ويتشنج، كالحال في الأوتار في زمن الحر، وإما سوء مزاج رطب مادي يملأ العصب ويمدده فيتزيد عرضه، وعندما يتزيد عرضه ينقص من طوله بذلك المقدار ضرورة.

والشيء الذي يفعل ذلك في العصب حتى يمدده هو استحالة تلك الرطوبة إلى هوائية مائية، فيضيق عند ذلك جرم العصب عنه مثل ما يعتري في الدنان.

١٢٨ — وإنما كان ذلك كذلك لأن الأجزاء الهوائية أعظم مقدارا من الأجزاء المائية والأرضية.

ولذلك متى استحالت الأشياء الرطبة إلى اليبوسة تقبضت واجتمعت بمنزلة السيور

(قطع من الجلد) التي تلقى على النار، ومتى استحالت إلى الهوائية كانت أعظم كمية لكن الذي يلزم عن الرطوبة الزائدة في العصب أن يتمدد في جميع الأقطار لا أن يتشنج، ولِمَ، ليت شعري، يكون التمدد في العرض دون الطول؟ إلا أن نقول إن التمدد الذي في العرض يغلب في حال التشنج التمدد الذي يعرض في الطول فيتشنج العصب ضرورة وجالينوس لا يعرف إلى التشنج، وهو النقصان الذي يكون في الطول، ويسميه في بعض الأحيان تمددا، ولا سيما التشنج العام في جميع البدن من خلف وقدام.

وأما بعض الأطباء فإنهم يفهمون من التمدد مقابل التشنج، وهذا لا يعرض ضرورة إلا من الرطوبة فقط لكن كونه في الطول دون العرض فيلحق فيه الشك الذي لحق في التمدد الذي يكون في العرض دون الطول الذي هو عند جالينوس سبب التشنج الرطب.

وبالجملة ما يقوله الأطباء في هذا العرض هو أن يكون قولا شعريا أحرى منه أن يكون برهانيا.

ولعلنا سنفرد في ذلك قولا برهانيا.

وعندما يعرض أيضا هذا التشنج كثيرا ما تحدث مقاومة بين هاتين الحركتين، حركة القوة الدافعة وحركة التشنج، وقد يعتري العصب ضرب آخر من التشنج ليس سببه استيلاء الحر واليبس، ولا رطوبة هوائية تمدده بل إنما يكون سببه إفراط تحرك القوة الدافعة التي فيه للشيء المؤلم له، فيجتمع عند ذلك إلى نفسه وينقبض ليقوى على دفع الشيء المؤذي.

وهذا النوع متى عرض كان سريع الانحلال.

٢٥ — في حاسة الذوق

١٢٩ — وإذ قد بينا الأعراض الداخلة على هذه القوة وعلى قوة حس اللمس فلننقل في حاسة الذوق، وحاسة الذوق تدخل عليها الأعراض على تلك الأوجه الثلاثة وذلك إما أن تبطل أو تضعف أو تحس حسا رديئا، والسبب في بطلانها هو أحد أصناف سوء المزاج.

وذلك إذا كان حدوثه إما في آلة هذه الحاسة نفسها وهو اللسان. أو في العضو المشارك له وهو الدماغ أو العصب الذي يأتيه منه وضعفه يكون لهذه الأسباب بعينها إذا كانت أنقص.

وأما ما يعرض له من أن يحس إحساسا رديئا فذلك يتفق له على أحد وجهين: إما أن يحس طعما ما من غير ذوق شيء.

وإما أن يجد طعم الأشياء المذوقة على غير كنهها، مثل أن يجد الحلوة مرة أو حامضة أو غير ذلك.

أما إحساسه طعوما من غير أن يذوق شيئا من خارج فذلك يعرض له ضرورة من سوء مزاج مادي. فيجد طعم ذلك الخلط إن مُرًّا فمُرٌّ، وإن حامضا فحامض، وإن حلوًا فحلو.

١٣٠ - وإذا تمكن سوء هذا المزاج عرض له أن يحس الأشياء كلها بذوق ذلك الطعم المتمكن فيه.

وذلك أنه قد تبين في العلم الطبيعي أن جميع الحواس ينبغي أن تكون آلتها خالية من جنس مدركاتها، وإلا لم تدركها.

مثال ذلك أن ناظر العين لو كان ذا لون لم يقبل الألوان.

وكذلك الحال في هذه الحاسة. ولذلك متى عرض لها هذا العارض احست الأشياء كلها بطعم واحد وقد يعرض لها عندما يكون الطعم الغريب الذي فيه غير متمكن إذا ذاقت الأشياء أن تحس طعوما ممتزجة عن الطعم الغريب الذي في هذه الآلة والطعم الوارد عليها من خارج، كما يحدث لمن يأكل شيئا مرا ثم يشرب ماء أن يجد طعم ذلك الماء حلوا، وأما حاسة الشم فإنه يعرض لها أيضا إما أن تبطل، وإما أن تنقص، وإما أن تحس حسا منكرا.

أما بطلانها فإنه يعرض لها لأحد أمرين: إما لسوء مزاج يغلب عليها، وإما لسدة تعرض في مجرى هذه الآلة، ونقصانها يكون من ضعف هذه الأسباب بعينها.

وأما حسها المنكر فإنه يعرض لها عندما يعرض في الآلة عفونة ما، فتحس روائح كريهة.

٢٦ - في حاسة السمع

١٣١ - وأما حاسة السمع فإنه يعرض لها إما أن تبطل، وذلك إما لسوء مزاج وإما لسدة في آلة هذه الحاسة وهي الأذن.

ومن هذه بعينها يعرض لها أن تنقص.

وأما السمع الكاذب الذي يعرض لها فإنما يكون من احد امرين:

إما لإفراط حسها حتى تحس بأدنى حركة تكون للهواء المبثوث في الأذن، وإما لريح مستكنة خارجة عن المجرى الطبيعي.

٢٧ - في حاسة البصر

١٣٢ - وهذه الحاسة تدخل عليها الآفات أيضا من ثلاثة أوجه، وذلك إما أن لا تبصر أصلا ويسمى ذلك عمى، وإما أن تضعف ويسمى ذلك عَشاً، وإما أن تبصر إبصارا منكرا، والأسباب الفاعلة لهذه الأعراض تدخل على هذه الحاسة من تغير واحد من الأجسام التي أعدت نحو هذا الإدراك أو أكثر من واحد.

١٣٣ - وأنت فقد تبين لك من كم من شيء تلتئم هذه الحاسة، ولذلك قد ينبغي أن نصير إلى إعطاء هذه الأعراض من هذه الجهة، فنقول: أما أسباب العمى فهي أمور أحدهما السدة التي تحدث في العصبة الآتية من الدماغ إلى العينين بالروح الباصر.

ولست أمنع أن يعرض ذلك من قبل سوء مزاج في ذلك الروح: فإن الأعضاء إنما تفعل أو تنفعل بأمزجة مقدرة في الكمية والكيفية.

وسوء هذا المزاج إما أن يكون باردا فيكثفه ويغلظه حتى لا يمكن فيه انفعال الإبصار، وإما أن يكون حارا فيفرقه ويبدده حتى لا تنضبط فيه الصور، وقد يعتري ذلك أيضا من أمراض الرطوبة الجليدية أو الطبقة العنكبوتية أو كليهما.

وذلك أيضا إذا كدرت وعدمت الصفاء جملة حتى لا يمكن أن تنطبع فيها الألوان.

و كذلك يحدث أيضا من نزول الماء في الرطوبة البيضية حتى تكدر وتعدم الصفاء.

وقد يعرض من انخراق القرنية انخراقا شديدا ونتوء العنبية، كما يعتري ذلك في قروح العين الرديئة.

وكذلك يعتري من سيلان الرطوبة البيضية.

وقد يعتري ذلك من الظفرة النابتة في الملتحم، إذا غشت ثقب الحدقة كله.

وأكثر من هذه كلها وأحرى أن يكون سببا للعمى هي الأورام العظام التي تحدث في جملة العين، حتى تقيح بجميع أجزائها أو أكثرها وتسيل.

وكذلك القروح العظام التي تتآكل بها طبقات العين.

١٣٤ - وأما أسباب ضعف البصر فهي متشعبة من قبل أن ضعف البصر يعرض للناس على أوجه شتى.

وذلك أن منهم من لا يبصر الأشياء على بعد ويبصرها على قرب، ومنهم من يلفى الأمر فيه بعكس هذا، أعني أنه يبصر الأشياء على بعد ولا يبصرها على قرب.

ومن الناس من يكون على القرب والبعد ضعيف البصر، لكنه إذا كان على القرب فهو على البعد أكثر.

وهذا في مقابل الجيد البصر على الإطلاق.

وذلك أن جودة البصر إنما تكون بأن تبصر الأشياء على القرب والبعد على حالة واحدة.

وبالجملة فقوة البصر إنما تنسب إلى رؤية الأشياء على بعد، كما يقال في زرقاء اليمامة.

وذلك إنما يكون لصفاء الآلة وجودة القوة وذكاء حسها كما نرى ذلك في الجوارح وفي كثير من الطير، فإنه يظن أن الإنسان أضعف بصرا من كثير من الحيوانات وبخاصة الطائرة. وكذلك يظن به في آلة السمع والشم.

١٣٥ — وإذا كان هذا كله كما وصفنا فضعف الإبصار الذي هو في مقابل جودة الإبصار يكون ضرورة إما لضعف قوة الحاسة وقلة ذكائها، وإما لقلة صفاء هذه الآلة.

والضعف قد يكون لقوة هذه الحاسة طبيعيا، وقد يكون عرضيا مثل أن تكون العين بارزة إلى خارج فتضعف من لقاء الهواء والنور لها، وتمكنهما منها.

وقد يكون ذلك لاتساع الثقب الذي في العنبية فيتمكن الهواء من مزاج العين ويغيرها.

وأسباب اتساع هذا الثقب يكون إما لتقلص يعتري الطبقة العنبية من جفوف، وإما لرطوبة تمددها حتى تتشنج، وإما لكثرة الرطوبة البيضية حتى تمددها، وقد يعتري هذا العرض لضيق هذا الثقب أكثر مما ينبغي، وذلك يكون إذا استرخت الطبقة العنبية. واسترخاؤها يكون إما من رطوبة فيها وإما من قبل قلة الرطوبة البيضية، فتسترخي العنبية وتقع أجزاؤها بعضها على بعض، قالوا وأما متى كان ضيق هذا الثقب طبيعيا فهو محمود.

وقد يكون ضعف البصر عن مرض من أمراض الأجفان، وقد عددها أصحاب الكنانيش وهي بالجملة إنما تتولد عن سوء مزاج مادي.

١٣٦ — وبالجملة فأسباب ضعف البصر هي على النصف من أسباب العمى.

وأما الذين يبصرون الأشياء على القرب بصرا جيدا ولا يبصرونها على البعد، فإما أن نتوهم أن بصرهم للأشياء على قرب ليس يكون على نحو إبصار الذين يبصرون الأشياء على قرب وبعد إبصارا جيدا، فيكون هؤلاء من ضعف البصر في الحال المتوسطة بين الضعيف البصر بإطلاق، وهو الذي يبصر الأشياء بصرا ضعيفا على القرب والبعد، وبين الجيد البصر بإطلاق لأنه ليس يمكن أن يكون نظر الأشياء القريبة والبعيدة نظرا واحدا لا في الضعيف البصر بإطلاق ولا في القوي البصر.

ونقول إن الأبصار السليمة إنما تتفاضل في رؤية الأشياء البعيدة.

وأما القريبة فتراها على كنه واحد، فإنه ليس يشك أحد أنا نبصر الأشياء القريبة منا على نحو ما تبصرها العقبان[١].

وإنما تفضلنا في النظر إلى الأشياء البعيدة، وإذا كان هذا موجودا في الأنواع فكذلك لا يمتنع أن يوجد في الأشخاص.

وأما لم كان بعض الناس يبصرون على بعد ولا يبصرون من قرب، فالسبب في ذلك ضعف بصره وقلة إشفافه، وذلك أن الأشياء لما كانت إنما تبصر بتوسط الهواء والضوء.

وكانت الأبصار الضعيفة تحتاج إلى ضوء أكثر مما تحتاج إليه الأبصار الحادة وإلى أن يكون الشيء المبصر منه بعيدا، لأنه يكون أضعف تحريكا للبصر. وأما إذا قرب فإن البصر الضعيف لا يحتمله.

والشيء إذا بعد من البصر كان الضوء الواقع بينه وبين المبصر أكثر ضرورة ولكون الألوان إنما تبصر بتوسط الضوء والهواء صارت المرئيات إذا وضعت على الحدقة نفسها لم تبصرها، لأن إدراك هذه الحاسة لا يكون إلا بتوسط وضوء فالبصر الضعيف يكدره المرئي القريب.

والذين يحتاجون إلى تحريك من المبصرات قوي يبصرون من قرب ولا يبصرون من بعد، وهم أكثر ذلك الجهر وتكون أعين هؤلاء بارزة لضعف تحريك المبصر الضعيف في حقه.

ولذلك كانت الأعين الغائرة تبصر من بعد لأن الشعاع إذا انضم وتكاثف قوي كالحال في جري الماء ولهذا نرى من ضعف بصره من الشيوخ ليس يمكنه أن يقرأ الخط الدقيق إلا في الشمس ويبصر الأشياء البعيدة ولا يبصر الأشياء القريبة.

ويشبه أن يكون مثل هذا الضعف في الإبصار إنما سببه سوء مزاج يابس: إما عرضي وإما طبيعي أو رطوبة كدرة وذلك أن اليبوسة كما قيل عسرة الانفعال من غيرها، والرطوبة سهلة الانفعال من غيرها.

ومن هذا القبيل هو المرض المسمى عشا العين بتخصيص، وذلك أن صاحب هذا المرض يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لأنه لا يكتفي بشعاع الكواكب ولا بالسرج وذلك،

(١) جمع عُقاب وهو طائر.

إما لكدره وإما لعسر قبوله.

١٣٧ — فهذه هي الأشياء التي تطابق ما قيل من أمر الإبصار في العلم الطبيعي. وأما الأسباب التي يروم الأطباء أن يعطوها في هذه الأعراض فتلك أشياء مبنية على أصول فاسدة، فإنه ليس في العين جسم يمكن أن يتوهم خارجا منها على ما يقوله أصحاب الشعاعات غير الحار الغريزي الواصل من الدماغ إلى العينين في العصبتين المجوفتين. والحار الغريزي ليس يمكن أن يفارق البدن طرفة عين، فيبقى حارا غريزيا فضلا عن أن يمتد حتى يلقى الكواكب.

بل كان قبل ذلك يتهيأ ويفسد مزاجه من جهة ما هو حار غريزي، ولا أيضا العين جسم فلكي ولا ناري فيكون فيها شعاع فتكون مضيئة بالطبع، على أن الشعاع هو المرئي الأول بذاته، ولا يصح أن يكون للقابل في جوهره شيء من المقبول، وهذا كله قد تبين في العلم الطبيعي.

١٣٨ — بل ينبغي أن يوضع وضعا أن الإبصار يكون بارتسام الألوان في الهواء المضيء، وتأدية الهواء تلك الألوان بعينها إلى الحدقة، حتى ترتسم فيها فتدرك معاني تلك الألوان القوة المبصرة.

ولذلك جعلت الحدقة مركبة من أجسام شفافة وهما الماء والهواء، فإنه لا يمكن في هذه الحاسة أن تدرك صورة الألوان إلا بعد حصولها في المتوسط. بخلاف الحواس التي لا تحتاج إلى متوسط.

١٣٩ — وأما الأعراض المنكرة التي تدخل على هذه الحاسة فهي أشياء كثيرة قد تبينت في علم المناظر. لكن الذي ينبغي أن يذكر بحق ههنا من ذلك ما كان سببه مرضا من الأمراض. فنقول: إنه يعرض لها إذا اختلف وضعها أن تبصر الشيء الواحد شيئين، مثل أن ترتفع الحدقة الواحدة وتنزل الأخرى. وسبب هذا معطى في علم المناظر.

وقد يعرض لها أن ترى جميع الألوان حمرا أو صفرا أو مسودة.

والسبب في ذلك الأبخرة التي تترقى إلى الرطوبة المشفة التي بها يكون الإبصار، وذلك أنه متى كانت صفراوية أبصرت جميع الأشياء صفرا، وكذلك متى كانت مسودة، وقد يرى أيضا بعض الناس بقا أو ذبابا يطير بين يديه. والسبب في ذلك أبخرة متشتتة تترقى إلى العين.

وقد ينظر إلى الأشياء كأن فيها كوة، والسبب في ذلك بخار أسود يكون في وسط الناظر إلا أنه لا يبلغ أن يسد جميع الناظر، وقد تعرض أيضا إحساسات رديئة للذين يفسد

تخيلهم فإنه لما كانت حركة المحسوسات إنما تكون من خارج إلى داخل لم يمتنع أن ينعكس الأمر، فيكون من تخيل شيئا ما وتقوى تخيله له تعود تلك الصورة المتخيلة، فتحرك الحاسة.

فترى تلك الصورة كأنها خارج العين، وقد تبرهن سبب هذا في العلم الطبيعي.

١٤٠ - فهذه جميع الأعراض الداخلة على الحواس الخمس، وينبغي أن نقول في الأعراض التي تدخل على التنفس ثم نصير بعد ذلك إلى الأعراض التي تدخل على قوة التخيل والذكر والفكر، ثم أعراض النوم واليقظة، ثم نعدد بعد ذلك من الأمراض ما يلفى فيها أكثر هذه الأعراض أو جميعها، مما شأنه أن يحدث في الأكثر. وبتمام هذا الغرض يتم هذا الجزء من الطب.

٢٨ - في أعراض التنفس

١٤١ - والأعراض الداخلة على هذه القوة هي من جنس الزيادة والنقصان، لأن تعطل هذا الفعل هو موت ضرورة، وإن كان قد يعرض له في كثير من الأمراض أن يخفى على الحس في بادئ الرأي. كما يعتري ذلك في العلة المسماة اختناق الرحم.

ولما كان هذا الفعل إنما يكون عن حركتي إدخال الهواء وإخراجه، وكان كل حركتين بينهما سكون على ما تبين في العلم الطبيعي، وجب أن تكون الزيادة والنقصان يلحقان هذه الأشياء الأربعة: أعني الحركتين والسكونين، وأما السكونان فنقصهما يسمى تواترا، وزيادتهما تفاوتا.

وأما الحركتان فتلحقهما الزيادة والنقصان في شيئين: أحدهما السرعة والبطأة، والآخر عظم الأبعاد الثلاثة، التي هي الطول والعرض والعمق، وصغرها وهو الانبساط والانقباض، والزيادة في هذا المعنى تسمى عظما والنقصان يسمى صغرا فهذه جميع أنواع سوء التنفس البسيطة.

١٤٢ - وينبغي أن نقول في الأسباب الفاعلة لواحد واحد منها، فإن بمعرف البسيط يعرف المركب، فنقول: أما سبب العظم فالحاجة الشديدة إلى التنفس.

وذلك يكون مع صحة القوة الفاعلة ومواتاة الآلات، ويكون سبب ذلك: إما في إدخال الهواء فشدة الحاجة إلى التبريد، وإما في إخراجه فشدة الحاجة إلى نفض الجوهر الدخاني.

ولذلك قد يعظم أحدهما ولا يعظم الآخر.

وكذلك السرعة أيضا سببها شدة الحاجة إلى التنفس، إلا أنه ليس يلزم ولابد أن

يكون مع صحة القوة الفاعلة ومواتاة الآلات؛ بل كثيرا ما تستعمل القوة السرعة عند عجزها عن أن تفعل التنفس العظيم، لتستدرك بالسرعة ما فاتها من العظم.

وكذلك يعتري ذلك عندما تكون القوة قوية، والآلات غير مواتية لذلك.

١٤٣ — وأما التواتر فإنه أيضا لمكان الحاجة الشديدة إلى التنفس.

لكن ليس يلزم أن يكون مع صحة القوة ومواتاة الآلات، بل كثيرا ما تستعمله الطباع عندما يفوتها العظم.

وكذلك قد تستعمله عندما تفوتها السرعة لعجز القوة عن ذلك.

وإذا كان هذا كله كما وصفنا، فإذا اتفق في التنفس أن كان سريعا عظيما متواترا، فهناك أشد الحاجة إلى التنفس مع صحة القوة ومواتاة الآلات.

وأما أسباب النقص في هذه الأشياء فهي أضداد أسباب الزيادة: أما الصغر فإنه يفعله إما ضعف القوة وإما لأن الآلات لا تواتي.

وعدم مواتاة الآلات يكون إما لسدد في تجاويف قصبة الرئة، والسدة فيها تكون من أخلاط بلغمية تنصب من الرأس وبخاصة في المرض المسمى بهرا، أو تكون أيضا من الأورام، وبالجملة من الأشياء التي تعرض منها السدد.

وقد يكون ذلك لضيق تجويف الصدر الذي فيه تتحرك الرئة. إما لورم هنالك، وإما لضغط كما يعتري في أورام الكبد وفم المعدة.

وقد يعتري ذلك عند الشبع الكثير.

وقد يكون سبب سوء التنفس في أناس أن الصدور منهم ليست على نسبة رئاتهم وقد يكون أيضا سبب ضيق الصدر القماط وغير ذلك.

ومن أسباب الصغر الوجع الحادث في الحجاب أو الصدر أو الأعضاء المشاركة لها.

وأما أسباب البطأة فالفاعل له شيئان: إما ضعف القوة وإما قلة الحاجة إلى إدخال الهواء وإخراجه.

لكن إذا كان السبب في ذلك قلة الحاجة لم تكن هنالك تواتر.

وأما إذا كان السبب في ذلك ضعف القوة فقط، فربما كان هنالك تواتر فهذه جميع أنواع سوء التنفس البسيطة وأسبابه.

١٤٤ — ولن يخفى عليك المركب مثل التنفس الذي يسميه الأطباء نفس الانتصاب. فإنه تنفس سريع متواتر، والسبب فيه أن القوة قوية والحاجة شديدة والآلة غير مواتية.

وذلك أن هذا التنفس إنما يحدث عن الأورام العظام الحادثة في الرئة والسدد العظام.

وإنما سمي نفس الانتصاب من هيئة صاحبه، وذلك أنه لا يستطيع أن يستلقي على ظهره، لأن أجزاء الرئة حينئذ يقع بعضها على بعض، وتقع أيضا أجزاء الصدر عليها، فيضطرهم الأمر إلى هذا الوضع.

وينبغي أن تعلم أن الوقوف الذي يكون بعد إدخال الهواء أقصر مدة في التنفس الطبيعي من الوقوف الذي يكون بعد إخراج الهواء، وأن حركة الإخراج في النوم أطول من حركة الإدخال للحاجة هنالك إلى نفض الجوهر الدخاني. وهذا الذي قلناه في أعراض التنفس كاف بحسب غرضنا في الإيجاز.

٢٩ – القول في أعراض القوى السياسية وهي التخيل والفكر والذكر

١٤٥ – وهذه القوى يظهر من أمرها أنها لا يتم فعلها إلا بالدماغ.

ولما كان الدماغ سهل الانفعال لكونه باردا رطبا، كانت الأعراض الداخلة على هذه القوى أكثر ذلك إنما سببها أمراض الدماغ: إما مرض أولي فيه، وإما بمشاركة غيره من الأعضاء وهذه القوى إما أن يعتل جميعها، وذلك إذا كانت الآفة في جميع الدماغ، وإما أن يعتل بعضها وذلك إذا كانت الآفة في الموضع الذي يخص قوة قوة من هذه القوى، فإنه متى اعتل مقدم الدماغ اعتل التخيل، ومتى اعتل وسطه اعتل الفكر، ومتى اعتل مؤخره اعتل الذكر والحفظ.

١٤٦ – وهذه القوى تلقى الأعراض أيضا على الأنحاء الثلاثة التي لقيتها سائر القوى.

وذلك إما أن تبطل، وإما أن تنقص، وإما أن يجري فعلها مجرى رديئا.

فأما سبب تعطل هذه الأفعال أو نقصانها فهو سوء المزاج البارد الرطب، أو البارد فقط وهذا منه مادي ومنه غير مادي والمادي إنما يوجد أبدا مزدوجا في كيفيتين، مثل ما يعتري ذلك في المرض المسمى سكاتا أو سباتا. وربما كان المزاج المادي مع تورم، مثل العلة التي تعرف بالسرسام البارد وربما كان هذا الألم للدماغ بتوسط فم المعدة.

١٤٧ – وأما السبب في أن يكون فعل هذه القوى فعلا منكرا فهو سوء المزاج الصفراوي أو السوداوي. وذلك أنه متى غلب على الدماغ سوء مزاج صفراوي حدثت تخاييل فاسدة وتوثب وأرق وغير ذلك من اختلال الفكر والذكر. وهذا ربما كان عن

سوء مزاج حادث في الدماغ فقط دون تورم. وهذا أيضا ربما كان في الدماغ نفسه وربما كان بمشاركة غيره من الأعضاء. كما يعتري ذلك في الحميات الحادة من الأبخرة الصاعدة من المعدة إليه، وربما كان هذا مع تورم. والتورم ربما كان في نفس الدماغ وربما كان في الحجاب أو عن الأورام التي تكون في فم المعدة.

وأما الفساد الذي يعرض عن سوء المزاج السوداوي فيخصه فزع من غير سبب، وأفكار رديئة وهموم وسوء ظنون، وخوف أمور غير ممكنة الوقوع.

وإذا كانت هذه السوداء محترقة شابتها أعراض الصفراء، فكان عن ذلك توثب وتهور وأخلاق سبعية.

وهذا الفعل للنفس إنما هو شيء تابع للمزاج السوداوي، لا أن سبب ذلك هو ظلام السوداء وسوادها، كما تسمع الأطباء يقولون ذلك؛ فإنه ليس اللون بالذات سببا لاختلال قوة من قوى النفس، وإنما سبب ذلك أحد أصناف سوء المزاج كما أنها السبب في جميع الآفات.

وقولهم إن النفس تستوحش من الخلط السوداوي كما يستوحش المرء من الظلمة قول شعري، لأن الأذى الذي يلحق النفس في الظلام ليس شيئا أكثر من عدم حاسة البصر محسوسها. والنفس داخل الجسم ليست مبصرة فتحس سواد الخلط، بل ينبغي أن تعلم أن الخلط السوداوي من شأنه أن يتبعه هذا العرض، كما أن من شأن الدم أن يتبعه الطرب والسرور، أفترى يلزم أن يكون الدم نيرا! وهذا بين بنفسه لمن ارتاض بالعلم الطبيعي.

١٤٨ — وهذه العلة هي المعروفة بالمالنخونيا. وهذه العلة ربما كانت من قبل الدماغ نفسه، وربما كانت من قبل القلب إذا احترق دمه، وربما كانت من قبل المعدة، وهي العلة المعروفة بالمراقية، وقد اضطرب الأطباء في إعطاء سبب هذه العلة: فقوم رأوا أن سببها ورم حار في قعر المعدة، وآخرون رأوا أنها إنما تكون عن ورم في الماساريقا، وآخرون رأوا أن السبب في ذلك هو أن الطحال يصب في المعدة خلطا سوداويا خارجا عن الطبع في كيفيته، ورأوا أن ما يقوله أولئك ممتنع لمكان ظهور الأعراض التي تعرض في هذه العلة.

وذلك أن أصحاب هذه العلة يتجشؤون جشاء حامضا وتعتريهم نفخة، وليس يعطشون عطشا كثيرا. فهذا أحد ما دفع به من رأى هذا الرأي، أعني أن يكون سبب ذلك وربما حارا وأيضا فإنهم دفعوا ذلك من جهة أن الأورام الحارة، فيما زعموا، متى

كانت في هذه الأعضاء تبع ذلك حمى ضرورة وهذه العلة ليس بصاحبها حمى أصلا.

١٤٩ — ونحن نقول: أما احتجاجهم بأنها لو كانت عن ورم حار هنالك لتبع ذلك أعراض الحرارة، مثل العطش الشديد واستحالة الغذاء إلى الدخانية وقلة النفخ، فليس يلزم ضرورة. بل قد بينا أن الحرارة الغريبة، من جهة ما هي حرارة غريبة، غير ممتنع عليها، من جهة ما تبدد الحار الغريزي وتضعفه، أن تتبعه أعراض البرد في العضو، فيتولد فيه شبيه بهذه الأعراض.

ولا سيما متى اتفق فيها أن كانت بصورتها الطبيعية مضرة بالحرارة الغريزية مضادة لها.

ولذلك ما يقول الإسكندر تكون الحمضة عن البرودة والحرارة معا.

وإنما تشتد أفعال الحرارة الغريزية بالحرارة التي ليست مضادة لها بالصورة بل بالكيفية فقط، وبخاصة إذا طال نكؤها للعضو.

وأما قولهم إن كل ورم حار يحدث في هذين العضوين يلزم فيه ضرورة أن يحم صاحبه، فإن شهدت التجربة بذلك فليس يمكن أن تكون هذه العلة بغير حمى عن مثل هذا السبب، اللهم إلا بعد انحطاط الورم حين ليس يبقى من الحرارة الغريبة ما يصل إلى القلب، بل ما يضر بالمعدة والدماغ فقط.

وأما كون هذه العلة عن الطحال، فذلك ممكن ويشبه أن يكون أحد أنواعها.

١٥٠ — وأما الأعراض الداخلة على النوم فهو استغراقه، وهو المسمى سُباتاً. والسبب في ذلك غلبة البرودة مع الرطوبة على الدماغ أو على العضو المشارك له. ومن الأعراض الداخلة في هذا الفعل السهر. وسببه هو ضد استغراق النوم، وهو الحر واليبس.

وقد يتركب عن هذين الشيئين مرض يسمى صاحبه المنتبه، وسببه برودة ويبوسة. أما من حيث البرودة فهو ملقى كالنائم، ومن حيث اليبوسة فهو كالساهر فاتح جفنيه.

١٥١ — فهذا هو القول في جميع الأقوال الداخلة على الأفعال السياسية وإعطاء أسباب جميع ذلك.

وههنا أمراض تجتمع فيها جل هذه الأعراض أو جميعها. ولم يخف على من عرف هذا المقدار الذي كتبنا إعطاء أسبابها، إذا شاهدها أو وصفت له، ولكن الأولى أن نذكر نحن منها أشهرها ونوفي أسباب جميع ذلك فنقول: إن هذه الأعراض منها الدوار ومنها الكابوس ومنها الصرع ومنها السكتة.

١٥٢ — فأما الدوار فإن الفاعل له خلط ريحي يصعد إلى الدماغ ويتحرك هناك فيحس الإنسان كأن الحركة من خارج.

وذلك معروف من فعل الحواس، فإنها وإن كانت المحسوسات إنما تحركها من خارج فقد تعود فتتحرك أيضا عن الأخلاط التي من داخل، فإن ساء مزاج الدماغ جدا بذلك التموج سقط السدر على الأرض كأنه مصروع. وهذا البخار قد يتولد في الدماغ نفسه، وبخاصة في الشرايين، وقد يصعد إليه من المعدة أو غيرها من الأعضاء.

١٥٣ — وأما الكابوس فهو أن يحس الإنسان في النوم كأن شيئا يضغطه ويثقله ولا يقدر هو على النهوض. ومن البين أن ذلك إنما هو تعطل ما في القوة المحركة، إلا أنه لما كان ينحل بسرعة ظن أن الفاعل له إنما هو خلط بخاري يصعد إلى الدماغ فيخدره بكيفيته.

١٥٤ — وأما الصرع فهو سقوط الإنسان بغتة مع تشنج يعتريه في جميع بدنه، فيتحرك بذلك حركة منكرة إلى أن يزبد. فكون الإنسان يسقط إلى الأرض ويفقد حواسه وجميع قواه النفسانية دال على أن ذلك الألم في الدماغ. وكونه تتشنج أعضاؤه مع حركة منكرة دليل على أن هذا النوع من التشنج هو الذي يعتري عن حركة القوة الدافعة واجتماع الأعضاء إلى نفسها لتدفع الشيء المؤذي، وبخاصة الدماغ ولذلك ما ترى أن هذا الخلط في غاية المضادة لمزاج الدماغ: إما بإحدى كيفياته وإما بصورته.

والدليل على أن هذا النوع من التشنج ليس هو الذي يكون لموضع رطوبة العصب واستنقاعه، سرعة تحلل هذا العارض.

وأما الخلط الفاعل لهذا العارض فيلزم ضرورة من سرعة انقضاء نوبته ومدته أن يكون لطيفا على ما شأنه أن يوجد الأمر في الأمراض الحادة.

لكن لما رأينا أكثر الذين يعتريهم هذا المرض أمزجتهم باردة رطبة كالصبيان، أو باردة يابسة كالكهول، وبالجملة فالأعراض التي تظهر على أكثر من يصيبه هذا الألم تدل على أن الفاعل له خلط غليظ، وكان الخلط الغليظ بما هو خلط غليظ ليس يتحلل بسرعة، كان جاريا على ما يقول جالينوس في بحار واسعة أو ضيقة.

لأن معنى التحلل ليس شيئا أكثر من أن تستولي الطباع عليه فتنضجه وتغتذي بما شأنه منها أن يقبل التغذي وتدفع الباقي.

وهذا ليس يتفق في الخلط الغليظ بما هو خلط غليظ.

إلا في زمان له عرض على ما أعطته المشاهدة في الأمراض.

ولذلك ما نحدس أن هذا المرض إنما يحدث عن ريح تتولد إما في الدماغ نفسه، وإما في عضو آخر، وتترقى منه إلى الدماغ، كما حكى ذلك جالينوس عن الفتى الذي كان يحس كأن ريحا باردة تصعد من بعض أعضائه، ثم يصرع وقد كانت هذه المشاهدة من أمر هذا الفتى كافية في أن سبب هذا الألم، إنما هو ريح.

وحكى الرازي في الحاوي أن هذا هو مذهب أرسطو.

لكن هذه الريح، ضرورة، هي مضارعة للأخلاط الباردة الرطبة أو الباردة اليابسة.

ومثل هذه الأخلاط إذا كانت في البدن هي هيولى هذه الريح.

ولذلك كان شفاء، من شأنه أن يقبل الشفاء من أصحاب هذه العلة، باستفراغ تلك الأخلاط منهم، ومع هذا فقد حكي أنه قد يكون هذا العارض عن خلط مراري، ولست أمنعه: فإن سرعة انقضاء النوبة يشهد بذلك.

وقد ترى الذين يصرعون بمشاركة معدهم إنما يعتريهم ذلك في الأكثر عند الجوع الشديد والصوم، أو عند ضيق الخلق.

فهذا أيضا دليل على أن الخلط الفاعل لذلك خلط مراري.

وجالينوس يستفرغه بأرياج الفيقرا.

وقد علمنا أن الصبر إنما يخرج أحد أمرين: إما صفراء وإما خلطا شابته صفراء.

وزعم بعضهم أن هذا المرض قد يكون عن سوء مزاج غير مادي بارد يابس، وهذا يبعد لكون هذا المرض إنما يصيب في الأكثر بأدوار.

وأيضا فلو كان عن سوء مزاج غير مادي فإنما كان يكون عن الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج غير المادي الذي يكون سببه سوء مزاج مادي هو عسير الانقلاع.

وليس يمكن عن مثل هذا أن تعتري نوبة الصرع.

وإذا كان ذلك كذلك فإنما يكون هذا النوع من الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج المتولد عن مثل هذه الأشياء أعني التي من خارج سريع التحلل.

لكن يبعد أن تبلغ رداءة دماغ إنسان ما أن يصرع عن الأشياء التي من خارج: أعني الهواء البارد.

لكن هذا الذي قلناه إنما هو استبعاد، فإن شهدت التجربة بذلك فيشبه أن يكون قليل الوقوع.

١٥٥ — وينبغي أن تعلم أنه لا سبيل إلى الوقوف في هذا العلم على إمكان مرض

يحدث، أو لا إمكانه مما لما يشاهد، إلا بطريق تخميني، وذلك في الأكثر.

بل سبيل جميع الأمراض ههنا أن تثبت بالحس والمشاهدة، ثم نعطي فيها الأسباب. والسبب في هذا معطى في غير هذا الموضع.

١٥٦ — وأما السكتة فهي سقوط الإنسان بغتة على الأرض، وانقطاع صوته وجميع أفعال الحركة في جميع البدن، ما خلا التنفس: فإنه إذا انقطع في هذه الشكاية مات العليل.

ولذلك ما يستدل على شدة هذه الشكاية وضعفها من التنفس، أعني أنه إذا كان التنفس فيها عسيرا مستكرها دل على عظمها، وإذا كان سهلا دل على خفتها.

وأبقراط يقول: إن السكتة إذا كانت ضعيفة لم يسهل برؤها، وإذا كانت قوية لم يبرأ صاحبها.

فأما سبب هذا المرض فإنه يكون ضرورة من تعطل مبدأ الحركة الكلية والجزئية.

ولما كان قد تبين أن للحركة الكلية مبدأين:

مبدأ أول وهو القلب، ومبدأ ثان وهو الدماغ، وكان الدماغ إنما يفعل فعله بالقلب، فقد يجب أن تحدث بالدماغ في هذه العلة آفة عامة. وذلك ضرورة:

أ — إما بانسداد مجاري الروح التي بين القلب والدماغ، وهي العروق المسماة شرايين.

ب — وإما بانسداد بطون الدماغ انسدادا تاما: إما لأن بطون الدماغ إذا انسدت منعت الروح النفساني الذي ينبعث منه إلى جميع الأعصاب التي بها يكون الحس والحركة، إن كان ينبعث من الدماغ روح نفساني على ما يراه جالينوس، كما ينبعث من القلب روح غريزي، وإما لأن مزاج الدماغ إذا فسد فسد التعديل الذي يوجد منه للحار الغريزي، حتى لا يفعل الحس والحركة، على ما تقرر من هذه الأشياء في العلم الطبيعي.

ج — وإما أن يحدث هذا المرض لآفة نزلت في بطون القلب، فليس يمكن ذلك لأنه متى حدثت آفة في هذه البطون مات العليل من ساعته.

١٥٧ — وإذا تقرر بالبرهان أن الآفة التي هي سبب هذه الشكاية تحدث في هذين الموضعين، فقط يظهر لك من هذا صدق ما قاله أبقراط في أعطاء سبب هذه الشكاية.

وما قاله جالينوس أيضا.

وذلك أن أبقراط قال: من انقطع صوته بغتة وسقط على الأرض فإن آفته انطباق العروق يعني الشرايين التي بين القلب والدماغ.

وقد اعترف جالينوس بكون هذه العلة حادثة عن هذا السبب في كتابه في العلل

والأعراض.

وقال في كتاب الأعضاء الألمة: إنها تحدث عن سدة في بطون الدماغ عظيمة.

والحق هو الجمع بين القولين، أعني أنه قد يكون سكاتا يحدث عن الأمرين جميعا.

وعلامة ما يحدث منها عن انطباق الشرايين ظهور علامة غلبة الدم على العليل.

وهذا النوع من السكتة يشفى منه بالفصد وعلامة النوع الثاني ظهور غلبة الخلط البارد على البدن، وهذا الخلط شفاؤه يكون بالإحالة لمزاج ذلك الخلط بالأدوية الدرياقية المحيلة واستفراغه بالأدوية المسهلة للأخلاط الباردة والحقن.

وأما العلة التي تعرف بالسبات فإنه أقرب أن تكون من انسداد الشرايين من أن تكون من انسداد العصب.

وذلك لأنها لا يعرض فيها عسر التنفس ولا تنحل إلى فالج كالحال في السكتة.

والسبات إن كان من خلط يابس كان مفتوح العينين وهو الذي يعرفه الأطباء بالجمود، وإن كان رطبا كان مغمض العينين وهو الذي يخصه الأطباء باسم السبات.

١٥٨ – فقد قلنا في الأمراض والأعراض، ووفينا أسباب جميع ذلك بحسب ما ظهر لنا أنه كاف في غرضنا في الإيجاز.

فإن هذا الكتاب إنما قصدنا فيه أن نجعله كالدستور والقانون لمن أحب في أن يستوفي أجزاء الصناعة على هذا التقسيم والترتيب.

وبالجملة فنسبته إلى الصناعة يشبه أن تكون نسبة أسطقسات الصناعة إلى الصناعة.

فكما أن الزواقين إنما يرسمون أولا الصورة التي يقصدون تصويرها، ثم يملؤون تلك الرسوم بالأصباغ والألوان حتى تحصل تلك الصورة على الكمال الأخير، كذلك حالنا نحن في هذا الكتاب.

فإن فسح الله في العمر، وأفرج عن ضيق الوقت، فسنكتب في هذه الصناعة كتابا نحتذي به هذه القوانين التي سلكناها ههنا، يكون مستوعبا لجميع أجزاء الصناعة. والله الميسر بمنه وعونه.

وهنا انقضى هذا الجزء من العلم يتلوه إن شاء الله كتاب العلامات والحمد لله كما هو أهله.

الكتاب الرابع

العلامات

١ – علامات الصحة وعلامات المرض

١ – هذا الجزء ينقسم قسمين: الجزء الأول نعدد فيه العلامات الدالة على الصحة الموجودة بالفعل في جميع البدن وفي عضو منه، والجزء الثاني نعرف فيه العلامات الدالة على الأمراض وأسبابها.

وهذا الجزء ينقسم أقساما: إما علامات تدل على أمراض حاضرة، وهو الأكثر في هذه الصناعة، وإما علامات تدل، في الصحة أو في المرض، على أمراض ستحدث، وإما علامات تدل على امراض قد حدثت ثم بطلت، وهذه قليلة النفع في هذه الصناعة.

فنتبدئ نحن فنخبر أولا بالعلامات الدالة على الصحة الموجودة في جميع البدن وفي عضو عضو منه، ثم نردف ذلك بالعلامات الدالة على أمراض ستحدث، ثم بعد ذلك نصير إلى القول في علامات الأمراض الحاضرة.

وأما العلامات الدالة في الأمراض على أمراض ستحدث، فإنا سنذكرها مع هذه العلامات، وكذلك التي تدل في الأمراض على صحة ستحدث: فإنها وإن كانت صحية فإنا إنما آثرنا ذكرها في هذا الجزء لأنها أحد ما يكتسب منها الطبيب العلاج، وأيضا فمع أنها علامات صحية هي أيضا بوجه ما مرضية، إذ كانت دالة على ارتفاع المرض، فنبتدئ بالعلامات الصحية فنقول:

٢ – إنه لما كانت الصحة كما قيل في حدها: حالة في العضو بها يفعل أو ينفعل على المجرى الطبيعي، وكانت هذه الحال تنقسم قسمين: أحدهما المنسوبة إلى المتشابهة الأجزاء، وهي الأمزجة التسعة، والثانية إلى الأعضاء الآلية، وهي الأربعة الأجناس التي عددت فيما سلف.

وكانت أكثر هذه الهيئات في الأعضاء: منها ما هي غير بينة الوجود من أول الأمر وبخاصة ما كان من الأعضاء غير ظاهر للحس.

وجب أن تعطي ههنا العلامات الدالة على هيئة هيئة من هيئات الأعضاء التسع الموجودة للمتشابهة الأجزاء أولا، وللمركبة ثانيا. وكذلك أيضا نعطي العلامات التي يستدل بها على المعتدل وغير المعتدل في الصحة المنسوبة إلى الأعضاء الآلية، وذلك فيما لم يكن منها ظاهرا من أول الأمر.

٣ – والسبيل إلى ذلك أولا إنما يكون من أفعال هذه الأعضاء وانفعالاتها والأمور

اللازمة عنها، إذ كانت الأفعال والانفعالات والأمور اللازمة هي أعرف عندنا، ونحن إنما نترقى من الأعرف إلى غير المعروف، والأمور اللازمة عن الأفعال هي مثل اللون والقضافة والسمن.

والأعراض هي التي تظهر في الفضول البارزة من البدن، وهي فضول التغذي.

٤ — وينبغي أن تعلم أن الأطباء إنما جرت عادتهم أن يذكروا من هذه العلامات العلامات الدالة على الصحة المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وذلك في الأكثر. وأما العلامات التي تدل على الصحة المنسبة إلى الأعضاء الآلية فإنهم لم يتعرضوا لذكرها إلا بالعرض.

ونحن ينبغي لنا أن نعني بهما جميعا، وينبغي أن نبتدئ بالعلامات الدالة على المزاج المعتدل، إذ كان هو أقدم بالطبع.

وأيضا فإن الأطراف إنما تفهم بالمقايسة إلى المعتدل، فنقول:

٥ — إنه لما كانت الأمزجة التسعة قد تنسب إلى عضو عضو، كما سلف من قولنا، وقد تنسب إلى جملة البدن بمقايسة الأعضاء بعضها إلى بعض، وجب أن نعرف أولا العلامات الدالة على مزاج عضو عضو من الأمزاج التسعة، فإن بمعرفتها يمكن الحكم على مزاج البدن، وبخاصة الأعضاء الرئيسة: فنبتدئ بمعرفة مزاج القلب إذ كان هو العضو المشترك مزاجه لجميع الأعضاء، فإنه متى كان هذا العضو معتدلا كانت الأعضاء كلها معتدلة، وذلك في الأكثر، من جهة أنه المعطي لجميعها الهيئة المزاجية التي بها تفعل أو تنفعل.

وأيضا فمتى كان مزاج غيره من الأعضاء غير معتدل، كأنك قلت مزاج الكبد، لم يكن مزاج القلب معتدلا للمشاركة التي بينه وبين سائرها.

ولذلك ما نرى أن الحكم على مزاج هذا العضو بالاعتدال أو الخروج عن الاعتدال حكم على الجميع.

٢ — في العلامات الدالة على مزاج القلب

٦ — أما أخص العلامات التي منها يوقف على مزاجه فهي النبض، ثم يتلوه التنفس.

وقد يستدل عليه بهيئة الأعضاء التي تجاوره؛ كما أنه قد يستدل عليه بأمزجة الأعضاء المشاركة له، فنقول:

٧ — إنه متى كان النبض ليس بالعظيم ولا بالصغير ولا بالسريع ولا بالبطيء ولا

بالمتفاوت ولا بالمتواتر، دل ذلك ضرورة على اعتدال مزاج القلب في الحرارة والرطوبة.

وهذا النبض إنما يحس أكثر ذلك في الأناسي الذين ينشؤون في الإقليم المعتدل، من غير أن تعرض لهم عوارض من خارج.

ويشبه أن يكون تولد مثل هذه الشخوص في الإقليم المعتدل، وفي البلد المعتدل منه كبلدة أبقراط وكثير من بلاد اليونانيين أكثريا.

ولذلك ما يقول جالينوس في أهل البلاد الحارة: إنهم لو تكلفوا جهدهم أن يرونا مزاجا معتدلا لما أمكنهم ذلك.

وليس لقائل أن يقول: إن النبض العظيم هو الطبيعي، إذ كان قد يوجد كثيرا في الأقاليم غير المعتدلة، كما أنه ليس للإنسان أن يقول إن اللون الأسود هو الطبيعي، إذ كان ليس يوجد في بلاد الحبشان أبيض واحد.

٨ — وأما التنفس فحاله في اعتداله دليل أيضا على اعتدال مزاج القلب، هذا إن لم تكن آلات التنفس أعظم نسبة إلى القلب مما ينبغي؛ فإنه إذا كان الأمر فيها هكذا كان التنفس المعتدل بالإضافة إلى القلب غير معتدل، بل مفرط، فإنه ليس يمتنع أن يكون مزاج القلب حارا ويكون الصدر والرئة قد اتفق لهما أن كانا أعظم مما ينبغي أن يكونا عليه بحسب مزاج القلب، فيكون التنفس غير العظيم لسعة مجاريها وعظمها يفعل ما يفعله التنفس العظيم، إن لو كانت الرئة والصدر مناسبين لخلقة القلب، وإن كان عظم الصدر والرئة تابعين في الأكثر لحرارة القلب.

٩ — وأما ما يستدل عليه من هيئة الأعضاء، فإن الصدر متى كان متوسطا بين العظم والصغر دل دلالة أكثرية على اعتدال مزاجه، وكذلك يدل على اعتدال مزاجه دلالة ضرورية اعتدال مزاج الكبد أو اعتدال مزاج الدماغ أو كليهما؛ فإنه ليس في الكبد ولا في الدماغ حرارة تخصهما إلا حرارة الأجزاء المتشابهة التي بها تركبا.

والحرارة التي بها يفعل كل واحد منهما فعله هي ضرورة الحرارة الواصلة إليه من القلب.

وهذه الحرارة هي التي تتنزل من هذين العضوين منزلة الصورة.

وأما الحرارة التي تخصهما فمنزلتها منزلة المادة.

ولما كان اعتدال الشيء وكمال فعله إنما هو بصورته وجب ضرورة، إذا كان هذان العضوان معتدلين، أن يكون اعتدالهما إنما هو بصورتهما.

واعتدال صورتهما إنما هو ضرورة باعتدال المعطي لهما تلك الصورة، وهو القلب.

وليس لقائل أن يقول: إنه قد يمكن أن تكون الحرارة التي يبعثها القلب إليهما أحر مما ينبغي أو أبرد مما ينبغي.

ويكون مزاج ذينك العضوين الحاصل عن المتشابهة الأجزاء مضادا لذلك الخروج أو الإفراط الذي في القلب، فيجتمع عن ذلك للكبد والدماغ اعتدال مزاج، فإن مثل هذا الاعتدال هو مقول بالاشتراك.

١٠ — وقد يستدل أيضا على اعتدال مزاج القلب من ملمس الصدر: فإنه متى كان معتدلا دل ذلك على اعتدال مزاج القلب إن لم يكن ذلك من أجل اعتدال اللحم نفسه.

لكن اعتدال اللحم أكثر ذلك تابع لاعتدال القلب، وبخاصة اللحم الذي على هذا الموضع.

ولذلك يكون بدن من قلبه هذا القلب لا بالقضيف ولا بالسمين المفرط السمن وقد يوقف أيضا على اعتدال مزاج القلب بتوسط الإنسان في الغضب والحلم والشجاعة والجبن، وبالجملة باعتدال جميع أفعال النفس وانفعالاتها.

١١ — وأما الاستدلال على اعتدال التركيب في وضعه وفي مقداره وفي خلقته فذلك أيضا يكون بأفعاله ومزاجه، فإنه متى كان مزاجه معتدلا دل في الأكثر أن وضعه ومقداره وخلقته على الأمر الطبيعي. وكذلك متى كانت أفعاله ملائمة لمزاجه دلت على ذلك أيضا، فإنه ليس يمتنع أن يكون بعض النبض سريعا لمكان ضيق الشريانات التي فيه، لا لمكان حره، كما نرى ذلك يعتري في الذين يفرط سمنهم.

وبالجملة فكثيرا ما يعتاص إعطاء العلامات الدالة على وضع الأعضاء التي في داخل الجوف، وعلى مقدارها وخلقتها ومشاركتها.

ولهذا نجد الأطباء قد أضربوا عن هذا النوع من علامات الصحة، واقتصروا من ذلك على العلامات المزاجية. وحاجة الطبيب إلى ذلك ليست بدون[1] حاجته إلى معرفة المزاج، ولذلك قد ينبغي أن ننظر في ذلك جهدنا فنقول:

١٢ — ومما يدل على أن القلب معتدل التركيب اعتدال تركيب الأعضاء التي خارج الجسم، وبخاصة الصدر وما قرب منه وتناسبها، وهذا هو المدعو عند الناس جمالا، فإن الجمال أكثر ذلك إنما هو التركيب، كما أن القوة والوثاقة إنما هي أكثر ذلك

(١) أي بأقل من حاجته.

في المزاج وإنما قلنا إن اعتدال الأعضاء دليل على اعتدال القلب لأن القوة المصورة إنما تصور سائر الأعضاء بتوسط الحرارة التي فيه، كما أن القوة الغاذية إنما تفعل فعلها بتوسط مزاجه.

وينبغي أن تعلم أن هذا الاستدلال غير منعكس، فإنه قد يكون القلب معتدل المزاج حسن التركيب، ويكون تركيب بعض الأعضاء مَؤُوفا (مصابا بآفة) لمكان الهيولى.

لكن هذا لعمري يقل وقوعه كما يقل وقوع الأشياء العارضة من قبلها، ومع هذا فإنها تعود فتفسد مزاج القلب بالمشاركة.

١٣ — وأما الاستدلال على خروجه في الكيفيات الأربع فعلامات ذلك أضداد هذه العلامات، فإنه متى كان النبض عظيما سريعا متواترا دل على حرارة مفرطة، ما لم يكن هونالك ضيق طبيعي في مجاري الشريانات، وإن كان هذا يقل وقوعه في المزاج الحار.

فإن الحرارة من شأنه أن تعظم العضو ما لم يكن يابسا، فإن اليبوسة عسرة التمدد من غيرها.

فإن انضاف إلى هذا صلابة في المجس فهو في الغاية من اليبس، وكذلك الحال أيضا في التنفس ما لم يكن الصدر أو الرئة أصغر مما ينبغي، أو كانت التجاويف التي فيها أصغر مما ينبغي.

وقد يشهد لهذا المزاج نبات الشعر الذي يكون على الصدر والملمس الحار.

وبالجملة فتتبع حرارته حرارة سائر الأعضاء إلا أن تكون هنالك مقاومة عرضية من الأعضاء التي لها رئاسة في البدن، وهما الكبد والدماغ، أعني أنه قد يتفق لهذين أن تكون أمزجتهما التي لهما من جهة الأعضاء المتشابهة الأجزاء التي تركبا منها أبرد مما ينبغي، فحينئذ يكون القلب حارا والدماغ باردا.

لكن مثل هذا المزاج سيبرد فيه القلب بآخرة[١] وبخاصة إذا كان الدماغ باردا، إذا كان هذا العضو إنما جعل لتعديل حرارة القلب.

١٤ — وقد يستدل أيضا على حره ويبسه من أفعال النفس مثل الغضب وغير ذلك، فإن السريع الغضب حار مزاج القلب ضرورة، فإن كان بطيء انحلال الغضب فهو يابس، وكذلك صغر الصدر والقضافة في الجسم تدل على يبسه.

---

(١) في نهاية الأمر.

١٥ – وأما المزاج المفرط في الحرارة والرطوبة فيستدل عليه بعظم النبض ولينه، فإن كان لينا غير عظيم دل على الرطوبة فقط ومن علامات الحرارة والرطوبة عظم الصدر وعظم سائر الأعضاء، ولذلك ما كان من الحيوان أرطب أحر فهو أعظم جثة، ككثير من الحيوانات التي تنشأ في المواضع الرطبة.

١٦ – وأما علامات البرودة واليبوسة فمؤلفة من ضد علامات الحرارة ومن علامات اليبوسة أنفسها، ولذلك يكون نبض هؤلاء صغيرا متفاوتا بطيئا صلبا وتنفسهم أيضا بهذه الحال، ويكون ملمس صدورهم باردا، وكذلك أمزجة سائر أعضائهم إلا أن تكون هناك مقاومة عرضية، وتكون الصدور من هؤلاء زعرا لا شعر فيها، ويكونون في غاية الجبن وعدم الغضب والبلادة وقلة الذكاء. وبالجملة فتكون شبيبتهم أشبه شيء بالشيخوخة، وشيخوختهم إن وصلوها أشبه شيء بالموت.

وأما من أين يوقف على رداءة خلقة القلب؟ فمن مزاجه أيضا ومن أفعاله.

وإذ قد قلنا في العلامات الدالة على صحة القلب المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وعلى صحتها المنسوبة إلى الأعضاء الآلية، فلنقل في العلامات الدالة على صحة الدماغ.

٣ – في علامات الدماغ المعتدل

١٧ – والاعتدال في الدماغ كما في سائر الأعضاء، إما أن ينسب إلى المتشابهة الأجزاء التي فيه، وإما إلى تركيبه.

ولنبدأ من القول في علامات المزاج المعتدل: والعلامات التي يستدل منها على مزاج الدماغ بعضها مأخوذة من أفعاله.

والأفعال التي للدماغ هي منسوبة إما إلى الحس وتوابعه من التخيل والفكر والذكر، وإما منسوبة إلى القوة الغاذية وهي الأفعال التي تظهر في الفضول البارزة من الأنف والحنك، وقد يستدل أيضا على الدماغ من ملمسه ومن الشعر النابت عليه ومن شكله.

١٨ – أما الفضول البارزة منه فمتى كانت معتدلة في الكمية والكيفية دلت على اعتدال مزاجه، وكذلك متى كانت أفعال النوم واليقظة أفعالا معتدلة دلت على ذلك أيضا وقد يدل على ذلك أن يكون صاحب هذا الدماغ غير كسلان ولا سريع الحركة، معتدل الفهم جيد الحواس ذكيها.

والملمس من هذا الدماغ يكون معتدلا لا بالحار ولا بالبارد، والشعر النابت عليه يكون لا بالجعد ولا بالسبط ولا بالأسود ولا بالأبيض.

١٩ – وأما الاستدلال عليه بالشكل فإن شكل الدماغ متى كان معتدلا دل على اعتدال مزاجه وشكل الدماغ المعتدل هو، كما يقول جالينوس، مثل كرة شمع قد غمزت عليها بإصبعيك من الجانبين، وأن يكون مع هذا لا بالكبير ولا بالصغير.

٢٠ – وأما الأدمغة الحارة فإن الفضول التي تسيل منها تكون قليلة، نضيجة أكثر مما ينبغي، فإن كانت مع هذا غليظة دلت على يبس، وإن كانت نضيجة مع كثرة دلت على حرارة ورطوبة.

ومتى كانت كثيرة الكمية غير نضيجة دلت على برد، فإن كانت مع هذا مائية دلت على رطوبة وبرودة.

وصاحب هذا المزاج يقول فيه أبقراط إن صحته أقرب أن تكون سقما منها أن تكون صحة.

وأما أفعال الدماغ الحار فالسهر وقلة النوم، ما لم يكن مع رطوبة؛ فإن أفرط السهر فدليل على اليبوسة.

وأصحاب هذا المزاج يكونون عجولين مبادرين إلى الأشياء من غير تأمل، لا تستقر خيالاتهم على شيء بعينه، يأخذون التشابه بين الأشياء ولا يأخذون التباين، كثيري الخطأ والوهم.

٢١ – وأما من كان في هذه الأحوال على الضد، أعني أن يكون نومه كثيرا كسلانا بليدا بطيء الفهم لا يقدر على أن يأخذ التشابه بين الأشياء فهو بارد مزاج الدماغ ضرورة.

فإن أفرطت فيه هذه الأفعال فهو مع هذا رطب.

وصاحب المزاج البارد اليابس يكون أقل نوما من صاحب المزاج البارد فقط، كما أن صاحب المزاج البارد فقط يكون أقل نوما من صاحب المزاج البارد الرطب.

واللمس أيضا مما يحكم به على هذه الأمزجة.

٢٢ – وأما الاستدلال من الشعر، فلأن الشعر لما كان تولده إنما هو من الفضل الدخاني المتولد في البدن، كان الشعر الأسود دليل احتراق: فإن النارية شأنها أن تفعل في الأبيض التسويد، فإن اجتمع إلى ذلك الجعودة كان أيضا دليل يبس، كالحال التي تعرض له عندما يدنى من النار.

وأما الشعر الأبيض فإنه يدل على نهوءة[1] وقلة طبخ، فإن كان مع ذلك سبطا فإنه يدل على إفراط الرطوبة وكذلك الشعر السريع النبات يدل على الحرارة، والبطيء بخلاف هذا.

وأما المتوسط في اللون والجعودة والسبوطة وسرعة النبات وبطئه فهي علامة مزاج معتدل.

والشكل المعوج يدل على رداءة المزاج، وكذلك أيضا الرأس الكبير والصغير.

٢٣ — والعين أيضا قوية الدلالة على مزاج الدماغ: فإن العين الحمراء، والتي فيها عروق حمر، تدل على حرارة الدماغ.

والعين التي على خلاف هذا تدل على برودة الدماغ.

وسرعة حركتها تدل أيضا على حرارة، كما أن بطء حركتها وقلة إطرافها دليل على مزاج بارد.

والتوسط في هذه الأشياء دليل على مزاج معتدل.

وزرقة العين دليل على برودة مزاج الدماغ، كما أن الكحلة دليل على الحرارة.

والشهولة دليل على مزاج معتدل.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الزرقة إنما تحدث عن قلة طبخ وعدم نضج.

ولذلك كان ذلك اللون قريبا من لون الماء البسيط.

وأما الكحل فإن فاعله هو إفراط النضج والطبخ.

ولذلك كان السواد غالبا عليه، لأن السواد أمارة أجزاء أرضية محترقة غالبة على الشيء.

وأما الشهل ففاعله طبخ في غاية الاعتدال، قد انحط عن إفراط فاعل الكحل وارتفع عن فاعل الزرق، وليس هذان فقط هما أسباب حدوث الكحل والزرق، بل قد يعين أيضا على ظهور هذه الألوان أمور أخر غير المزاج.

وذلك أن الكحل يدل على كثرة رطوبة العين وتزيدها في عمقها كالحال في الغدران العميقة، فإنها تظهر سوداء.

وذلك أن كثرة الماء لا ينفذ فيه الشعاع كل النفوذ فيظهر بهذه الصفة، والعين الزرقاء بخلاف ذلك.

---

(١) على قلة نضج.

وقد يرى جالينوس أن مما يعين على الزرق كثرة الرطوبة الجليدية، وذلك لأن لون هذه الرطوبة في لون الجليد.

كما أن قلتها يعين على الكحل. والتوسط في هذه كلها دليل على الاعتدال.

٢٤ – فهذا هو القول في العلامات الدالة على مزاج الدماغ.

وأما الدلائل والعلامات التي بها يوقف على تركيبه فهي أيضا تؤخذ من مزاجه ومن أفعاله ومما يظهر فيه من هيئات التركيب.

وذلك أن الشكل والمقدار ظاهران من أمر هذا العضو على أي حال هما فيه.

وقد وصفنا قبل الشكل الطبيعي لهذا العضو، وكذلك أيضا مشاركته ظاهرة للحس، فإن بعض الرءوس له عنق مناسب لحمله وإقلاله، وبعضها الأمر فيه بالعكس. وأما ضيق مجاريه أو سعتها فيوقف عليها من مزاجه.

وذلك أن الدماغ الحار الرطب تكون مجاريه وبطونه في الغاية من السعة، والبارد اليابس في مقابل هذا؛ وبينهما الحار اليابس والبارد الرطب.

والمزاج المعتدل تكون مجاريه وبطونه في غاية الاعتدال.

وأما من أفعاله، فإن الدماغ إذا كان ضيق البطون والمجاري كثيرا ما يعرض لصاحبه السدر[1] والصرع وما أشبه ذلك من الأمراض.

وجوهر الدماغ إذا كان ناقصا بالطبع لحق ذلك آفة في الذهن ورعونة فيه، كما يعتري الذين علت أسنانهم.

وبالجملة فمتى فسد شكل الدماغ الظاهر فسد الباطن.

فهذا هو القول في العلامات الدالة على صحة الدماغ المنسوبة إلى المتشابهة التي فيه وإلى الآلية.

٤ – القول في صحة الكبد

٢٥ – العلامات الدالة أيضا على صحة الكبد منها علامات تدل على المزاج ومنها علامات تدل على التركيب.

ولنبدأ بالعلامات الدالة على المزاج.

وهذه العلامات هي مأخوذة من الأفعال، وقد تؤخذ من جهة هيئة العروق واللمس.

---

(١) أي عدم التركيز والتحكم.

أما الكبد المعتدلة فهي تفعل دما أرجوانيا أحمر، ويكون ضرورة لون صاحبها أبيض مشربا بحمرة.

قالوا: وهذا اللون دليل على اعتدال مزاج الكبد.

وأبدان هؤلاء تكون لا قضيفة ولا سمينة، وإذا لمست من هؤلاء ما على المراقّ وجدت ذلك الموضع منهم معتدلا.

وكذلك إذا كانت الأوراد(١) معتدلة في السعة والضيق دلت على اعتدال مزاج الكبد.

٢٦ — وأما المزاج الحار في الكبد فإنه يدل على كثرة توليدها للمرارة الأصفر، وبخاصة عند منتهى الشباب.

والألوان من هؤلاء تكون إلى الصفرة ما هي، وإن تزيدت الحرارة واليبس تولد عن ذلك في البدن صفراء محترقة.

والألوان من هؤلاء تكون كمدة، وخاصة محاجرهم، وربما اسودت شفاههم.

٢٧ — وأما الكبد الباردة فإنه يستدل عليها من كثرة توليدها للبلغم ونيئة الدم وشدة بياض اللون وجصيته(٢).

فإن كانت مع هذا يابسة كان توليدها للمرة السوداء الطبيعية كثيرا.

وأما رطوبة مزاج الكبد فإنه يستدل عليها بالعفن الذي يعرض لصاحبها كثيرا وغلبة الدم على البدن إذا كانت مع ذلك حارة.

وأما إذا لم تكن مع ذلك حارة فإنه يستدل على ذلك بالترهل الذي يعرض في البدن، فإن أفرط ذلك آل إلى الاستسقاء.

والعروق تكون في الكبد الحارة واسعة وبخاصة إذا اقترن لذلك رطوبة.

وتكون في الكبد اليابسة الباردة على ضد ذلك وهي في الحارة اليابسة على حالة متوسطة.

وقد يستدل أيضا على مزاج الكبد من الشعر، فإنه متى كان نابتا على مراق البطن دل على حرارة الكبد.

وذلك أيضا بحسب مزاج الشعر في نفسه فإن كان خشنا جعدا أسود دل على

---

(١) أي العروق.

(٢) من الجص.

حرارة ويبس، وإن كان لينا زعرا دل على رطوبة هنالك، وأما متى لم يكن على مراق البطن شعر فإنه يدل على برد الكبد، فإن كان مع هذا المراق لينا فإنه يدل على رطوبتها، وإن كان يابسا فإنه يدله على يبسها.

٢٨ — وأما العلامات الدالة على تركيبها فهي أيضا مأخوذة من المزاج والأفعال.

أما المزاج المعتدل فإنه يدل على اعتدال الشكل والوضع والكبر والصغر وعلى التوسط في سعة المجاري وضيقها.

وأما المزاج الحار الرطب فإنه يدل على عظم الكبد وسعة الأوراد، كما أن البارد اليابس بخلاف ذلك، وبينهما المزاج الحار اليابس والبارد الرطب.

٢٩ — وينبغي أن تعلم أن الأمزجة التي تدل على خلق هذه الأعضاء إنما هي الأمزجة الطبيعية الحاصلة عند الكون.

وذلك أن ههنا أمزجة حارة أو باردة مكتسبة من التدبير، وبالجملة من الأشياء التي من خارج.

مثال ذلك أنا متى وجدنا إنسانا سحنة بدنه تدل على البرودة، والعلامات التي تدل على مزاج كبده علامات تدل على الحرارة، مثل أن تكون عروقه غير ضيقة، حكمنا أن مزاجه الطبيعي مخالف للعرضي.

وكذلك متى ألفينا ذلك بالعكس: أعني أن يكون إنسان مزاج كبده بارد يابس، وهو مع هذا عبل[1] والعبالة تدل على الحرارة والرطوبة.

٣٠ — وأما كيف يستدل على التركيب من الأفعال، فإن الكبد متى كانت ضيقة العروق كانت كثيرا ما تعتري السدد أصحابها من غير أن تكون الأطعمة المتناولة مسددة بطبعها.

وأيضا فإنه متى كانت الكبد صغيرة بالإضافة إلى المعدة ولم يكن هنالك عارض يوجب لين الطبع فإن طبع هؤلاء يكون أبدا لينا وتلك دلالة قاطعة على صغر الكبد، لأنها إذا كانت صغيرة لا تفي بجذب الكيلوس الذي تهضمه المعدة فيخرج البراز لينا.

وقد زعموا أيضا أن قصر الأصابع دليل على صغر الكبد.

وذكر أرسطو أنه قد تكون كبد بعض الناس في الجهة اليسرى في النادر، وهؤلاء إذا أصابتهم أمراض الكبد وجدت علاماتها من جهة اليسار.

---

(١) ضخم.

فهذا هو القول في العلامات الدالة على صحة الأعضاء الرئيسة.

وينبغي أن نقول في العلامات الدالة على صحة الأعضاء الخادمة لهذه.

٥ — في الرئة

٣١ — إذا كانت الرئة معتدلة المزاج كان التنفس متوسطا بين العظم والصغر، ولم تتأذ بالهواء الحار ولا البارد.

والصوت يكون معتدلا من صاحب هذه الرئة في العظم والصغر.

وأما إذا كانت الرئة حارة فإنه يكون تنفس صاحبها عظيما ويتأذى بتنشق الهواء الحار ويستلذ بالبارد ويكون صوته عظيما.

وأما إذا كانت باردة فعلاماتها أضداد هذه العلامات، أعني أن يكون التنفس صغيرا والصوت كذلك، ويتأذى بالأشياء الباردة.

وأما اليبس في مزاج الرئة فإنه يستدل عليه بصفاء الصوت وقلة النفث، والرطوبة بضد ذلك: أعني تكدر الصوت وكثرة النفث.

وأما تركيبها فإنه يستدل عليه من مزاجها ومن أفعالها.

أما من مزاجها فإن المزاج المعتدل يتبعه ضرورة اعتدال التركيب.

وذلك في الصغر والعظم والشكل وسعة المجاري وضيقها وغير ذلك.

وأما إذا كانت حارة فإنها تكون عظيمة واسعة المجاري، وعظم الصوت دال على سعة مجاريها.

وإنما قلنا قبل إن عظم الصوت دال على حرارة مزاجها من قبل أن عظم الصوت يتبع سعة مجاريها، والسعة تتبع الحرارة ضرورة.

وأما المزاج البارد فإنه يدل على الصغر وضيق المجاري، ولا سيما إن انضاف إلى البرودة يبوسة.

وسرعة التنفس إذا لم يكن مزاج القلب حارا قد يدل على صغر الرئة وضيق مجاريها.

والصدر المجنح الذي وصفه الأطباء يدل على رداءة وضع الرئة منه، ولذلك قال الأطباء إن صاحبها كثيرا ما تعتريه قروح الرئة ويسرع إليه السل.

٦ — في المعدة

٣٢ — والمعدة يوقف على مزاجها من أفعالها: فالمعدة المعتدلة هي التي تستمرئ جل الأطعمة ما لم تكن خارجة عن الطبع جدا، وليس يلحقها عرض من أعراض المعدة

المنحرفة المزاج، وتكون شهوتها طبيعية.

وأما المعدة الحارة فإنها تتدخن فيها الأطعمة اللطاف وتستمرئ الغلاظ وتكون شهوتها ناقصة.

وأما المعدة الباردة فإنها بعكس ذلك: أعني أنها تستمرئ الأطعمة اللطاف، وتحمض فيها الأطعمة الغلاظ وتكون شهوتها زائدة.

وأما المعدة اليابسة فعلامتها فيما زعموا كثرة العطش والاكتفاء بالماء اليسير.

ومتى تناول صاحبها فضلا قليلا أحدث فيها خضخضة.

وأما المعدة الرطبة فعلامتها قلة العطش وميل إلى الأغذية الرطبة، كما أن المعدة اليابسة يميل صاحبها إلى الأغذية اليابسة، هذا إذا كان اليبس والرطوبة فيهما طبيعيين.

وأما إذا كانا عرضيين فإن الأمر فيهما يكون بالضد، أعني أن الذي معدته يابسة يشتهي الأشياء الرطبة، والذي معدته رطبة يشتهي الأشياء اليابسة.

٣٣ — والمعدة قد تكون معتدلة في العظم والصغر.

ويستدل على ذلك من احتمالها التوسط بين الكثرة والقلة من الأغذية.

وقد تكون صغيرة ويستدل عليه من قلة احتمالها لكثرة الطعام، فإن قسم عليها جاد هضمها.

والمعدة الكبيرة الأمر فيها بالعكس.

٧ — في تعرف مزاج الأنثيين

٣٤ — والعلامات المأخوذة ههنا هي أيضا من الأفعال والأعراض التابعة للأفعال.

أما الأفعال فإن الإنسان متى كان متوسطا في شهوة الجماع دل ذلك على اعتدال مزاجهما، ومتى كان في ذلك مفرطا دل على حرارة مزاجهما.

فإن كان إفراطه في ذلك مع احتمال دل على رطوبة هنالك مع حرارة.

قالوا ومزاج الأنثيين إذا كان حارا يولد لصاحبها الذكور أكثر من الإناث.

وأما متى كان مزاج الأنثيين باردا فإن علاماته تكون ضد هذه العلامات، أعني أن صاحبها يكون كسلانا في الجماع ويولد له في الأكثر الإناث.

فإن اقترن إلى ذلك يبس فيكاد يبطل فعلها.

وأما من كان مفرط الشهوة إلى الجماع، وهو مع هذا يضعف عن الجماع، فإن مزاجه مائل إلى اليبس.

٣٥ — وأما الاستدلال على مزاج هذا العضو من قبل الأعراض التي تظهر في المني،

فإن المزاج المعتدل يكون المني عنه معتدلا في الكمية والكيفية.

وأما إن كانت الأنثيان أحر مما ينبغي فإن المني يكون زائدا في الكمية أغلظ مما يجب.

وأما متى كان مزاجهما باردا، فإن الأمر في ذلك يكون بالضد: أعني أن المني يكون قليلا غير نضيج، والرطوبة أكثر ملاءمة لهذا الفعل من اليبوسة، وقد يستدل على مزاج هذا العضو بالشعر على جهة ما يستدل به على أمزجة كثير من الأعضاء على ما سلف.

٣٦ – فهذه هي الدلائل التي بها يوقف على صحة عضو عضو من الأعضاء الرئيسة، وبمعرفة جميعها والمقايسة بينها يفهم المزاج المعتدل المنسوب إلى جملة البدن، والمزاج الخارج عن الاعتدال.

فالبدن الذي مزاجه معتدل يكون ضرورة متوسطا بين الهزال والسمن، ويكون لونه أبيض مشربا بحمرة، وشعره أشقر إلى الحمرة ما دام صبيا، فإذا صار إلى سن الشباب صار الشعر أسود رجْلا[(١)].

وملمس هذا البدن يكون معتدلا في الحرارة والبرودة واللين والجساوة[(٢)] وتكون أخلاقه في غاية الاعتدال، وفهمه أجود الأفهام: متوسطا بين فهم العجول وإبطاء البليد.

٣٧ – وبالجملة فإن بمجموع الدلائل التي وصفنا يحكم على المزاج أنه معتدل.

وأما الأمزجة الخارجة عن الاعتدال فإنه يحكم عليها أيضا بمجموع تلك العلامات أعني العلامات المأخوذة من الأفعال والأعراض التابعة لها، كالسمن والقضف واللون والشعر وغير ذلك.

غير أنه ينبغي أن تعلم أن دلالة اللون والشعر إنما تصدق أكثر ذلك في الأقاليم المعتدلة، وإن كان يمكن أن تستعمل استعمالا ما في أي إقليم كان، بالإضافة إلى أهل ذلك الإقليم لكن هذا لم يتكلم بعد فيه الأطباء، فإنه قد كان ينبغي أن نقول في العلامات التي بها يوقف على المعتدل مثلا في الصقلب.

والمعتدل في الحبشان.

وإنما كانت دلالة الشعر واللون غير قاطعة، لأن الحبشان ألوانهم سود وشعورهم في

---

(١) أي بين الجعود والاسترسال.

(٢) أي الخشونة والصلابة.

غاية الجعودة، وليس يدل ذلك منهم على أمزجة حارة.

بل هذه الأعراض أولى أن تنسب فيهم إلى الحرارة التي من خارج.

وكذلك أيضا الصقالب وغيرهم من سكان البلاد الباردة ليس الزعر الذي بهم وسبوطة الشعر دليلا على برد أمزجتهم، بل أمزجتهم في غاية الحرارة لمكان انعكاس الحار الغريزي في داخل أجوافهم، كما يعتري ذلك في الشتوة.

وهذا المقدار من القول في العلامات الصحية كاف بحسب غرضنا في الإيجاز.

٨ – القول في العلامات المنذرة بالأمراض

٣٨ – والعلامات المنذرة بالأمراض أجناس: فبعضها مأخوذة من الأعراض التابعة لغلبة الأخلاط على البدن، وبعضها مأخوذة من مزاج البدن واستعداده لمرض مرض.

وقد يستدل أيضا على الأمراض بالتدبير المتقدم.

والفصول الأربعة أنفسها مما يستدل بها على تقدمة المعرفة بأمراض ستحدث، ولا سيما التغايير التي تكون فيها على غير المجرى الطبيعي.

وهذه العلامات مختلفة في القوة والضعف وسنشير إلى مراتبها في ذلك فنقول:

٣٩ – إنه قد قلنا فيما سلف إن الدم متى تزيد في الكمية، وذلك في جميع البدن حتى يمدده سمي ذلك امتلاء بحسب التجاويف، وأنه متى تزيد في الكمية مع رداءة في الكيفية.

وأعني بالرداءة في الكيفية انحرافه إلى واحد من الأخلاط الثلاثة أو أكثر من واحد، سمي امتلاء بحسب القوة.

وذلك أن من شأن هذا الامتلاء أن يخل بالقوة لرداءة الكيفية.

ولذلك يتبعه سقوط الشهوة وثقل في الحركات.

وبالجملة عن جميع الأفعال النفسانية والطبيعية.

وأما الامتلاء الأول فإنه لا يوجد هذا المعنى فيه.

وعلامات الأول هي علامة غلبة الدم.

وعلامات الثاني هي علامات غلبة أحد الأخلاط الثلاثة على البدن أو أكثرها، فينبغي أن نصير بعد إلى تعديد العلامات الدالة على غلبة واحد واحد من الأخلاط، فإنه إذا فهمت البسائط فهمت المركبات.

٩ – في علامات غلبة الدم

٤٠ – والأعراض التي تلزم في البدن عن كثرة الدم هي عظم النبض، وامتلاء

العروق أنفسها، شرايين كانت أو أوردة.

وثقل الرأس والعين والأصداغ، وكدر الذهن والحواس، وبالجملة أن تكون حال البدن شبيهة بحال الإعياء الذي يكون من خارج وحمرة اللون أيضا وسخونة البدن، إن لم يكن تصرف الإنسان في هواء حار، مما يشهد لغلبة هذا الخلط على البدن.

٤١ — ويتبع هذه الكثرة في البدن استغراق نوم، وربما تبع ذلك أن يرى في منامه أشياء حمرا، كالرجل الذي حكى لجالينوس أنه كان يرى في النوم كأنه يسبح في بركة دم، وكانت أمارات الدم لائحة عليه فأمره جالينوس بالفصد، فمشى الرجل إلى بعض الأطباء الذين كانوا على رأي أرسطو في ترك الفصد فأمره بالرياضة، فعندما شرع الرجل في الرياضة وذابت أخلاطه انطفأ.

٤٢ — وربما قطر الدم من الأنف عند الامتلاء الدموي أو رشح من اللثة، وقال أرسطو: إن الدم إذا كثر سال من الأنف أو المقعدة. والدماميل أيضا والبثور والبول الغليظ كل ذلك دليل على غلبة الدم. وحلاوة الفم أيضا دليل على ذلك. قالوا وإن كان ممن اعتاد إخراج الدم فإنه سيصيبه حكاك وأكال في تلك المواضع.

٤٣ — وأما العلامات المأخوذة ههنا من المزاج والتدبير والهواء فإنها مما يستظهر به على هذا، إذا كانت موافقة: مثل أن يكون السن سن الشباب. والتدبير يوجب ذلك، مثل الإدمان على الخمر واللحم، وكذلك متى كان الفصل ربيعا.

إلا أن هذه العلامات ليس يلزم عنها ضرورة غلبة الدم، لأنه قد يكون المزاج نفسه فعالا للدم، سواء كان الفصل ربيعا والسن شبابا، والتدبير يوجب ذلك، أو لم يكن ولا واحد من هذه، وإن كان التدبير أقوى هذه الأسباب.

فالعلامات القاطعة على غلبة الدم هي الأعراض التي تتبعه ضرورة.

١٠ — في علامات غلبة الصفراء

٤٤ — علامة ذلك تكون سرعة النبض وتواتره، والبول الرقيق الناري، والقيء المراري، والاختلاف اللذاع[1] ومرارة الفم وشدة العطش ويبس اللسان وخشونته وصفرة اللون.

وربما كان عن ذلك صفرة بياض العين، كما يعتري ذلك في أول حدوث اليرقان.

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الزمان صيفا والسن شبابا والأغذية حارة يابسة

---

(١) المحرق.

والرياضة المفرطة أو المهن المحركة كصناعة الحدادة وغير ذلك، فلا شك حينئذ في غلبة هذا الخلط على البدن.

١١ — في غلبة السوداء

٤٥ — سواد البول أو حمرته إلى الكمدة أو خضرته، وربما تبع ذلك حرقة في المعدة وهيجان الشهوة الكلبية، دليل أيضا على ذلك وكذلك كمدة البدن وسواد المحاجر.

والدم من هؤلاء إذا فصدوا يكون أسود ذا علق كثير.

وأكثر هؤلاء يكونون مطحولين (مرضى الطحال).

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الزمان خريفا والمزاج مزاجا مستعدا لتولد هذا الخلط، والتدبير تدبيرا يوجب ذلك، فاقطع على غلبة هذا الخلط على البدن.

٤٦ — والأمزجة التي هي مستعدة لتولد هذا الخلط هي إما الباردة اليابسة أو الحارة اليابسة، ولذلك قل ما يتولد في الأبدان البيض السمان الزعر هذا الخلط، ويكثر تولده في الأبدان القضاف.

والبهق الأسود إذا ظهر على الجسم دليل قاطع على غلبة هذا الخلط وكذلك القروح الرديئة.

١٢ — في غلبة البلغم

٤٧ — البول الأبيض والنبض الصغير المتفاوت اللين ورهل البدن والكسل وغلبة النوم وبطء الهضم وقلة العطش وكثرة الريق ولزوجته، فإن انضاف إلى ذلك موافقة المزاج والفصل والتدبير فاقطع على ذلك، مثل أن يكون المزاج يغلب عليه البلغم، والسن سن الشيخوخة، والفصل شتويا، والتدبير الدعة والخفض، واستعمال الأغذية الباردة الرطبة والتناول منها أكثر مما يجب.

والأحلام عند غلبة هذه الأخلاط، ربما دلت أيضا على ذلك، فإن من غلبت على بدنه الصفراء فإنه كثيرا ما يرى نيرانا، وكأنه يحترق، وبالجملة أشياء حمرا.

وكذلك غلبة السوداء يدل عليها رؤية المخاوف والفزع ورؤية الأمطار والبحار.

وأن يحس الإنسان كأنه في هواء بارد أو ماء بارد مما يدل على غلبة البلغم.

٤٨ — فهذه هي الدلائل التي تدل على غلبة خلط خلط من هذه الأخلاط وبالجملة فهي دالة على الأمراض التي من شأنها أن تحدث عن واحد واحد من هذه الأخلاط أو أكثر من واحد.

والإعياء الذي يعرض في البدن من غير سبب متقدم إنما يكون ضرورة عن غلبة

واحد من هذه الأخلاط أو أكثر من واحد، إلا أن الإعياء المخصوص بالتمددي غلبة الدم عليه أكثر، وكذلك الورمي.

وأما القروحي فرداءة الكيفية فيه أغلب من الكمية.

٤٩ - وإذ قد قلنا في العلامات الدالة على غلبة الأخلاط في الأبدان فلنقل في التغايير التي إذا حدثت في الهواء دلت على أمراض ستحدث.

والطريق التي بها يوقف على الأمراض التي تحدث عن تغيير تغيير من أصناف التغايير الخارجة عن الطبع هي التجربة.

وأما هل يمكن أن يوقف عليها ببرهان فذلك مما يعسر أو لا يمكن.

ولذلك قد ينبغي أن نتحرى فيها شهادة القدماء ثم نروم إعطاء السبب في ذلك.

١٣ - العلامات الهوائية المنذرة بالأمراض

٥٠ - قال أبقراط إذا كان الشتاء شماليا عديما للمطر، وكان الربيع جنوبيا ممطراً، عرض من ذلك في الصيف حميات حادة ورمد واختلاف دم.

وأكثر ما يعرض ذلك لمن كان مزاجه رطبا كالنساء والصبيان.

والسبب في حدوث هذه الأمراض هو أن الأبدان إذا كانت الشتوة يابسة تولدت فيها أخلاط يابسة، وبالجملة فالأخلاط المحترقة التي تتولد في زمان الخريف ليس تنقلب طبيعتها في مثل هذه الشتوة إلى البرودة والرطوبة، بل تبقى على النصف مما عرض لها في الخريف.

فإذا كان الربيع مع هذا أرطب مما يجب اجتمعت أخلاط متضادة.

فإذا دخل الصيف عفنت الأخلاط لموضع الرطوبة العرضية التي فيها.

ولموضع الانحراف الذي في الأخلاط تكون الحرارة العفونية المتولدة حينئذ أنكأ شيء وأحده.

ولذلك تتولد عن ذلك حينئذ حميات حادة لموضع رداءة هذا الامتزاج.

ويحدث عن ذلك كما قال اختلاف دم ورمد.

وإنما يعرض ذلك لذوي الأمزجة الرطبة لسرعة قبولهم للتأثر عن مثل هذا الهواء.

وإنما ينسب أبقراط اليبس إلى الشمال والرطوبة إلى الجنوب، لأن طبيعة هذين الريحين توجد بهاتين الحالتين.

فأما السبب في ذلك فقد قيل في غير هذا الموضع.

٥١ - قال: فإن كان في مثل هذه السنة، بعد طلوع نجم الكلب، مطر مع برد،

وكان هبوب الريح الشمالية على العادة، فإن تلك الأمراض تكون هادئة ساكنة. وإنما كان ذلك كذلك لموضع برودة فصل الحر، لأن الأمطار تبرد الهواء.

والشمال (ريح الشمال) أيضا تفعل ذلك، مع أنها يابسة. ومعلوم أنه إذا برد الهواء قل التعفن.

٥٢- وبالجملة فينبغي أن تعلم أن هذه الأمراض التي ذكر أبقراط في هذه الأصول إنما أملك أسبابها تغير طبيعة الهواء.

وذلك أن الفصول إنما جعلت مختلفة بائع لمكان نضج الأخلاط وتعديلها.

مثال ذلك أن رطوبة فصل الشتاء وبرده إنما هي لحة ليبس الخريف والصيف وحرهما.

فإذا كانت الشتوة يابسة بقيت تلك الأخلاط سببها وليس تصلحها رطوبة الربيع. فإنها رطوبة في غير وقتها.

وذلك أنها تلقاها حرارة الصيف بغير متوسط، فتحدث هذه الأمراض، وأما الرطوبة التي تكون في القوة فإنها تلقاها حرارة الصيف بمتوسط، وهي حرارة الربيع.

ولذلك ليس يرد صيف إلا وتلك الرطوبة قد تنشفت واستعدت الأجسام ألا تتأثر عن الحر.

وبالجملة طال الفصول الأربعة من الأخلاط الأربعة كحالها من الأسطقسات الأربعة، أعني كما الفصول الأربعة هي التي تمنع أن يغلب بعض الأسطقسات على بعض، كذلك لها مع الأخلاط.

فلولا الفصل المناسب لخلط خلط لفسد ذلك الخلط عن ضده.

٥٣ – قال أبقراط: متى كان الشتاء جنوبيا دفئا مَطِراً، وكان الربيع شماليا جالباً للمطر، فإنه يعرض اختلاف دم ورمد يابس.

والكهول تعرض لهم النزلات السكات والفالج.

قال والحوامل يعرض لهن الإسقاط كثيرا.

أما كون النزلات السكات والفالج يحدث في مثل هذا الربيع فأمر بين: وذلك أن الأدمغة تترطب في هذه الشتوة أكثر مما يجب، فإذا كان الربيع باردا مع ما فيه من تحريك الأخلاط ويرها، وبالجملة مع ما فيه من مضادته لمزاجه الطبيعي، بردت تلك الأخلاط وسالت يحدث عن ذلك أمثلة هذه الأمراض.

وليس لقائل أن يقول: إن فصل الشتاء إذا كان هذه الصفة أولى بهذه الأمراض، لأن

الأخلاط في هذا الفصل جامدة غير متحركة، وإنما تحرك في زمان الربيع لموضع الحرارة التي في هذا الفصل.

فإذا كان أبرد مما ينبغي أن يحدث مثل هذه الأمراض.

٥٤ — وأما اختلاف الدم فإنه يعنى به السحج[١] الذي يعرض عن النزلات المتولدة عن هذا الاختلاف.

والنساء أيضا إنما يسقطن في مثل هذا الاختلاف، أرحامهن يرطبن أكثر مما ينبغي فتضعف لذلك القوة الماسكة التي فيها، مع أنه قد كن أيضا أن يكون هذا الاختلاف ضارا بالأجنة أنفسها، وذلك أنه إذا رطبت أبدانهن أكثر مما ينبغي ثم دخل عليها برد الربيع حدث للأجنة شبيه بما يعرض للناس من المرج.

بل الأجنة أحرى بذلك لموضع ضعفهن ورطوبة أمزجتهن فيموتون.

٥٥ — قال أبقراط: إذا كان الصيف قليل المطر، وكان الخريف شديد الحر مطرا جنوبيا، عرض في الشتاء صداع شديد وسعال وبحوحة وزكام، وعرض لبعض الناس السل.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الرءوس تمتلئ في مثل هذا الخريف فضولا، فإذا جاء الشتاء وبردت تلك الفضول ولم يمكن فيها أن تنضج، أحدثت هذه الأمراض وذلك أنها متى ثبتت في الرأس أحدثت صداعا ومتى انحدرت حدث عن ذلك سعال وبحوحة وزكام فإن تقرحت الرئة حدث عن ذلك سل.

٥٦ — قال أبقراط: إذا كان الخريف شماليا يابسا حدث لأصحاب الأمزجة المرارية رمد يابس وحميات حادة ووسواس سوداوي، وهذا أيضا بين من طبيعة هذا الفصل.

وذلك أنه إذا اشتد في اليبس أحدث أمراضا سوداوية.

وقد ينبغي أن تفهم ههنا من الحميات حميات السوداء.

وأما الرمد فإنما يعرض في مثل هذا الوقت إذا اندفعت مثل هذه الأخلاط إلى العينين، ولذلك قال: رمد يابس.

٥٧ — قال أبقراط: إن الأمراض التي تحدث عند كثرة الأمطار هي في أكثر

---

(١) هو داء يصيب البطن مثل الإسهال المزمن، تأكل جوانب الأمعاء سحجات.

الحالات:حميات طويلة، واستطلاق البطن، وصرع، وسكات، وسبات[١] وذبحة.

قال: وقلة المطر أصح للأبدان.

والسبب في هذا كله أن الرطوبة إذا كثرت لم تستول عليها الحرارة الغريزية فحدثت هنالك هذه الأمراض، إلا أنه ليس ينبغي أن يفهم من قول أبقراط إن الهواء اليابس أصح للأبدان، أن هذا القول مطلق.

بل إنما يعني بذلك ما لم يكن في اليبس مفرطا، فإنه متى أفرط أحدث أمراضا مناسبة له.

ولذلك قال أبقراط في فصل آخر: إذا احتبس المطر حدثت حميات حادة.

٥٨ — وأبقراط يرى أن الهواء المعتدل هو الهواء الذي لا تغبه (لا تفسده، لا تنتنه) الأمطار بل تتعهده تعهدا متوسطا ليس بالزائد ولا الناقص.

وينبغي أن تعلم أن الهواء إذا خرج في إحدى كيفياته خروجا مفرطا أحدث أمراضا مناسبة له.

فأما الهواء الوبائي فإنه يكون عن تعفن جوهر الهواء، وذلك يعرض إما من قبل كثرة الأمطار في الصيف.

كما ذكر أبقراط أنه عرض في مدينة قرابون.

قال: جاء مطر جَوْد في زمان صائف، ودام ذلك الصيف كله، فأصابت الناس بثور رديئة وحكاك شديد، حتى أن بعضهم كان تسقط منهم أذرعتهم وأرجلهم، وقد يكون ذلك لموضع أبخرة عفنة تخالط جوهر الهواء من الجيف والمستنقعات العفنة وغير ذلك.

وتحدث أمراض وبائية من فساد الماء والأغذية، كما يعتري ذلك في المجاعات، إلا أن أمراض الهواء أوحى (أسرع) موتا لموضع العفونة التي تتصل بالقلب من الهواء.

ولذلك الأعراض التي تظهر في حميات هؤلاء أعراض خبيثة من سوء التنفس وغير ذلك، وليس يظهر في حمياتهم عظم، ولا يحسون منها كبير ألم لموضع استيلاء سوء المزاج على البدن؛ فإن الذي يفعل الألم هو المزاج المختلف.

وينبغي أن تعلم أنه ليس كل أحد يمرض عند تغير الأهوية، وإنما يلقى ذلك من في بدنه استعداد.

---

(١) السبات: النوم، مرض يكون المصاب به كالنائم لا يتحرك ولا يفتح عينيه، يقال له: مسبوت، والسبات: النوم الخفيف.

٥٩ – وأما إذا كانت الفصول على طبائعها فليس يكاد تكون سببا للأمراض، وإن كان يظهر أن ههنا أمراضا هي أخص بفصل فصل، وهي الأمراض التي تتولد عن الخلط المناسب لفصل فصل، مثل الأمراض الدموية في زمان الربيع والبلغمية في زمان الشتاء والصفراوية في زمان الصيف والسوداوية في زمان الخريف، وإن كان يلحق الربيع بالعرض أن تتولد فيه أمراض سوداوية مثل الوسواس السوداوي والجنون والقوباء والبهق والصرع وأوجاع المفاصل.

وإنما يكون ذلك لموضع تحرك الأخلاط في هذا الفصل في البدن وغليانها، فإنه يعرض لأخلاط الحيوان في هذا الفصل شبيه بما يعرض للرطوبات التي في النبات.

٦٠ – وهذا الذي قلناه من العلامات الهوائية المنذرة بالأمراض كاف بحسب غرضنا في الإيجاز. وههنا أمراض صغار تنذر بأمراض كبار ينبغي أن نذكر ههنا منها طرفا، وحينئذ نصير إلى ذكر العلامات الدالة على طبائع الأمراض أنفسها وعلى أسبابها، وهي الأهم في هذه الصناعة.

١٤ – أمراض صغار تنذر بأمراض كبار

٦١ – قالوا الصداع الدائم والشقيقة تنذر بنزول الماء في العين والانتشار، واختلاج الوجه إذا كثر ودام ينذر بلقوة، واختلاج جميع الجسد ينذر بتشنج رطب. الخدر ينذر بالفالج. حمرة الوجه والعين وظهور العروق فيها والدموع السائلة منها والنفور عن الضوء مع شدة الصداع مع الحمى ينذر بالورم الحار في الدماغ، الكابوس والدوار إذا أزمنا وقويا أنذرا بالصرع، الغم الدائم الذي لا يعرف له سبب ينذر بالمالنخوليا. البق الذي يظهر للإنسان أمام عينيه كأنه يطير، أو الشعر الذي يظهر أمام العين، هي علامة منذرة بنزول الماء، إن لم يكن هذا العارض من قبل المعدة.

تواتر النزلات يخاف منه السل، العرق الكثير يدل على امتلاء، الخفقان الدائم الشديد ينذر بالموت فجأة، الامتلاء المفرط يخاف منه نفث الدم والسكتة والموت فجأة، كدر الحواس وضعف الحركات مع الامتلاء يخاف منه السكتة.

الثقل في الناحية اليمنى عند ضلوع الخلف والوخز والتمدد ينذران بعلة في الكبد. البراز الكثير الصبغ ينذر باليرقان.

تهيج الوجه والورم في الأجفان والأطراف ينذر بالاستسقاء.

نتن البراز يدل على تخم وثفل في العروق.

نتن البول ينذر بعفونة وحمى تحدث الإعياء.

والتكسر من غير سبب باد مع سقوط الشهوة ينذر بالحمى.

ذهاب الشهوة مع الغثي والنفخ ينذر بالقولنج.

الثقل والتمدد في أسفل البطن والخواصر مع تغير حال البدن عن العادة ينذر بعلة في الكلى.

البول الذي يحرق إذا دام أورث قروحا في المثانة والقضيب.

الخلفة[١] التي تحرق المقعدة تؤدي إلى السحج.

الحكاك في المقعدة ينذر ببواسير إلا أن تكون من داخل ديدان صغار كثيرة.

الدماميل يخشى منها خراج عظيم.

كثرة السلع يخشى منها دبيلة.

البهق يخشى منه البرص.

شدة حمرة الوجه وضيق النفس وبحة الصوت ينذر بالجذام.

٦٢ — وبالجملة متى تغير حال من الأحوال المعتادة دل على مرض يحدث، مثل إفراط الشهوة أو نقصانها، أو إفراط فيما يبرز من البدن أو تقصير فيه، أو كثرة النوم أو قلته، إلى غير ذلك من الأعراض.

وإذ قلنا في هذا الجنس من العلامات فلنقل في علامات الأمراض أنفسها.

٦٣ — والعلامات التي نذكر ههنا هي، ضرورة، إما علامات تدل على الأمراض أنفسها، وإما على أسباب الأمراض، وإما على العضو الذي فيه المرض، وإما على جميعها كالحال في العلل التي في الأعضاء الباطنة.

وأما الأمراض التي في ظاهر الجسم فإنما يستدل على أسبابها: إذ كانت هذه الأمراض ظاهرة للحس.

والعلامات بالجملة إنما هي الأعراض الظاهرة في الأفعال والانفعالات النفسانية، أو الأعراض اللازمة عنها.

ولما كان ههنا جنسان من العلامات مشتركان لأمراض كثيرة وجب أن نبتدئ أولا بذكرهما، ثم نصير بعد ذلك إلى العلامات الخاصة بمرض مرض. وهذان الجنسان هما النبض والبول.

٦٤ — وأما النبض فدلالته تكون من جهة مشاركة القلب لجميع الأعضاء.

---

(١) بقية الطعام.

وأما البول فهو دليل على مقدار الطبخ في الكبد وفي العروق.

وبهذا صارت دلالته ليست مقصرة عن أمراض أعضاء القوة الغاذية فلنبدأ أولا بالنبض إذ كان أشرف معرفة.

١٥ – القول في النبض

٦٥ – والنبض لما كان مركبا من حركتين وهما حركتا الانقباض والانبساط، وسكونين وهما السكون الذي يكون بين الحركتين، إذ قد تبين أن كل حركتين متقابلتين فبينهما ضرورة سكون، وأيضا فإن المهرة المرتاضين بهذا العلم يزعمون أنهم يدركون هذين السكونين، وبخاصة السكون الذي بعد الانقباض، لأن السكون الذي يكون بعد الانبساط هو ظاهر لغير المرتاض فضلا عن المرتاض وإن كان ليس يحس متميزا دون حركة الانقباض لأن حركة الانقباض يعسر إدراكها إلا على المرتاضين وهي لا تدرك إلا في النبض القوي ومع هذا فليس يدرك آخرها الذي يلي السكون كما لا يدرك أول الانبساط .

ولما كان أمر النبض هكذا كانت الأعراض التي تلحقه بالذات إنما توجد في أحد هذه الأمور، أعني في الحركات أنفسها وفي الأزمنة التي تتخللها ولهذا ما نرى أن أجناس النبض الأول سبعة:

٦٦ – فالجنس الأول المأخوذ من مقدار الانبساط.

والثاني من مقدار زمان الحركة. والثالث من مقدار القوة المحركة.

والرابع من زمان السكون. والخامس من مقايسة السكونين إلى الحركتين.

والسادس من اختلاف النبض واستوائه وتشابهه.

والسابع من الانتظام وعدم الانتظام.

٦٧ – وأما الثلاثة الأجناس التي جرت عادة الأطباء أن يذكروها مع هذه الأجناس السبعة: فأحدها هو الجنس المأخوذ مما يحتوي عليه جرم الشريان.

والثاني من كيفية جرم الشريان. والثالث من قوام جرم الشريان.

وهذه الثلاثة الأجناس كأنها ليست خاصة بالنبض من جهة ما هو نبض، إذ كان النبض إنما وجوده في الحركة والسكون.

٦٨ – ونحن نعدد الأنواع الداخلة تحت كل واحد من هذه الأجناس ثم نصير بعد ذلك إلى إعطاء أسباب جنس جنس منها، ونوع نوع، فإنه إذا عرفت أسبابها الفاعلة أمكن حينئذ أن تستعمل دلائل على الأمراض.

إذ كانت هذه الأسباب الفاعلة لها، ولذلك متى كان النوع منها أو الجنس عن

سبب خاص كان دليلا لازما على وجود ذلك النوع من المرض أو الجنس.

وما كان منها عن أكثر من سبب واحد لم يدل على المرض الفاعل، إلا بأن يضاف إليه استدلال آخر.

ومثال ذلك أن النبض النملي دليل قاطع على حمى الدق، إذ كان عرضا لازما عن وجود هذه الحمى.

وأما النبض المختلف فلما كان يوجد في الحمى العفونية وفي أوجاع فم المعدة لم يكن بذاته ومفردا دليلا قاطعا على حمى العفونة، إلا أن يقترن به دليل آخر. والدليل الآخر ربما كان من نوع النبض، وربما لم يكن.

٦٩ — ولذلك ما اضطر الأطباء بعد إعطاء أسباب النبض أن يعطوا النبض الخاص بمرض مرض، فإن أكثر مثل هذا النبض إنما هو مركب، مثل النبض الدال على الأورام الحارة فإنه نبض صغير سريع متواتر مختلف اختلافاً منشاريا، فمثل هذا المرض النبض الخاص به إنما هو مركب.

وقد يكون النبض دليلا قاطعا على مرض ما مع استعمال غيره من العلامات، مثال ذلك أن النبض المختلف إذا كان مع حرارة ظاهرة في الجسم وليس في فم المعدة لذع ولا وجع، فإنه دليل قاطع على حمى العفونة.

وإذ قد تبين كيف وجه الاستدلال بالنبض بالقول الكلي فلنصر إلى تعديد أنواعه ثم نعطي بعد أسباب جميع ذلك فنقول:

٧٠ — أما الجنس المأخوذ من مقدار الانبساط فينقسم إلى النبض العظيم والصغير والمعتدل في ذلك، وإلى النبض الطويل والقصير والمعتدل في ذلك، وإلى النبض العريض والرقيق والمعتدل في ذلك، وإلى الشاخص والغائر والمعتدل في ذلك، ومعنى العظيم هو انبساط الشريان انبساطا مفرطا في جميع أقطاره الثلاثة التي هي العمق والعرض والطول، ومعنى الصغير هو ضد هذا، والاعتدال في هذا الجنس هو المتوسط بين ذلك.

٧١ — وأما الطويل فهو الذي يكون انبساطه في الطول أكثر منه في العرض والعمق، وهو الذي يجاوز الأربع أصابع من يد الجاس، والقصير هو ضد هذا، والمعتدل هو المتوسط بين هذين. وأما العريض فهو الذي يكون انبساطه في العرض أكثر منه في سائر الجهات. والرقيق ضد ذلك، والمعتدل في هذا الجنس هو المتوسط بين هذين وأما الشاخص فهو الذي انبساطه زائد في العمق، والغائر بضده والمعتدل المتوسط بين هذين وربما تركبت هذه الأصناف بعضها مع بعض، لكن تمييز أمثال هذه الأشياء بالحس

عسير، وإنما هي أشياء تؤخذ بالقول أكثر ذلك.

٧٢- فهذه هي الأنواع المأخوذة من مقدار الانبساط، وأما الجنس المأخوذ من زمان الحركة فينقسم إلى السريع والبطيء والمعتدل، وأما المأخوذ من مقدار القوة فينقسم إلى القوي، وهو الذي يقرع الأنامل بشدة وإلى الضعيف وإلى المعتدل فيما بين ذلك.

٧٣- وأما الجنس المأخوذ من زمان السكون فينقسم إلى المتواتر والمتفاوت والمعتدل بينهما، وجالينوس يقول: إن المتواتر هو الذي يكون زمان سكونه بعد الانقباض يسيرا والمتفاوت بضد ذلك، والمعتدل هو المتوسط بين هذين، وهذا ليس يدركه إلا من يدرك السكون الذي بعد الانقباض، وذلك أمر يعسر، اللهم إلا أنه يشبه أن يكون غير ممتنع على المرتاضين جدا، الجيدي الحس، فإن الناس يتفاوتون في هذه الإدراكات لتفاوتهم في الارتياض والذكاء، وأما من لم يحس بهذا السكون فليس يفرق بين النبض السريع والمتواتر.

٧٤ - وأما الجنس المأخوذ من المقايسة بين الأزمنة الأربعة التي في النبض فينقسم إلى النبض المعتدل الوزن وغير المعتدل الوزن. والمعتدل الوزن هو الذي تكون فيه نسبة الحركتين بعضها إلى بعض نسبة طبيعة وعلى المجرى الطبيعي.

وكذلك نسبة السكون إلى السكون ونسبة الحركة إلى السكون. وهذه المقايسة والمناسبة تختلف بحسب اختلاف الفصول والأسنان والأمزجة.

وجالينوس يزعم أن هذه المناسبة الطبيعية إنما تلفى أبدا على أحد النسب المتفقة النغم، وهي نسبة الضعف ونسبة الجزء، ويزعم أن أصغر النسب المحسوسة في النبض هي نسبة الزائد ربعا. وهذا إن كان كما قال فأمر عجيب!

وإنما يبعد إدراك مثل هذه النسب في النبض، مع أن كثير من الناس يدركونها في النغم، لأن النغم لها فضل تمديد حتى يدرك منها مثلا البعد الأرخى، وهو الزائد، جزءا من ستة وثلاثين. وأما في النبض فالأزمنة التي توجد فيها هذه المقايسة قصيرة. وأيضا فإن السكون الذي يكون بعد الانقباض عسير الحس، لكون الشريان تحت اللحم. ولهذا ما تخيروا من الشرايين للإحساس ما كان قريبا من سطح البدن، وكان مع ذلك قريبا من المبدأ.

والتي بهذه الصفة هي الشرايين التي يجسها الأطباء.

٧٥ - وأما الجنس المأخوذ من تشابه النبض واختلافه، فهذا الجنس يلحق جميع الأجناس التي سلفت. وذلك أن التشابه في النبض هو أن تكون الأجناس التي تقدمت على

حال واحدة: مثال ذلك إن كان النبض عظيما أن يتمادى على عظمه. وكذلك إن كان سريعا أو متفاوتا أو بطيئا أو غير ذلك.

والنبض المتشابه بإطلاق هو الذي يتشابه في جميع أجناس النبض.

وأما النبض المختلف فهو أيضا ضربان: إما مختلف في جميع أجناس النبض، وإما في جنس واحد أو أكثر من واحد. والنبض المختلف في أي جنس كان. منه ما يكون اختلافه في نبضات كثيرة، ومنه ما يكون اختلافه في نبضة واحدة.

والمختلف ربما كان منتظما، وهو الذي يحفظ الاختلاف في أدوار محدودة، وربما كان غير منتظم، وهو الذي لا يحفظ الاختلاف.

وإحصاء أنواع المختلف هو أليق بإحصاء الأنواع المركبة. وسنعدد منها فيما بعد أشهرها.

٧٦ - وأما الجنس المأخوذ من كيفية الشريان فأصنافه ثلاثة: الحار والبارد والمعتدل.

وأما الجنس المأخوذ من قوام جرم الشريان فهي أيضا ثلاثة: اللين والصلب والمعتدل.

وأما الجنس المأخوذ مما يحتوي عليه الشريان فأصنافه أيضا ثلاثة: الممتلئ والفارغ والمعتدل. فهذه هي أصناف النبض البسيطة.

٧٧ - ومنها أصناف من النبض مركبة لها أسماء مشهورة، وقد ينبغي أن نعددها: فمنها الغزالي وهو نبض مختلف في نبضة واحدة، وذلك في السرعة والبطء.

وذلك أنه يعرض للعرق في هذا النبض أن يسرع ثم يقف وقفة، ثم يتم حركته بسرعة.

وإنما سمي غزاليا لشبه هذه الحركة بطفرة الغزال.

ومنه المسمى ذنب الفأرة: وهو نبض لا يزال في الاختلاف، آخذا إما من زيادة إلى نقصان، وإما من نقصان إلى زيادة.

وهذا الانحطاط أو التزيد ربما كان منتظما، وربما لم يكن.

وأحد الاختلاف الذي يسمى بهذا الاسم هو الاختلاف الذي يكون في العظم والصغر، وقد يكون في غير ذلك من الأجناس.

ومنه الموجيّ: وهو المختلف في عظم أجزاء العروق وفي صغرها أو في شهوقها وغورها، أو في دقتها وعرضها، وفي التأخير والتقدم. مع لين موجود فيه، وهو إلى الصغر

أقرب ما هو، لكنه ليس بالصغير جدا.

وبالجملة إنما سمي موجيًّا لشبه حركته بحركة الموج.

٧٨ - ومنه الدودي، وهو شبيه به إلا أنه أصغر منه وأشد تواترا، ومنه النملي وهو أصغر من هذين وأشد تواتر.

ومنه المنشاري وهو شبيه بالموجي في اختلاف الأجزاء، إلا أنه أصلب.

ومنه ذو القرعتين وهذا ربما أطلق على الاختلاف الذي يكون في نبضة واحدة أعني أنها تنقطع ثم تعود وربما أطلق على النبضتين اللتين بينهما من السكون ما لا يستحق أن يكون سكونا.

ومنه المرتعد، وهو الذي يحس فيه بحال تشبه الرعدة.

ومنه الملتوي وهو الذي يحس فيه كأن العرق يفتل ويلوى.

ومنه المنحني وهو الذي يكون في وسطه غليظا شاهقا وفي طرفيه غائرا.

فهذه جميع الأنواع البسيطة والمشهورة من المركبة.

وقد ينبغي أن نصير إلى إعطاء أسباب ذلك فنقول:

١٦ - أسباب تنوع النبض واختلافه

٧٩ - أما أسباب عظم النبض فهي صحة القوة والآلة وشد الحاجة إلى النبض، ولذلك كان النبض دليل غلبة الدم على البدن، وبخاصة إذا اقترن إلى ذلك سرعة وتواتر، لأن هذه كلها شواهد على شدة الحاجة مع صحة القوة والآلة.

٨٠ - وأما الصغر فأسبابه ضد هذه الأسباب: وذلك إما ضعف فقط، وإما صلابة الآلة وقلة مواتاتها، وإما قلة الحاجة إلى النبض ولذلك إذا كان الفاعل لهذا النبض ضعف القوة دل ضرورة على سوء مزاج رديء.

إما مادي فيغمر القوة ويضعفها، وإما على استفراغ مفرط قد حلل الروح الغريزي.

وأما متى كان الفاعل لهذا النبض صلابة العروق فيدل ضرورة إما على سوء مزاج يابس مادي، كما يعتري ذلك في غلبة الصفراء والسوداء. أو على استيلاء مزاج يابس غير مادي على البدن مثل حمى الدق.

وإما على جمود من سبب بارد.

وإما على تمدد في الشريان كما يعتري ذلك في الأورام.

وأما ما سببه قلة الحاجة فتدل على انطفاء الحرارة وقلتها.

وقد تجتمع الأسباب الثلاثة فيدل على جميع هذه.

وأما الاعتدال فأسبابه ضرورة هي كون هذه الأشياء معتدلة.

٨١ - وأما النبض الطويل فسببه تقصير القوة عن بسط الشريان في العرض والعمق على نسبة بسطه في الطول.

وذلك إنما يكون في الأكثر لقلة مواتاة الآلة مثل الصلابة أو كثافة اللحم.

وأما القصير فأسبابه ضد أسباب الطويل: وذلك ضعف القوة، وربما كان سبب ذلك الصلابة، وربما اجتمع الأمران.

وأما العريض فسببه وفور القوة مع لين الآلة واسترخائها أو سدة فيها.

والدقيق أسبابه صلابة العروق وضعف القوة.

والشاهق أسبابه قريبة من أسباب الطويل إلا أن القوة فيه أعظم أو الآلة أكثر مواتاة.

والغائر أسبابه ضد هذه الأسباب.

وأما السريع ففاعله شدة الحاجة إلى النبض، إلا أنه ليس يلزم أن يكون معه النبض عظيما وذلك أن كثيرا ما تستعمل الطبيعة السرعة في النبض إذا فاتها العظم عوضا منه، وذلك إما لضعف القوة نفسها أو لقلة مواتاة الآلة.

وأما البطيء فأسبابه ضد هذه الأسباب أعني إما قلة الحاجة إلى التنفس وإما ضعف القوة وإما كليهما ولذلك كان هذا الجنس من النبض يدل على سوء مزاج بارد، إما مادي وإما غير مادي، وإما على ضعف القوة لاستفراغ يكون هنالك أو لنكء أخلاط رديئة تحلل الروح الغريزي بكيفيتها.

٨٢ - وأما الجنس المأخوذ من القوة فأسبابه أيضا بينة، وكذلك الجنس المأخوذ من التواتر أسبابه أيضا هي أسباب السرعة.

والطبيعة قد تستعمله حيث يفوتها العظم أو السرعة.

وأما التفاوت فسببه ضرورة هو عدم الحاجة إلى التنفس وغلبة البرد.

٨٣ - وأما الجنس المأخوذ من مقايسة الأربعة الأزمنة التي يفعلها النبض فسببه الخروج في ذلك عن المجرى الطبيعي. أما إذا كانت حركة الانبساط أعظم نسبة إلى حركة الانقباض من النسبة الطبيعية، فسبب ذلك هو شدة الحاجة إلى التنفس مع قلة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني، وإذا كانت حركة الانقباض أعظم نسبة فذلك لشدة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني.

وأما إذا كان السكون أصغر نسبة إلى الحركة من النسبة الطبيعية فالسبب فيه هو

شدة الحاجة إلى التنفس مع قلة الحاجة إلى إخراج البخار الدخاني.

وأما إذا كان السكون أعظم نسبة فالسبب فيه ضعف القوة مع شدة الحاجة إلى التنفس.

والأمر أيضا في اختلاف نسبة السكونين بعضهما إلى بعض هو الأمر في اختلاف نسبة الحركتين، أعني حركة الانقباض وحركة الانبساط.

٨٤ - وأما الجنس المأخوذ من تشابه النبض واختلافه فالأمر في ذلك بين: فإنّ التشابه إنما تفعله جودة القوة كما أن الاختلاف إنما سببه اختلال القوة وضعفها والسبب في مثل هذا الاختلاف يكون من احد أمرين ضرورة: إما ما يثقل القوة وينهضها مثل غلبة الأخلاط.

وإما ما ينكأ الحار الغريزي الذي في القلب حتى يبدده، مثل الوجع الذي في فم المعدة.

وربما كان ذلك لضعف القوة نفسها عن حركة الآلة كما يعتري ذلك في أواخر الأمراض الناكثة.

فإن الضعف إنما يكون أبدا بالإضافة فكما أنه قد يكون عن كثرة الخلط كذلك لا يمتنع أن يكون في بعض الأحيان عن تحريك الآلة نفسها.

وما كان من هذا الاختلاف في نبضات كثيرة فهو أقل رداءة كما أن المنتظم منه أيضا أقل رداءة من غير المنتظم.

وذلك أن المنتظم يحفظ دوره في الاختلاف، والحفظ إنما هو استيلاء القوة بوجه ما.

٨٥ - وأما الضروب المركبة من ضروب الاختلاف فنحن نعدد أسبابها في هذا الموضع: أما النبض الغزالي فسببه صلابة الآلة.

وأما ذنب الفأرة فسببه هو سبب الاختلاف، لكن إذا كان من تزيد إلى انحطاط دل على قوة منحطة، فإن عاد إلى ما كان عليه أولا دل على وثوب القوة، وإن كان آخذا من انحطاط إلى تزيد دل على خلاف هذا.

وأما الموجي فأسبابه هي ضعف القوة ولين الآلة وتواتر ما هنالك، وكأن القوة في هذا النبض إنما تشمل جزءا جزءا من العضو حتى تشبه تلك الحركة حركة الموج التي هي مؤلفة من حركات كثيرة.

والنبض الدودي أسبابه شبيهة بهذه إلا أنه أضعف قوة وكذلك النملي إلا أنه أيضا

أضعف قوة، ولذلك ما قيل لا يحدث النملي إلا أن يتقدمه الدودي.

وأسباب ضعف القوة معلومة: إما استفراغ مفرط كما يعتري عند الغشي، وإما إفساد الحار الغريزي في أكثر أجزائه لمضادة الأسباب الفاعلة للمرض ونكثها.

وأما النبض المنشاري فإن سببه أيضا الضعف والصغر، وأن تتقدم فيه أجزاء وتتأخر أجزاء، كالحال في الموجي إلا أن اليبس في هذا ظاهر.

ولما كان اليبس يعرض من التمدد كان النبض المنشاري دليل الأورام الحارة، وخاصة إذا كانت في الأعضاء العصبية.

فإن الصلابة تكون هنالك أكثر لموضع العصب وأما ذو القرعتين وهو المعروف بالمطرقي، شبيه بضرب المطرقة على السندان الذي يعود فيضرب ثانية من تلقائه، فالسبب فيه صلابة العرق، فكأنه ينبو في القرعة الأولى فيقرع الثانية.

وأما الارتعاشي فسببه ضعف القوة، وأما الملتوي فهو يدل على تشنج ما وأما المنحني فسببه أيضا ضعف القوة التي لا تشمل أجزاء العرق باستواء.

٨٦ - فهذه هي أسباب هذه الأنواع من النبض بحسب الإيجاز والاختصار، وأما النبض الخاص بالأورام، وبالجملة بالأمراض أنفسها، فهي كما قلنا أصناف من النبض مركبة، وسنذكرها عند ذكرنا علامات مرض مرض.

٨٧ - وأما الأجناس الثلاثة من أجناس النبض وهي المأخوذة من كيفية الشريان ومن قوامه ومما يحتوي عليه فأسبابها بينة مما تقدم من أسباب سوء المزاج، ولأن هذه الأنواع من النبض إنما تتصور في إنسان إنسان بالمقايسة إلى النبض الصحي.

وذلك إما في البدن المعتدل وإما في مزاج مزاج من الأمزجة الثمانية على ما يقوله جالينوس، وإما في الأربعة على ما يظهر من أصول العلم الطبيعي.

ولما كان النبض الصحي تختلف ضروبه في هذه الأبدان وجب ضرورة أن يعرف الاختلاف الذي بينها.

فإنه متى لم نعرف ذلك لم نقدر أن نفهم النبض المرضي، إذ كان إنما يفهم بالإضافة إلى الصحي، ولذلك ما يحتاج صاحب هذا العلم أن يعتني بجس ذلك في الأصحاء على اختلاف أمزجتهم.

ولهذا ما يجب عليه أيضا أن يعرف الأشياء التي إذا اقترنت بالإنسان من خارج جعلت نبضه مختلفا، فإن جميع هذه أيضا متى لم يعلمها الطبيب أمكن أن يغلط فيظن بالنبض الصحي أنه مرضي.

١٧ - في نبض الأمزجة

٨٨ - المزاج الحار يكون نبضه ضرورة أعظم وأسرع من المعتدل، وربما كان أكثر تواترا والبارد يكون بضد ذلك: أعني أن النبض منه يكون أصغر من المعتدل وأبطأ، وربما كان أشد تفاوتا.

وأما المزاج اليابس فإن النبض منه يكون صلبا مع صغر.

وذلك أن الصلابة في الأصل لا تواتي الانبساط.

وأما الرطب فإن النبض منه يكون لينا إلى العظم، إذ الرطوبة مواتية.

وللسمن أيضا تأثير بضرب ما في ظهور النبض.

وذلك أن الأبدان القضيفة يظهر فيها النبض أعظم منه في الأبدان العبلة (الغليظة).

لأن الشرايين في الأبدان العبلة مستورة، وأيضا فكأنها مثقلة بكثرة اللحم.

ولذلك يكون النبض فيها أشد تواترا لما يفوته من العظم.

٨٩ - الأسنان أيضا مما يختلف فيها النبض لاختلاف أمزجتها: فنبض الصبيان لموضع حرارتهم يكون سريعا متواترا، ولذلك لحرارتهم مع ضعف قوتهم.

وأما نبض الشباب فيكون عظيما لموضع حرارتهم وقوتهم، ولذلك ليس فيه من التواتر ما في نبض الصبيان.

وأما المشايخ فنبضهم صغير ضعيف بطيء متفاوت، وطبيعة الذكورة والأنوثة أيضا مما يخالف بين النبض، وذلك أن نبض الذكور أقوى وأعظم من نبض النساء.

ونبض النساء أصغر من نبض الرجال وأضعف ولذلك هو أسرع لتكون السرعة تقوم مقام ما فات من العظم.

فهذه هي الأمزجة التي توجب تغير النبض. وللنوم أيضا واليقظة تأثير في النبض.

١٨ - تأثير الأشياء الخارجية في النبض

٩٠ - وأما الأمور التي من خارج المغيرة للنبض فمنها فصول السنة الأربعة، ومنها الأغذية والأشربة، والاستحمام والعوارض النفسانية مما يغير النبض.

وأنت فتقدر من تلقاء نفسك، مما سلف لك من معرفة النبض ومما يكسبه كل واحد من هذه الأمور للبدن من أصناف الحرارة أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة، أن تعرف اختلاف النبض عند ذلك.

٩١ - مثال ذلك أن الغذاء أول ما يرد البدن يكون النبض صغيرا ضعيفا متفاوتا، فإذا انهضم صار الأمر بالضد.

وذلك أن الغذاء ما دام لم ينهضم تكون الحرارة مغمورة به، مثل الحطب أول ما يوضع على النار، فإذا استحال اشتعلت الحرارة الغريزية.

وكذلك الحال في النوم واليقظة، إذ كان النوم إنما يعرض عند خمود الحرارة الغريزية بالطعام. واليقظة تعرض عند تمام الهضم وذلك في الأكثر.

٩٢ - وأما الفصول فلن يخفى عليك أمرها: فإن الربيع لما كان مزاجه الحرارة والرطوبة كان نبضه يشبه نبض أصحاب هذه الأمزاج، وكذلك الأمر في الصيف والخريف والشتاء.

وأما من يزعم أن النبض في الخريف يكون من العظم والاعتدال والتواتر مثله في الربيع فمخطئ قطعا.

وذلك أن القوى في زمان الخريف أكثر شيء انحطاطا، وكأنها في هذا الزمان تشبه قوى الشيوخ.

فإن هذا الزمان في الأزمنة يشبه زمان الشيخوخة، ولذلك ما تكون في شيخوخة كثير من الأشجار والثمار.

وأيضا، فإنه الفصل الذي تكف فيه القوة المولدة في أكثر النبات وفي أكثر الحيوان.

وكف هذه القوة هو هرم أو شبيه بالهرم ضرورة.

وللبلدان أيضا تأثير في نبض سكانها لكونها أيضا مؤثرة في أمزجتهم.

فهذا القدر من القول في النبض كاف بحسب قصد الإيجاز فلنقل في البول.

١٩ - البول والأعراض التي تظهر فيه

٩٣ - والأعراض التي تظهر في البول، كما قلنا، تدل على الهضم الذي في الكبد والعروق والأعضاء أنفسها، وهي أيضا مع هذا تدل على أمراض الكلى والمثانة. وينبغي أن نعدد الأعراض المحسوسة فيه أولا تعديدا، ثم نصير إلى تعريف ماذا يدل عليه صنف صنف منها.

والأشياء التي يستدل منها في البول أكثر ذلك ثلاثة أصناف:

أحدها: اللون والثاني: القوام والثالث: الثفل.

٩٤ - فاللون بالجملة ينقسم خمسة أقسام" اللون الأصفر" وهذا مراتب، كالتبني والأترجي ثم الأشقر ثم الأصفر النارنجي ثم الناري الذي يشبه صبغ الزعفران ثم الزعفراني الذي يشبه شعره وهو الأحمر الناصع.

والجنس الثاني من الألوان: الأحمر وهذا أيضا مراتب كالأصهب والوردي والأحمر

والقاني والأحمر الأقتم.

والجنس الثالث اللون الأخضر، وهذا أيضا مراتب كاللون الذي يضرب إلى الفستقية ثم الزنجارية[١]، والاسمانجوني[٢]، والنيلجي[٣]، والكراثي[٤].

والجنس الرابع من أجناس اللون الأسود وهذا أيضا مراتب، فمنه أسود آخذ إلى القتمة ومنه آخذ إلى الزعفرانية ومنه أسود آخذ إلى الخضرة والنيلجية.

والجنس الخامس من أجناس اللون: الأبيض وهذا ربما أطلق بالاستعارة على البول الصافي الذي في لون الماء وشفيفه.

وأما الأبيض بالحقيقة فهو الذي في لون اللبن وهذا منه ما يشبه المني ومنها ما يشبه اللبن. فهذه هي الألوان البسيطة التي تظهر.

وهنا أيضا ألوان مركبة مثل اللون الزيتي واللون الشبيه بغسالة اللحم.

٢٠ - في القوام: (قوام البول)

٩٥ - وأما القوام فمنه الرقيق ومنه الغليظ ومنه المعتدل. والبول تعرض له أربعة أحوال: إما أن يبال رقيقا ثم يغلظ، وإما أن يبال غليظا ثم يصفو ويرق، وإما أن يبال رقيقا ويبقى رقيقا، وإما أن يبال غليظا ويبقى غليظا.

والقوام أيضا منه الكدر ومنه الصافي والصفاء أكثر ذلك إنما يكون مع الرقة.

٢١ - في الثفل: (ثفل البول)

٩٦ - والثفل الذي في البول يستدل منه أكثر ذلك من طبيعته ومن لونه ومن مكانه ومن وضعه.

أما جوهر هذا الثفل فهو يظهر على أصناف: فمنه ما هو أبيض غليظ نضيج.

وهذا يعرض له أن يكون في أسفل القارورة، وأن يكون مستوي الأجزاء، ويكون شكله في الأكثر شبيها بشكل الصنوبرة.

هذا هو الطبيعي ومنه نخالي وكرسنّي وحشيشي. ومنه مدي قيحي، ومنه مخاطي، ومنه دموي علقي، ومنه شعري، ومنه رملي، ومنه شبيه بقطع الخمير، ومنه قشوري شبيه

---

(١) هو صدأ النُّحاس.

(٢) لونه لون السماء.

(٣) نسبة إلى النيلج، وهو نبات يرسب منه في الماء.

(٤) كلون الكراث من البقلة الخبيثة شبيهة الثوم.

بالصفائح، وهذه كلها غير طبيعية. وأما الألوان فمنه الأبيض وهو الطبيعي، ومنه الأحمر ومنه الأسود ومنه الكمد.

٩٧ - وأما الموضع فمنه ما هو في أعلى القارورة، ومنه ما هو في وسطها، ومنه ما هو في أسفلها.

وأما الوضع فمنه المستوي الأملس، ومنه الخشن أو المتفرق الأجزاء.

٩٨ - وإذ قلنا في الأعراض المشاهدة في البول فلنقل في دلالاتها ونبتدئ أولا باللون فنقول: أما الألوان الصفر فإنها بالجملة على اختلاف مراتبها تدل على مخالطة المرة الصفراء للبول، فالأترجي منه هو اللون الطبيعي وما عدا ذلك من مراتب الألوان الصفر فدالة على حرارة زائدة، وذلك بحسب قربها من لون النار وانصباغها.

وأما الألوان الحمر فإنها تدل بالجملة على غلبة الدم وضعف القوة، وبخاصة ما كان منها أميل إلى القتومة، كما أن ما كان أميل إلى النارية فهو أدل على المرة.

وزعموا أنه قد يبال في الأمراض الحادة دم صرف من غير انبثاق عرق، وذلك يدل إما على بحران وإما على غلبة الدم.

وأما البول الأسود فإنه يدل على الاحتراق، ويدل على غلبة البرد.

وذلك أن من شأن الحرارة والبرودة أن تفعل هذين الفعلين.

والذي فاعله الحر يتقدمه ضرورة أحد الألوان الدالة على الحرارة، والذي فاعله البرد تتقدمه خضرة أو كمدة، وبالجملة لون يدل على البرد.

وقد يكون البول أسود لمخالطة المرة السوداء على جهة الدفع من الطبيعة، وهذا البول أكثر ما يظهر في المطحولين (مرضى الطحال).

٩٩ - وأما الخضرة فإنها تدل على برد، إلا الزنجاري والكراثي فإنهما يدلان على احتراق شديد، وغير ممتنع أن تكون الخضرة الفستقية والأسمانجونية عن الحر، فإنا قد نرى أبوال أصحاب اليرقان تخالط صفرة أبوالهم خضرة ما، وبالجملة لما كانت الخضرة أول مراتب السواد كانت الأسباب الفاعلة للسواد هي بعينها أسباب الخضرة، إلا أنها في الخضرة أقل.

وأما اللون الأبيض الصافي الذي في لون الماء فإنه يدل على عدم النضج وضعف القوة الغاذية أو السدد أو كليهما.

وأما اللبني والذي يشبه المني فهو يدل على أخلاط بلغمية غير نضيجة، ولذلك كثيرا ما يكون دليل سكات وغير ذلك من الأعراض التي تتبع هذه والصبيان كثيرا ما

يبولون مثل هذا البول إذا أصابهم الصرع.

وربما كان بمثل هذا البول بحران من الأمراض التي تجانس هذا الخلط.

وربما حدث اللون الأبيض في الأمراض الحادة؛ وذلك دليل مهلك لأنه يدل على تصاعد المرار إلى الرأس وإحداثه هنالك ورما.

وقد يكون بول أحمر وعلته باردة، وذلك إما لإفراط الوجع كما يعرض في القولنج، وإما لانسداد المجرى الذي يتصل من المرارة بالمعى فيضطر هذا الخليط أن يخرج من البول.

١٠٠ - وأما الألوان المركبة فالشبيهة بغسالة اللحم يدل على ضعف قوة الكبد أو الكلى.

وأما البول الزيتي فإنه إذا كان زيتيا في لونه فقط فهو علامة سل، وذلك أنه يدل على ذوبان السمين من الأعضاء، إلا أن يتقدمه سواد فإنه علامة صلاح.

وقد يظهر أيضا هذا البول في الحميات الحادة ويكون فيما زعموا علامة بحران من مواد دسمة وذلك في الأقل.

٢٢ - في القوام: (قوام البول ودلالته)

١٠١ - أما البول الرقيق فإنه يدل على عدم النضج، فإن النضج يغلظ المواد ضرورة.

وعدم النضج يكون إما لفجاجة الأخلاط وإما لضعف القوى أنفسها.

وإما لكثرة ما يرد عليها من الغذاء والشراب.

ومما يعين على الرقة السدد، ولذلك كانت أبوال أصحاب الخصي بهذه الصفة.

١٠٢ - وأما الغلظ فإن كان ظهوره بعد رقة، فإنه يدل على أن الطبيعة قد أخذت في الإنضاج وأما إن كان من أول الأمر غليظا وبقي على غلظه فإنه يدل على أخلاط هنالك متثوِّرة بالحرارة الغريبة.

ولذلك كان علامة رديئة.

وأما البول الذي يبال غليظا ثم يرق فإنه إن كان الغلظ من فعل الطبيعة فإنه يدل على أن الطبيعة قد ضعفت بعدما أخذت في الفعل، وإن كان الغلظ إنما هو من تثور الأخلاط فإنها علامة خير، وذلك أنه يدل على أن الطبيعة قد أخذت في الإنضاج.

وقد اعترض قوم هذا النحو من الاستدلال وقالوا إنما ينبغي أن يستدل بالأعراض التي تظهر في الماء عن فعل الطبيعة، وأما التي تظهر عن فعل الهواء من خارج فليس ينبغي

أن يستدل بها.

وهؤلاء جهلوا أن الهواء إنما يفعل في المياه أفعالا مختلفة بالاستعدادات التي فيها من قبل فعل الطبيعة والبول الذي يكون في أول المرض غليظا عن فعل الطبيعة ثم يرق، فإنه يدل على طول من المرض.

قالوا وبول الصبيان غليظ بالطبع وبول الشباب رقيق.

٢٣ - في الثفل: (ثفل البول ودلالته)

١٠٣ - أما الثفل الراسب في قعر القارورة الأبيض المستوي الأجزاء الشبيه الشكل بالصنوبرة، فإنه الثفل الصحي بإطلاق، أما رسوبه فلأنه فضلة الهضم، والفضلات ثقيلة.

وأما بياضه فلأن الأعضاء إنما تغتذي بالدم بعد أن تبيضه وتشبهه بها، فيكون لون الفضلة شبيها بلون الغذاء.

وهذا لازم ضرورة متى كانت القوة الغاذية تفعل فعلها الطبيعي.

وأما كونه أملس مستوي الأجزاء، فلاعتدال نضجه وطبخه في جميع أجزائه.

وأما كونه صنوبري الشكل فلتناسب أجزائه في الثقل والخفة واستيلاء فعل الحرارة فيه، وذلك أن الأجرام الثقيلة تنبسط أكثر وتتسع، والأجزاء الأخف تجتمع إلى أنفسها، طلبا للفوق حتى تنخرط مثل ما يعتري ذلك في لهب النار.

١٠٤ - وأما دلالته من موضعه فإن المتعلق منه في رأس القارورة وهو المعروف بالغمامة، فإنه يدل على أن الطبيعة قد شرعت في الإنضاج، هذا إذا كان أبيض.

ولذلك قال أبقراط: إذا ظهرت في البول غمامة بيضاء في اليوم الرابع دلت على أن البحران يكون في اليوم السابع.

وأما الذي يكون في الوسط فإنه يدل دلالة أكثرية على النضج.

وأما الراسب فإنه يدل على تمام النضج.

والثفل الذي يظهر بهذه الحال في أيام من المرض ثم ينقطع فإنه يدل على ضعف الطباع أو تخليط المريض.

وأما لون الثفل فأحمدها كما قلنا الأبيض، وينبغي أن تعلم أنه قد يرسب في البول ثفل أبيض من مادة بلغمية غير نضيجة، وهذا يتميز من الطبيعي بأنه متثوِّر الأجزاء.

وأما اللون الأصفر فإن دلالته على غلبة الصفراء، ولذلك هو علامة رديئة.

وأما الأحمر فإنه يدل على كثرة المادة فقط، وعجز الطباع عن إحالتها من جهة كثرتها.

ولذلك كان المرض الذي يظهر فيه هذا الثفل ينذر بطول مع سلامة، ما لم تكن معه علامة رديئة.

فإن كانت فإنه ينذر بهلاك بعد طول.

والسبب في ذلك أن الذي تظهر فيه علامة رديئة تكون كثرة المادة ستغلب فيه القوى ضرورة وتقهرها بآخرة.

والذي تظهر فيه علامة حميدة يدل على عكس هذا لكن لما كان الفساد ههنا. والمضادة، إنما هي من قبل الكمية، كان في الأكثر دليل سلامة.

١٠٥ - وأما اللون الأسود فإنه دليل احتراق في الحميات الحادة وإنذار بالموت، والفرق بينه وبين الخلط الأسود الذي تقذف به الطبيعة على طريق البحران، أن هذا يكون مستقرا في قعر القارورة.

والخلط يكون مبثوثا في جميع أجزاء الماء، ولهذا ما تنعكس ههنا دلالة الموضع.

وذلك أن الثفل الأسود إذا كان متعلقا كان أقل رداءة لأنه يدل على ابتداء نضج رديء.

وأما الراسب فإنه يدل على تمامه، وربما دل الثفل الكمد على برد الطباع وخمود الحرارة الغريزية.

١٠٦ - وأما وضعه، فكما قلنا، أحمدها المستوي الأجزاء.

وأما المختلف فإنه يدل على تثور الأخلاط وعدم نضجها.

وأما جواهر هذا الثفل الخارجة عن المجرى الطبيعي فإن الجريشي والشبيه بالكرسنة يدل على احتراق الأخلاط وذوبان الأعضاء وانحلالها إلى أجزاء مختلفة، وهو في الأمراض الحادة رديء جدا.

ويستدل على الخلط المحترق والعضو الذائب بلونه، فإن كان أحمر كان الخلط دمويا أو جزءا من الكبد أو من الكلية.

قالوا والأصفر أخص بالكلية.

وأما الصفائحي فإنه أردأ من هذا الصنف من قبل أنه يدل على انحلال الأعضاء الأصلية وتقطعها.

وأما النخالي فقد يكون من جرب المثانة، وقد يكون من ذوبان الأعضاء.

والفرق بينهما حكة في أصل القضيب، وبالجملة أعراض أمراض المثانة.

والرملي يدل على حصاة منعقدة أو في الانعقاد.

فإن كان أحمر دل على حصاة الكلية.

وإن كان غير ذلك دل على المثانة.

وأما المدّي فيدل على قرحة منفجرة، وبخاصة في أعضاء البول.

وأما الشعري فهو انعقاد رطوبة مستطيلة من حرارة غريبة.

وهذا يكون انعقاده في الكلية.

وأما الخميري فيدل على ضعف المعدة.

وأما الدموي العلقي فإنه يدل على جراحة في أعضاء البول وانبثاق عروق هنالك. وهذا المقدار من القول في دلالة البول كاف.

١٠٧ - وينبغي بعد أن نقول في دلائل مرض مرض من الأعضاء الظاهرة والباطنة وأسبابها.

والأمراض كما قلنا منها ما هي في ظاهر الجسم، وهذه بينة الوجود بنفسها.

وذلك أن القول الذي ترتسم به أمثال هذه كاف في معرفتها عند من لم يحسها قط، فضلا عن من أحسها.

والاستدلال في هذه إنما يكون على أسبابها فقط، وأما الأمراض التي في باطن الجسم فإنها تحتاج إلى ثلاثة أحوال من الاستدلال:

أحدها: الاستدلال على العضو الآلم.

والثاني: الاستدلال على المرض نفسه.

والثالث: الاستدلال على سببه.

ونحن نبتدئ بالاستدلال على الأمراض الباطنة فنقول:

١٠٨ - قد قيل إن الأمراض المزاجية صنفان: مادي وغير مادي.

وهذه صنفان: إما في جميع البدن وإما في عضو منه، والمادي إذا كان في عضو من البدن فإما أن يكون في تجاويفه، وإما أن يكون متشربا في نفس العضو مثل الأورام والقروح.

والذي في التجاويف الاستدلال عليه من جنس الاستدلال على الأمراض الباطنة.

وأما الأورام فتكون داخل الجسم وخارجه.

وأما الأمراض الآلية فإن منها ما يكون في ظاهر الجسم مثل الفك والخلع وغير ذلك، وأمرها بين بالحس، ومنها ما يكون داخل الجسم مثل السدد وخشونة الأعضاء وملاستها.

ولنبدأ من سوء المزاج العام لجميع البدن، وهو المسمى حمى.

٢٤- في حمى يوم

١٠٩ - وحمى يوم لا بد أن يتقدمها أحد الأسباب التي عددناها أنها فاعلة لها، وهي الأسباب التي من خارج.

إلا أنه ليس ذلك من العلامات الخاصة، بل متى وجدت حمى يوم لزم أن توجد تلك ضرورة.

وليس يلزم عن وجودها وجود حمى يوم.

ولذلك ما ينبغي ههنا أن نتحرى من العلامات، العلامات الخاصة، ونستعمل العامة على جهة الاستظهار. وأيضا فإنها نافعة في الإبطال.

١١٠ - والعلامة الخاصة بهذه الحمى علامتان:

إحداهما: أن يكون النبض ليس فيه اختلاف، وذلك أن الاختلاف إنما فاعله في الحميات العفونية كثرة الأخلاط ورداءتها.

والثانية: أن يكون في البول الرسوب المعهود، لأن البول إنما يتغير في هذه الحمى في اللون فقط.

وأما إذا خرج الرسوب عن معهوده فإنما ذلك لموضع الخلط العفن.

ولذلك ما يلزم أن يبقى الرسوب في هذه الحمى على حاله.

وقد يستدل على هذه الحمى بأن لا تكون فيه أعراض صعبة، وأن تكون حرارتها لينة غير لذاعة.

وأكثر ما تمكث هذه الحمى نوبة واحدة، وقد تعود ثلاث مرات.

قالوا: وإذا أدخلت صاحبها الحمام فلم يقشعر فتلك علامة قاطعة عليها.

٢٥ - في الحميات العفونية

١١١ - وهذه الحميات بالجملة صنفان: صنف يكون في الهضم الذي يكون في العروق، وصنف يكون في الهضم الذي يكون في الأعضاء أنفسها.

والفصل الذي به ينفصل هذان الصنفان هو أن الحميات التي تكون في داخل العروق غير مفترة ولا مرعدة، وإن كانت نوبتها تشتد أحيانا، وأما التي في الأعضاء فمفترة ونائبة ومرعدة.

١١٢ - والسبب في كون هذه الحميات ذوات نوائب، في قول الأطباء وجالينوس

فمن دونه، هو أن الخلط المستعد للعفن ليس يعفن كله دفعة واحدة، إذ كان غير متشابه الاستعداد للعفن؛ وإنما يعفن شيئا فشيئا.

وذلك يجري على نظام وترتيب: إذ كان هذا الفعل طبيعيا بوجه ما، أعني أن الطبيعة لها تدبير في هذا الفعل. وذلك أنه عفن مع نضج.

ولذلك عدم النظام في النوائب دليل رديء.

ولهذا المعنى ليس ينبغي أن ينسب هذا الفعل إلى الحرارة العفونية، بل إلى الحرارة الطبيعية من جهة ما هي فاعلة في مادة غير طبيعية.

١١٣ - وكون جالينوس يروم أن ينسب هذا الفعل لحرارة عفونية بالذات، أعني انتظام النوائب بسبب الزبل الذي شاهده، هو منه حجة واهية غير جارية على أصوله.

ولذلك نرى أن فاعل النوبة هي الطبيعة بالحرارة الغريزية، وإن كان قد عرض لها بعض خروج عن الطبع في الكمية والكيفية، وذلك لفعلها في مادة غير طبيعية وهي الخلط.

ولذلك كان ما يعرض لها من الخلط في مثل هذا الحال شبيها بما يعرض لها مع الغذاء مع أن يبرد البدن أولا، ثم يسخن ثم يبرد، لا فرق بينهما إلا أن ما يعرض للبدن من ذلك مع الغذاء طبيعي لكون الغذاء طبيعيا، وما يعرض مع الخلط غير طبيعي: أعني من انغمار الحرارة من المادة أول ما تباشرها، وتزيدها عندها تستولي عليها، ورجوعها إلى حالتها الأولى عند تمام نضج المادة.

وقد بينا هذا في تلخيص كتاب الحُمَّيات لجالينوس.

وهذا النظام والترتيب يختلف أيضا بحسب طبيعة الخلط الفاعل للحمى وكميته كما سنقول بعد.

١١٤ - وأما السبب في كون الحميات التي في العروق غير مفترة، فهو أن الجزء من الخلط العفن إذا اشتعلت فيه الحرارة العفونية ليس يمكن الطبيعة أن تحلله وتخرجه من الجسم حتى يشتعل جزءا جزءا، وذلك لموضع صلابة العروق؛ لكن ضرورة يكون وقت النوبة فيها أقوى.

ولهذا السبب بعينه ليس يكون عنه نافض، لأن ما يتحلل منه غير محسوس بالإضافة إلى الأعضاء الحساسة.

١١٥ - وأما العفونة التي تكون في الهضم الذي في الأعضاء أنفسها فإن الأمر فيه بضد هذا: أعني أن الأعضاء متخلخة بالمسام التي فيها، ولذلك كانت نوائب هذه الحمى

مفترة ومرعدة، وذلك لمرور هذا الخلط، اللذاع بكيفيته، على الأعضاء الحساسة، أو الخلط الريحي.

وذلك أن النافض هو أشبه أن يكون عن خلط ريحي متحرك لا عن ساكن.

١١٦- والعلامة الخاصة بحمى العفونة علامتان: إحداهما أن لا يكون في البول رسوب أصلا.

وذلك أن الطبيعة مغمورة في أول المرض، وهو زمان الابتداء، والعلامة الثانية أن يكون النبض مختلفا، وقد يستدل على هذه الحميات بظهور العلامات الدالة على صنفي الامتلاء، أعني الذي بحسب القوة والذي بحسب التجاويف.

والإعياء المتقدم من غير سبب إذا أحدث الحمى دليل على أنها حمى عفونة.

وحرارة هذه الحمى أيضا حرارة رديئة الكيفية وهي في الأكثر يظهر فيها أعراض رديئة.

فهذه هي العلامات الخاصة بحمى العفونة بإطلاق.

وأما العلامات التي تخص حمى حمى من هذه الحميات فهي هذه:

٢٦ - في حمى الصفراء

١١٧- أما التي تكون من هذه الحميات في الهضم الثالث فعلامتها نافض شديد ناخس.

والنبض يكون في أول النوبة في هذه الحمى وفي غيرها صغيرا ضعيفا متفاوتا، وذلك لموضع إطفاء الخلط الحرارة الغريزية وخمودها عن الخلط، كما تخمد النار إذا وضع عليها حطب غير ملائم.

ولذلك كانت الأجسام في ابتداء النوائب تبرد ضرورة لموضع انسلاخ الحرارة الطبيعية عن الأجسام التي تعفن.

فإذا اشتعلت فيها الحرارة الغريبة امتزجت مع الطبيعة وانتشرت على الجسم.

ويخص هذه الحمى أن النبض فيها لا يبقى على هذه الصفة بل يعود قويا عظيما، وذلك لموضع الحرارة التي تنتشر فيها.

والبول في هذه الحمى يكون في الأكثر ناريا، ويكون في هذه الحمى ضرورة عطش شديد، وربما كان قيء مرة.

١١٨- قالوا ونوبتها إذا كانت خالصة أطولها نحوًا من اثنتي عشرة ساعة. ونوائب هذه الحمى تكون غِبًّا، إلا أن هذا الاستدلال غير منعكس.

وذلك أن النوائب المغبة ليس يلزم أن تكون عن صفراء، بل قد يمكن أن تكون ربعين وذلك إنما يعرض في ابتداء المرض.

فهذه هي العلامات الدالة على طبيعة هذه الحمى، أعني العلامات الخاصة المنعكسة.

وقد يُستظهر[1] على هذا الاستدلال بأمور عامة، مثل أن يكون المزاج والهواء والسن والتدبير مناسبا لهذا الخلط.

والهواء يكون مناسبا بشيئين: إما بالوقت مثل زمان الصيف، وإما بخروجه عن المجرى الطبيعي إلى الحر واليبس، مع أنه غير صيف.

ولذلك قيل إن من الاستدلال على جميع الحميات أن يكون ذلك الجنس من المرض حادثا بكثير من الناس في ذلك الوقت من السنة.

١١٩ - وأما غير المفترة فتشارك هذه في جميع العلامات سوى النوائب والنافض.

وفي هذا الجنس تدخل الحمى المسماة محرقة، وهي حمى عظيمة داخل الأوراد وبخاصة ما حول فم المعدة منها والكبد. ولذلك يصحب في هذه الحمى قلق وكرب عظيم.

والعطش الشديد علامة خاصة بهذه الحمى.

وأخبث أصناف هذه الحمى المحرقة ما كان عن خلط زنجاري أو كراثي.

والنوبة حينئذ تطول لعسر قبول هذه الأخلاط النضج جدا.

٢٧ - في دلائل الحمى البلغمية

١٢٠ - الأعراض الخاصة بهذه الحمى أنها تبتدئ ببرد في الأطراف ويطول زمان البرد فيها، وهو زمن ابتداء النوبة.

وعندما تريد الحرارة أن تظهر فيها يعود البرد فيغلبها.

ولهذا تكون مدة النوبة في هذه الحمى نحوا من ثماني عشرة ساعة.

والحرارة في هذه الحمى تكون غير لذاعة ولا هائجة.

وليس تظهر إلا بعد لبث اليد على البدن مدة ما.

والنبض في هذه الحمى يكون أصغر منه في حمى الصفراء وأشد تفاوتا في الأزمنة الأربعة من أزمان النوبة الجزئية.

---

(١) أي: يستعان.

ويكون البول في هذه الحمى إما رقيقا أبيض، أو ثخينا كدرا.

وإن كانت الحرارة العفونية شديدة وكان البلغم ليس بخالص ربما حمرته.

وأطراف هؤلاء وأجفانهم تكون رهلة[1] رخوة والأكثر ممن تصيبه هذه العلة يكون فم المعدة منه باردا، وإن تقيأ يتقيأ بلغما.

١٢١ - وهذه الحمى تنوب وردا، لكن ليس ذلك علامة خاصة، فإنه متى كانت حميان صفراويتان أمكن أن تفعل مثل هذه النوب.

وإنما طالت النوبة الجزئية لموضع فجاجة الخلط وعسر إجابته إلى التحلل، وكانت نوائبها أشد تداركا من نوائب الصفراء لموضع سرعة إجابة هذا الخلط إلى العفن.

وأيضا فبطول نوبته يحدث استعدادا في الخلط الذي لم يعفن، وذلك لطول بقاء الحرارة الغريبة في الجسم في وقت النوبة، أعني التي تولدت من قبل الخلط، لأن حرارة الحمى هي ممتزجة ولا بد.

وأما الصفراوية فبسرعة ما تنطفئ الحرارة الغريبة فيها فلا يتبع ذلك استعداد له قدر فيما لم يعفن منها.

وبالجملة الحرارة الغريزية في هذه الحمى مغمورة جدا ولذلك تداركت فيها أزمنة حدوث الحرارة العفونية.

وأخبث أجناس هذه الحميات ما يتولد عن البلغم النيئ الزجاجي، وقد يستدل على هذه الحمى بأن يكون المزاج والسن والهواء والتدبير مناسبا للخلط الفاعل لهذه الحمى.

٢٨ - في دلائل حمى الربع

١٢٢ - وهذه الحمى تبتدئ بنافض شديد تصطك به الأسنان، ويحس الإنسان فيه كأن جسمه يرمى بالبرد، وذلك لموضع برد هذا الخلط.

والنبض أيضا يكون في هذه الحمى بطيئا صغيرا متفاوتا أكثر مما هو في حمى البلغم، وذلك في أول النوبة.

قالوا: وهو في حين صعود النوبة أعظم منه في حمى البلغم، لأن الحرارة في هذه الحمى تظهر أشد وأكثر.

وأما البول فإنه يظهر فيها بألوان شتى: فمرة أبيض رقيقا يضرب إلى الخضرة، ومرة غليظا أسود وأحمر.

---

(١) أي: مسترخية.

وأكثر ما تعتري هذه الحمى إثر حميات أخر.

ومدة هذه الحمى طويلة.

وأما دورها فإن النائبة منها تريح يومين وتأخذ في الثالث، وهذا كأنه علامة خاصة بهذه الحمى؛ إذ لا يتصور مثل هذا الدور في غيرها من الحميات، كانت بسيطة أو مركبة.

وأصحاب هذه الحمى يكونون في الأكثر مطحولين.

وقد يستظهر على هذه الدلائل بالتدبير المناسب والهواء المناسب والسن والمزاج والعلامات الدالة على غلبة هذا الخلط التي قد سلف ذكرها.

٢٩ - في دلائل الحمى الدموية

١٢٣ - وهي المطبقة، وهذه الحمى تكون ضرورة من غير نافض إذ كان الدم داخل العروق، إلا أن تكون عن ورم فلغموني في أحد الأعضاء الرئيسة كالكبد والحجاب.

ونوبة هذه الحمى قيل إنها قد تكون حينئذ شبيهة بنوبة الصفراء أعني غبًّا.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الدم إذا استحر[1] مال ضرورة إلى طبيعة الصفراء، ولذلك ليس تخالف هذه الحمى حمى الصفراء التي في داخل العروق إلا بالأقل والأكثر: فإنه كما قلنا ليس يكون في البدن حمى صفراوية محضة، بل متى حدثت مثل هذه الحمى قتلت ضرورة، لأن الصفراء لا تجيب إلى النضج إلا من جهة ما هي محمولة في الدم أو في المادة التي تتغذى بها الأعضاء الأصلية، وهو الدم الأبيض.

١٢٤ - والعلامات الدالة على هذه الحمى هي علامات غلبة هذا الخلط، أعني الدم، وقد سلف ذلك.

والنبض يكون في هذه الحمى في غاية العظم والقوة.

ويكون البول أحمر غليظًا.

والكرب والقلق خاص بهذه الحمى وحمى الصفراء، إلا أنه في الصفراء أشد.

واختلاط الذهن خاص بالحميات الحادة.

وقد اضطرب قول جالينوس في الحمى الدموية: فمرة قال إنها الصفراوية الدائمة، ومرة قال إنها غير الصفراوية، وأنها تفارق الصفراوية بأنها ليس فيها عفونة، وأن طبيعتها متوسطة بين طبيعة حمى يوم وحمى العفونة.

١٢٥ - وهذه الحمى إنما لها نوبة واحدة، فإما أن تقلع وإما أن تقتل، لكن ربما

---

(١) أي: اشتد.

ابتدأت بخف وجعلت تتصاعد إلى أن تبلغ النهاية من الشدة، وربما كان الأمر بالعكس، وربما ثبتت على حال واحدة.

١٢٦ - فهذه هي الدلائل التي منها يوقف على هذه الحميات البسيطة.

ومن عرف البسيط عرف المركب ضرورة.

وإنما ذكرت هذه البسائط على جهة الدستور والقانون لأن حدوثها أقلي، والأكثر إنما هو في المركب.

وأيضا فجل هذه الأعراض التي جعلت ههنا علامات لواحدة واحدة من أصناف هذه الحميات إنما تصدق في الحميات التي هيولاها الأخلاط القريبة من أن تكون طبيعية، مثال ذلك أن الحمى الصفراوية إنما تكون أعظم نوبتها نحوا من اثنتي عشرة ساعة متى كانت الصفراء الطبيعية هي التي تعفنت.

ومتى كانت محية أو زنجارية فإن النوبة فيها تكون أطول والأعراض أخبث.

وقلما يفلت من تصيبه أمثال هذه، وبخاصة الزنجارية إذ كانت لا تجيب إلى النضج، فإنه كلما كان الخلط متميزا في البدن وبالفعل أكثر كانت الحمى أردأ عاقبة، ومتى كان وجوده أقرب إلى القوة كانت أسلم.

١٢٧ - والتركيب يعرض في الحميات إما من قبل الأسباب الهيولانية وذلك على ضروب:

أحدها: أنه إذا امتزج خلطان فصاعدا فإنه يحدث عن ذلك حمى متوسطة بين البسيطتين اللتين تحدثان عن ذينك الخلطين، فتختلط الأعراض.

الثاني: أن تكون الحمى الواحدة عفونية، والثانية في الأعضاء الأصلية، والوجه.

الثالث: أن يكون من الخلط الفاعل للحمى الواحدة مع ورم، و(الحمى) الثانية بغير ورم وربما تركبت الحميان واختلط نوائبهما من غير اختلاط موادهما.

وإما من قبل الموضع مثل أن يكون أحدهما داخل العروق والآخر خارج العروق وفي هذا الجنس تدخل الحمى المسماة شطر الغب أو تكون في موضع واحد لكن متجاورة لا ممتزجة.

وربما تركبت جميع هذه الأصناف وقد تختلف الحميات من قبل العظم والصغر.

وأعني بالعظم أن تكون الأسباب الفاعلة لها قوية، وبالصغر ضد ذلك.

وهذه أيضا يتصور فيها التركيب.

٣٠ - في دلائل حمى الدق

١٢٨ - وهذه الحمى لها مراتب ثلاثة كما سلف تختلف فيها أعراضها بالأقل والأكثر، ولكن أعراضها تخفى من أول الأمر، فمتى رأيت في الجسم حرارة دائمة لينة قد أقامت أكثر من ثلاثة أيام وليس لها كبير حس عند العليل ولا فيها أمارة من أمارات حمى العفونة فينبغي أن يظن بها أنها دق؛ فأطعم العليل وتفقد نبضه والحرارة التي عليه، فإن رأيته بعد أخذ الطعام بثلاث ساعات أو نحوها تتزيد الحرارة عليه، ويسرع نبضه ويتواتر ويعظم عِظَماً ما، فاقطع أنها دق.

١٢٩ - والسبب في ذلك هو أن الأعضاء لما صار بها سوء مزاج حار، وكان المغتذي من شأنه أن يصير الغذاء شبيها به، كان الغذاء، ضرورة، إذا ورد أبدان هؤلاء اكتسب حرارة غريبة، سواء كان في نفسه باردا أو لم يكن، فتعظم حينئذ الحمى وتقوى أعراضها.

وليس يلزم مثل هذا في حمى العفونة، فإن الحرارة الغريبة فيها لم تتشبث بالأعضاء الفاعلة في الغذاء.

وما يقوله الأطباء في إعطاء سبب هذا العرض فقول خطبي مثالي(١)، وذلك أنهم يشبهون حال الغذاء مع هذه الأبدان بمنزلة الماء الذي يرمى على الحجر المطبوخ، وهو حجر النورة.

وهو قول شعري: فإن البدن ليس يمكن فيه أن يتباعد من الغذاء حتى تكون المضادة التي بينهما شبيهة بالمضادة التي بين الماء وحجر النورة، فإن كل واحد منهما يفسد صاحبه.

١٣٠ - وهذه الحمى ليس تكاد تكون إلا بعد أحد الحميات الأخر: إما حمى يوم في الأبدان المستعدة لذلك، وإما بعد أحد الحميات العفونية، وهو الأكثر.

وإذا اشتدت هذه الحمى هزل جسم العليل ويبس جلده وضمر وجهه وغارت عيناه.

وأما إذا صارت إلى المرتبة الأخيرة من الذبول فإن العين حينئذ تكون كأن عليها

---

(١) أي: يقوم على المماثلة.

رمصا بمنزلة من يتصرف في غبار.

وتنجذب الأجفان إلى أسفل بمنزلة من به نعاس.

وتكون جلدة الجبهة ممتدة يابسة كأنها جلدة مشكزة(١)، والصدغان لاطئان، والأذنان معقفتان، ولونهما أصفر، ومراق البطن يابس ذابل.

ويكون النبض في هؤلاء صلبا ممتدا كأنه وتر متواتر ضعيف.

وأما الماء فيكون زيتي اللون.

وإذ قلنا في علامات الحميات فلنقل في علامات الأورام، فنقول:

٣١ - في علامات الأورام

١٣١ - أما علامات الأورام الدموية فحمرة لونها، وشدة الحرارة، ووجع إلا أن يكون العضو قليل الحس، وتمدد، وضربان.

وهذه الأورام تختلف بالعظم والصغر.

والدم في هذه الأورام يكون بريئا من العفن، وأما متى كان عفنا فإنه كما قلنا تحدث عنه الحمى وعلامات هذه الأورام أن يكون اللهب فيها، والحرارة أشد منهما في الفلغموني والحمى اللازمة.

ومن هذا الجنس الطواعن التي تحدث تحت الإبط والأربيتين.

وأما الأورام الصفراوية فعلامتها رقة الخلط والوجع الشديد من غير تمدد ولا ضربان. وأما النملة فعلامتها سعيها في الجلد.

١٣٢ - وأما الأورام البلغمية فعلامتها بياض لونها مع عدم الوجع إذا غمز عليها، فضلا عن أن توجع بذاتها.

وبالجملة فالأمر في هذه الأورام ظاهر الحس، أعني: البسيطة.

وإنما يحتاج إلى فضل تمييز فيما تركب عن هذه؛ وذلك يوقف عليه باختلاط هذه الأعراض.

وأما الأورام السوداوية فتوافق البلغمية في عدم الوجع، إلا أنها صلبة كمدة الألوان(٢).

والورم المعروف بالسرطان من هذا الجنس. إنما سمي بذلك لأن شكله شبيه بشكل

---

(١) أي: فيها أثر وخز.

(٢) أي: غير صافية.

السرطان: وذلك أن العروق التي حول هذا الورم تظهر مملوءة دما أسود كدرا شبيهة بأرجل السرطان.

فهذه هي علامات الأورام التي تكون في ظاهر الجسم.

وأما التي تكون في باطن الجسم فسنذكرها عند ذكر العلل الباطنة.

١٣٣ - وأما العلل التي تظهر في سطح البدن، وهي الجدري والحصبة والجذام والجرب والبهق والبرص، فقد عرفت أسبابها، والأقاويل الشارحة لها كافية في معرفتها، إلا أن لبعض هذه العلل علامات تدل على حدوثها، قبل أن تحدث: مثل الجذام والجدري والحصبة.

وذلك أن بحوحة الصوت واحمرار الوجه مع خشونة وتعجر وكمدة بياض العين واستدارة شكلها علامة دالة على حدوث الجذام.

وأما الدلائل التي تدل على حدوث الجدري فهي حمى لازمة وانتفاخ الوجه والأصداغ والأوداج وحكة الأنف وحمرة الوجه وخشونة الحلق وأن يكون العليل ممن لم تظهر فيه هذه العلة.

١٣٤- وينبغي أن تعلم أن جميع البثور التي تظهر في سطح الجسم مع حمى أنها علامة قاطعة على أمراض عفونية خبيثة وبائية، أعني أنها من جنس الأمراض التي تحدث عن الوباء، ولا سيما ما كان من هذه البثور سودا باذنجانية.

وإذا انفجرت تصير عليها خشكريشة سوداء شبيهة بحرق النار.

ولما كانت الحميات، وبالجملة الأمراض الحادة، إنما تنقضي ببحران ، فقد ينبغي أيضا ههنا أن نذكر العلامات الدالة على البحارين المحمودة أو المذمومة.

٣٢ - في البحارين

١٣٥ - ومعرفة ذلك تتم بأشياء.

أولها: معرفة الأمراض التي تنقضي ببحران من الأمراض التي ليس فيها بحران.

والثاني: معرفة العلامات الدالة على أوقات الأمراض الأربعة: فإنه ليس في أي وقت اتفق منها يكون البحران جيدا.

والثالث: معرفة الشيء الذي به يكون الاستفراغ في نوع نوع من أنواع الأمراض.

فإن الأشياء المستفرغة إذا كانت مناسب لطبيعة المرض كانت محمودة، وإلا فهي مذمومة.

والرابع: العلامات الخاصة بحضور البحران أو بالإنذار به.

والخامس: معرفة الأيام التي تقع فيها البحارين المحمودة والأيام التي تقع فيها بحارين رديئة.

ثم نختم ذلك بذكر العلامات الرديئة بإطلاق في جميع الأمراض، كان انقضاؤها ببحران أو لم يكن. والعلامات الجياد التي تدل على الخلاص، فنقول:

١٣٦- أما معرفة الأمراض التي تنقضي ببحران من الأمراض التي تنقضي بلا بحران، وهي التي تنقضي بتحلل غير محسوس، فذلك يوقف عليه من معرفة طول زمان المرض أو قصره.

وذلك أن البحارين إنما تظهر في الأمراض العظيمة القصيرة الأزمان.

وقصر زمان المرض أو طوله يوقف عليه من نفس طبيعة المرض ومن مناسبة الأمور التي من خارج له أو مضادتها.

وهي الهواء والبلد والتدبير والمهن، وكذلك الأمر في السن والمزاج.

وقد يوقف على العظم أيضا من نفس طبيعة العضو، إذا كان شريفا، مثل الأورام الكائنة في الأعضاء الرئيسة.

وقد يوقف عليه أيضا من الأعراض أنفسها: فإن من الأعراض ما يدل على قصر زمن المرض، ومنها ما يدل على طوله.

وأكثر هذه الأعراض هي التي تظهر في الفضلات من البدن من علامات النضج وعدمه.

وهذه أيضا قد تدل على أزمنة المرض، ليس من قبل كيفياتها فقط، بل ومن قبل كمياتها: فإنها متى كانت عظاما دلت على أن المرض ينقضي بسرعة، ومتى كانت صغارا دلت على ضد ذلك.

والأمراض التي تقتضي بطبيعتها قصر الزمن هي الحميات الدموية والصفراوية، كانت مع أورام في أعضاء شريفة أو لم تكن.

وذلك أن الغب الخالصة ليست تمكث أكثر من أربعة عشر يوما النهاية، وربما انقضت في الأسبوع الأول أو فيما دونه، وما كان من هذه داخل العروق فهي أحد.

وكذلك الأمر في الحمى الدموية المسماة مطبقة، أعني أنها في غاية الحدة.

١٣٧ - وبالجملة فإنما كان القدماء يخصون أكثر ذلك بالأمراض الحادة التي تنقضي في أربعة عشر يوما فما دون ذلك.

وهذا، ضرورة، إنما يوجد في هذين الجنسين من الحميات والأورام، أعني الدموية والصفراوية.

وأما الحميات البلغمية فطويلة، وليس يظهر فيها نضج قبل الثلاثة الأسابيع، وهي قد تمكث أشهرا. وكذلك المركبة من البلغم والصفراء.

وحمى السوداء طويلة المدة حتى إنها تبقى الستة أشهر أو نحوها، وربما بقيت عاما.

والأشياء، كما قلنا، التي من خارج إذا كانت مناسبة للمرض نفسه وللمزاج والسن والتدبير، كانت سببا إما في القصر وإما في الطول.

وذلك في الأمراض التي تقتضي بطبائعها القصر والطول.

مثال ذلك شاب حُمَّ حمى صفراوية خالصة في بلد حار وزمان حار، وقد كان تدبيره تدبيرا حارا ومزاجه مزاجا حارا، فأقول إن مرض هذا ينقضي قبل السابع ضرورة، وفي الضد من هذا شيخ مرض من حمى سوداوية في زمن خريف وفي بلد بارد، ومزاجه سوداوي وتدبيره يقتضي ذلك، فأقول إن مثل هذا ليس تنقضي حماه في أقل من ستة أشهر.

وهذه الأشياء متى كانت غير مناسبة للمرض دلت على أمر مضاد لما تقتضيه طبيعة المرض، من قصر أو طول.

١٣٨ - وأما الأعراض التي تدل على قصر المرض فهي شدة الحرارة وسرعة النبض وعظمه، وبالجملة شدة حركة المرض وتغير سحنة البدن في زمن يسير إلى الصفرة أو الحمرة والقضف.

والأعراض الدالة على طول المرض فهي أضداد هذه، والمتوسطة فيما بين هذين تدل على أزمنة متوسطة في الطول والقصر.

وأما العلامات الدالة على الأزمنة الأربعة من أزمان الأمراض التي تنقضي ببحران أو بغير بحران فإن علامات زمن الابتداء هي أن تكون الأعراض بحالة واحدة غير شديدة، مثال ذلك في الحميات النائبة أن تكون أزمنة النوب والفترات التي بينها متساوية.

ومما يخص هذا الزمن أنه لا يظهر فيه للطبيعة نضج في البول أصلا، ولا في النفث إن كان المرض في الصدر.

١٣٩ - وأما زمان التزيد فهو الزمن الذي تتزيد فيه أعراض المرض، مثال ذلك أن يطول زمان النوبة أو يقصر زمن تفتيرها.

وأما اعتبار التقدم في النوب فليس بدليل على تزيد المرض إن لم يكن هنالك عظم

من النوبة وطول زمن، فإنه إذا كان السبب في تقدم النوبة عظم المرض وحفزه تبع ذلك، ضرورة، طول النوبة وعظمها.

وأما متى كان السبب في تقدمها نضج الخلط ورقته مع استيلاء الطبيعة عليه، لم يصحب ذلك طول في النوبة ولا عظم.

ولذلك ليس تقدم النوبة مجردا دليل تزيد.

ومما يخص زمان التزيد أن النضج يظهر في البول، وذلك إما غمامة متعلقة في الوسط أو في أعلى القارورة وأقل ذلك في اللون.

وأما زمان الانتهاء فهو الزمن الذي تتشابه فيه الأعراض والنوب وتتساوى ويكمل فعل الطبيعة في النضج.

وذلك بأن يظهر في البول رسوب كثير.

وزمان الانحطاط هو الزمن الذي تخف فيه الأعراض، وتستولي الطبيعة على المرض وتتباعد فيه النوب وتقصر.

وكما أن تقدم النوبة مفردا ليس دليلا على تزيد المرض كذلك ليس ينبغي أن يكون ههنا تأخرها دليلا على الانحطاط حتى يقترن بذلك قصر النوبة وخفة أعراضها، فإن التأخر قد تفعله قلة المادة وقد يفعله ضعف الطبيعة.

١٤٠ - وأما أنواع الاستفراغات التي تكون بها البحارين فهي الإسهال والقيء والعرق والبول والرعاف وانفتاح أفواه العروق من المقعدة، ودرور دم الطمث في النساء خاصة.

وقد تكون البحارين بأورام، لكن إنما تكون هذه البحارين سليمة إذا كانت تلك الأورام في أعضاء خسيسة.

وقد تكون بخراجات في المفاصل.

وكل نوع من هذه الاستفراغات يخص مرضا ما، وذلك في الأكثر.

وإذا كان البحران محمودا فالحميات الصفراوية بحرانها يكون بالقيء والإسهال والعرق والبول، وبالجملة باستفراغ الصفراء والحميات الدموية بالرعاف وانفتاح عروق المقعدة ودرور الطمث في النساء.

وقد يعين أيضا على نوع الاستفراغ مشاركة العضو العليل.

فإن الدماغ إذا ورم كان بحرانه بالرعاف أكثر منه بانفتاح عروق المقعدة.

والورم الذي يكون في محدب الكبد يكون بحرانه بالبول.

وأما الذي يكون في مقعره فبالإسهال إن لم يكن دمويا، ودرور عروق المقعدة، والطمث إن كان دمويا.

وأما البحارين التي تكون بالخراجات والأورام فإنها إنما تعرض أكثر ذلك في الأمراض الطويلة، وهي التي تكون بحرانها أكثر ذلك بعد العشرين.

وربما حدث في الأمراض الحادة بحارين مهلكة بأورام أعضاء رئيسة، ولذلك يوصي أبقراط في مثل هذه الأمراض بأن يستفرغ الخلط في زمن الابتداء ولا ينتظر النضج.

٣٣ - في أيام البحران

١٤١ - وأشهر الأيام في كونها محمودة البحارين، هي الأيام التي تحسب من أيام المرض على جهة التربيع: فإن لها يوم الرابع ثم السابع.

لأن الرابع ههنا يؤخذ مشتركا للأربع وعين، ثم الحادي عشر غير مشترك، ثم الرابع عشر مشترك ثم السابع عشر غير مشترك أيضا، ثم العشرون مشترك. هذا فيها بحسب المشهور من قول أبقراط، وبحسب رأي جالينوس.

وأما أرسجنجانس فإنه يرى أن الثامن عشر والحادي والعشرين أملك بالبحران من السابع عشر والعشرين، ثم الأربعة والعشرين، ثم السبعة والعشرين، ثم الواحد والثلاثين، ثم الأربعة والثلاثين، ثم السبعة والثلاثين، ثم الأربعين.

١٤٢ - وأما ما بعد الأربعين من الأمراض المتطاولة فليس يكاد يظهر فيها بحران محسوس، وما قبل العشرين فقوة البحارين فيها تكون للأرابيع، أعني أنها تحدث في الأرابيع وتنذر بها الأرابيع المتقدمة.

مثال ذلك أن البحران الذي يكون في السابع يتقدمه إنذار في الرابع إذا كانت علامة محمودة، مثل الغمامة البيضاء المتعلقة (في البول)، واليوم الحادي عشر منذر بالرابع عشر، واليوم الرابع عشر منذر بالسابع عشر، والسابع عشر منذر بالعشرين.

ثم ما بعد العشرين إنما تكون قوة الإنذارات في السوابع.

وهذه الأيام كلها محمودة البحارين، والبحارين تكون فيها على الأكثر وإن كانت تتفاضل في هذين المعنيين، لكن الأمر فيها متقارب.

وههنا أيام باحورية دون هذه في كثرة ما يحدث فيها من البحران وفي جودته، ولكنها بالجملة محمودة، وهي الأيام التي ليس يجري فيها البحران على أدوار محدودة.

وهذه الأيام هي الثالث والخامس والتاسع والثالث عشر والخامس عشر والتاسع عشر والواحد والعشرون، ثم ما بعد العشرين.

فليس لهذه الأيام قوة أصلا في البحران ولا في الإنذار، والتاسع من هذه الأيام كثيرا ما ينذر بالحادي عشر.

١٤٣- وأما الأيام المذمومة البحارين فهي اليوم السادس، وهذا هو أردؤها، وكثيرا ما تقع فيه البحارين الرديئة.

وينذر به الرابع إذا ظهرت فيه علامة رديئة مثل غمامة سوداء، ثم يتلو هذا في الرداءة الثاني عشر ثم الثامن ثم العاشر ثم السادس عشر ثم الثامن عشر.

والثاني عشر قليل ما يقع فيه بحران.

وينبغي أن تعلم أن هذه البحارين تعد من وقت الابتداء والوقت الذي يظهر فيه ضرر الفعل، إلا النفساء فإنه متى أصابها مرض عدت بحارينها من وقت الولادة. هكذا زعم أبقراط.

١٤٤ - وبين القدماء اختلاف في الأيام الحميدة من هذه والذميمة، لكن هذه الأيام هي التي شهد بها الرجلان المتقدمان في هذه الصناعة، وهما أبقراط وجالينوس والظن بهما أوثق، والنفس إليهما أميل.

لكن مع هذا ينبغي أن تعلم أن هذه أمور أكثرية لا أمور ضرورية.

وقد زعم الرازي أنه جرب في المارستان نحوا من ألفي رجل صدقت في أكثرهم دلالات هذين البحارين وكذبت في الأقل.

فأما من أين يعلم أن البحران قريب فهي سرعة حركة المرض وهيجانه وظهور علاماته في البول والنفث وعظم النبض.

وطبيعة المرض مما يوقف به على ذلك.

وكذلك تقدم نوبة الحمى إن كانت الحمى ذات نوائب.

وأما متى كانت هذه العلامات على خلاف هذا فهي تدل على بطء البحران، كما أنها إذا كانت متوسطة دلت على توسط في قربه وبعده.

١٤٥ - فأما العلامات الدالة على البحران الحاضر فهي الأعراض الصعبة التي تكون معه، مثل القلق الشديد والتوثب واختلاط الذهن والصداع والسبات وحمرة العينين وحمرة الوجه وضيق النفس وخفقان القلب ووجع الرقبة واختلاج الشفة السفلى ولذع في المعدة والنافض والرعدة والرعشة وعسر البول واحتباس الطبيعة والعطش الشديد.

فمتى ظهرت هذه العلامات أو بعضها ليلا دلت على أن البحران يكون من غد.

وإن ظهرت نهارا فإنها تدل على أن البحران يكون في ليلة ذلك اليوم.

ويستدل في هذه الحال على النوع الذي يكون به البحران من جهة حركة الخلط.

وذلك أن اختلاج الشفة السفلى يدل على قيء وحمرة الوجه، والتآكل في الأنف يدل على رعاف.

وقد يستدل أيضا على ذلك من النوع الذي به وقع الإنذار: فإنه من ذلك النوع يكون البحران.

مثال ذلك إن كان الإنذار برعاف فإن البحران يكون بذلك.

وكذلك بقيء أو عرق أو إسهال أو غير ذلك.

وإذا كان هذا كما وصفنا، فالبحران المحمود هو الذي يأتي في نهاية المرض بعد نضج محمود وتكون المادة المستفرغة فيه مناسبة للمرض، أعني الفاعلة له.

ويكون مع هذا في يوم محمود، وتكون الإنذارات التي تدل عليه إنذارات محمودة، والعلامات الدالة على حضوره علامات غير رديئة ولا مخوفة مثل الغشي الشديد ووجع الفؤاد والخفقان.

٣٤ – علامات الخلاص والبرء

١٤٦ – وإذ قد قلنا في البحارين المحمودة والمذمومة وفيما يحتاج إليه في معرفة ذلك وهي الأمور التي يوقف منها أكثر ذلك في الأمراض الحادة على السلامة أو العطب، فلنقل في غير ذلك من العلامات والدلائل التي لها قوة في هذا الشأن.

ونبتدئ بذكر العلامة المنذرة بالخلاص والبرء.

وهذه العلامات مأخوذة من الأفعال والأعراض التي توجد عن الأفعال، وقد تؤخذ عن أمراض تحدث عقب أمراض.

١٤٧ – فمن الدلائل المأخوذة من الأعراض أن يكون وجه العليل شبيها بوجه الأصحاء أو قريبا منه، وبخاصة الوجه الصحي له، لأن الأوجه الصحية تختلف في الناس، فإن ذلك دليل على السلامة.

استواء الحرارة في جميع الجسم يدل على سلامة الأحشاء من الأورام.

البراز المعتدل في الرقة والغلظ المنحل الذهبي اللون يدل على سلامة المريض إذ كان هذا البراز يدل على جودة القوة الغازية.

البول الأترجي اللون الذي فيه ثفل راسب أبيض مستو أو متعلق ينذر بسلامة، وبخاصة الراسب.

والبول الذي بهذه الصفة إنما نحسبه علامة جيدة في الحميات وأورام الجوف.

البصاق الأبيض المعتدل الغلظ الذي ينفث بسهولة غير الكريه الرائحة في ذات الجنب وذات الرئة دليل على السلامة.

العرق إذا حدث بمن به حمى حادة في يوم من أيام البحران، وكان معتدل الحرارة مستويا في جميع البدن، وكانت مدة زمانه معتدلة ولونه أبيض ورائحته ليست بالكريهة، دل ذلك على السلامة من المرض وانقضائه.

الرعاف متى كان في يوم من أيام البحران في الحميات الدموية أو التي تكون عن أورام الدماغ أو أورام الأحشاء دل ذلك على السلامة.

١٤٨ - فأما المأخوذة من الأفعال: فإن صحة الذهن في الأمراض الحادة وصفاء الحواس وسهولة تقلب المريض وحسن اضطجاعه دليل على السلامة.

التنفس إذا كان حسنا جيدا ليس بالمتواتر ولا بالمتفاوت ولا بالمنقطع وكان النبض قويا قليل الاختلاف دليل قوي على الأمن والسلامة.

الشهوة الصادقة للغذاء دليل جيد.

١٤٩ - وأما الأمراض التي تنذر بإقلاع الأمراض المتقدمة: فهي الأمراض التي تكون أسبابها مضادة للأمراض المتقدمة، أو الأمراض التي تحرك الأسباب الفاعلة للمرض المتقدم إلى جهة أخرى مضادة، أو عضو أقل شرفا.

مثال القسم الأول أنه متى كان بإنسان تشنج من امتلاء وحدثت به حمى فإنه يبرأ من تشنجه، وذلك لمضادة السبب الفاعل للحمى للسبب الفاعل للتشنج.

وكذلك من حدث به وجع في معدته أو كبده أو معاه أو طحاله من ريح أو سوء مزاج بارد، فإن الحمى إذا حدثت تحله.

ومثال القسم الثاني إذا تأملته في أقاويل القدماء كثير: من ذلك قولهم إذا حدث بصاحب الحمى المطبقة نافض في يوم من أيام البحران، كان ذلك دليلا على انقضاء حماه لدفع طبيعة الخلط الفاعل للمرض من داخل العروق إلى ظاهر البدن.

ومن ذلك قولهم إذا حدثت الدوالي بأصحاب وجع النقرس ووجع المفاصل وعلل الكلى انقضى بذلك مرضهم.

وكذلك قولهم حدوث البواسير في المالنخونيا دليل على إقلاعها.

فإن أنت تفطنت لهذه الأشياء لم يخف عليك ذلك.

وقد يكون عرض ما تابع لمرض حدث دليلا على خفة المرض المتقدم، إذا كانت أسباب المرض الثاني من جنس أسباب المرض الأول، إلا أنها أقل منها وأضعف: مثال ذلك

قول أبقراط الجشاء الحامض في أصحاب زلق الأمعاء دليل محمود.

٣٥ - العلامات الرديئة

١٥٠ - وإذ قد قلنا في العلامات المخلصة، فلنقل في العلامات الرديئة، ولهذه العلامات مراتب في الدلالة.

ونحن نخص واحدا واحدا منها بلفظ خاص على ما جرت به عادة القدماء.

وهذه العلامات هي أيضا مأخوذة من الأفعال والأعراض اللاحقة عن الأفعال.

وذلك إما في ظاهر البدن وإما فيما يبرز من البدن.

وقد تكون أيضا أمراض تحدث بعد أمراض متقدمة ولنبدأ من القول بالعلامات التي من الأعراض.

الوجه الذي يصفه أبقراط، وهو الوجه الشبيه بوجه الميت، وذلك أن يكون الأنف منه حادا والعينان غائرتين، والأذنان باردتين وشحمتاها منقلبتين، وجلدة الوجه ممتدة، واللون إما كمد وإما أخضر، أو تعلوه غبرة أو صفرة، فإنه يدل على الهلاك، إذ كان ذلك إنما يعرض في الأمراض الحادة لتبدد الحرارة الغريزية وذهابها بالمرض، وشدة مضادة الحرارة الغريبة للحرارة الغريزية.

وبالجملة فهو دليل في الأمراض الحادة على عظم المرض، إذ كان هذا العرض إنما يظهر في الأمراض المتطاولة، كأصحاب السل وغيرهم.

اللهم إلا أن يكون أصاب العليل استفراغ بإسهال أو سهر، فإن دلالته حينئذ تكون أخف.

إذا كان بياض العين أحمر وعروقها كمدة أو سوداء كان ذلك دليلا على الهلاك لا محالة، وذلك في الأمراض الحادة.

لأن السواد يدل على موت الحرارة الغريزية، والحمرة تدل على امتلاء الدماغ.

ونتوء العين في الأمراض الحادة رديء، إذا لم يكن عن رمد أو قيء.

إذا كان الجفن والشفة والأنف متلونة كمدة فالموت قريب.

برد الأطراف رديء جدا، وذلك أنه يدل على غوص الحرارة إلى باطن الجسم: إما لورم عظيم هنالك، وإما أن ذلك لسبب أخلاط باردة كثيرة، وبالجملة فيدل على انطفاء الحرارة الغريزية.

وكذلك متى كان بإنسان حمى وظاهر بدنه بارد وباطنه حار، فإن ذلك دليل على الموت، لأنه يدل على ورم حار في باطن البدن تنعكس إليه الحرارة وبالجملة الحرارة التي

ليست مستوية في جميع البدن دليل رديء، لأن ذلك يدل على ورم في الأعضاء الشريفة كالدماغ أو الكبد أو المعدة.

إذا كان في اللسان بثور مع برد في الأطراف دل ذلك على أن الموت قريب إذ كان ذلك يدل على أن في المريء والمعدة قروحا خبيثة.

إذا كانت الأصابع والأظفار خضرا تضرب إلى الكمدة، والنبض قد ضعف، فالموت قريب.

وإن كانت سودا مع قوة النبض، وفي يوم باحوري، دل ذلك على السلامة وأن المرض ينقضي بتقيح تلك المواضع، أو بخراج يخرج.

إذا كان في بدن العليل قرحة متقدمة فاخضرت أو اسودت، فتلك علامة رديئة: وذلك أن العضو المئوف هو أول عضو تخمد فيه الحرارة الغريزية إذا ظهر في البدن في الأمراض الحادة نقط صغار، كحب الجاورس، فهو دليل رديء، وذلك أنه يدل على قلة قبول المادة للنضج.

الفصل الذي يقول فيه أبقراط: إن حدوث اليرقان قبل السابع دليل رديء قد أكذبته التجربة في بلادنا هذه، وبخاصة في الأمزجة الحارة والفصل الحار فيما حكاه أطباء العراق وبعض أطباء الأندلس.

وعسى ذلك كان بالإضافة إلى بلاد اليونانين: فإن تلك البلاد أبرد، وإنما كان عند أبقراط دليلا رديئا لأنه أحد ما تكون به البحارين. والبحارين التي تكون قبل النضج دليل سوء، وكأنه شاهد في بلاده أن ما كان يأتي من البحارين بيرقان قبل السابع، فإن ذلك يكون عن غير نضج.

١٥١ - وأما الاستدلال بالأعراض التي تظهر فيما يبرز من البدن:

فإن البراز الأسود والأخضر والمنتن والدسم في الأمراض الحادة، دليل على الموت لأن الأسود يدل على الاحتراق، والدسم على ذوبان الأعضاء والشحم.

والبراز الرقيق الأبيض رديء أيضا، لأنه يدل على ضعف الهضم وعلى أن المرار ترقى إلى أعالي البدن، وذلك في الحمى الحادة.

والحال في ذلك كالحال في الماء الأبيض في هذه الحمى والبراز الأبيض يدل أيضا على يرقان.

البراز اللزج اليسير رديء، وذلك أنه يدل على الذوبان.

البراز المختلف الألوان منذر بطول المرض وغلبة الأخلاط المختلفة، وهو في

الإسهال من علامات السلامة.

وكل مرض تخرج في ابتدائه المرة السوداء، إما من فوق وإما من أسفل، فإنه يدل على الموت: وذلك أنه إذا خرج هذا الخلط في ابتداء المرض دل إما على كثرته وإما على ضعف القوة أو على كليهما.

والسحج الذي يكون عن المرة السوداء الحامضة مهلك إذا كان البراز مرارا صرفا وذهبت به شهوة الطعام فإنه رديء. وكذلك سقوط الشهوة الذي يتبع إسهال الدم رديء أيضا.

البول الأسود الثفل يدل على الهلاك.

البول الرقيق في الصبيان إذا دام مدة من الزمن طويلة كان رديئا، وذلك أن البول الطبيعي منهم غليظ وفيه رسوب.

والبول المائي في الأمراض الحادة رديء مهلك.

البول المتثوِّر الذي لا يصفو رديء. وذلك أنه يدل على قوة الحرارة الغريبة وتثورها.

البول السويقي والنخالي والصفائحي كلها مع الحمى الحادة رديئة متى لم تكن من الكلى والمثانة، فإنه إذا كانت منهما فلا تدل على الهلاك.

وإنما تدل على الهلاك إذا كانت من ذوبان الأعضاء.

والفرق بين الذي يكون من المثانة والكلى وبين الذي يكون عن ذوبان الأعضاء: الوجع الذي يكون هنالك، أعني في الكلى والمثانة.

والقيء الأسود والزنجاري رديء فإن كان مع هذا منتنا دل على الموت.

العرق الذي يكون في غير يوم من أيام البحران، وليس تسكن به الحمى، دليل رديء. فإن كان مع هذا باردا، وكان في الرأس والرقبة، كان أردأ. فإن كان مع حمى حادة دل ذلك على الموت. وإن كان مع حمى غير حادة دل على طول المرض.

الرعاف الذي تكون فيه قطرات قليلة سود فإنه يدل على الهلاك في الحميات المحرقة. وذلك أن هذا دليل على ورم عظيم في الدماغ.

١٥٢ - وأما العلامات المأخوذة من الأفعال فهي هذه:

إذا كانت العينان تحيدان عن الضوء وتدمعان من غير إرادة، فذلك دليل رديء.

وإن كانت مع ذلك حركتهما كثيرة، وهما مزورتان، وإحداهما أصغر من الأخرى، فإنها علامة مهلكة، والازورار في العين يكون لتشنج الدماغ. وكذلك تقلص إحداهما، إذا

وجدت العليل ينحدر عن رأسه نحو قدميه، كان ذلك دليلا على الموت.

وذلك أن هذا يدل على أن القوة الحاملة للبدن قد بطلت. وهذه العلامة شاهدتها في أستاذي، رحمه الله، وأنا فتى لم أنظر في شيء من صناعة الطب فمات لأيام يسيرة.

وبالجملة متى كان وضع العليل وضعا ليس يكون من أوضاع الأصحاء فإن ذلك دليل رديء. وكذلك إذا لم تكن من عادته. وكذلك التوثب الشديد للجلوس والتعلق بما يجد في وقت المنتهى دليل مهلك.

إذا لم يسمع العليل أو لم يبصر وقد ضعفت قوته فالموت منه قريب.

التنفس المتفاوت العظيم رديء لأنه يدل على اختلاط العقل، وذلك أن من يختلط عقله أو يذهل شأنه أن يفعل أفاعيل من غير نظام.

التنفس المتعثر في مجاريه دليل رديء، لأنه يدل على تشنج عضل الصدر.

إذا كان النوم يحدث وجعا فذلك من علامات الموت.

١٥٣ - وأما الدلائل المأخوذة من الأمراض، فهي كل مرض يحدث عقب مرض آخر، وكان الحادث أشد من الأول، أو في عضو أشرف فهو رديء جدا، مثال ذلك: ورم الذبحة إذا انتقل إلى الرئة في الرابع، فإن المريض يموت في السابع.

ومنها كل مرض دل على عظم السبب الفاعل للمرض المتقدم، مثال ذلك: اسوداد موضع في الجنب في صاحب ذات الجنب، فإنه يدل على الموت السريع.

ومنها أن يكون المرض الحادث من جنس السبب الفاعل للمرض الأول، مثل حدوث الزكام بصاحب قرحة الرئة.

والفواق في الأمراض الحادة دليل مهلك، وذلك أنه يدل على التشنج ومنها أن يكون المرض الحادث في الغاية من المضادة للمرض المتقدم كالاستسقاء الذي يحدث بعقب الأمراض الحادة.

١٥٤ - وهذا القدر من العلامات فيه كفاية في التنبيه على ما ذكره الأطباء من ذلك، فإن كتابنا هذا ليس كتابا حافلا في الصناعة، وإنما نذكر فيه الأشياء التي تجري مجرى الأصول والأمور الكلية من هذه الصناعة.

والذي بقي علينا القول فيه من العلامات هي علامات أمراض الأعضاء الباطنة.

٣٦ - في دلائل الأعضاء الآلمة

١٥٥ - والأشياء التي يطلب الاستدلال عليها ههنا هي أحد ثلاثة أشياء، كما قلنا: إما العضو الآلم وإما مرضه، أي مرض هو؟ وإما سبب المرض، أي سبب هو؟ وأعني

ههنا بالسبب: الفصل الخاص بالمرض. والأشياء التي منها يكون الاستدلال على هذه الأشياء في الأكثر هي الأعراض الداخلة على أفعال الأعضاء وانفعالاتها والأعراض اللازمة عنها.

وذلك إما في ظاهر البدن، وإما فيما يظهر في الفضلات البارزة من البدن.

أما الأعراض الداخلة على الأفعال والانفعالات فتدل أكثر ذلك على العضو الألم، وذلك متى كان الفعل المضرور أو الانفعال خاصا بذلك العضو ومساويا، مثل سقوط الشهوة الدال على اعتلال فم المعدة.

وأما متى لم يكن خاصا فإنه لايدل على العضو الألم.

مثال ذلك عسر حركة الأصابع، فإنه لا يدل على أن الألم في الأصابع أنفسها، بل قد يكون ذلك عن اعتلال العصب الواصل إليها، وقد يتفق أن يكون العرض الداخل على أفعال الأعضاء وانفعالاتها دالا على العضو وعلى المرض نفسه، وذلك إذا كان خاصا بهما معا.

مثال ذلك الوجع الحاد الناخس، فإنه يدل على أن العضو المَؤُوف غشائي، وأن فاعله خلط مراري.

والجشاء الحامض يدل على اعتلال فم المعدة وأن الفاعل سبب بارد.

والمواضع من ظاهر البدن التي يحس بحذائها الألم تدل على العضو الألم، إذا كان ذلك الموضع خاصا بذلك العضو.

مثال ذلك الوجع فيما دون الشراسيف فإنه دليل على أن المرض في المعدة. وأما متى لم يكن خاصا فإنه ليس بدليل.

مثال ذلك وجع الخاصرة، فإنه قد يمكن أن يكون عن مرض في المعى الغلاظ أو في الكلية.

١٥٦ - والأشياء التي تبرز أيضا من البدن تدل على العضو الألم، وذلك: إما بطبائعها وخلقها مثل القشر الصفائحي، فإنه يدل على علة الكلى، والنخاليّ على علة المثانة، وذلك إذا لم تكن هنالك حمى حادة؛ وإما بمقاديرها مثال ذلك أنه متى نفث إنسان بالسعال عرقا كبيرا دل على أنه من الرئة، وإن كان صغيرا دل على أنه من قصبة الرئة، وإما من موضع خروجها أو من جهة خروجها.

أما من المواضع فمثل خروج الدم من المقعدة، فإنه يدل على أن المرض: إما في المعى، وإما في مقعر الكبد.

وإذا خرج من طريق البول دل على أن المرض إما في المثانة وإما في الكلى وإما في محدب الكبد.

ومثال جهة خروجها أن الدم الذي يكون بالسعال يدل على أن خروجه من الرئة، والذي يكون بالتنخع يدل على أنه من المريء.

وللنبض والوجع دلالة قوية على العضو الألم وإن كانا من جنس الأعراض الداخلة على الأفعال والانفعالات، فإن تفصيل دلالتهما يجري مجرى القوانين الكلية.

١٥٧ - وأما النبض المنشاري فإنه يدل على أن العلة في عضو عصبي، وأما الموجي فإنه يدل على عضو لحمي.

وأما الوجع إذا كان ناخسا كأنه يستدير عرضا فهو في عضو غشائي.

وإن كان رخوا دل على أن المرض في اللحم.

وإن كان ضاربا دل على أن الألم في عضو كثير الشرايين، ومعنى ذلك أن الإنسان يحس بضربان[1] العرق في موضع الألم.

وإن كان ثقيلا دل على أن العلة في عضو عديم العصب كالكبد والطحال. وإن كان ممتدا بالطول دل على أن العلة في عصبة أو عرق.

وإن كان شبيها بالمثقب والمسلة فهو يدل على أن المرض في عضو غليظ.

وذلك إما في الكلى وإما في المعى الغليظ، وإن كان مكسرا دل على أن الألم في عضو عظمي.

١٥٨ - فهذه هي الطرق التي منها يمكن أن يوقف على العضو العليل.

ولست أحتاج أن أفصل لك ههنا الأفعال الخاصة، والانفعالات، بعضو عضو، ولا المشتركة: فإن ذلك شيء قد عرفته من كتاب الصحة، ولا أيضا مواضع الأعضاء.

والذي يحتاج فيه ههنا إلى بعض تفصيل هو أن نقول في أصناف دلالات ما يبرز من البدن على العضو، فنقول:

١٥٩ - إن الأشياء التي تبرز من البدن صنفان: صنف شأنه أن يبرز منه كالبول والغائط والبصاق، وصنف ليس شأنه أن يبرز منه كالدم وبعض أجزاء الأعضاء.

فأما الصنف الذي شأنه أن يبرز، فالأعراض اللاحقة له إنما يستدل بها أكثر ذلك على الأمراض وأسبابها، وقد قيل فيما سلف في دلالاتها.

---

(١) أي: نبض.

وأما الأشياء التي تبرز من البدن من غير أن يكون شأنها أن تبرز منه فهي تدل أكثر ذلك على العضو الآلم.

وأنت فقد عرفت جواهر الأعضاء من كتاب التشريح فلا يخفى عليك ذلك، والذي ينبغي أن نفصل ههنا هي دلالة خروج الدم، فنقول:

١٦٠ - إن الدم إما أن يبرز من أعالي الجسم وإما من أسفله.

فأما الدم الذي يبرز من أعالي الجسم فإما أن يكون من الفم، وخروج هذا يكون بالبصاق.

وإما أن يكون من الحلق، وخروج هذا يكون بالتنخع.

وإما أن يكون من المعدة، وخروج هذا يكون بالقيء.

وإما أن يكون من الرئة أو من الصدر، وخروج هذا يكون بالسعال.

لكن الذي يكون من الرئة يكون كثيرا ويقذف به دفعة واحدة ويكون مع ذلك دما شريانيا زبديا، وبغير وجع.

والذي يكون من الصدر يكون معه وجع، وليس يكون بتلك الكثرة ولا يخرج دفعة، ولا يكون لونه لون دم الرئة، ويخرج فيه علق اللهم إلا أن ينبثق هنالك شريان، وقد ينزل دم من الرأس يحدث سعالا ويظن أنه من الرئة.

لكن هذا الدم يخالف دم الرئة بلونه وقوامه، فإن كثيرا ما يكون هذا الدم منعقدا. ويستدل أيضا عليه بعلامات الامتلاء في الدماغ.

وقد يخرج الدم من المريء وعلامته الوجع بين الكتفين.

١٦١ - وأما الدم الذي يخرج من أسفل فقد يكون من انفتاح أفواه العروق التي في فم المقعدة.

وهذا تستعمله الطباع على وجه الاستفراغ، ما لم يفرط وذلك عند تزيد الدم في كميته أو فساد كيفيته.

وهذا يوقف عليه من الأعراض التي تعرض لفم المقعدة.

وقد يكون الدم الذي يخرج من هذا السبيل إما لقروح وسحج في المعى، وإما لضعف القوة الماسكة في الكبد، أو لرداءة كيفية الدم، فتدفعه القوة الدافعة.

ويعم هذين الصنفين من الدم، أعني الذي يكون عن ضعف القوة الماسكة وعن السحج، إنهما يكونان شبه الماء الذي يغسل به اللحم، أعني أنه لا يكون دما صرفا.

ويخص الذي يكون عن سحج المعى أنه يكون بوجع في العضو الآلم، ويكون

خروجه قليلا قليلا، ويكون مختلطا بالخراطة التي في الأمعاء.

وأما الذي يكون في الكبد فيستدل عليه بالأعراض الدالة على ضعف الكبد مع أنه يخرج بغير وجع.

وأما الذي تدفعه الكبد لرداءته فيستدل عليه بلونه، وذلك أنه دم أسود محترق.

وأما الدم الذي يخرج من مجرى البول فقد يكون من المثانة ومن الكلى ومن مقعر الكبد.

والذي يكون من الكلى يكون خروجه على أحد وجهين: إما لانفتاح عرق فيها أو لانصداعه، كما يعتريها في الحصى المتولدة فيها.

فإن هذه الحصى زعم جالينوس أن منها ما يتولد في نفس جرمها ثم يشق اللحم ويخرج، والأشهر أنها تتولد في التجويف.

وتولدها أما أولا فيكون لضعف القوة المميزة للجزء المائي من الجزء الأرضي من المائية التي تغتذي بها الكلى والمثانة وقد يكون ذلك لضعف القوة المشبهة تلك المائية التي يغتذي بها العضو بذلك العضو بأن تقلبها حجرية لا جزء كلى ولا جزء مثانة.

وذلك إما لغلبة اليبس والحرارة، وإما اليبس والبرودة على ما يعتري ذلك في قنوات الماء. وقد يكون الأمر للعلتين جميعا. وقد يكون لكون الأغذية التي يغتذي بها العليل أرضية.

١٦٢ - وقد تجتمع الأسباب كلها كما يقول جالينوس في هذه الأشياء.

ولذلك إذا ابتدأت الحصى في التكون ابتداء الوجع حتى تندفع.

وإما لضعف القوة الغاذية التي فيها عن أن تغتذي بتلك المائية الدموية التي أعدت لغذائها.

ويستدل على الدم الذي يكون من مقعر الكبد من الأعراض الدالة على ضعف الكبد مع عدم الأعراض الدالة على ضعف الكلى.

ويستدل على الذي يكون لضعف الكلى بالأعراض التابعة لضعف الكلى، مثل الوجع الذي يصيبها لسوء المزاج وهزال الجسم وضعف الباه.

وأما إذا كان الدم الخارج عنها لانفتاح عرق فالفرق بينه وبين الدم الذي من ضعف القوة الغاذية التي فيها أن الدم الذي يكون عن انفتاح العرق يغلب على طبيعة البول حتى يظهر البول كله دمويا، وذلك في أول الأمر.

وأما الدم الذي يكون من ضعف الكلى فإنما يكون غساليا.

وأيضا فإن الأعراض التابعة لضعف الكلى ليس تكون في أول الأمر ظاهرة في هذه العلة كظهورها في العرض التابع لضعف القوة الهاضمة.

وأما إن كان لانصداع عرق فيها أو تآكله فإنه يستدل عليه بالوجع، فإن هذا شيء ينبغي أن تخطره ببالك.

أعني أن الدم الذي يكون عن انفتاح أفواه العروق يكون أكثر ذلك بغير وجع، كما يعتري المرعوف.

١٦٣ - وأما الذي يكون عن الانصداع أو عن التآكل فإنه يكون أكثر ذلك بوجع، ما لم يتمكن بالعرق سوء مزاج مستو.

وأما الذي يكون من المثانة فإنما يكون بوجع لأن الدم إنما يخرج من هذا العضو أكثر ذلك من جهة الأخلاط التي تسحجه.

ومن الأشياء البارزة عن البدن، مما شأنه أن يخرج منه مما لم نذكره بعد، إذا خرجت عن الطبع في كميتها وكيفيتها دلت على الأعضاء الألمة: العرض المسمى إسهالا وإن كان لم يذكره جالينوس، فإنه قد تبين في كتاب المرض أن هذا العرض قد يكون لضعف المعى أو لضعف المعدة أو لضعف الكبد أو لضعف الأعضاء أنفسها، وأعني ههنا بالضعف سوء المزاج غير المادي.

وقد يكون هذا العرض أيضا لسوء مزاج مادي حاصل في واحد من هذه الأعضاء أو في أكثر من واحد، وحينئذ لا يدل هذا العرض على العضو الألم فقط، بل وعلى السبب الفاعل.

٣٧ - الاستفراغ والعضو الآلم

١٦٤ - وينبغي أن نشرع في العلامات التي إذا اقترنت بهذا الاستفراغ دلت على العضو الألم.

فنقول: إن الفرق بين الإسهال الذي يكون عن مرض مادي في واحد من هذه الأعضاء أو في أكثر من واحد، وبين الذي يكون عن مرض غير مادي: أن الذي يكون عن مرض مادي يخرج مع الثفل فيه الخلط الفاعل لذلك المرض، فإذا كان الإسهال عن المعدة استدل عليه بالأعراض التابعة لألم المعدة، سواء كان مرضها عن سوء مزاج مادي أو غير مادي. ويخص ذلك ضرورة قلة لبث الطعام في المعدة. وذلك أن الذي يكون من قبل المعدة إنما سببه أحد أمرين: إما ما يزعج القوة الدافعة إلى الدفع ويرهقها، وإما لضعف القوة الماسكة.

وأيًا ما كان، فيلزم عن ذلك ضرورة قلة لبث الطعام فيه.

١٦٥ - وقد يكون الإسهال من المعى نفسه كما قلنا، ويستدل عليه بالأعراض التابعة لضعف المعى، وأن تكون مع ذلك المعدة ليس بها ضرر، بل يمكث فيها الطعام الزمن الطبيعي للبثه.

وأما الذي يكون من الكبد أو من العروق أو من بعض الأعضاء كالرأس وغير ذلك، فيستدل عليه إن كان ماديا بالعلامات الدالة على غلبة الخلط على ذلك العضو، وبالأعراض الخاصة بذلك العضو، كما حكى بعض الأطباء أن إنسانا كان به إسهال فكان يشتد عقب النوم ويخف في اليقظة، فحدس من ذلك أن الخلط الفاعل ذلك من الدماغ، فقصد إلى معالجته فبرئ.

وأما النوع من الإسهال الذي يكون عن السدد العارضة في الجداول الواصلة من المعى إلى الكبد، فإنه يستدل عليه بأن يخرج الطعام كيلوسا مع لبثه الطبيعي في المعدة والمعى أو قريبا من لبثه الطبيعي.

وإذا عرض هذا المرض لحق عن ذلك هلاس البدن في مدة يسيرة أقصر من مدد الزمن الذي يلحق فيه الهلاس من ضروب الإسهال الأخر.

وإذا تركبت هذه الأمراض صعب الوقوف عليها.

١٦٦ - وبالجملة فجل هذه العلامات إنما هي حدسية تخمينية من جنس الأقاويل الظنية. ولذلك ما ينبغي أن يتحرى الاجتهاد فيها.

فإذا غلب على ظنه شيء ما من ذلك استعمل أولا في ذلك لطيف العلاج، وذلك بحسب ما ظن في المرض، فإن أنجح تمادى وعلم أن الذي ظن صادق وإلا أعرض عن ذلك.

مثال ذلك أنه متى ظن أن السبب في الإسهال هو السدد استعمل في أدويته يسير تفتيح، فإن رأى النجح[1]، تبع ذلك ووثق بظنه، وإلا تدارك بعد ذلك خلل ما صنع.

ولذلك تعد الأطباء السبار الذي يكون بالعلاج أحد الأجناس التي يوقف منها على الأمراض وأسبابها.

وكذلك متى ظننا أن سبب المرض سبب حار عالجناه بالأشياء المبردة تبريدا يسيرا، فإن وجدناه ينتفع بذلك وثقنا بظننا وقوينا على المرض في قلعه.

---

(١) أي: النجاح.

١٦٧ - فهذه هي الطرق التي يوقف منها أكثر ذلك على تعرف الأعضاء الآلمة وقد يوقف على ذلك بأعراض تعرض في العضو المشارك للعضو المريض.

مثال ذلك السعال الحادث عن ورم الجنب وعن ورم الكبد وانجذاب الترقوة عن ورم الكبد.

لكن أمثال هذا الاستدلال إنما تدل على العضو الألم باقتران غيره إليه من الدلائل.

مثال ذلك أن السعال والنفث إنما يستدل منه على ورم الجنب متى كان هنالك وجع ناخس وحمى حادة.

والأعضاء الآلمة منها ما يكون حدوث الألم فيها حدوثا أوليا.

ومنها ما يكون بمشاركة غيره من الأعضاء.

والقانون الطبي في ذلك أن الأعضاء التي يزيد اعتلالها باعتلال أعضاء أخر وينقص بنقصانها أن تلك الأعضاء مريضة عن غيرها.

مثال ذلك أن الصداع الذي يزيد بتهوع المعدة أو فساد الأغذية فيها أو خلوها من الطعام، فإنما هو عارض من الدماغ بمشاركة المعدة.

وهذا الموضع هو موضع إقناعي. وذلك أنه قد يتفق أن يتزيد مرض عضو ما بتزيد مرض عضو آخر بضرب من العرض، أو لأن العضو به مرضان:

مرض خاص ومرض مشارك، فيزيد المرض المشارك في المرض الخاص، فيظن به أن مرض ذلك العضو مرض مشارك فقط. ولذلك موضع الوجود والارتفاع هو أقوى من هذا. وذلك أن العضو الذي يصح بصحة عضو آخر ويمرض بمرضه قد يظن أن ذلك العضو هو السبب في مرضه. لكن في هذا أيضا اختلال ما.

وذلك أنه قد يكون مرضاهما تابعين لمرض عضو آخر، ولموضع وهاية هذا الاستدلال فينبغي للناظر في هذه الصناعة أن يستكثر من الأدلة ما أمكنه، فإذا قوي ظنه في أمر ما امتحن ذلك بالمعالجة الرفيقة، فإن شهدت بصدق ما ظن قطع بذلك وإلا استدل على العلة بوجود آخر.

٣٨ - الطرق التي بها يوقف على الأمراض وأسبابها

١٦٨ - وإذ قد قلنا في الطرق الكلية التي منها يوقف على الأعضاء الآلمة فلنقل في الأمور التي منها يوقف على الأمراض وأسبابها، فنقول: إن الأمراض التي يحتاج إلى الاستدلال عليها هي بالجملة إما سوء مزاج مادي أو غير مادي. والمادي إما مع ورم وإما بغير ورم.

أما سوء المزاج المادي فيستدل عليه بالعلامات الدالة على غلبة الأخلاط على البدن أو على العضو المؤوف. وقد تقدم لنا ذكر ذلك.

وقد يستدل أيضا من الأشياء التي تبرز من البدن على الخلط الفاعل لسوء المزاج المادي. وذلك فيما يخرج بالقيء أو بالبراز.

وفي البول علامة صالحة على جنس السبب الفاعل، وجميع هذا قد تقدم وكذلك النفث أيضا مما يستدل به على نوع السبب الفاعل: والأسود دليل على غلبة الخلط الأسود المحترق. ولذلك كان في أمراض الصدر دليلا على الهلاك.

وإنما النفث المحمود الأبيض الأملس المستوي الذي ينفث ويخرج بسهولة.

وأما الأورام فإنه يستدل على الخلط الفاعل لها بالعلامات الدالة على غلبة الخلط. والوجع أيضا دليل على السبب الفاعل.

وذلك أن الأوجاع الحادة إنما تكون بالجملة عن الأخلاط الحارة.

وأما الوجع المثقبي والمسلي فإنما يكون عن الخلط البارد كالوجع الحادث في القولنج، أو عن خلط متحجر كما يعرض في وجع الحصى.

١٦٩ - والنبض أيضا له دلالة خاصة على طبيعة الأورام. ولذلك قد ينبغي أن نشير إلى طرف من ذلك، فنقول: إن النبض في الأورام الحارة هو النبض الصلب الصغير السريع المتواتر المختلف اختلافا مثشاريا.

أما صلابته فلموضع تمديد المادة للشريان، وأما صغره لموضع صلابة العرق، وأما تواتره وسرعته فلموضع الحاجة إلى التعديل ليستوفي بدل ما فاته من العظم بالسرعة والتواتر، وأما المثشارية فسببها أن القوة تضطر الشريان إلى أن ينبسط ولأنه لا يواتي لذلك فلا تنبسط جميع أجزائه معا بل بعضها يتلو بعضا في الانبساط حتى يعرض عن ذلك، شبيه بإحساس من حركة المنشار.

والنبض في الأورام الصفراوية أشد تواترا منه في الدموية لموضع شدة حرارتها.

وأكثر مثشارية لموضع يبس الصفراء وتصليبها للشريان.

وأما الأورام البلغمية فإنها تجعل النبض صغيرا متفاوتا بطيئا.

وسبب هذا هو غلبة البرد وضعف القوة.

وهذا النبض لا يكون فيه اختلاف مثشاري بتة، لرطوبة الخلط الفاعل لها.

وأما الأورام السوداوية فإن النبض فيها يكون صلبا لموضع يبوسة هذا الخلط رقيقا، والمثشارية فيه ظاهرة، ويكون مع هذا متفاوتا بطيئا.

ومما يتبع الأورام الحادثة في الأعضاء الشريفة الحمى.

ولذلك كانت أحد الدلائل الدالة عليها إذا كانت تلك الأورام مما شأنها أن تقيح، لأن ما ليس شأنه أن يقيح فليس تتولد فيه حرارة غريبة، كالأورام الريحية أو الصلبة.

وهذه الأعضاء على ما أعطت المشاهدة هي الدماغ والكبد والرئة والمعدة والمعى الدقاق والطحال والكلى والمثانة والرحم.

١٧٠ - فهذه هي جميع أجناس العلامات التي يستدل منها على نوع المرض الحادث بالعضو المؤوف.

وأحسبني لو لم أذكر تلك العلامات الخاصة بمرض مرض في عضو عضو من الأعضاء الباطنة وبالأعضاء أنفسها لأمكنك من تلقاء نفسك أن تأتي بها.

لكن الأولى أن نعدد الأمراض التي تجري مجرى الفروع من هذه الصناعة.

وهو أن لا (ولو كان لا) ينظر في عضو عضو من هذه الأمور الجزئية النظر الذي يخصه لاكتفينا بالأمور الكلية، ولكن النظر الأتم، كما يقول جالينوس، هو أن نتكلم في الأمور الجزئية على طريق الرياضة، إذ كانت هي المطلوبة في هذه الصناعة، فنبتدئ نحن فنعدد من ذلك أمراض الأعضاء المشهورة ونرشد إلى العلامات الدالة عليها، فإن في ذلك رياضة ما، واستيفاء أمور جزئية ربما لم تنطو في الأقاويل الكلية.

ولأن أيضا كثيرا من هذه العلامات ليست تدل، إذا أخذت من حيث هي مفردة لكونها أعم من المرض أو من العضو المريض، بل إذا أضيف إليها غيرها، كان أيضا من الواجب أن نشير إلى مجموع الأعراض الخاصة بمرض مرض.

مثال ذلك أن الوجع الناخس في الجنب مع الحمى والنفث والنبض المنشاري دليل على ورم الغشاء الذي في الأضلاع، فلنبدأ بأمراض الدماغ.

٣٩ - أمراض الدماغ

١٧١ - وأكثر أمراض الأعضاء الباطنة التي يحتاج إلى الاستدلال عليها هي إما أورام وإما سوء مزاج مادي أو غير مادي.

والدماغ يعرض له أصناف سوء المزاج، أعني الحار والبارد والرطب واليابس.

ويستدل على واحد واحد منها بالعلامات الدالة على غلبة ذلك المزاج على الدماغ، مثل حمرة الوجه والعينين وسخونة الملمس التي تدل على غلبة الدم.

ويخص سوء المزاج الحار أو البارد أنه يتبعهما الوجع المسمى صداعا إلا أنه في المزاج الحار أحدّ.

وأما الرطوبة واليبوسة فليس يكون عنهما وجع، بل إنما يكون عن الرطوبة ثقل فقط.

ويستدل على الرطوبة بثقل الرأس وكثرة النوم وكدر الحواس، وعلى اليبوسة بأضداد هذه الأعراض.

وربما كان هذا المزاج العارض للرأس حادثا فيه حدوثا أوليا، وربما كان من عضو آخر. وأكثر ذلك إنما يكون عن المعدة.

ويستدل على ذلك بالصداع الذي يهيج عند تهوُّع المعدة أو خلوها عن الطعام أو فساد الأغذية فيها.

وبالجملة أن يتزيد مرض الدماغ بتزيد مرضها، وينقص بنقصانه.

وربما كان بمشاركة العرقين السباتيين، كما يعتري في الصداع المسمى شقيقة.

ويستدل على ذلك بالعلامات الدالة على امتلاء الرقبة، وربما كان ذلك بمشاركة جميع البدن.

ويستدل عليه بالعلامات الدالة على أحد صنفي الامتلاء.

ويحدث بالدماغ جميع أصناف الأورام الحارة والباردة.

والاستدلال ههنا على العضو الألم وعلى المرض قد يكون من الأفعال الخاصة به، وذلك أن الدماغ إذا أصابته مثل هذه الآفة تبعها اختلاط ذهن ملازم.

وإنما قلنا، «ملازم»، فرقا بينه وبين الاختلاط الذي يكون بمشاركة عضو آخر، كالذي يعرض عن ورم الحجاب.

فأما كيف يستدل من هذه الأعراض الداخلة على الأفعال على نوع المرض الفاعل لذلك فإن الذي يكون منها صفراويا يعرض لصاحبه خيالات رديئة، ويخيل إليه كأن زئبرا على ثيابه فهو يلتقطه، ويصيبهم سهر، وإذا انتبهوا، انتبهوا مذعورين.

وأما الذي يكون عن الدم فإن السهر فيهم يكون أقل، ويعرض لهم ضحك وانبساط، كما أن الذي يكون عن الصفراء يكون مع غضب وسوء خلق.

وأما الذي يكون عن السوداء فإن فساد الذهن فيه يكون مع جزع شديد وخوف وبكاء.

وأما الذي يكون عن البلغم فإنه يكون عنه تعطل في القوى النفسانية لا تزيُّدٌ منكر.

١٧٢ - وأما العلامات الخاصة بغلبة خلط خلط من هذه الأخلاط على الأورام الحادثة في الدماغ فهي علامات غلبة الأخلاط، مثل حمرة الوجه والعينين وحرارة

ملمسهما، وعظم النبض الدال على غلبة الدم، لا سيما إذا انضاف إلى هذا التدبير الملائم والسن والمزاج والوقت.

وليس ينبغي أن نطالب بتكرير الشيء الواحد مرارا كثيرة، بل أن تكون أنت ذاكرا له مما قيل.

١٧٣ - وأما النبض الدال على هذه الأورام فيخصه، من حيث هو في عضو غشائي ومن حيث إن حدوثه إنما يكون أولا والقوة قوية، اختلاف منقطع وارتعاد للمجاهدة التي بين القوة وبين صلابة الشريان.

وأظهر ما يكون هذا العرض في الأورام الحارة.

وأما الأورام البلغمية والسوداوية فتكون فيها هذه الأعراض أقل، وبخاصة في البلغمية، حتى يكاد يقاوم اللين الذي في النبض، لمكان رطوبة الخلط، الحركة المنشارية التي فيه لمكان العضو.

والأغشية التي ترم (من الورم) في الدماغ هي إما الغشاء الرقيق الذي في أم الدماغ، وإما الغشاء الذي تحت القحف، وقد يرم الدماغ نفسه.

والخطر في هذا يكون أشد والأعراض أقوى وأخطر، وذلك أنه يتبع هذه الأورام الاسترخاء، وربما تبع ذلك الاختناق لتعطل حركة الصدر.

قالوا وقد ترم الشبكة المعروفة بالشبكة العجيبة.

ويتبع ذلك أن يكون الوجع الذي يخص هذا الموضع ضربانيا بكثرة الشرايين.

قالوا ومن العلامات الخاصة بذلك شدة حمرة بياض العين وغلظ أجفانها وثقل حركتها.

والحمى كما قلنا شيء لازم لجميع هذه الأورام إلا أنها في الحارة حادة وفي الباردة لينة هادئة.

فهذه هي الأمراض التي يحتاج أن يستدل عليها أكثر ذلك من أمراض الدماغ.

١٧٤- وأما السدر والسكتة والصرع وغير ذلك من أمراض العصب فكلها ظاهرة للحس. والقول في أسبابها قد قيل في كتاب المرض.

والذي بقي من أمرها هو أن يقال في العلامات التي تخص سببا سببا من أسباب العلة.

وذلك فيما يلفى منها عن أكثر من سبب واحد، وفيما كان منها يوجد للعضو وجودا أوليا، وما كان منها يوجد باشتراك عضو آخر.

مثال ذلك الصرع: فإنه قد تبين في كتاب المرض أن الخلط الفاعل له قد يكون بلغميا وقد يكون سوداويا؛ وهل يكون دمويا مائيا أو ريحيا؟ فيه بين الأطباء خلاف، وإنه قد يكون حدوثه في الدماغ حدوثا أوليا، وقد يكون بمشاركة عضو آخر.

لكن الوقوف على هذه العلامات هي منطوية بالقوة القريبة فيما تقدم.

وذلك أن ما كان من هذه الأمراض يلفى عن أكثر من سبب واحد فالعلامات الدالة عليه هي العلامات الدالة على غلبة ذلك الخلط.

وكذلك ما كان يلفى منها بمشاركة عضو آخر فقد قيل في وجه الاستدلال عليه: وذلك أن يكون ذلك العضو يزيد اعتلاله باعتلال المشارك له وينقص بنقصانه. وأن يكون مع هذا الألم في العضو غير ملازم.

فإن جميع هذه الأعراض تدل على أن حدوث المرض بالعضو ليس حدوثا أوليا.

١٧٥ - ويفرق بين أسباب الأمراض التي تكون عن سوء مزاج مادي وعن غير مادي: أن المادي تظهر فيه علامات غلبة الخلط الفاعل له، وأما غير المادي فإن كان يسيرا فإن الفاعل له تكون الأشياء التي من خارج ويكون لبثه يسيرا، مثل الصداع العارض عن حرارة الشمس، والذرب الحادث عن ملاقاة أعضاء الغذاء الهواء البارد وأما ما كان حدوثه ثانيا فإن الفاعل له في الأكثر هو المرض غير المادي، مثل حمى الدق والتشنج الحادث عن اليبس، ويخص هذا الصنف من المزاج أن حدوثه يكون قليلا قليلا.

٤٠ - في العين

١٧٦ - والعلل الحادثة في العين فأكثرها ظاهرة للحس، وسنستوفي ذكرها عن معالجة العين.

والذي ينبغي أن يستدل عليه من أمراضها هو ما يعتري العصب الواصل إليها بالروح النفساني الذي به يكون الإبصار، وما يعتري الروح نفسه.

والعصبة الواصلة إلى العين تنالها المضرة إما من سوء مزاج مادي مع ورم، وإما من سدة، أو من سوء مزاج من غير ورم ولا سدة.

وعلامة الورم فيها معلومة وهي الضربان والحمرة والحرارة، والسدة علامتها الثقل فقط. وأما سوء المزاج الحادث بها فعلامته علامة سوء المزاج المطلق.

ومن السدد العارضة في العين العلة المعروفة بنزول الماء، وهي سدة تحدث بين الطبقة القرنية والرطوبة الجليدية.

وأمر هذه السدة ظاهر للعين، وهي ذات ألوان: فمنه ما هو أبيض ومنه ما هو

أخضر ومنه ما هو أزرق.

ويتقدم هذه العلة حدوث خيالات تعرض في العينين، وإن كان قد تعرض هذه الخيالات عن مشاركة المعدة لما يرقى إلى الدماغ من الأبخرة التي فيها، وعن ألم الدماغ نفسه، مثل ما يعرض في أوائل تولد أمراض الدماغ من التقاط الزئبر الذي يراه العليل كأنه على ثيابه.

ويفرق بين ذلك بأن هذه الخيالات التي تكون عن فم المعدة تزيد وتنقص، وذلك بحسب جودة الهضم في المعدة ورداءته والذي يعرض في المعدة يكون في العينين على السواء، والذي يكون عن ابتداء نزول الماء يكون في العين الواحدة.

٤١ - في الأذن

١٧٧ - والأذن تعرض لها الأمراض عن صنفي سوء المزاج المادي وغير المادي، وتعرض لها السدد والأورام، وبالجملة الأمراض التي تعم سائر الأعضاء من الأوجاع والقروح وغير ذلك.

وعلامات تلك هي علامات تلك الأمراض بأعيانها، فالورم الحار فيها يحدث عنه وجع ناخس، إذ كان في عضو عصبي، ونبض منشاري. وعلامة غلبة الخلط الفاعل للورم فيها هي بعينها علامة غلبة الأخلاط، إلا أن أكثر الأخلاط التي تفعل فيها الأورام هي أخلاط رقيقة لصلابة جوهرها وكثافته. قالوا وربما تبع الأورام الحادثة حمى ملازمة، ولا سيما إذا كان الورم في أصل الصماخ.

ومن أمراضها الخاصة بها حدوث الدوي والطنين فيها، وهذا إنما يكون لريح هنالك متموجة.

قالوا: وربما كان ذلك لفرط ذكاء الحاسة.

وعلامة ذلك أن لا يكون هنالك دليل من دلائل غلبة الأخلاط.

٤٢ - في الأنف

١٧٨ - والأنف تصيبه السدة والورم وسوء المزاج.

ومن الأورام الخاصة به: الورم المشتق اسمه من اسم الحيوان الكثير الأرجل، ولن تخفى عليك علامات هذه الأمراض مما سلف.

٤٣ - في الفم

١٧٩ - وأما أمراض الفم فكلها ظاهرة للحس مثل القلاع والورم والتآكل وغير ذلك.

٤٤ - في الحلق

١٨٠ - والحلق تحدث فيه الأورام المسماة ذبحة، ويستدل عليها بالوجع الحادث هنالك مع عسر الابتلاع، وإن زاد تبع ذلك عسر التنفس، حتى إنه ربما أطفئ.

ويستدل على السبب الفاعل من العلامات الدالة على غلبة ذلك الخلط على الموضع. والنبض يكون في هذا الورم موجيا، لأنه في عضو عضلي.

وهذا الورم يختلف بالعظم والصغر. وبذلك يكون اختلافه في الخطر، ولا خطر. ومن العلامات المحمودة فيه أن يكون في ظاهر الحلق منه ولو أثر، مثل انتفاخ أو توجع الظاهر منه عند الحس.

وأنواع الذبح على ما يقوله جالينوس خمسة:

أحدها: التي تكون في الحلق أعني تجويف الفم الذي ينتهي عند طرف الحنجرة.

والثاني: عندما لا ترى شيئا لا في الحلق ولا في الحنجرة ولا فيما [كان] خارجا ويجد المريض حس الاختناق.

والثالث: إذا كان الخارج من الحلق وارما.

والرابع: إذا ظهر أن الخارج والداخل وارم.

والخامس: الذي يكون من زوال خرز العنق إلى داخل.

٤٥ - في الرئة

١٨١ - والرئة أيضا تصيبها أمراض عامة وخاصة، فالعامة كالورم والقروح وتفرق الاتصال، والخاصة كالسعال والبهر.

ويستدل على الورم الحادث فيها بعسر التنفس الشديد والحمى المطبقة لقرب هذا العضو من القلب وثقل الصدر وعلامات غلبة الدم، لأن الورم الحادث في هذا العضو إنما هو أكثر ذلك دموي، لأنه لرخاوة جوهره لا تثبت فيه الصفراء، ولملائمة الرطوبات البلغمية له لا يكاد أيضا أن يحدث فيها ورم بلغمي.

وأما الوجع فليس له دلالة على تورم هذا العضو، إذا كان عديم الحس.

والنبض فيه يكون ضرورة نبض الأورام الحارة، إلا أن الموجية فيه ظاهرة لرخاوة هذا العضو.

وأما تفرق الاتصال الحادث فيها فعلامته دم أحمر شرياني يخرج دفعة منه مقدار كثير مع سعال.

وذلك لسبب من الأسباب التي من خارج، من نزلة تحدث أو ضربة على الصدر.

والنفث أيضا علامة على ورم الرئة، أعني النفث الذي يكون بالسعال، وذلك إذا انضاف إلى العلامات المتقدمة لأنه قد يكون عن الأورام الحادثة في الغشاء المستبطن للأضلاع.

ومن العلامات المحمودة في هذه العلة، أعني في ورم الرئة، النفث الأبيض المستوي، الخارج بسهولة.

كما أن العلامات من الرديئة النفث الظاهر عليه غلبة لون خلط من الأخلاط، وبخاصة الأسود، ودون ذلك الأصفر ثم الأحمر، والنفث المستدير الذي يقول أبقراط: إنه علامة رديئة في أمراض الرئة لأنه يدل على فناء الرطوبة الطبيعية.

وأما السعال فإنما يستدل منه على السبب الفاعل له. ولن يخفى عليك بما قد عرفت من أسباب السعال.

٤٦ - في الصدر

١٨٢ - وأشهر الأمراض التي تعتري الصدر هي الأورام والسدد.

والأورام تكون فيه في الغشاء المستبطن له وهي المسماة شوصا.

والعلامات الخاصة بهذه الأورام وجع ناخس ممتد، وحمى حادة، ونفث وسعال ونبض منشاري، وقد يكون في العضل الذي تحت الغشاء.

وهذه الأورام تسمى بذات الجنب، وعلاماتها علامات الشوص، أعني من الوجع والنفث والحمى، إلا أن الأعراض فيها أضعف والخطر أقل، والوجع ليس بنخاس إذ كان في عضو غير غشائي، والنبض ليس تكون فيه منشارية بينة.

وقد تعتري الأورام الغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين، وأعراضه هي أعراض أورام الغشاء المستبطن للأضلاع، سوى أن الوجع فيه يكون في اللبة وقد يرم الحجاب الفاصل نفسه.

واختلاط الذهن يتبع كثيرا أورام الحجاب والأغشية.

٤٧ - في المعدة

١٨٣ - والمعدة تعتريها أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي، وتعتريها الأورام والقروح.

أما أصناف سوء المزاج غير المادي فمتى كان يسيرا فسببه هي الأشياء التي من

خارج، وهي يستدل بها عليها، مثل لقاء الهواء البارد والأغذية الباردة.

وأما ما كان منها متمكنا فإن الاستدلال عليه يكون على الحار اليابس أو البارد اليابس بظهور أعراض الهرم عليها والذبول.

وهذا النوع من المزاج إما سوء مزاج حار يابس، وهذا يفضي بصاحبه إلى حمى الدق، وإما بارد يابس وهذا يفضي بصاحبه إلى الدق المسمى شيخوخة.

وعلامة هذين المرضين هي أن تظهر في هذا العضو العلامات التي تظهر في هذين المرضين بإطلاق، مثل أن يرق جرمها ويهلس.

وإذا رقد العليل على ظهره بدت كأنها حفرة، وتكون جاسية الجلد، ويخرج الثفل غير منهضم. وبالجملة فتضعف جملة قواها.

وأما سوء المزاج المادي في المعدة فربما كان عن مادة مصبوبة في تجويفها، وربما كان عن مادة متشربة في جوهرها، وربما تركب الأمران جميعا.

وذلك لهما: إما من خلط واحد وإما من أكثر من خلط واحد، مثل أن يكون متشربا في جرمها خلط صفراوي ومصبوب فيها خلط بلغمي.

والخلط البلغمي إذا كان في المعدة تبعه ضرورة جشاء حامض، كما أن الخلط الصفراوي إذا كان في المعدة تبعه جشاء دخاني.

ويفرق بين الخلط المتشرب في جرم المعدة وبين المصبوب، أن المصبوب يخرج بالبراز والقيء، والمتشرب ليس يخرج.

ويكون معه تهوع دون قيء. ويخص الصفراوي اختلاج الشفة، وكذلك السوداوي.

ومن علامات غلبة الخلط السوداوي على المعدة فساد الرؤيا، وخيالات في البصر، وحمضة خلية سالخة للحلق ويفرق بين سوء المزاج المادي منها وغير المادي بالأخلاط الخارجة، إما على جهة القيء وإما على جهة التبرز والبول الثخين دليل على أن سوء المزاج الذي في المعدة مادي.

١٨٤ - والمعدة تصيبها الأورام: وذلك إما في أسفلها وإما في أعلاها.

والأورام التي تصيبها ربما كانت حارة، وربما كانت باردة، وربما كانت من جنس الدبيلات، وربما كانت من جنس الثآليل وربما كانت ريحية.

وكل ورم يحدث في المعدة مما شأنه أن يقيح فإنه تتبعه الحمى ضرورة والوجع الناخس، وبخاصة إذا كان في أعلاها: فإن هذا الجزء عصبي منها أكثر ذلك، وهو شريف

لمشاركة الدماغ والقلب.

ولذلك ما تكون الأعراض الحادثة عن أورام فم المعدة أشد خطرا من الأعراض الحادثة عن أورام قعرها.

فإن الخفقان والغشي واختلاط الذهن كثيرا ما يتبع أورام فم المعدة.

وأما الأورام الباردة فإن الوجع فيها يكون أفتر والحمى ألين. وأما الثآليل الحادثة فيها والدبيلات فقلما يتبعها وجع ولا حمى. وإن تبعت، فحمى تشبه الدق أو حميات مختلطة.

والدليل الخاص بهذه الأورام: الجشاء الذي يكون في المعدة مع ضعف أفعالها، مثل أن يخرج الغذاء غير منهضم إلى غير ذلك من الأعراض.

وبالجملة فالعلامات الدالة على غلبة الأخلاط أيضا كثيرا ما يوقف منها على الخلط الفاعل للورم، وكذلك أيضا المزاج والسن والتدبير وغير ذلك من الأمور التي عددت فيما سلف.

١٨٥ - وأما القروح الحادثة فيها فيستدل عليها بالحرقة التي تصيبها عن أدنى شيء لذاع يمر بها، وأيضا فإنه يكاد لا يكون في المعدة قروح إلا وهي في الحلق والفم.

٤٨ - في الكبد

١٨٦ - والكبد تعتريها الأورام والسدد وجميع أصناف سوء المزاج، وعلامة الورم فيها الحمى والسعال والوجع الثقيل وانجذاب الترقوة، وبخاصة إذا كان الورم في محدب الكبد.

وكثيرا ما تختلط أعراض ورم الأضلاع بأعراض ورم الكبد.

وذلك أن من أوجاع أورام الكبد ما ينتهي إلى أسفل ضلوع الخلف، حيث تنتهي أوجاع الأورام الحادثة في الغشاء المستبطن للأضلاع، فلا يكون للموضع هنا دلالة خاصة، وأيضا فإن الترقوة تجذب الغشاء الوارم لها.

والسعال في كليهما موجود، إلا أن النفث لا يكون في ورم الكبد، وقد يكون في ورم الغشاء، لكن إذا بدأ الورم يقيح.

فلذلك ليس في النفث في أول الأمر دلالة كافية، وإنما يفرق بينهما بنفس الوجع، فإنه يكون في الشوص ناخسا ممتدا، ويكون في الكبد ثقيلا.

وبالنبض أيضا تقع التفرقة بينهما: فإنه في الشوص يكون مشاريا، وفي الكبد يكون موجباً.

قالوا: وربما أحس موضع الورم إذا استلقى العليل حارا، وذلك في أورام الكبد.

قالوا: وربما كان الورم في عضل الكبد ويفرق بينهما بالشكل، وذلك أن ورم الكبد شكله شكل هلالي، وورم العضل يكون شكله مستطيلا أو مربعا، ويكون أحد طرفيه أغلظ والآخر أرق.

٤٩ - في الطحال

١٨٧ - والطحال تعرض له أصناف سوء المزاج والورم والسدة والريح النافخة، وعلامة الورم الوجع الثقيل والحمى، والأعراض التي تظهر في البدن عن مرض هذا العضو.

وعلامة السدة الثقل فقط، مع أعراضه. وعلامة الريح الوجع الممدد، ويتبع كما قيل أورام الطحال وسدده هزال البدن. ولذلك قال أبقراط: إذا عظم الطحال هزل البدن وإذا هزل هو أخصب البدن.

٥٠ - في الكلى

١٨٨ - والكلى تصيبها جميع اصناف سوء المزاج أيضا، والأورام والقروح. ويخصها من الأمراض هي والمثانة تولد الحصى فيها والرمل.

ومن أحد أصناف سوء المزاج الذي يعتريها العلة المعروفة بالبركار، وهي علة يعرض فيها شدة العطش وكثرة الاختلاف للبول مع حمى.

وأما الأورام الحارة فيها فعلامتها الثقل المحسوس في الكليتين والوجع في القطن والحمى وعسر البول.

وإذا اضطجع العليل على الجانب الصحيح أحس بالكلية العليلة كأنها معلقة، وذلك في قرب منتهى الورم.

وكثيرا ما يحدث عن هذه الأورام بأخرة (ينتج عنها في النهاية) حميات مختلطة مضطربة.

وأما الأورام الباردة فإن أعراض الحمى فيها تكون أخف، وإنما تتبع الحميات الأورام في الأعضاء الرئيسية متى كانت تلك الأورام مما شأنه أن يتقيّح.

١٨٩ - وأما الحصى الحادثة في الكلى فعلامتها وجع مثقبي من أول نشئها إلى أن تدفعها الطبيعة، فإنهم زعموا أن هذه الحصى إنما تتولد في نفس جرم الكلية. ولذلك كثيرا ما يتبع خروج هذه الحصى انفجار الدم.

والأظهر أنها تتولد في تجويف الكلى، وموضع الوجع في هذه العلة مشترك لها ولوجع القولنج، وأيضا فإن المرضين يشتركان في كثير من أعراضهما، ولذلك تصعب

التفرقة بينهما، وذلك أن الغثيان والقيء يتبعان هذين المرضين كليهما، وسقوط الشهوة، وإنما تصعب التفرقة بينهما في أول المرض.

وذلك أن بأخرة يتميز القولنج باحتباس البطن وبخروج أخلاط بلغمية ورياح كثيرة، إذا أراد الإنسان التبرز، وأيضا فإن الحصى في الكلية تظهر معها رملية في البول. لكن الوجع في الحصى يرتفع إلى نواحي القطن ويلبث في مكان واحد. وليس كذلك وجع القولنج. وأيضا من العلامات القاطعة على ذلك الحقن، فإنه متى استعملت ووجد العليل بذلك خفا، ونزل بخلط بلغمي، كما عرض لجالينوس، فلا شك أن الوجع وجع قولنج.

وأما إذا ساءت حال العليل بالحقنة فلا يشك أن الوجع وجع الحصى. وإنما تسوء حال العليل بالحقنة لأن الحقنة تملأ المعى فتضغط الكلى فيشتد الوجع.

١٩٠- وأما العلامات الدالة على قروح الكلى فهي الوجع في القطن من غير ثقل ولا تمدد وخروج الدم والمدة وقشر القرحة في البول. وربما خرج شيء شبيه بفتات اللحم وذلك عندما يتآكل جرم الكليتين.

٥١ - في المثانة

١٩١ - والمثانة أمراضها المشهورة هي الحصى المتولدة فيها والورم والقرحة وتقطير البول وأسره وخروجه من غير إرادة.

فأما علامة الحصى فهي الوجع الحادث فيها، وحكة القضيب وتوتره أحيانا، واسترخاؤه أحيانا من غير سبب، وفجاجة البول ورقته وبياضه، والرمل الخارج مع البول، وعسر خروج البول، وأما أسر البول وامتناع خروجه فيكون إما من قبل العضو الباعث به إلى المثانة وهو الكلى، وإما من قبل السبيل الذي يجري فيها من الكلى إلى المثانة.

ولهذين عرض عام وهو أن البول يحتبس، والمثانة فارغة إذا غمز عليها. ويكون في الكليتين ضرورة وجع وثقل.

وكذلك إذا كان من قبل السبيل التي يصل منها البول إلى المثانة، وهو الحالب، أحس بالوجع في ذلك المكان.

وأما إن كان الأسر من قبل المثانة، أو من السبيل التي يصل منها البول إلى المثانة، فلكلا هذين أيضا عرض عام: وهو أن المثانة تكون مملوءة، ويخص الذي يكون من المثانة فقط أنك إذا غمزت على المثانة خرج البول. وأما الذي يكون من قبل انسداد المجرى النافذ في عنق المثانة فيستدل عليه بأن البول لا يخرج متى غمزت على المثانة.

وانسداد هذا المجرى يكون إما لحصاة أو لخلط غليظ أو لعلق الدم أو القيح، أو

بسبب برودة تغلب عليه وقبض، أو بسبب ورم أو ثؤلول.

ويستدل على الذي يكون من الحصى بدلائل الحصى، وعلى الذي يكون بعلق الدم بسيلان الدم قبل ذلك، وعلى الذي يكون بالقيح بخراج متقدم، وعلى الذي يكون من خلط غيظ أو ثؤلول بالتدبير المناسب لذلك.

وينبغي أن تعلم أن هذه الأسباب قد يجتمع منها أكثر من واحد وتتركب، وحينئذ يعسر تمييزها، لكن الطبيب يخمن ويحدس ويستعمل العلاج اللطيف بحسب ما يغلب عليه ظنه فإن نجح كان على ثقة مما ظن وإلا انتقل.

والقروح التي تكون في المثانة القشر الخارج عنها يكون شبيها بالنخالة والصفائح. وأما التي تكون في الكلى فإن القشور تكون شبيهة بفتات اللحم.

٥٢ - في المعى

١٩٢ - والمعى تعرض فيها من الأمراض: المرض المسمى قولنجا، والقرحة، والسحج، وخروج الدم، فأما خروج الدم من المعى فإنه يكون بعد السحج، وهذا الدم يخرج مختلطا مع الخراطة في أول الأمر، وربما خرج شيء من جرم المعى والعلامة الدالة عليه: الوجع الكائن مع استفراغ الأخلاط الفاعلة له وخروج الخراطة.

والقروح متى كانت في الأمعاء الغلاظ يدل عليها أن الإنسان يقوم للبراز في الوقت الذي يجد فيه اللذع، ويكون ما يخرج منه من القشور غير مخالط للبراز.

فإذا كان يجد الوجع ثم يقوم للبراز بعد حين فإن القرحة في المعى الدقاق، ويكون ما يخرج من القرحة حينئذ مخالطا للبراز لطول الطريق. والوجع إذا كان في المعى الدقاق أحس حول السرة، وإذا كان في المعى الغلاظ أحس تحتها.

١٩٣ - فأما القولنج فإن الذي يكون منه عن خلط بلغمي يستدل عليه بالوجع المثقبي، وبالجشاء الحامض، والقيء الذي يخرج معه البلغم، واستمساك البطن الشديد الذي لا يخرج معه الريح وبالجملة لما يستدل به على غلبة هذا الخلط على البدن، وأما ما كان منه عن ريح فيستدل عليه بالوجع الذي معه تمدد، ولا سيما ما كان من ذلك يفتل المعى وانتقاله، أعني الوجع، إلى نواحي المعى مع قرقرة تدل على الريح أيضا. وكذلك أن يكون البراز خفيفا شبيها بأخثاء البقر. وأما ما يكون حدوثه عن الورم فيستدل عليه بالوجع والحمى والعطش، وأعراض غلبة الخلط الفاعل للورم. والنوع من القولنج الشديد، المسمى عند القدماء إيلاوش ومعناه رب سلم، هو ما كان منه ذو أعراض صعبة حتى يبلغ بصاحبه أن يتقيأ الزبل. وهذا النوع من القولنج كثيرا ما يكون عن الورم في المعى

الدقاق.

وربما كان عن زبل متحجر فيها، وربما كان من خلط غليظ، وربما عرض من فتق يعرض للصفاق، فتخرج الأمعاء هنالك، وربما عرض من دواء قتال. وهو بالجملة كأنه خاص بالمعى الدقاق، وربما كان هذا الداء عن خدر القوة الدافعة.

وأكثر هذا سببه البرد. وهذا الداء بالجملة يحدث إما عن خدر القوة الدافعة، وإما عن سدة، وإما عن انقطاع الخلط الصفراوي الذي ينصب إليها، الذي يعين على خروج الثفل عنها بالجلاء.

والسدة تحدث عن الأخلاط والأورام وما يشبهها، والأشياء المفسدة لوضعها، مثل الريح التي تفتلها والفتوق.

٥٣ - في الرحم

١٩٤ - والرحم تصيبها الأمراض المشتركة من أصناف سوء المزاج، ولن يخفى عليك. مما سلف تعرف ذلك. وتصيبها الأورام، وعلامة ذلك الوجع الناخس والنبض المنشاري لكونها عضوا عصبيا، والحمى لكونها عضوا رئيسا، ومما يخصها من الأمراض العلة المعروفة بالرحى.

وهذه العلة تصعب التفرقة بينها وبين الحمل في أول الأمر إذْ كان يشملهما من الأعراض استمساك الطمث وانتفاخ البطن.

والعلامة القاطعة في ذلك أن يمر للمرأة زمان في مثله يتحرك الجنين فلا تحس في بطنها حركة، وربما احست حركة، فيظن بها أنها حامل. وإنما هي حركة الريح المتولدة هنالك.

وربما بقي بها ذلك سنين إلى أن تلد بضعة، أو ينفصل عنها ريح. وربما أقامت بها إلى الموت، ومن العلل الخاصة بالرحم العلة التي تعرف باختناق الرحم، وذلك أنه يعتري في النساء، من فساد الطمث الذي يكون في الرحم، شيء شبيه بالغشي ينقطع به التنفس ويبطل الحس والحركة، ولا يحس لها إلا نبض ضعيف، والرحم كثيرا ما تصيبها الصلابة.

وذلك إما لأورام جاسية حادثة بها من أول الأمر، وإما عقب أورام حارة.

ومن هذا الجنس هي العلة التي تعرف بانقباب فم الرحم: أعني أنه بقية ورم يصلب به فم الرحم.

فأما أصناف سوء المزاج الحادث بالرحم فيستدل عليها إذا كانت مادية بما يسيل من الرحم.

وأما إذا كانت غير مادية فيستدل عليها بالجفوف الذي يكون فيها.

وبالجملة الدلائل التي تدل على المزاج العام، أحد ما يستدل به على مزاج الرحم. ومن هنا يمكن أن تقف على الأسباب الفاعلة للعقر فيه. وهنا انقضى القول في هذا الجزء من العلم بحسب غرضنا في الإيجاز والحمد لله رب العالمين.

الكتاب الخامس

الأدوية والأغذية

١ - تعريف الدواء والغذاء

١ - ينبغي أن نرسم أولا ما هو الدواء والغذاء؟ وكم أفعالهما؟ وكيف يفعلان، وبخاصة الأدوية، فإن لها أفعالا كثيرة: مثل الأفعال التي يسميها الأطباء قوى أول وثواني وثوالث وخواص.

ونرسم مع هذا طبائع الأدوية الفاعلة لفعل فعل من هذه الأفعال، ثم ننظر بعد ذلك في هذه الأفعال التي للأدوية، هل يمكن أن تدرك بالقول؟ أم سبيل إدراكها إنما هي التجربة ثم نوفي ههنا بالقول أسباب ما أدركته التجربة؟ أم فيها ما يجمع الأمرين جميعا؟ وذلك كله بعد أن يتسلم ما يجب تسلمه من صاحب علم الطبائع. فإذا فرغنا من هذا ذكرنا من أشخاص الأدوية والأغذية ما كثرت تجربته في البلاد الطبيعية، وشهدت جماعة الأطباء له أو الأكثر.

ثم بعد ذلك نصير إلى قوانين التركيب، ونذكر من أشخاص المركبات أشهرها، ونعرف طبائعها بحسب ما تقتضيه تلك القوانين، وبتمام هذا يتم الغرض في هذا الجزء، فنقول:

٢ - إن الغذاء هو الذي من شأنه أن تصيره الطباع جزءا من المغتذي، وهو هو بالنوع الجزء المتحلل.

وأما الدواء فهو الذي من شأنه أن تصيره الطباع جزءا من المغتذي ليس هو هو بالنوع الجزء المتحلل بل ذو حالة وانفعال مغاير.

ولذلك متى كان ورود هذه الحالة على حالة مرضية مضادة لها سمي ذلك الفعل تداويا ومداواة.

وهذا هو معنى ما حدهما به جالينوس إذ قال: إن الغذاء هو ما فعل فيه البدن. والدواء ما فعل في البدن.

لكن متى لم يفهم منه هذا المعنى لم تفهم حقيقة الدواء والغذاء.

وقد ظن بعض أصحابنا أن ما قلناه في هذا الحد هو مخالف لقول جالينوس وجرى بيننا وبينه في ذلك أقاويل مكتوبة وهو أبو بكر بن طفيل رحمة الله عليه.

٣ - والأحوال التي تفعلها الأدوية في أبدان الناس منها أول وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها ثوان وهي مثل الإنضاج والتليين والتحليل والتفتيح وغير ذلك

من الأفعال التي سنعددها عند رسمنا طبائع الأدوية الفاعلة لذلك.

وإنما سميت ثواني لأنها تابعة لمقادير امتزاج القوى الأولى في الأدوية.

ومنها ثوالث وهي التي تختص بأعضاء ما. وينبغي أولا أن نقول كيف تفعل في الأبدان هذه الأفعال، وتنفعل عنها الأبدان هذه الانفعالات.

والوقوف على ذلك يكون بالوقوف على الجهة التي بها يغتذي المغتذي، فنقول:

٢ - معنى الاعتدال في الغذاء

٤ - إنه قد تبين في العلم الطبيعي أن الاغتذاء إنما يكون أولا للأعضاء المتشابهة الأجزاء.

وذلك بأن يستحيل أولا الغذاء على مراتبه في الجسم المغتذي إلى رطوبة شبيهة بالرطوبة المبثوثة في الأعضاء المتشابهة، فتختلط بها على جهة ما تختلط الأشياء الرطبة بعضها ببعض.

فإنه ليس ههنا وجه تخلف به الطباع بدل ما تحلل في جميع أقطار العضو غير هذا الوجه، أعني الاختلاط.

فإذا اختلطت بتلك الرطوبات استنقعت بها وشبهتها بها الطباع، أعني أنها تجعلها قواما شبيها بقوام العضو.

٥ - وتبين هنالك (في العلم الطبيعي) أن هذا الفعل إنما يكون بالطبخ.

والطبخ بالحرارة التي في المغتذي، التي هي أحد أجزاء الحيوان المتشابهة، لا على أن الحرارة هي المحرك الأول في هذا الفعل، بل النفس الغاذية: فإن أفعال الحرارة ليست محدودة ولا مرتبة نحو غاية.

٦ - وإذا كان هذا كله كما وضع وكما وصفنا، فقد ظهر من قرب كيف نقول في الغذاء إنه معتدل، وفي الدواء أيضا.

وكيف نقول في كل واحد منهما إنهما خارجان عن الاعتدال، وإن كان الاعتدال أولى أن ينسب إلى الغذاء، كما أن الخروج عن الاعتدال أولى أن ينسب إلى الدواء.

وذلك أن الغذاء الذي في قوته واستعداده أن يستحيل عن الطباع (أن يتحول) إلى رطوبة شبيهة بالرطوبة الأصلية التي في الأعضاء المتشابهة الأجزاء وإلى حرارة غريزية شبيهة بالحرارة التي في المغتذي حتى تكون هي هي من جميع الوجوه وذلك في المعتدل المزاج أو في القريب من المعتدل - قيل في ذلك الغذاء إنه معتدل، كالحال في لباب خبز البر المحكم الصنعة، ولحوم الدجاج الفتايا.

فكأن مثل هذه الأغذية إنما تفيد الجسم كمية أخرى هي هي بعينها الأجزاء التي تحللت.

٧ - وأما الاعتدال في الدواء فهو قريب من هذا المعنى، لكن يخالفه في أنه ليس فيه قوة في أن يخلف أجزاء مساوية في الكمية لما تحلل من بدن المغتذي.

ولذلك ليس يمكن أحدا أن يغتذي بالدواء المعتدل، أعني أن يستعمل منه مقدار ما يستعمل من الغذاء، بل معنى قولنا في الدواء إنه معتدل أي إذا تناول الحيوان منه مقدارا غير محسوس بالإضافة إلى كمية الأجزاء المتحللة من جسمه لم يحدث هنالك حالة غريبة في البدن.

وأما لو تناول الإنسان من الدواء مقدار ما يتناول من الغذاء لأحدث في جسمه حالة غريبة ضرورة.

على أنه يعسر وجود دواء معتدل في جميع الأفعال.

وعلى هذا المعنى ينبغي أن يفهم أن قولنا في الدواء إنه حار أو بارد أو رطب أو يابس، وقولنا ذلك في الغذاء، إنه باشتراك الاسم: فإنه ليس قولنا في الخمر إنها حارة في الدرجة الثانية، وقولنا ذلك في الزعفران مثلا بمعنى واحد.

٣ - الخروج عن الاعتدال في الغذاء والدواء

٨ - وإذ قد تبين ما هو الغذاء المعتدل والدواء المعتدل، وكيف فعلهما في الأبدان، فقد نقدر أن نقف من ذلك على الجهة التي ينسب إليهما الخروج عن الاعتدال.

وذلك في الكيفيات الأول: أعني كيف يسخن الدواء ويبرد ويرطب وييبس: وذلك أن الدواء الذي من شأنه أن يستحيل الى كيلوس أحر من الكيلوس المعتدل أو إلى حرارة أشد من الحرارة التي هي جزء من المعتدل، أعني الى جزء حار، يحر المعدة أكثر مما ينبغي.

والدم الذي يتولد من مثل هذا الكيلوس يكون أحر مما ينبغي.

والحرارة الغريزية التي مادتها الدم، تكون ضرورة أحر مما ينبغي، والرطوبة الأصلية التي يستحيل إليها الدم في الأعضاء الأصلية، تكون أحر مما ينبغي. فتستحر بذلك، ضرورة، جميع أعضاء البدن.

٩ - وأما الدواء البارد فإنما يبرد بأنه يستحيل في مواضع الهضم إلى حرارة أنقص من حرارة البدن، حتى يكون الكيلوس المتولد عنه في المعدة أبرد مما ينبغي.

وكذلك الدم والحار الغريزي والرطوبة التي في الأعضاء، حتى الأعضاء أنفسها. وهكذا

أيضا ينبغي أن تفهم الأمر في الرطب واليابس في جميع أجزاء الجسم.

١٠ - والأطباء لما لحظوا أفعال الأدوية في الأبدان قرب عليهم إعطاء السبب في كيف تسخن البدن، وعسر عليهم القول في وجه تبريده، حتى نسمع جالينوس يقول: إن ذلك يكون بتقسم الدواء إلى أجزاء صغار فقط.

ولو كان الدواء البارد ليس يحتاج في تبريده إلى أكثر من أن ينقسم فقط لكان باردا بالفعل.

وإنما هذا شيء يشمل الدواء الحار كما يشمل البارد: وذلك أن الأشياء التي من شأنها أن تستحيل، إذا انقسمت إلى أجزاء صغار، كانت أسرع لقبول الاستحالة والغذاء.

وإن كان مستحيلا عن البدن[1] فليس ينكر أن يكون البدن، مع أنه يحيله (يحوله)، يستحيل عنه أيضا.

وإذا كان هذا موجودا في الغذاء فكم بالحري أن يكون موجودا في الدواء؟!

ولذلك يقال: إن الشجرة المصرية كانت قاتلة، فلما نقلت من أرض مصر صارت غاذية.

وحكى أرسطو أنه يوجد في بلاد الروم نهران، إذا شربت الغنم من أحدهما ولدت خرفانا سودا وإذا شربت من النهر الآخر ولدت خرفانا بيضا.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الغذاء، كما تبين في العلم الطبيعي، هو من جهة ضد ومن جهة شبيه، فهو يفعل من جهة الضدية وينفعل من جهة الشبه.

١١ - فهذه هي حال الأدوية التي جرت العادة أن تسمى حارة بالقوة وباردة بالقوة أي بالاستعداد الذي فيها، كما يقال في شجر الصنوبر إنها حارة بالقوة لأنه يشبه أن لا يكون في شيء من المركبات حرارة بالفعل، أعني محسوسة لنا، ما عدا الحيوان، وذلك لكماله، فأما سائر الموجودات فهي تحتاج إلى الحرارة من خارج أكثر ذلك.

ولذلك ليس توجد الأسطقسات فيها على تعادل كوجودها في الحيوان.

فأما الأشياء البسائط التي ليس من شأنها أن تغذو، أعني الأسطقسات الأربعة، فإنما تفيد الأبدان إذا لقيتها من خارج أو من داخل كيفية فقط.

ولذلك كانت هذه، إذا لقيت الأبدان، محركة محضة لا متحركة، إذا كانت الكيفيات التي تفعل بها في الأبدان موجودة بالفعل، كالحرارة في النار والبرودة في الثلج.

---

(١) أي: أصله منه.

ولا أن تكون في جنس ما يتحرك عن الأبدان.

وهذا هو المتحرك الذي يحرك بالقوة، لأن الذي بالقوة هو منفعل لا فاعل. وإنما يخرج إلى الفعل من قبل محرك هو بالفعل.

ولما أراد الأطباء أن يخمنوا مقادير الاستعدادات التي في الأدوية، لما اضطروا إليه من ذلك في المعالجة، جعلوها درجات وذلك بالإضافة إلى البدن المعتدل، واقتصروا على أربع مراتب فقط: حار في الأولى وفي الثانية وفي الثالثة وفي الرابعة.

وكذلك البارد واليابس والرطب، إلا أن الرطب فيما يظهر لا يتعدى الدرجة الثالثة. وأما ما تجاوز هذا الدرج فهي سموم تفسد الأبدان. فهذه هي حال الأفعال الأُوَل من أفعال الأدوية ووجوه فعلها.

وقد ينبغي أن نصير إلى القول في القوى الثواني والثوالث، ونرسم طبائع الأدوية الفاعلة لذلك ونقول مع هذا كيف تفعل هذه الأفعال، فنقول:

٤ - الأدوية وأنواع تأثيرها

١٢ - إن الأدوية من حيث هي مركبة من الأسطقسات، إما أن تنفعل عنها الأبدان انفعالات شبيهة بما فيها من القوى الأسطقسية، مثل أن تحدث فيها حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة شبيهة بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التي فيها، وإما أن تنفعل انفعالات ليست شبيهة بما فيها من القوى الأسطقسية، بل ذلك شيء تابع للقوى الأسطقسية من جهة الموضوع الذي تفعل فيه، مثل التصليب (من الصلابة) والتليين والتسديد والتجميد وغير ذلك.

والموضوع الذي تعرض فيه هذه الانفعالات إذا كان أي عضو اتفق سميت تلك الأفعال للأدوية ثوانيا.

وأما إذا كان الموضوع لها عضوا خاصًّا سميت أفعالا ثوالثا، مثل الأدوية التي تدر البول وتنقي الرئة.

فإذ قد تبين ما يعنون بالقوى الثواني والثوالث فقد يجب أن نرسم طبائع الأدوية الفاعلة للأفعال المشهورة من هذه الأفعال ونبتدئ أولا بالثواني، فنقول:

١٣ - إن هذه الأدوية منها المنضجة وهي المقيحة، ومنها الملينة ومنها المصلبة، ومنها المسددة ومنها المفتحة، ومنها المخلخلة ومنها المكثفة، ومنها الموسعة لأفواه العروق ومنها المضيقة القابضة، ومنها المسكنة للأوجاع ومنها المحرقة، ومنها المعفنة ومنها المذيبة للحم ومنها الداملة ومنها المنبتة للحم، ومنها الجاذبة ومنها المقوية ومنها

الصحية.

فهذه هي المشهورة من أفعال الأدوية التي جرت عادة الأطباء بتعديدها.

وينبغي أن تعلم أن الدواء الذي تسبته إلى فعل واحد من هذه الأفعال أن تلك النسبة له إنما هي بالإضافة إلى البدن المعتدل أو القريب من المعتدل.

والطبيب الناظر في هذه الصناعة إذا ورد عليه بدن غير معتدل يخمن في ذلك بمقدار ما يحتاج إليه من طبيعة الدواء الفاعل لذلك الفعل في ذلك البدن.

وللتجربة ههنا فعل كبير. مثال ذلك أنا متى علمنا أن الدواء المنضج هو الذي حرارته مساوية لحرارة بدن الإنسان، فينبغي أن نتأمل هذا المعنى في مزاج إنسان إنسان، ونتحرى له الدواء الذي يحدس أن هذه نسبته إليه.

وليس يجب أن نفعل هذا في المزاج بل وفي العضو، فإن المقيح في الفخذ غير المقيح في الأذن.

وهذه كلها ينبغي أن تكون من الطبيب بحذاء ذهنه، وللتجربة كما قلنا في التخمين على هذه الأشياء، والحدس، قوة عظيمة؛ ولذلك ما يعظم أبقراط أمر الكمية.

وإذ قد تبينت جهة المقايسة التي بين هذه الأفعال من أفعال الأدوية وبدن الإنسان، فقد ينبغي أن نشرع في رسم طبيعة دواء دواء من الأدوية الفاعلة لهذه الأفعال، فنقول:

٥ - المنضج وأنواعه

١٤ - إن النضج هو فعل الحرارة الغريزية على ما تبين في غير هذا الموضع، وذلك يكون بحسب مراتب الغذاء في الطبخ.

فنضج في المعدة ونضج في الكبد ونضج في الأعضاء أنفسها.

فإذا اتفق أن تنصب إلى عضو ما، أو تتولد فيه، مادة خارجة عن الطبع، إما في الكمية وإما في الكيفية أو في كليهما، وتعفنت تلك المادة، تولد ضرورة هنالك حرارة ممتزجة من الحرارة الغريزية والغريبة.

فإن كانت تلك المادة ملائمة للنضج تقيحت ونضجت. وذلك أن القيح الأبيض مادة متوسطة بين النضج التام وعدم النضج لحال بياضه.

وإنما تكون المواد أكثر ذلك ملائمة للنضج متى كان خروجها إنما هو في الكمية.

وأما متى كان خروجها مع هذا في الكيفية فيعسر نضجها. وبخاصة إذا كان خروجها إلى كيفيات رديئة، مثل الأخلاط المحترقة وما أشبهها.

١٥ - وإذا كان هذا كله كما وصفنا، وكانت الصناعة في مثل هذه الحال، فقد

ينبغي أن ترفد[١] الطبيعة لأن الحرارة الغريزية في العضو المنصب إليه المادة هي كالمغمورة، فمن الواجب أن تكون طبيعة الدواء المنضج طبيعة تفعل ذلك: أعني النضج. والذي بهذه الصفة هو الدواء الشبيه بالحرارة الغريزية.

وذلك أن يكون مزاجه معتدلا في الحرارة والرطوبة، أو يكون مائلا إلى الحرارة شيئا لمكان برد الحرارة الغريزية في العضو من قبل كثرة المادة فيه أو كيفيتها.

والأدوية التي بهذه الصفة إذا قيلت بالمقايسة إلى البدن المعتدل قيل: إنها معتدلة.

وإذا نسبت إلى الغالب من أجزاء الأسطقسات فيها قيل إنها حارة رطبة.

وهذه الأدوية هي بمنزلة الماء المعتدل الحرارة والزيت العذب، إذا نُطلت به الأورام، وبمنزلة الضماد المتخذ بالطبخ من دقيق الحنطة والماء والزيت.

وينبغي أن تعلم أن المقيح في مزاج غيره، مزاج آخر، وكذلك في عضو عضو.

ولذلك ما ينبغي أن يخمن الطبيب لهذه في نفسه درجات: مثال ذلك أن المقيح في الدرجة الأولى هو هذا الضماد الموصوف، وأكثر منه المتخذ بالخبز لموضع الملح.

وأكثر منه المتخذ بالخمير، أعني أن يتخذ بالماء والزيت على حسب الضماد المتخذ من الحنطة.

وقد يقال في الدواء المسدد: إنه منضج بالعرض مثل القيروطي المتخذ بدهن الورد. وذلك أن المسام إذا انسدت سخن العضو فكان عن ذلك نضج.

وقد يقال في الدواء: إنه منضج متى كان فعله في المادة فعلا يسهل به على الطبيعة إنضاجها، أو يكون إنضاجها بحال أفضل، مثل أن يعدل كيفية المادة أو يلطفها.

وبهذه الجهة يقال في كثير من الأدوية التي ترد داخل البدن: إنها منضجة.

وقد يمكن أن يجتمع في الدواء الواحد الإنضاج بجميع هذه الوجوه.

وذلك إما بالصناعة في الدواء المركب، وإما بالطبيعة في المفرد[٢].

وقد يقال المنضج على الدواء الذي يصلح من كيفية الحرارة الغريزية ما غيرته الحرارة الغريبة.

ومن هذا قولهم في البزرقطونا: إنها منضجة في الأورام الحارة.

وعلى هذا فيكون البارد أيضا منضجا في الأورام الحارة.

---

(١) أي: تُعان.

(٢) أي الدواء الطبيعي.

وأما الحد الأول الذي حده به جالينوس فإنه يصدق إذا كان عسر النضج من قبل ضعف الحرارة الغريزية في الكمية أو من قبل برد يسير.

٦ - في الأدوية الملينة

١٦ - والأدوية الملينة إنما يُعنَى بها في هذه الصناعة، في الأكثر، المحللة للأورام الصلبة المتحجرة العديمة الحس.

وهذه الأورام بالجملة إنما تتولد عن الأخلاط الغليظة، والتي بهذه الصفة هي ما غلب عليه إما مرة سوداء وإما بلغم غليظ أو ما تركب منهما.

ولما كانت هذه الأورام إنما تتعقد وتصلب بالبرودة وجب أن تكون التي تلينها حارة، لأن ما عقدته البرودة فالحرارة تلينه أو تذوبه، إن كان مما شأنه أن يذوب، وذلك مثل العظام والحديد.

ولما كانت أيضا هذه الأورام عندما تلين تترطب فقد ينبغي أيضا أن تكون الأدوية المبرئة منها، مع أنها حارة، فيها يبوسة ما لمقاومة تلك الرطوبة.

والأدوية التي شهدت التجربة لها بهذا الفعل هي من الحرارة في نحو الدرجة الثانية أو في الثالثة، ومن اليبوسة في الأولى، وذلك مثل الأشق[1] والمقل[2] الأزرق والميعة[3]

(١) الأشق: أو الأشج وهما بمعنى واحد، وهو معرب من الفارسية وهو صمغ شجرة الكلخ، وقيل هو صمغ الطرنون، ويسمى علك الكلخ ولزاق الذهب، ويعرف بالمغرب بالفاسوح، وهو صمغ أمونياكي، وهو ينقي القروح التي تكون الحجاب شربًا بماء الشعير، ويقتل الديدان وحب القرع ويدر البول شديدًا، وهو من الأدوية المسمنة، وينفع من أوجاع المفاصل شربًا بالعسل، وبدله وسخ كور النحل، وجندبادستر أو وجّ وشربته الى درهم.

(٢) المقل: ثمر شجرة الدوم، وهو نوعان أزرق حار يابس، والآخر أسود، وهو للرطوبة أميل بارد يابس وهو يفتت الحصى من الكلى والمثانة ويسهل البلغم والسودا شربًا ، وشربته مبردًا درهمان بماء العسل، ومع الأدوية نصف مثقال ويصلح الأدوية المسحجة من الأذى في المستسهلات ويضر الكبد، ويصلحه الزعفران ويضر بالرئة وتصلحه الكثيرا. مدر للبول والمني والطمث واللبن مسمن بدله كندر قال داود: وشربته درهم وبدله ثلث وزنه مر، وربعه صبر.

(٣) ميعة: قشر شجرة كالتفاح لها ثمرة أكبر من الجوزة بيضاء، وهذه هي الميعة اليابسة، أما السائلة فهي عصارة لب نواة هذه الشجرة وتسمى لبنى.

ومخ ساق الأيل[1] ومخ ساق العجل وشحم الماعز والبقر وشحم البط والدجاج.

وإنما كانت هذه الأدوية بهذا القدر من الحرارة واليبس، لأن الأدوية التي هي أشد حرارة ويبسا من هذه من شأنها أن تحلل بعنف، حتى يبقى من الخلط بقية متحجرة لا تجيب إلى التحلل.

وينبغي كما سلف أن تقيم في نفسك لهذه الأدوية مراتب.

مثال ذلك أن الشحوم أضعف من الأشق، والمقل وشحم الدجاج أضعف من شحم البط، وذلك أن هذا الفعل يختلف في مزاج وعضو عضو.

٧ - في الأدوية المصلبة

١٧ - وأما الأدوية المصلبة فإنه يلزم ضرورة أن تكون باردة، إذ كانت الصلابة إنما هي جمود، والجمود إنما يفعله البرد.

فأما اشتراط الرطوبة في هذه الأدوية - كما يقول جالينوس - فلا معنى له، لأن الرطوبة إنما شأنها أن ترطب فقط، لا أن تصلب.

ولو اشترط مع البرد اليبوسة لكان أجدر، لكون هذه الكيفيات أكثر ذلك هي منفعلة لا فاعلة، وإنما الكيفيتان الفاعلتان الحرارة والبرودة.

وإن كانت أفعالهما قد تختلف بمعاونة اليبوسة لهما أو الرطوبة.

وقد استقصى أفعال هذه الكيفيات وانفعالاتها في الرابعة من الآثار[2]. ولهذه الأدوية أيضا عرض.

ومثال هذه الأدوية على ما يقول جالينوس هي الطحلب وحي العالم، والبقلة الحمقاء، والبزرقطونا، وهذه وإن كانت مصلبة فبالبرودة لا بالرطوبة.

٨ - في الأدوية المغرّية والمسددة

١٨ - وهذه الأدوية هي التي تلحج في مسام البدن وثقبه، وطبيعة ما هذا شأنه يلزم ضرورة أن تكون أرضية من غير لذع، لأن اللذع مما ينفذ به الدواء في المجاري بسرعة، أو تكون لزجة وذلك مثل الصموغ. وأما الأرضي غير اللزج فمثل النشا. لكن

---

(١) مخ العظام: حار رطب وأنفعها مخ الإبل، ثم العجل والثور والضأن ثم المعز يحلل الجراح ويلين الصلابات والسحج في العضلات والوترات والركبات، وإذا حملته المرأة في قبلها نفع من علل الرحم، وإذا تلطخ به هرب منه الهوام يبدل بعضه من بعض.

(٢) أي كتاب الآثار العلوية لأرسطو.

كما قلنا هذه الأدوية ينبغي أن تكون أبعد شيء من اللذع.

ولذلك ليس يحتاج أن تكون في مزاجها إلا معتدلة أو مائلة إلى البرد قليلا.

فأما كيف تسدد البدن مثل هذه الأدوية إذا وردته من داخل، فقد يمكنك أن تفهمه مما سلف من القول في فعل الدواء.

وذلك أن التسديد والتلزيق[1] إنما تفعله في المعدة والأمعاء بالكيلوس المتولد فيها عنها، وكذلك في الكبد، وتفعله في العروق بالدم المتولد عنها.

وتفعله في الأعضاء أنفسها بالرطوبة المتولدة فيها عنها، والأدوية المسددة تختلف في فعلها باختلاف أمزجة الأعضاء، حتى أن التمر، فيما حكوا، مسدد للكبد ومفتح للسدد في الرئة.

٩ - في الأدوية الفتاحة والجلاءة

١٩ - وهذه الأدوية من جنس واحد، وإنما تختلف بالأقل والأكثر: فما كان من الأدوية إنما يجلو الوضر الذي على ظاهر البدن ويغسله من غير أن تكون فيه قوة على أن ينفذ في المسام ويفتحها قيل: إنه دواء جلاء بمنزلة ماء العسل وبزر البطيخ ودقيق الفول والشعير، وما كان من هذه الأدوية بالجزء الناري الذي فيه ينفذ في المسام فهي المسماة فتاحة، وهذه الأدوية منها ما يفعل في ظاهر البدن أكثر مما يفعل في باطنه. ومنها ما يفعل في باطن البدن أكثر مما يفعل في ظاهره، ومنها ما يفعل في الأمرين معا.

٢٠ - أما الأدوية التي تفعل في ظاهر الجسم هذا الفعل فهي الأدوية البورقية التي ليس في جوهرها غلظ، وذلك أنها للطافتها تنفذ في ظاهر الجسم.

وأما إذا وردت هذه الأدوية البدن فإنها للطافتها وسعة المسام التي في داخل البدن تنفذ فيها من غير أن تذهب بالأشياء اللاحجة التي فيها.

فإن اجتمع في الدواء مع التفتيح قبض وغلظ جوهر، فعلت في المسالك التي في باطن الجسم.

وذلك أن الأرضية التي فيها والغلظ تكون كالآلة للقوة الفتاحة التي فيها لتنقية تلك المسالك.

وكذلك القبض يثبت الأدوية التي في تلك المسام حتى تفعل فعلها.

ولن يخفى عليك كيف هذا الفعل للدواء في داخل البدن مما سلف.

---

(١) أي الملصق.

٢١ - وأما هذه الأدوية متى وضعت على ظاهر الجسم فلمكان القبض الذي فيها والأرضية، وضيق المقام التي في ظاهر الجسم ليس يكون لها فيه نفوذ، ولذلك صار الأفسنتين مفتحا لسدد الكبد غير مفتح لمسام الجسم من خارج، لمكان القبض الذي فيه.

والأدوية التي بهذه الصفة هي ضرورة مرة الطعم قابضة قبضا ما.

وأما الأدوية التي تفعل الأمرين جميع فهي المتوسطة بين طبيعة هذين.

وهذه هي الأدوية التي فيها مرارة مع بورقية ظاهرة من غير قبض مثل السوسن الأسمانجوني والشيح وغير ذلك.

٢٢ - وينبغي أن تعلم أن المفتح في عضو غير المفتح في عضو آخر، ولذلك قد ينبغي أن تُخطر ببالك لهذا الفعل درجا على ما ينبغي أن تفعله في سائر الأفعال التي للأدوية والقوى.

وأما الأدوية الملطفة فهي قريب من هذه، وهي التي من شأنها أن تفعل في الأخلاط الغليظة مزاجا حتى تجعل قوامها أرق. وهذا الفعل يلزم أن يكون فيه بحرارة تفيد الجسم لطافة ما. وهذه الأدوية هي مثل الزوفا والحاشا.

١٠ - في الأدوية المخلخلة

٢٣ - ولما كان التخلخل إنما هو زيادة في كمية العضو المتخلخل، والزيادة في الكمية إنما تكون باستحرار العضو، لزم ضرورة أن تكون الأدوية المخلخلة مسخنة لكن معتدلة في السخونة، لأن الأدوية الحارة الشديدة الحرارة تستفرغ وتيبس، ولا يكون أيضا مع هذا فيها غلظ جوهر، لأن الحرارة التي في مادة غليظة ناكئة وإن كانت يسيرة والأدوية التي بهذه الصفة هي البابونج(١) والخطمي(٢) والزيت العتيق.

١١ - في الأدوية المكثفة

٢٤ - وأما المكثفة فهي ضد المخلخلة، أعني أنها باردة. وذلك أن العضو إذا برد صغرت كميته لقربه بالبرد من طبيعة الأرض، كما أنه إذا سخن عظمت كميته لقربه من طبيعة الهواء، فإنه ليس تزيد الكمية يكون بشيء من خارج، ولا نقصانها يكون بتحلل

(١) بابونج: حشيشة مشهورة زكية الرائحة مختلفة الأنواع كثيرة المنافع منها أصفر الزهر ومنها أبيضه، ومنها فرفيري، قريبة من الورد في اللطافة، ينبت البابونج في أماكن خشنة.

(٢) الخطمي: نبات كبير الزهر جدًا أحمره وقد يكون أبيض الزهر وكلاهما ملين شديد التغرية للزوجته.

شيء منها. وهذا قد لاح في العلم الطبيعي.

٢٥ - والأدوية التي تفعل هذا الفعل هي بعينها المصلبة، لكن التكاثف إنما تفعله أولا، فإن طال لقاؤها للعضو صلبته، وربما أحدثت فيه موتا وذلك إذا طالت مجاورتها له وذلك في الغاية.

١٢ - في الموسعة لأفواه العروق

٢٦ - وأما الأدوية الموسعة لأفواه العروق فهي أدوية حارة المزاج جدا غليظة الجوهر. وهي من جنس الأدوية المفتحة، إلا أنها أقوى منها، فكأن هذه الأدوية في ثلاث مراتب: جلاء ومفتح وموسع لأفواه العروق، إلا أن حرارة هذه الأدوية، أعني المفتحة ليس ينبغي أن تكون محرقة، فإن الإحراق مكثف، وهذه الأدوية هي بمنزلة الثوم ومرارة الثور ودهن الأقحوان.

١٣ - في القابضة المضيقة لأفواه العروق

٢٧ - وهذه الأدوية هي أدوية في طبعها باردة أرضية شديدة اليبس، ولذلك كان طبعها قابضا، وذلك أن جمع أفواه العروق إنما يكون بالبارد الأرضي، لأن البارد غير الأرضي ضعيف الفعل، فهذا هو الفرق بين المكثف والقابض، أعني أن المكثف يكون في جوهر لطيف والقابض في جوهر غليظ، وأمثال هذه الأدوية هي العفص والجلنار والأقاقيا[1] وغير ذلك.

١٤ - في المسكنة للأوجاع

٢٨ - فنقول: إن الدواء المسكن للوجع يقال على جهات:

أحدها: الذي يرفع سبب الوجع.

والثاني: الذي يخدر الحس بمنزلة الأفيون.

والثالث: الذي يفعل في العضو الوجع فعلا مضادا للسبب الموجع، وهذا هو المسكن بالحقيقة: لأن الأول تدخل فيه أجناس كثيرة من الأدوية مثل الأدوية التي تسهل والأدوية التي تقطع الأخلاط وتنضجها.

---

(١) الأقاقيا: هو عصارة القرض حار يابس في الثانية وقيل: بارد يابس فيها وقيل: في الأولى، يحبس الإسهال والدم مطلقًا، بدله عود أو صندل أبيض.

والثاني ليس مسكنا إلا بنوع من العرض: وذلك أنه يحدث في العضو خدرا ما وعسر حس، ولذلك كان استعمال مثل هذا غير مأمون إلا في المواضع التي يضطر إليه كما سنبين في حيلة البرء.

وأما النوع الثالث فهي المسكنة بالحقيقة إذا كان ذلك أمرا يخصها: أعني أنها تفعل في العضو فعلا مضادا لفعل السبب الموجع، ولذلك ما يلزم ضرورة أن تكون هذه الأدوية إما معتدلة وإما في طبيعة الحار الغريزي وإما أحر بقليل، وذلك بحسب ما يبرد الحار الغريزي في ذلك العضو أو يتبدد من السبب الموجع.

وبذلك أمكن أن تسكن عن هذه الأدوية الأوجاع التي أسبابها أمور حارة أو باردة تسكينا واحدا، وذلك بزيادتها في الحرارة الغريزية التي هي آلة الطبيعة في الشفاء والبرء، فتستولي الطبيعة على ذلك السوء مزاج[1]، الفاعل للوجع فتكسر منه أو تسكنه وتذهبه.

وينبغي مع كون هذه الأدوية في هذه الدرجة أن تكون لطيفة غواصة سريعة الاستحالة إلى الحرارة الغريزية. وأيضا فإنها تعين على الإنضاج بالتلطيف.

٢٩ - ولذلك قد نرى في هذه الأدوية أنها تسكن الأوجاع بجهتين: أما الجهة الأولى فبانمائها الحار الغريزي، وأما الجهة الثانية فبإعدادها الخلط الفاعل للوجع إلى النضج، وسهولة الانفعال عن الطبيعة، ولذلك كان أبلغ الأشياء في هذه الأدوية الشحوم والأدهان، كشحم الدجاج، وأفضل منه شحم الإوز كما يقول جالينوس، وأما من الأدهان فدهن مخاح البيض. والزيت المسخن سخونة يسيرة، له في هذا فعل ليس بالدون.

وأما سائر الأدوية، مما فيها كيفية لذاعة وبخاصة قابضة، فهي أبعد شيء عن تسكين الأوجاع.

وكذلك الأدوية الباردة والمسددة أيضا تزيد في الأوجاع بمنعها ما يتحلل من العضو.

وأما المسخنة فتفارق هذه بأنها أغلظ جوهرا منها قليلا. وبذلك صار لها التفتيح للمسام مع تخلخل العضو. ولكن بالجملة طبيعتها قريبة من طبيعة هذه الأدوية.

١٥ - في المنبتة للحم

٣٠ - وهذه الأدوية ينبغي أن يكون فيها جلاء يسير وتجفيف.

أما الجلاء فللوضر الذي في القروح، وأما التجفيف فللرطوبة، فإن في هضم كل

(١) أي المزاج السيئ.

واحد من الأعضاء توجد هاتان الفضلتان، أعني الغليظة واللطيفة.

١٦ - في الداملة للقروح

٣١ - وأما الأدوية الداملة فهي أدوية تحتاج أن تكون أدوية قابضة مجففة باعتدال. وذلك أن الجسم الذي ينبغي أن تخلفه الطبيعة بعد نبات اللحم هو الجلد والجلد أيبس من اللحم.

فلذلك ما ينبغي أن تكون هذه قوية التجفيف بمنزلة العفص والجلنار.

١٧ - في المحرقة

٣٢ - وأما الأدوية المحرقة فهي في مزادها في غاية الحرارة، وهي مع هذا غليظة الجوهر. وذلك أنها كانت بهذه الصفة فعلت في الجسم ما تفعل الجمرة الملتهبة.

١٨ - في الأكالة للحم والمذيبة له

٣٣ - وهذه الأدوية مفنية للحم، إلا أنها ليس تفعل ذلك بظهور إحراق بَيِّنٍ فيه كما تفعل الأدوية المحرقة، وذلك لقلة حرارتها عن حرارة الأدوية المحرقة ولطافة جوهرها. والمذيبة للحم أضعف فعلا من المعفنة.

وإنما سميت معفنة لأن تآكل اللحم إنما يكون ضرورة عن حرارة غريبة. والحرارة الغريبة هي عفونية ما ضرورة.

والأدوية المعفنة هي بمنزلة الزرنيخ الأحمر والأصفر، والأدوية المذيبة للحم تستعمل في إذابة اللحم في القروح التي فيها لحم زائد، كما أن المعفنة تستعمل في الأواكل.

١٩ - في الجاذبة

٣٤ - والجذب قد يكون بالكيفية الأولى وقد يكون بخاصة، والفرق بينهما أن الجذب بالكيفية الأولى يكون لأي شيء اتفق.

وأما جذب الخاصة فإنه يكون لشيء بعينه مثل جذب حجر المغنطيس للحديد فقط.

والجذب بالجملة كيفما كان إنما يكون بالحرارة. وسنخلص بعد الأفعال التي تسمى خواص من غيرها من الأفعال.

والأدوية الجاذبة بالكيفية الأولى بما هي كيفية مطلقة، أعني الحرارة بما هي حرارة، صنفان: صنف يجذب بحرارة طبيعية بمنزلة المشكطرامشير ووسخ الكور وصنف يفعل

ذلك بحرارة عفونية بمنزلة الخمير وخرء الحمام.

٢٠ - في البازهرية والمخلصة

٣٥ - وأما الأدوية البازهرية والمخلصة فأكثرها إنما تفعل ذلك بجملة جوهرها. وتلك هي الخاصة، وقد تفعل ذلك أيضا بالكيفيات الأول التي فيها إذا كانت مضادة للكيفيات الحادثة عن السموم، فإن السموم أيضا تنقسم هذا الانقسام أعني أن فيها ما هي سموم بكيفياتها الأول، ومنها ما هي سموم بجملة جواهرها وسنفصل هذا فيما بعد.

وقد يقال أدوية مصحة وحافظة على الأدوية التي تمانع التعفين وذلك إما بتفتيحها السدد وإما بمضادتها للعفونة أو بكليهما.

وأما الأدوية المقوية للأعضاء فهي الأدوية الشبيه مزاجها بمزاج العضو في جملة جوهرها، ولذلك قيل: إن كل عضو فهو مقو عضوا مثله لكن الأدوية المقوية من جهة ما هي أدوية مقوية.

فقد ينبغي أن تكون حرارتها أشف من حرارة العضو بقليل.

وكذلك ينبغي أن تكون في اليبس، فإن الأعضاء إنما تسترخي وتضعف بالبرودة والرطوبة، وذلك في الأكثر، وبخاصة الأعضاء الفاعلة.

وبالجملة إنما يضعف فعل العضو في الأكثر من الجهة التي هو معد لأن يدخل عليه منها الفساد.

وتلك هي القوة الغالبة عليه من قوى الأسطقسات مثل الدماغ، فإنه لما كان الغالب عليه البرد والرطوبة كان الفساد داخلا عليه من قبل هاتين الكيفيتين أكثر، ولذلك ما ينبغي أن تكون طبيعة الدواء المقوي في عضو عضو مضادة للجهة التي منها يدخل الفساد على العضو في الأكثر، مثال ذلك أن الأدوية المقوية للكبد ينبغي أن يكون اليبس فيها ظاهرا، بخلاف الأدوية القلبية.

والمقوي قد يكون بجملة جوهره مثل الذهب للقلب والدر له، وقد يكون بالكيفيات الأول والثواني، مثل القبض الذي في الورد والمرارة.

والعطارة في الأدوية العطرية دليل على الأدوية المقوية للأعضاء الرئيسة، وخاصة لما شهدت بذلك التجربة، وبخاصة القلب، ولذلك كان المسك يفوق في تقوية القلب سائر الأدوية العطرية لكونه أكثرها عطارة.

٣٦- فهذا هو القول في طبائع الأدوية التي تصدر عنها هذه الأفعال الثواني، وقد ينبغي أن نقول في طبائع الأدوية التي لها أفعال ثوالث فنقول: إن هذه الأدوية منها المفتتة

للحصى، ومنها المولدة للبن ومنها المدرة للطمث، ومنها المدرة للبول، ومنها المولدة للمني، ومنها القاطعة للمني، ومنها المنقية للصدر.

٣٧ - فأما الأدوية المفتتة للحصى فهي في طبيعتها على ما زعم الأطباء حارة حرارة يسيرة. لأن الحرارة القوية شأنها التصليب والتحجير، وهذه هي حال الحرارة الغريبة العاقدة للحصى.

وقد ينبغي أن يشترط في كونها حارة حرارة يسيرة أن تكون رطبة بالإضافة إلى الحرارة العاقدة للحصى لطيفة، فإن ما عقدته الحرارة واليبس فإنما تحله البرودة والرطوبة.

أعني ههنا بالبرودة حرارة أنقص من الحرارة العاقلة وكذلك أعني بالرطوبة، وذلك أن هذه الأدوية إنما تفعل في الحصى فعلا هو فيها شبيه نضج ما، فتقسمها الحرارة الغريزية حينئذ وتدفعها.

ومثال هذه الأدوية هي الهليون والحمص واللوز، ولست أمنع أن يكون هذا الفعل لدواء بجملة جوهره.

٢١ - في المدرة للبول

٣٨ - وأما الأدوية المدرة للبول فينبغي أن تكون حارة لطيفة الجوهر، لأن الحرارة اللطيفة تعين القوة الجاذبة التي في الكليتين على جذب المائية، وتعين أيضا المميزة التي في الكبد على تمييز المائية.

قالوا: والأدوية التي فيها ذفر مما يلائم بجملة جوهرها هذه الأعضاء، أعني أعضاء البول. وذلك كالكرفس والرازيانج والدوقوا[1].

٢٢ - في المدرة للبن

٣٩ - وأما الأدوية التي تدر اللبن فهي ما كان منها يسخن الأخلاط البلغمية ويعين القوة الهاضمة في الأعضاء على إحالتها إلى الدم، وقد يدر اللبن الأغذية وهي أحق بهذا الفعل.

والأغذية التي من شأنها ذلك هي الأغذية التي تتولد عنها الكيموسات معتدلة حرارتها، ورطوبتها مساوية لحرارة الدم ورطوبته.

---

(١) دوقوا: هو بزر الجزر البري. ويعرفه العامة ببزر سفنارية الدواب وهو حار يابس بدله بزر الكرفس أو حبة الحلاوة.

٢٣ - في المدرة للطمث

٤٠ - وأما الأدوية المدرة للطمث مما يرد البدن فهي من جنس الأدوية المدرة للبن، إلا أنها تحتاج أن تكون أسخن منها لمكان تفتيح أفواه العروق وتلطيف الدم وتقطيعه. ولهذا متى كان هذا العرض يسيرا، أعني استمساك الطمث، كفت في ذلك الأدوية المدرة للبن.

وأما إذا انقطع انقطاعا بَيِّناً فليس يكفي في إدراره إلا أمثال الفوذنج والمشكطرامشير[١] والقسط والسليخة والزراوند[٢].

٢٤ - في المدرة للمني

٤١ - وأما الأدوية التي تدر المني فهي الحارة الرطبة النافخة، أعني التي تتولد منها في الشرايين نفاخات وروح كثير، وذلك بمنزلة الحمص والبصل وحب الصنوبر[٣] والسقنقور.

٢٥ - في المنقية للصدر

٤٢ - وأما الأدوية المنقية للصدر والرئة: المعينة على نفث ما فيها من المدة، فينبغي أن يكون فيها إنضاج ما وتقطيع لطيف ليس بحرارة قوية، لأن لا تصلب المادة.

وقد تكون الأدوية المعينة على النفث الأدوية التي فيها لزوجة وغلظ، وذلك عندما يكون عسر النفث لرقة المدة وتفرقها على الهواء الدافع لها في السعال إلى خارج.

والأدوية التي تنضج وتلطف هي مثل حب الصنوبر الطري والزبد مع السكر واللوز.

وينبغي أن تتذكر دائما ما لم أزل أذكره لك من أن هذه الأدوية تختلف أفعالها في

---

(١) مشكطرامشير: قضبان يشبه الشاهفرم لا طعم له ولا رائحة في أول الطعم ثم يعقب مرارة واحدة. وإذا رعته الغنم حلبت دمًا.

(٢) زراوند: هو برسطم ويسمى باليونانية أسطولوخيا وكان يعرف بالأندلس بسمقون، وهو نبات منه ذكر وهو طويل يطول فوق الذراع، ومنه أنثى وهو المدحرج عريض الأوراق له زهر أبيض.

(٣) حب الصنوبر: نوعان رقيق صغير وأسود مائل إلى الحمرة وهو الزفوق وكبير هو الذي يسمى عندنا فستق، وإن كان ليس بفستق لكن هكذا جرى العرف عندنا وكلاهما في جماجم صورة قلب الحيوان لكن الكبير عليه قشر داخل الجمجم، والحبة داخلها، والصغير قشره رقيق وكلاهما حار رطب، ويقال للصغير: قمل قريش.

الكثرة والقلة، وذلك بحسب مزاج مزاج، وعضو عضو. ولذلك ما ينبغي أن تكون في نفس الطبيب مدرجة.

والسبيل إلى الوقوف على ذلك يكون في الأكثر بالتجربة، فإنه ليس بممتنع أن توجد كثير من هذه الأفعال لأدوية ما بخواص فيها.

٤٣ - وإذ قلنا في قوى الأدوية الأول والثواني والثوالث، وقلنا كيف تفعل وما طبائعها فقد ينبغي أن نعطي الفرق بينها وبين الأدوية التي يقال فيها: إنها تفعل بخاصتها، وهي الأدوية التي يعني الأطباء بجملة الجوهر وكيف تفعل. فنقول:

٢٦ - الأدوية التي تفعل بخاصتها كالجذب والدفع

٤٤ - إن أفعال الدواء على ضربين: إما أفعال تنسب إلى القوى الأول من قوى الأسطقسات بما هي تلك القوى، مثل التسخين للحرارة والتبريد للبرودة.

فإن ذلك شيء ذاتي لهما وتابع لجوهرهما، وكذلك التقطيع والتلطيف وغير ذلك من الأفعال الثواني والثوالث ولهذا ما أمكن بالقول توفية أسباب هذه الأفعال.

٤٥ - وأما الضرب الآخر من أفعال الأدوية فلسنا نقدر أن ننسبها إلى قوة أولى من قوى الأسطقسات نسبة ذاتية، مثال ذلك جذب حجر المغنطيس للحديد.

فإن الجذب بما هو جذب وإن كان منسوبا إلى الحرارة، فإنه ليس بما هو جذب مطلق عرض له أن جذب الحديد، بل بما هو جاذب [شيء] ما، وهي النسبة والموافقة التي بينه وبين حجر المغنطيس.

وهذه النسبة والموافقة إنما تحدث عن مقادير اختلاط الأسطقسات فيهما ومن كميتها، أعني في الجاذب والمجذوب.

ولذلك أمكن أن يوجد في الشيء الواحد خواص لا نهاية لها، وذلك بالإضافة إلى موجودات لا نهاية لها، وكان هذا الفعل عرضيا للقوى الأول من قوى الأسطقسات التي في ذي الخاصة.

ومعنى ذلك أنه ليس مأخوذا في جوهرها. ولهذا ما لم يمكن أن يتحصل بالقول ذلك المقدار من الاختلاط الذي عنه يحدث ذلك الفعل في ذلك الموجود على ما شأن الأفعال التي من قبل الهيولى ألا تنضبط بالقول.

فهذا هو معنى الخاصة وجملة الجوهر، ويعنون بالمزاج الصنف الآخر من الأفعال.

٤٦ - فأما بأي نوع من هذه الأفعال تفعل الأدوية المسهلة، فهو من الظاهر أن فعلها ذلك إنما هو بالجذب من جهة أنها إذا شرب الدواء الواحد منها أخرج بالإسهال خلطا خاصا

به في أي موضع كان ذلك الخلط من البدن، سواء كان في أسفله أو في أعلاه.

مثال ذلك أنا إذا سقينا السقمونيا[١] لمن به نملة في رجله كان شفاؤه على المكان.

وإذا كان ذلك كذلك فلم يكن المحرك للخلط الصفراوي المتمكن في الرجل إلى خارج غير الدواء. وذلك ضرورة على جهة الجذب.

وليس يوجد للأدوية هذا المعنى فقط.

أعني أنها تجذب أخلاطا خاصة بها مثل ما تجذب السقمونيا الصفراء وحجر اللازورد السوداء.

بل وبعضها إنما يجذب من أعضاء خاصة مثل ما تجذب الصموغ من الوترات والمفاصل الأخلاط البلغمية الغليظة.

ويشبه أن يكون للدواء مع فعل الجذب فعل في تميز الأخلاط وتصييرها بالفعل.

فإن الأخلاط كما قلنا إنما هي أكثر ذلك موجودة في الدم بالقوة، وإذا انجذبت الأخلاط من طريق الغذاء إلى المعى والمعدة تحركت القوة الدافعة لإخراجها.

٤٧ - وغير ممتنع أن يكون للقوة الدافعة التي في العضو الذي فيه الخلط معونة على فعل الدواء في ذلك الخلط، أعني أن عندما يبتدئ الدواء بجذب ذلك الخلط تتحرك القوة الدافعة إلى دفعه، ولذلك إذا إفرط فعل القوة الدافعة حدث عن ذلك استفراغ شديد.

وبين أنه ليس يكون الجذب إلا بانفتاح أفواه العروق.

وانفتاح أفواه العروق إنما يكون بالحرارة، وكذلك الجذب.

ولهذا كله ما يظهر أن الأدوية المسهلة إنما تفعل بحرارة فيها خاصة تجذب ذلك الخلط لكن قد يسأل سائل فيقول: إنه لو كان في طبيعة السقمونيا مثلا أن تجذب الصفراء فقط، كما في طبيعة حجر المغنطيس أن يجذب الحديد فقط، لما أمكن فيها إذا تُنووِل منها أكثر من شربة واحدة أن تسهل جميع الأخلاط .

وقد شهد الأطباء أنه إذا تُنووِل منها مقدار كثير أسهلت الصفراء ثم البلغم ثم السوداء ثم الدم.

---

(١) سقمونيا: حار يابس، وهو نبات له ثلاثة أغصان كبيرة مخرجها من الأصل، كل واحد منها ثلاثة أذرع أو أربعة له ورق شبيه بورق العنسي أو ورق اللبلاب إلا أنه الين، وله زهر أبيض ممتلئ لبنًا ويؤخذ لبنه من رأسه الأعلى ومن أصله.

لكن ينحل هذا بأن الحرارة التي في الدواء المسهل التي بها يجذب ليست موجودة بالفعل في الدواء كحالها في حجر المغنطيس، أعني الصورة المزاجية التي بها يجذب، بل إنما تستفيد تلك الحرارة من البدن.

وإذا كان ذلك كذلك فإن البدن إنما يفعل تلك الحرارة في الدواء في كمية محدودة منه، ولذلك متى تُنووِلَ منه أي كمية اتفقت، لم يلف لها هذا الفعل فكان جذب الدواء لخلط بعينه إنما هو خاصة له بالإضافة إلى كمية محدودة منه، لا إلى أي كمية اتفقت.

وهذا إنما هو في الأدوية التي شهدت التجربة أنها تخرج خلطا واحدا فقط، لأن ههنا أدوية كثيرة تخرج أخلاطًا مختلفة كما يقال ذلك في الغاريقون[١].

وأيضا فإن الأخلاط كلها هي قريب أن تكون من جنس واحد، ولذلك ليس يمتنع أن يكون الدواء المخصوص بخلط ما إذا ضوعفت كميته أسهل خلطا لآخر، ولذلك ما يزعمون أن الأدوية التي تجذب السوداء قد تجذب الأخلاط البلغمية التي ضارعت السوداء.

٢٧ - في السموم

٤٨ - وأما السموم فإن فعلها في البدن يكون بجميع ضروب أفعال الأدوية، أعني أن بعضها يفعل ذلك بكيفيات أول مثل الأفيون الذي يخدر ببرده.

ولذلك يمكن في مثل هذه، إذا تُنووِلَ منها اليسير وحجبت أن تكون أدوية، وبعضها يفعل ذلك بجملة جوهره، أعني أنه يحيل بدن الحي كالذهب المكلس، وهذه فليس يمكن أن تستعمل في المداواة أصلا.

وبعضها يقتل بشدة جذبه الأخلاط، حتى أنه يخنق كما يقال في الخربق الأبيض، وبعضها يسهل الدم.

٢٨ - في البازهريات

٤٩ - وأما البازهرات فتفعل الشفاء من هذه بمثل هذه الأفعال بعينها، أعني أن بعضها تحيل بكيفياتها كيفيات السموم، وذلك إذا كانت مضادة لها، وبعضها تفعل ذلك بجملة جوهرها، وبعضها تفعل ذلك بالجذب. وهذه البازهرات إنما تكون شافية متى تنوولت وفي البدن حال خارجة عن الطبع من أحد السموم، وذلك أنها تفعل حينئذ في البدن فعلا مضادا لفعل السم، فيكون عن ذلك برء بالعرض. ولذلك متى تناولها الصحيح

(١) الغاريقون: شيء يتولد في الأشجار المتآكلة على سبيل العفونة، وأكثر ما يوجد في قلب شجر الأرز، يشبه جمار النخيل ، لونه أشهب.

كانت سما.

ومن هنا قال الأطباء: إنها متوسطة بين السموم والأدوية.

والمتوسط إنما يفهم منه أكثر ذلك أنه في جنس واحد هو والأطراف.

وما كان من جنس واحد فهو شبيه، وليس الأمر كذلك في البازهرات والسم، ولذلك الأولى أن نقول: إن البازهرات في غاية المضادة للسم، فإن الضد إنما شفاؤه في كل حال الضد.

وإنما السبب في أن تقتل البازهرات إذا تناولها الصحيح أنها إنما تفعل الشفاء في بدن الحي إذا كان به مزاج سمي، وكأن هذه الأدوية لها فعلان اثنان في بدن الإنسان، فعل سمي وذلك إذا تنولت من غير أن يكون في البدن فعل سمي، وفعل مخلص وذلك إذا تنولت وفي البدن مزاج سمي. فكأنها سموم من جهة وأدوية من جهة أخرى، لا أنها أدوية من جهة أنها سموم، وذلك أنه ليس بنكير أن تختلف أفعال الفاعل الواحد باختلاف أحوال موضوعاته، فيكون الدواء الحافظ إذا ورد البدن الصحيح كان سما، وإذا ورد البدن المسموم كان شافيا.

٥٠ - فهذا هو القول في جميع ما يحتاج إليه من أفعال الأدوية التي شوهدت، وكيف فعلها.

وقد بقي علينا بعد من هذا القول أن ننظر هل يمكن أن ندرك بالقياس هذه الأفعال للأدوية التي لم تجرب؟ أم إنما سبيل العلم بوجودها لشخص شخص من أشخاص الأدوية التجربة، أم فيها ما جمع الأمرين؟ وإن كان فيها ما جمع الأمرين فهل الطرق التي أفاد في ذلك كافية أم لا؟ فنقول:

٢٩ - القياس وأصنافه وحدوده في الطب

٥١ - إن أفعال الأدوية كما سلف من قولنا تنحصر في أربعة أقسام: أفعال أول وأفعال ثواني وأفعال ثوالث وأفعال بالخاصة.

وأما الغذاء فإنما له فعل واحد وهو التغذية. والأغذية الطبيعية إنما ملاءمتها لنا في جملة جوهرها، ولذلك الفحص عن أمرها هل يمكن أن يدرك بقياس يشمله الفحص عن الخاصة، فنقول:

٥٢ - إن المقاييس التي تعطي وجود الشيء هي صنفان: إما قياس يعطي وجود الشيء وسببه معا، وذلك أن يكون الحد الأوسط فيه سببا لوجود المطلوب في ذاته وسببا لعلمنا به. وإما قياس يعطي وجود الشيء فقط، وذلك إذا كان الحد الأوسط فيه سببا لعلمنا فقط بالمطلوب لا لوجوده، وهذا صنفان: إما أن يكون الحد الأوسط فيه أمرا متأخرا عن

المطلوب، وإما أن يكونا كلاهما أمرين متأخرين عن شيء واحد بعينه.

وهذه الأفعال للأدوية إنما يمكن الوقوف عليها إن أمكن بأحد هذين الصنفين، أعني إما برهان السبب، وإما برهان الوجود لكن الصنف من برهان الوجود الذي ينتج فيه المتقدم بالمتأخر، إذا كانت الأفعال المطلوبة ههنا أمورا متأخرة عن جوهر الأدوية، فحينئذ تصح مطلوباتها، أو تكون المقاييس التي تنتج وجود هذه الأفعال مركبة من هذين الصنفين من المقاييس، أعني أن نصير أولا من الأمور المتأخرة إلى المتقدمة التي هي أسباب لأفعال تلك الأدوية، ثم نصير بعد ذلك من تلك الأشياء التي هي أسباب إلى تلك الأفعال التي هي متأخرة، فيكون الصنف الأول من المقاييس من أصناف الدلائل والصنف الثاني من أصناف البراهين المطلقة. وهذا كله بين لمن زاول صناعة المنطق أدنى مزاولة.

وإذا كان هذا كله كما وصفنا فلنجعل فحصنا أولا عن الخاصة. فنقول في الخاصية:

٣٠ - لا سبيل للوقوف على الخاصة إلا الحس

٥٣ - إنه إن أمكن أن يكون سبيل لنا إلى العلم بوجودها بالإضافة إلى شيء ما كأنك قلت بالإضافة إلى بدن الإنسان، إذ كان هو المفحوص عنه ههنا، فإنما يكون ذلك ضرورة بأحد أمرين: إما أن تكون الطبيعة الصادر عنها ذلك الفعل محصلة عندنا في المعرفة بها، وذلك إما بمعرفة أولى وإما بدليل.

وإما أن تكون ههنا أشياء متأخرة عن تلك الطبيعة حتى تكون هي والخاصة متساويتين في الحمل، وتكون مع ذلك تلك الأشياء المتأخرة أعرف من الخواص عندنا، أو مما يمكن بيان الخواص بها من غير متوسط.

فإن هذه الأنواع من الدلائل وإن كانت من أنواع ما بالعرض فهي صادقة.

٥٤ - وبودنا لو اتفق لنا في مثل هذا المطلب[1] مثل هذه الدلائل، وهو ظاهر مما قيل في رسم الخاصة أو تلك الطبيعة التي بها تفعل غير محصلة عندنا. إذ كانت الخاصة إنما هي فعل ما صادر من موجود في موجود بإضافة مقادير الأسطقسات في أحدهما إلى الآخر.

وبين أن ذلك المقدار ليس يمكن أن يدرك بالقول ولا أن يوقف منها على أكثر من هذه المعرفة غير المحصلة، ولا أيضا يمكن أن يكون ههنا عرض خاص يدل على هذه الطبيعة دلالة محصلة ولا غير محصلة إلا الخاصة نفسها إذا أحست فإنها تدل كما قلنا على هذه الطبيعة دلالة مجملة.

---

(١) هو البحث عن الخاصة.

وإذا لم يمكن ذلك فليس يمكن أيضا أن يكون في ذي الخاصة عرض مساو للخاصة يدل عليها ويكون أعرف عندنا منها، لأن هذا إنما كان يتفق لو كان ههنا عرض يدل دلالة محصلة على الطبيعة التي بها تفعل الخاصة، ولكون الخاصة إنما هي تابعة لموجود موجود، أمكن أن يوجد في الشيء الواحد خواص لا نهاية لها، وما لا نهاية له فلا سبيل إلى تحصيله بالقول ولا إلى وجود خواص ودلائل تدل بالذات على هذه الطبيعة، لأن ما بالذات إنما يوجد للشيء من قبل صورته، كما أن ما بالعرض إنما يوجد له من قبل الهيولى.

وإذا كان هذا هكذا فلا سبيل للوقوف على وجود الخاصة في ذي الخاصة غير الحس. ثم نوفي سبب ذلك على النحو الذي يمكن في ذلك.

٣١ - الأدلة العقلية ظنية ومهمتها التنبيه على التجربة

٥٥ - وإذ قد تبين من الخاصة أنها لا تدرك بالقول. فلننظر في الأفعال الأول من أفعال الأدوية هل يمكن أيضا أن تدرك بالقياس أم لا.

فنقول أيضا: إن السبيل إلى الفحص عن ذلك هي تلك السبيل بعينها التي سلكناها في الفحص عن الخواص، وذلك أنه إن أمكن أن يدرك بالقول الدواء المعتدل، أو الخارج عن الاعتدال إلى إحدى الكيفيات، فإنما يكون ضرورة بتحصيل الطبيعة الفاعلة لذلك.

ومعنى قولنا في الدواء: إنه حار أو بارد أو معتدل إنما هو أن في طبيعته واستعداده، إذا استحال عن بدن الإنسان، أن يقبل بدن الإنسان عنه كيفية نسبتها إلى الكيفيات الطبيعية الموجودة في بدن الإنسان هذه النسبة: أعني نسبة الاعتدال أو الخروج عن الاعتدال.

وإذا كان ذلك كذلك فأي طبيعة هي هذه الطبيعة، ليت شعري، التي في استعدادها أن يقبل بدن الإنسان عنها انفعالا من هذه الانفعالات؟ وإلى أي شيء نقايسها من حيث هي موجودة بالفعل؟ أعني إلى أي شيء نقايس مقادير الأسطقسات التي فيها، فإن هذا الفعل إنما هو بالمقايسة إلى بدن الإنسان؟

٥٦ - ولذلك ما قد يظهر ببادئ الرأي أن هذه المقايسة ينبغي أن توجد بين مزاج الدواء أو الغذاء، وبين مزاج الإنسان، حتى يكون الدواء أو الغذاء الذي مقادير الأسطقسات فيه على كمية مساوية لوجودها في الإنسان هو المعتدل، ويكون الخارج عن الاعتدال إلى أحد الأطراف هو الزائد عليه أو الناقص عنه في ذلك الطرف. إلا أن هذا متى أنزلناه لزم أن لا يكون ههنا غذاء معتدل للإنسان، إلا لحم الإنسان.

ويكون مزاج الدجاج مثلا مساويا لمزاج الإنسان وليس مزاج الدجاج فقط بل ومزاج الجدي وغير ذلك من الأغذية المعتدلة! وأيضا فإنه لا يكون ههنا نبات معتدل،

فضلا عن أن يكون أحر من الإنسان، فإنه يظهر أن الحيوان بالجملة أحر من النبات، ولذلك ليس يحس في النبات حرارة بالفعل.

٥٧ - وإذا لم يمكن تحصيل هذه الطبيعة من هذه الجهة، أعني الطبيعة والمزاج الذي به يفعل الدواء هذه الأفعال، فلعل ذلك يمكن من جهة مقايسة مقادير الأسطقسات في الدواء نفسه، حتى يكون الدواء الذي الحرارة عليه في ذاته أغلب هو الدواء الحار، والذي البرودة عليه أغلب هو الدواء البارد، وكذلك في الرطوبة واليبوسة! وذلك أن الذي النارية فيه مثلا أغلب على أجزائه قد يظهر أنه هو أكثر استعدادا لأن تتولد عنه حرارة أكثر وبالعكس، كما ترى ذلك يعتري في الكباريت وغير ذلك، لكن هذا أيضا وإن كان يلفى فيه الأمر هكذا في أشياء كثيرة فهو أيضا ينكسر: فإن ههنا أشياء هي في مزاجها أحر، وهي بالإضافة إلى بدن الإنسان إذا استعملها أبرد.

وكذلك ههنا أشياء هي أبرد مزاجا في ذاتها، وهي أحر بالإضافة إلى بدن الإنسان.

مثال ذلك الخمر الحديثة والخمر القديمة فإن الحديثة أحر في ذاتها من القديمة، ويشهد على ذلك الغليان الذي يلفى لها في ذلك الوقت لكن القديمة بالإضافة إلى بدن الإنسان أسخن. وأعني ههنا بالقديمة التي قد كملت ولم تأخذ في الهرم، وكذلك الأمر في الزيت الحديث والعتيق.

٥٨ - وما الذي احتاج إلى هذا، والنبات والحيوان كله الغالب على أجزائه الحرارة؟! لكن بعضه نجده حارا بالإضافة إلى بدن الإنسان وبعضها باردا، وليس باردا فقط بل مهلكا ببرده. والزيت أيضا من الأشياء التي الحرارة والرطوبة أغلب عليه، إذ كانت الهوائية فيه ظاهرة جدا.

ولقائل أن يقول كيف يكون الزيت الغالب على أجزائه الهوائية وهو يخثر من البرد وإنما يخثر من البرد ويجمد المائية، فنقول: إنما يخثر الزيت من البرد بأن يتحول كثير من الأجزاء الهوائية التي فيه ماء، وحينئذ يعرض له هذا - وقد تقصى الأمر في الزيت وفي طبيعته في الرابعة من الآثار[١] - فلهذا أيضا لا يوثق بمثل هذه المقاييس، بل التجربة هي القاطعة في ذلك.

وكيف لا ونحن نرى كثيرا من الأشياء إذا وضعت في النار كانت أبعد شيء أن تستحيل بسرعة، وإذا تناولها بعض الحيوان وجدناها على المكان قد استحالت عن الحار

---

(١) أي: كتاب الآثار العلوية لأرسطو.

الغريزي الذي فيه، بمنزلة ما يحكى عن النعام أنها إذا التقمت الذهب ثم أخرج عن أجوافها على الحين وجد قد نقص، هذا مع عسر انفعال الذهب عن النار! ولسنا نقدر أن نقول: إن ذلك من أجل أن الحرارة في هذا الحيوان أكثر من حرارة النار، هذا مستحيل.

٥٩ - وإذا كان ذلك كذلك فإذن إنما ذلك شيء تابع لجملة جوهر حرارة ذلك الحيوان. وهذا، كما قلنا، أظهر في الأغذية منه في الأدوية. وذلك أن الغذاء لما كان هو الذي في طباعه أن ينقلب جزءاً من المغتذي حتى يصير هو هو بالنوع، فمن البين أن هذه الملاءمة التي بين الغذاء والمغتذي، إنما هي في جملة الجوهر. ولذلك ما قد يكون غذاء ما لحيوان ما سمًّا لآخر كالخربق[1] للسمان والبيش للزرازير.

٦٠ - وأما الدواء فمن حيث إنه يفعل في الأبدان كيفيات أول ظن أن ذلك قد يدرك بالقول. لكن مع هذا كله نجد جالينوس وسائر الأطباء قد راموا أن يضعوا قوانين يستدل منها على أفعال الأدوية في الأبدان الإنسانية، وهي وإن كانت كما قلنا أدلة ظنية بل إن ذهبنا بها مذهب الترفيع نقول: إنها أكثرية لا ضرورية، فإن لها منافع: إحداها أنها تنبه الإنسان إلى التجربة، فإن ساعدته التجربة على ظنه قطع على ذلك.

ولهذا ما نسمع جالينوس يقول: إن الآلتين اللتين استنبطت بهما هذه الصناعة هما التجربة والقياس.

وأيضا فإن هذه الدلائل نافعة في المقايسة بين الأشياء التي شهدت التجربة أنها غذائية أو دوائية.

مثال ذلك أنه متى كان غذاءان، أحدهما هش والآخر لزج، قطعنا على سرعة استحالة الهش: إذ كان تقسمه عن الحرارة أسرع، وبالجملة انفعاله. وأيضا متى ارتضنا في هذه الأشياء ورمنا أن نعطي فيها الوجود والسبب معا، وعسر ذلك، كان سهلا علينا إذا شهدت التجربة لشيء ما أن نعطي السبب في ذلك. وبالجملة فبهذا النظر تكون هذه الصناعة قياسية، ويمكننا أن ننتقل من دواء إلى دواء ومن غذاء إلى غذاء عندما نقصر عما قصدنا إليه في المعالجة.

٦١ - وأما من ليس عنده من معرفة الأدوية إلا التجربة فقط فليس يمكنه ذلك وقد أطال جالينوس في الفرق بين القوتين[2]، إلا أن الأدلة والسبارات التي أعطاها

---

(١) خربق: نبات ورقه كلسان الحمل، أبيض وأسود ينبت في أماكن جبلية.

(٢) هما التجربة والقياس.

جالينوس ومن تبعه من الأطباء في ذلك نزرة بالإضافة إلى ما يمكن أن يقال فيها ههنا. وذلك أنهم اقتصروا من معرفة طبائع الأدوية من جهة الطعوم والروائح والألوان وسرعة الاستحالة إلى النار فقط، وهذه كلها إذا جعلت دلائل فإنها ضرورة أخص من الطبائع التي تلزم عنها هذه الأفعال في بدن الإنسان.

والدلائل الذاتية فينبغي ان تكون مساوية للطبائع الدالة عليها، وحينئذ يمكن أن يترقى من المتأخر إلى المتقدم ثم من المتقدم إلى المتأخر المطلوب وبهذا يكمل هذا النظر، وإلا فمتى لم يكن نظر الناظر في هذه الصناعة على هذه الجهة لم تكن عنده طبيعة الدواء الحار بما هو حار محصلة، ولا البارد بما هو بارد.

مثال ذلك أن الطبيب إذا كان عنده أن الدواء الحار إنما هو الدواء الحريف الطعم والمر الطعم والمالح الطعم، وأن الطبيعة التي تفعل الحرارة هي هذه الطبيعة، فإنما علم من طبائع الأشياء الحارة طبائعا ما، فيكون ضرورة نظره في هذه الصناعة ناقصا، لأن ههنا أشياء حارة ليس طعومها حريفة ولا مرة كلحوم كثير من الحيوان. مثل العصافير والفراخ وغير ذلك، لأن الأغذية والأدوية بالجملة هي إما نبات وإما حيوان وإما معدن أو جسم معدني والطعم إنما يوجد متميزا في النبات.

٦٢ - فإذا أريد أن يكون القول في هذا صناعيا تاما فينبغي أن نرسم ما طبيعة الدواء الحار والدواء البارد واليابس والرطب، ثم نروم بعد ذلك إحصاء الأشياء التي تدل على هذه الطبائع، فلننزل أن الدواء الحار هو الذي غلب أجزائه الأجزاء الحارة، والبارد هو الذي أغلب أجزائه الأجزاء الباردة، وكذلك الأمر في الدواء اليابس والرطب وإذا كان ذلك كذلك فلننظر في الدلائل التي منها يمكن أن يوقف على هذه التقارير من أمزجة الأدوية، فنقول:

٣٢ - كيف التعرف على أمزجة الأدوية

٦٣ - إن الأشياء التي منها يمكن الوقوف على هذه المقادير من الأمزجة من جهة ما هي مجهولة، هي الأعراض الخاصة بغلبة كيفية كيفية من هذه الكيفيات في الممتزج، وذلك يكون من حيث الممتزج جسم متشابه الأجزاء، وتلك هي الفصول اللاحقة عن مقادير أمزجتها.

وهذه الفصول منها ما هي عامة لجميع الأجسام المتشابهة الأجزاء، أعني أنه ليس تخلو من واحدة منها، وهذه فقد عددت في الرابعة من الآثار، وهي مثل الجامدة وغير الجامدة والذائبة وغير الذائبة واللزجة وغير اللزجة وغير ذلك مما سنعددها، ومنها ما هي

خاصة ببعض الأجسام المتشابهة الأجزاء، وهذه هي الطعوم والروائح والألوان.

وقد تكون غلبة أحد الأسطقسات في المركب بينة بنفسها إذا أدركت منها حاسة اللمس، أنه حار أو بارد، وذلك إنما يكون في الأشياء التي فيها الحرارة أو البرودة بالفعل المحض.

وأما إذا نظر في الأدوية والأغذية من حيث هي جزء مركب آلي، وذلك شيء يخص الأغذية والأدوية التي هي أجزاء النبات وأجزاء الحيوان، فقد يستدل أيضا عليها من أفعالها ومن موضعها.

وإن كانت أجزاء حيوان فمن تدبير ذلك الحيوان ومن نوع غذائه. وبالجملة فنأخذ في الحيوان الأشياء المناسبة التي أخذناها في تعرف مزاج الإنسان من الأفعال والتدبير والمكان، وأعني بالأفعال أفعال النفس التي هي الغاذية والحسية والنزوعية وغير ذلك من أجزاء النفس التي عددناها.

٦٤ - فهذه هي الدستورات التي يمكن أن يجرى عليها في هذه الصناعة، وهي وإن كانت غير وثيقة فليس يمكن غيرها.

وليس ينبغي لذلك أن يهمل القول فيها، بل ينبغي أن يتكلم في كل شيء بحسب ما يمكن في ذلك الشيء. كما يقول أرسطو، فإنه ليس ينبغي أن نطلب من الخطيب برهانا، ولا من المهندس إقناعا والقول في هذه الأشيــاء ههنا إنما يكون بأن تتسلم من العلم الطبيعي جميع ما يحتاج إليه ههنا. فإن تكلف البرهان على هذه الأشياء التي نروم القول فيها حيننا هذا، نظر غير مناسب في هذه الصناعة فنقول:

٣٣ - أعراض أمزجة الأجسام المتشابهة الأجزاء

٦٥ - إن أشهر الأعراض التي منها يمكن أن يوقف على أمزجة الأجسام المتشابهة الأجزاء هي الجمود والخثورة والترطيب والانحلال والذوبان واللزوجة والهشاشة والرقة والغلظ واللين والصلاة، وقبول الاحتراق ولا قبوله، والتكاثف والتخلخل.

٦٦ - أما الأشياء الجامدة فمنها ما يجمد عن الحر، ومنها ما يجمد عن البرد. والأشياء الجامدة عن البرد منها ما تخثرها الحرارة من قبل، ومنها ما ليس تخثرها. والخاثرة منها ما يخثر عن البرد، ومنها ما يخثر عن الحر، ومنها ما يخثر عن كليهما. والذائبة أيضا منها ما يذوب عن الحر، ومنها ما يذوب عن البرد. والرطوبة والمترطبة أيضا منها ما يترطب عن الحر، ومنها ما يترطب عن البرد.

أما ما جمده الحر فالحرارة واليبوسة غالبة عليه كالأملاح وضروبها.

وأما ما جمده البرد فإن كان الحر خثره، وكانت أقرب إلى الخثورة التي تكون عن الهوائية والمائية، كخثورة الزبد والسمن، فإنه ضرورة حار.

وكذلك الأصماغ والزيوت وما أشبهها.

وأما ما جمده البرد، والأرضية غالبة عليه، فإن كان قد خثرته الحرارة فالبرد واليبس غالب عليه، بمنزلة العظام والقرون وغير ذلك.

وأن ما جمده البرد ولم يخثره الحر كبير تخثير، فإن طبيعته باردة رطبة كالزئبق وغير ذلك.

والأشياء التي خثرتها الحرارة وجمدتها البرودة هي أيضا قريبة من أن تكون معتدلة أو حارة كالإقليميا وما يشبهها.

٦٧- وأما الأشياء التي يذوبها الحر فهي ضرورة الأشياء التي جمدها البرد، والأشياء التي يذوبها البرد هي الأشياء التي يجمدها الحر، ولذلك بأي هذين وقع الاستدلال على طبيعة الشيء صح. وذلك أنا إذا أبصرنا أشياء يذوبها الحر نظرنا: فإن كانت جمدتها البرودة من غير تخثير الحرارة قطعنا على أنها في طبيعتها باردة رطبة. وكذلك إذا كانت الحرارة خثرتها، وهي مع هذا كثيرة الأرضية، فهي باردة يابسة بمنزلة الحديد وكثير من المعادن.

وإن كانت خثرتها خثورة هوائية فهي حارة رطبة بمنزلة السمين والشرب.

وكذلك تفعل في الأشياء التي تحللها البرودة والرطوبة كالأملاح وغيرها.

٦٨ - وأما الأشياء التي تخثر عن الحرارة فهي حارة، إلا أن الخثورة إن كانت هوائية بمنزلة المني، فهي مع هذا رطبة أو معتدلة كاللبن المطبوخ.

وأما الأشياء التي تخثرها البرودة فإن كانت الحرارة فعلت فيها قبل ضربا من القوام ، فهي رطبة حارة بمنزلة الأمراق الدسمة.

وإن كانت خثرتها من غير أن تفعل فيها الحرارة قبل، فهي باردة رطبة بمنزلة اللبن المنعقد في البرد.

٦٩ - وينبغي أن تعلم أن الحرارة الفاعلة في هذه الأشياء والبرودة ربما كانتا عرضيتين وربما كانتا طبيعيتين، ولذلك ما كان منها طبيعيا قطعنا بأن ذلك المزاج للدواء طبيعي، مثل الخثورة للمني.

وما كان غير طبيعي كان ذلك المزاج له أيضا عرضيا مثل الخثورة العارضة لعصير العنب بالطبخ.

وأما الأشياء التي تخثر عن الحر والبرد معا فهي هوائية مائية شديدة الاتحاد والاختلاط، كالزيت وسائر الأدهان التي يمكن فيها ذلك أما خثورتها عن البرد فلمكان انقلاب الأجزاء الهوائية فيها ماء فتجمد وأما خثورتها عن الحر لمكان تحلل الأجزاء المائية وغلبة الأرضية، وأما الأشياء التي لا تخثر من كليهما فهي مائية قليلة الأرضية، فهي تفنى بالحر قبل أن تغلظ.

وليس يمكن البرد أن يعقدها لأن البرد إنما يعقد بإخراجه الحرارة التي في الشيء، فتنفش معها الرطوبة فيعرض اليبس الذي يكون عنه الخثورة أو الجمود.

وإذا كان شيئان يقبلان الجمود معا في زمن سواء وعن محرك سواء، وهما متساويان في الرقة والغلظ، فهما من البرد والحر في مرتبة واحدة.

وأما متى كان أحدهما أغلظ فإنه يكون أسرع جمودا. وكذلك كان محركه أقوى، أو كان في طبيعته أبرد.

٧٠ - وأما الأشياء اللزجة فإن الغالب عليها الماء والأرض، ولذلك هي باردة غليظة.

وأما الهشة فالغالب عليها الأجزاء الهوائية، لكن مع أرضية ما.

وبذلك صارت سهلة التقسم: أعني من قبل الهوائية المخالطة لها، فإن هذا الأسطقس من جهة ما هو رطب يقبل التقسيم من غيره، ومن جهة اليبس المخالط للأشياء الهشة يقبل الانحصار في ذاته أي ينقسم إلى أجزاء صغار.

٧١ - وأما الأشياء اللزجة فمن جهة الرطوبة المائية التي فيها تقبل الامتداد، ومن جهة شدة مخالطة الأرضية لها يعسر انقسامها إلى أجزاء صغار، ولذلك صارت الأشياء الهشة أقرب تناولا على الهضوم، لأنها سريعا ما تنقسم عن الحرارة إلى أجزاء صغار، إذ كان ذلك من أحد ما يعين على سرعة انهضام الشيء.

٧٢ - وأما الأشياء اللزجة فإن عسر تقسمها مما يبلد الطباع، ولذلك صارت عسيرة الهضم. وأما الغلظ فإنه يدل من طبيعة الأدوية على يبس. وذلك أن الأرضية غالبة عليه. ومتى كان غذائيا عسر انهضامه، لأن الجوهر الأرضي عسير ما تنخلع صورته عن مادته.

٧٣ - وأما اللطافة فإن كانت هوائية دلت على حرارة ورطوبة، وإن كانت نارية دلت على حرارة ويبس.

وأما اللين فإنه يدل على جوهر رطب. ولذلك كانت الأشياء اللينة سهلة الانفعال،

كالفواكه الخضر وأما الصلابة فإنها تدل على ضد ما يدل عليه اللين، أعني على جوهر أرضي يابس، وكأن الغلظ واللطافة واللين والصلابة إنما تدل على القوى المنفعلة في الشيء التي هي الرطوبة واليبوسة لا على القوى الفاعلة.

٧٤ - وأما التكاثف والتخلخل فإنه يقال على وجهين:

أحدهما، وهو الذي ينطلق عليه هذا الاسم، أحق ذلك على زيادة الكمية في نفسها ونقصانها، كما نرى العصير يتخلخل في الدنان المطموسة، ويصير إلى كمية أعظم، حتى إنه ربما شق الدنان.

ونرى أيضا الأبخرة تتكاثف في ذاتها فتعود إلى مقدار أصغر مما كانت، وذلك من غير أن يخرج من المتكاثف شيء أو يزيد في المتخلخل شيء، والسبب في هذا أن الهواء أعظم مقدارا من الماء والأرض.

فمهما قرب الشيء من طبيعة الهواء كان أعظم مقدارا، ومتى قرب من طبيعة الماء والأرض كان أصغر مقدارا. ولذلك كان الأشياء المتخلخة هوائية أي حارة رطبة، والمتكاثفة باردة يابسة أو باردة رطبة.

ولكون التخلخل يكثر في الشيء الأجزاء الهوائية استعمل في خبازة الخبز التخمير. ليسهل بذلك هضمه، لأن الجوهر الهوائي أسهل انفعالا من جهة ما هو أرطب.

وقد قيل: إن الرطوبة سهلة الانحصار من غيرها بضد ما هي عليه اليبوسة. أعني أنها عسيرة الانحصار من غيرها ولذلك كانت عسيرة الهضم.

وأما الشيء الآخر مما يطلق عليه اسم المتخلخل والمتكاثف فهي الأشياء التي لها مسام واسعة ومسام ضيقة، فإن التي لها مسام واسعة قد يطلق عليها اسم المتخلخل، والتي لها مسام ضيقة (يطلق عليها) اسم المتكاثف والاعتبار في طبيعة هذه يكون في نفس جرمها، لا في ضيق مسامها أو سعتها، وإن كان الشيء إذا كانت مسامه واسعة قد يعين على هضمه من جهة أن ذا المسام الواسعة يسهل تفتته وانقسامه، وذو المسام الضيقة بخلاف هذا.

٧٥- وأما الأشياء المحترقة فهي ضرورة إما نارية كالكباريت، وإما هوائية كالتبن ولذلك كانت هذه سريعة الاستحالة في الهضم، وذلك فيما شأنه منها أن يرد الأبدان.

لكن ينبغي، كما يقول جالينوس، إذا أريد أن يكون هذا السبار صحيحا، أن يشترط في الدواء التكاثف واللطافة، وذلك أن الشيء قد يتفق فيه أن يكون غليظا متخلخلا، أعني ذا مسام كبار، فينفذ النار في تلك المسام، ويتمكن من إحراقه.

وليس يمكن في الحرارة الغريزية أن تفعل ذلك لرطوبتها وضعفها عن حرارة النار، وذلك أن سهولة مثل هذا الاحتراق هو للشيء بضرب من العرض، أي من قبل مسامه.

وأما ما كان كذلك في نفس جوهره فقياس النار في ذلك هو كقياس الحار الغريزي، كالحال في قصب الذريرة.

وأما الأشياء التي لا تقبل الاحتراق فهي الأرضية أو المائية أو التي جمعت الأمرين.

فهذا هو القول في الدلالات التي لهذه الأعراض العامة على طبائع الأجسام المتشابهة الأجزاء.

وينبغي بعد أن نصير إلى القول في الطعوم والروائح والألوان، وهي التي جرت عادة الأطباء بذكرها فقط. فنقول:

٣٤ - القول في دلالات الطعوم

٧٦ - إن أشهر أصناف الطعوم هو الحلو والدسم والمالح والمر والحريف والعفص والقابض والحامض والتفه. أما الحلو فهو يدل على مزاج معتدل الحرارة.

وهو بالجملة مناسب للمزاج الإنساني كما يقول جالينوس.

وأما الدسم فالغالب عليه الهوائية مع مائية ما، ولذلك صار دون الحلو في الحرارة.

وأما المالح فالغالب على مزاجه جوهر يابس محترق خالطته رطوبة ما، وهو فوق الحلو في الحرارة.

وأما المر فطبيعته طبيعة غلب عليها الجوهر اليابس الأرضي، وذلك إما مع برودة وإما مع حرارة، ويستدل على الذي يكون للبرودة أنه يصير بعد المرارة إلى الحلاوة، وذلك إما بالطبيعة ككثير من النبات مثل البلوط والقرع وغير ذلك.

وأما الذي يكون عن الحرارة والأرضية فإنه يصير بعد الحلاوة إلى المرارة.

وكون المر بهذه الصفة يدل على أنه يوجد تابعا لهذين الصنفين من الأمزجة، أعني البارد اليابس أو الحار اليابس، كما أن اللون الأسود يوجد عن الحار والبارد.

٧٧ - وهذا شيء قد أهمله الأطباء من أمر المر. وذلك أنهم إنما نسبوه إلى الحرارة فقط. وكيف والأفيون في غاية المرارة وهو مع هذا مخدر، وإن كان لقائل أن يقول: إن الجزء البارد من الأفيون ليس هو المر، لكن هذه الأشياء، كما قلنا، إنما ينبغي أن تتسلم ههنا من صاحب العلم الطبيعي، وهذا الذي قلناه من أمر المر قد تبين في كتاب النبات (لأرسطو).

٧٨ - والنوع من المرارة الذي يكون عن الحرارة هو أحر من المالح، إذ كان المالح تخالطه رطوبة ما.

ومن الدلائل على ذلك أن البحار إذا اشتدت ملوحتها تمررت، كما يقال ذلك في البحيرة الميتة.

ولذلك لا يعيش فيها حيوان لموضع المرارة: فإن هذا المزاج في غاية المضادة للحيوان، وهو بالجملة في مقابل الحلو، وإنما ضاده بيبسه، ولذلك كان أقتل شيء للأطفال الذين هم في غاية الرطوبة.

وبالجملة فهذا الطعم ليس يكون في جوهر غذائي، وإنما يكون في الأدوية.

وأما الحلو فإنه يكون في جوهر غذائي أو غذاء دوائي.

وأما الحريف فمزاج غلب عليه الحر واليبس مع اللطافة غلبة شديدة، ولذلك كان أشدها حرارة. فهذه هي الطعوم التي تدل على أصناف الحرارة، وهي في ذلك مراتب كما وصفنا.

وكل واحد منها له في نوعه مراتب: أعني أن الحلو منه ما هو حلو حرارته في الدرجة الأولى، ومنه ما هو حلو حرارته في الدرجة الثانية. وكذلك المالح منه ما هو في الثانية وأمرّ من ذلك.

٧٩ - وأما الطعوم التي تدل من الأدوية على مزاج بارد فهي العفصة والقابضة والحامضة والتفهة، وإن كان التفه هو أن يكون عديم الطعم أحرى منه أن يكون ذا طعم لكل حاسة كما تبين في غير هذا الموضع تدرك محسوسها الخاص وعدمه.

والعفص والقابض من نوع واحد، وإنما يختلفان بالأقل والأكثر، وهما يدلان من مزاج الشيء على اليبس الشديد والبرد والعفص في ذلك أكثر من القابض.

وأما الحامض فإنه يدل على برودة خالطتها رطوبة ما، وليست تخلو أن تكون برودة خالطته حرارة يسيرة، وبذلك صار مقطعا ملطفا. ولذلك ما يتلو العفص والقابض في البرد. وأما التفه فمائي بارد.

فهو هو القول في دلالات الطعوم، وهي أيضا قد لا تدل كل الدلالة على جوهر الشيء، إذ قد يتفق أن يكون الدواء مركبا من أكثر من جزء واحد، ويكون بعض تلك الأجزاء لا طعم له، وبعضها له طعم، لأنه ليس كل ممتزج له طعم، كما لاح في غير هذا الموضع، فيحكم الإنسان على جملة ذلك الدواء، وذلك حكم على بعضه لا على كله. ولهذا ما نرى كثيرا من الصموغ تفها وهي مع هذا حارة.

٨٠ - وأما الروائح فليست فصولها عندنا بينة كفصول الطعوم، ولذلك ليس لها أسماء كما للطعوم، ما عدا قولنا رائحة منتنة ورائحة عطرة.

وإنما يشتق لها أكثر ذلك من أسماء الطعوم، فنقول: رائحة حامضة وحريفة ومرة وغير ذلك، ولذلك ما كان من الروائح بهذه الصفة فمزاجها مزاج ذلك الطعم الغالب عليها.

٨١ - وأما الروائح العطرة فإنما تكون عن مزاج حار ضرورة، والمنتنة عن مزاج يتولد عن رطوبة غريبة وعن حرارة عفونية.

ودلالات الروائح ضعيفة جدا، وذلك أنه قد يتفق أن يكون الدواء مركبا من أجزاء بعضها لا رائحة له وبعضها له رائحة فمتى حكمنا على جميع الدواء برائحته نكون قد غلطنا، وحكمنا على الكل بالجزء، مثل من ظن أن الورد حار لمكان عطر الرائحة.

٣٥ - في دلالة الألوان

٨٢ - وأما الألوان فدلالاتها أيضا أضعف بكثير، إذ كانت الألوان إنما هي في سطح المتلون فيتفق كثيرا أن يكون مزاج ذلك الجزء غير مزاج ذي اللون، ولذلك ما نرى اللون الواحد بعينه يكون للشيء الحار والبارد، مثل البياض الموجود في الملح وفي الكافور. لكن دلالة اللون أصدق في المقايسة بين الشخوص التي من نوع واحد، مثل ما بين الدجاج والبيض والسود، والحمص الأبيض والأسود، والألوان أصناف كثيرة إلا أنها بالجملة إما أبيض وإما أسود وإما مركب منهما، مثل الغمامي والأصفر والقاني واللون الأسود يكون ضرورة من الجوهر الأرضي اليابس، فقد يكون فاعله الحر كألوان الحبشان، وقد يكون فاعله البرد كالحال في الأشربة السود، وأما الأبيض فإن كان عن مخالطة الأرضية للهوائية فهو ضرورة حار أو معتدل، كالناس الذين ألوانهم بيض.

وأما إن كان عن مخالطة المائية للأرضية، وذلك في الأشياء المياعة فهو يدل على مزاج بارد رطب.

٨٣ - وأما الألوان الحمر كلها فإنها تدل على الحرارة لظهور الجزء الناري فيها. والصفر متوسطة بين ذلك. والخضر أميل الى السواد، كما أن الصفرة أميل إلى الطرف الآخر، وطبيعة الألوان المتوسطة بالجملة مركبة من طبائع الأطراف.

٣٦ - دلالات الأدوية من حيث هي نبات

٨٤ - فهذا هو القول في دلالات قوى الأدوية من الأعراض واللواحق التي تلحق الأجسام المتشابهة الأجزاء.

وقد ينبغي أيضا أن نقول في الدلالات التي تخصها من حيث هي جزء نبات أو جزء حيوان، وطبائع النباتات يوقف عليها من أشياء، أحدها الموضع والثاني البلد والثالث

الفصل والرابع الفعل.

وهذه بالجملة إنما تقوى دلالتها إذا استعملت مع الأشياء التي سلفت وهي بالجملة مع أنها يوقف بها على مزاج الدواء، قد يوقف بها أيضا على طريق المقايسة بين الدواءين اللذين من نوع واحد، كالحال في تلك الطرق المتقدمة، فنقول:

٨٥ - إن النبات منه كامل ومنه ناقص. فالناقص هو الذي تظهر فيه غلبة أحد الأسطقسين على الآخر: إما المائي وذلك كالنباتات التي تنبت في الماء، وإما الأسطقس الأرضي كالنباتات التي تنبت في المواضع الصلبة، ولذلك كانت أمثال هذه النباتات ناقصة أعني أنها ليس لها زهر وورق.

وهو بين أن أمزجة مثل هذه النباتات الغالب عليها إما الجوهر البارد الرطب، كالحال في الطحلب، وإما الجوهر البارد اليابس كالحال في الكمأة.

٨٦ - وأما النباتات الكاملة فهي النباتات النابتة في الجبال. وذلك أن الجبال يظهر من أمرها أنها أكثر شيء توليدا للنبات، وذلك في المعتدلة منها لمكان تخلخلها وممازجة الحرارة والرطوبة لها لتعلقها في الهواء وقربها من الأجرام السماوية، ولذلك أمثال هذه النباتات يوجد لها الثمر والزهر والأوراق.

وأيضا النباتات منها برية ومنها بستانية والبستانية ضرورة أبرد وأرطب، وذلك في النوع الواحد منها، مثال ذلك الهندباء البرية والهندباء البستانية، وهي التي تدعى بالسريس.

فأما الاستدلال من البلد فلأن بعض النباتات تختص بالبلاد الباردة، وبعضها بالحارة. والتي تختص بالبلاد الحارة في الأكثر حارة كالأفاويه[1] التي تجلب من بلاد الهند وغير ذلك وكذلك التي تختص بالبلاد الباردة باردة، وذلك في الأكثر، وقد يتفق بالعرض أن تكون نباتات حارة في البلاد الباردة كالصنوبر، ونباتات باردة في البلاد الحارة كالتمر الهندي الموجود في بلاد العرب.

لكن إنما يعرض مثل هذا ضرورة لأحد أمرين: إما لأن النباتات التي بهذه الصفة صلبة الظاهر، أو مما شأنه أن يتولد في باطن الأرض.

فإن النبات الذي بهذه الصفة يعرض له أن يكون في البلاد الباردة حارا لموضع هروب الحرارة الغريزية التي فيه من البرد، وكذلك يعتري للبرودة في البلاد الحارة في

(١) جمع فوه: وهي توابل تجلب من بلاد الهند.

النبات البارد.

والحال في الاستدلال على النبات بالفصل والوقت من الزمن كالحال في الاستدلال بالبلد والبقول الحارة في الشتوة، إنما هي التي شأنها أن يتكون معظمها في جوف الأرض، كالكرنب واللفت وغير ذلك. وقد يتفق أن يكون الدواء باردا وهو يتكون في الفصول الحارة من جهة أنه ضعيف الحرارة جدا، فحرارته تذهب عن أدنى برد يكون في الهواء بمنزلة كثير من البقول الصيفية.

٨٧ - وأما الاستدلال من أفعال النبات فكثير، وذلك أن من النبات ما هو سريع حركة النمو، ومنه بطيء. والسرعة بالجملة تدل إما على الحرارة وإما على اللطافة وإما على كلتيهما، والبطء يدل على أضداد هذه. وكذلك يستدل أيضا على سرعة النبات في بلوغ أدناه في النمو وبطئه.

وأيضا النبات منه ما له ورق وزهر وثمر، ومنه ما ليس له ورق ولا زهر، والأول إما غليظ أرضي، وإما مائي.

والذي له الورق والزهر معتدل.

وكذلك أيضا من النبات ما هو كثير الشوك والعقد، وهو بالجملة أرضي ومنه ما ليس له شوك، وهو في مقابل ذلك.

وبالجملة ففصول النبات التي يمكن منها أن يوقف على مزاجه كثيرة، وإنما أومأنا إلى هذه الجملة على جهة الاختصار.

٣٧ - الأشياء التي يستدل بها على طبيعة الحيوان

٨٨ - وأما الفصول التي يستدل منها أيضا على طبيعة الحيوان فهي أيضا كثيرة جدا، مثل أن الحيوان منه مائي ومنه بري.

فالمائي بارد رطب والبري حار يابس.

وأيضا الحيوان منه طائر ومنه ماش.

والطائر أكثر هوائية من الماشي، وأيضا الحيوان منه ذو دم ومنه غير ذي دم.

وذو الدم حار رطب، والعادم للدم بارد يابس. وأيضا الحيوان منه متنفس ومنه غير متنفس. والمتنفس حار وغير المتنفس بارد وأيضا بعض الحيوان يختص بالبلاد الحارة وهو في الأكثر حار يابس، كالجمال والغزلان وما يشبهها، وبعضها بالبلاد الباردة ، وأيضا الحيوانات الواحدة بالنوع تختلف أمزجتها من مراعيها، والمياه التي ترد، والبلاد.

مثال ذلك السمك الصخري فإنه ألطف مزاجا وأقل فضولا من السمك الذي ليس

يأوي في الصخور، والحيوان منه ما هو سريع العدو، وكثير الرياضة.

وهذا هو حار المزاج ضرورة، قليل الرطوبة، ومنه ما هو بطيء العدو، قليل الرياضة، ومزاج هذا بارد رطب.

وأيضا من الحيوان الماشي ما يمشي حين يولد، ومنه ما ليس يمشي حين يولد إلا بعد زمن.

ومن الحيوان ما يولد له أولاد كثيرة، وهو يدل من مزاجه على الحرارة والرطوبة، ومنه ما لا يولد له إلا ولد واحد فقط. ومنه ما يوجد له الأمران جميعا.

والحيوان يختلف جدا باختلاف مطاعمها، فالحيوانات التي تأكل اللحم حارة المزاج يابسة، ولذلك كانت أكثر هذه الحيوانات محرمة في الشرائع.

وأما التي ترعى النبات فمعتدلة، كالغنم والبقر في الحيوان الماشي، والحمام والدجاج في الطائر. والحيوانات أيضا تختلف بعظم جثثها وصغرها.

فالعظام الجثث أرضية، والصغار الجثث بخلاف هذا في الحيوانات البرية.

وأما في المائية فعظم الجثث فيها دليل على رطوبة مفرطة، ولذلك ما حمد الأطباء من الحيتان (الأسماك) أصغرها جثثا وصلابة العظام في الحيوان وكثرة الأجسام الأرضية فيه مثل الأظلاف والقرون والفلوس والريش دليل على كثرة الأرضية في ذلك الحيوان، ولذلك كانت كثرة الفلوس في الحيتان دليلا محمودا، لأنها تدل على مزاج مضاد لمزاجها.

وكذلك كثرة الشوك في الحيتان. والشجاعة أيضا والجبن دليل على أمزجة الحيوان، فالشجيعة حارة ضرورة، والباردة بخلاف ذلك.

٣٨ - الأفعال الثواني والثوالث التي للأدوية

٨٩ - والفصول التي منها يستدل على أمزجة الحيوان كثيرة جدا، لكن إنما قصدنا ههنا إلى الإذكار بها ليحصيها ههنا من وقع له فراغ ونظر في ذلك، فإن هذا الكتاب إنما قصدنا فيه الإيجاز، وهذه الدلائل كلها من الأعراض اللاحقة للأعضاء المتشابهة الأجزاء وغير المتشابهة، إنما يكون لها دلالة متى جمعت كلها وقيس بين الدلائل المتضادة في الشيء فحكم للأغلب.

٩٠ - فهذه هي أجناس الأمور التي منها يمكن أن يوقف على الأفعال الأولى من أفعال الأغذية والأدوية.

وأما هل يمكن أن يوقف منها على الأفعال الثواني من أفعال الأدوية؟ فذلك أيضا نرى أنه ممكن.

وذلك أنا متى علمنا مزاج الدواء في الحرارة واليبس، علمنا أفعاله الثواني.

وإن كان قد يتفق في بعض الأدوية أن تكون أفعاله الثواني غير تابعة لمزاجه.

مثال ذلك أن التلطيف والتقطيع إنما هو للجوهر الكثير الحرارة، وقد تلفى ههنا أدوية معتدلة فعلها هذا الفعل، مثل كزبرة البئر والإذخر وغير ذلك. والخل في غاية التلطيف والتقطيع، مع أنه بارد.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الحرارة التي في الخل أعانتها البرودة التي فيه بتغويصها حرارته وتنفيذها إلى باطن الشيء.

وكذلك يشبه أن يكون الأمر في تلك الأدوية، أعني إما أن تكون فيها لطافة زائدة، أو أمر عارض به استحقت ذلك الفعل.

وقد يمكن أن يكون ذلك الشيء تابعا لجملة جوهرها، وأما الأفعال الثوالث فيضعف القياس عليها لأنها تعرف من الفعل بجوهرها.

٩١ - فهذا هو القول في جميع ما يحتاج إليه ههنا من الأقاويل الكلية من أمر الأدوية والأغذية.

وينبغي بعد ذلك أن نصير إلى ذكر شخص شخص منها ونخبر بأفعاله على ما جرت عادة الأطباء في ذلك. ونحن إنما نذكر ههنا من الأدوية أشهرها.

ومن الأشهر ما شهد به جالينوس، فإنه الرجل الموثوق والمجرب في هذه الصناعة. وغيره إنما مثله معها، كما يقول هو، كمن ينادي على الشيء بصفاته، فإذا أبصره لم يعرفه.

ونبتدئ أولا بذكر الأغذية المحضة، ثم نصير إلى المتوسطة بين الغذائية والدوائية، ثم نصير إلى الدوائية المحضة.

٣٩ - القول في أشخاص الأغذية

٩٢ - أجمع الأطباء أن ألوم[1] الأغذية النباتية للناس الطبيعيين، وهم في الأكثر سكان الإقليم الخامس والرابع[2]، هو البر، لكن إذا دخلته الصنعة.

وهو يستعمل على وجوه: إما خبزا، وذلك إما فطيرا وإما مختمرا.

أو يستعمل عصيدا، أو يستعمل هريسا. ويستعمل دقيقه حسوا، أو يستعمل حبه

(١) يعني الأكثر ملاءمة.

(٢) هو حوض البحر الأبيض المتوسط.

مقلوا. وربما جرش بعد القلو والإنقاع، ويسمى سويقا وقد يستعمل مطبوخا من غير تجريش. والحب الذي تتخذ منه هذه المطاعم أصناف: فأفضله الرزين المتكاثف الجرم.

وأفضل الأشياء المصنوعة منه هو الخبز إذا اتخذ دقيقه من القمح الذي بهذه الصفة وكان دقيقه لا مستقصي القشر وهو المسمى درمكا، ولا كثير القشر وهو المسمى خشكارا. والذي بهذه الصفة هو المسمى عندنا مدهونا.

وذلك أن هذا الخبز يوجد قد انحط عن غلظ الدرمك وبطء خروجه عن الأعضاء، وإن كان الدرمك أغذى، وقد ارتفع عن يبس الخشكار وانقلابه إلى طبيعة السوداء. وذلك أن القشر من كل نبات أرضي بارد يابس، وإن كان هذا الخبز يوجد أسرع خروجا عن الأعضاء لا أسرع انهضاما، وجالينوس يستدل على ذلك بأنه يقبل الاختلاط عند العجن، لكن هو بطيء الخروج عن الاعضاء لعدم القشر الذي فيه الجلاء، ولذلك قلنا إن المدهون متوسط بين الخبزين، ويوجد فيه الأمران جميعا أعني سرعة الانهضام وسرعة الخروج، وذلك إذا عجن بملح معتدل وماء كثير حتى يعود في صفة إسفنج البحر في التخلخل، ثم يخمر تخميرا معتدلا، ثم يطبخ في التنور.

وأما الخبز الفطير فغليظ لزج، كما أن الزائد التخمير مستحيل إلى أخلاط عفونية لمكان الحرارة الغريبة التي فيه.

ويتلو المختمر في الجودة الحساء المتخذ من فتاته، إلا أن لموضع الماء الذي فيه يميل إلى البرودة والرطوبة.

وفتات الخبز إذا سلق بالماء الحار مرات تولد منه غذاء في غاية الخفة وسرعة الهضم، وهو أخص شيء بالمرضى الذين أمراضهم حارة.

وسويق القمح أيضا نعم الغذاء، إذا شرب بالماء البارد الكثير يبرد، وذلك أن الإنقاع والقلو يخلخل جوهره ويلطفه.

وإذا عجن بالعسل كان غذاء مسخنا كثير التغذية.

وأما العصائد والهرايس فكلها غليظة لزجة مسددة.

والقمح المطبوخ بالماء أكثر من ذلك بكثير، حتى إنه أبطأ الأشياء انهضاما، وكذلك الحريرة المتخذة من الدقيق أيضا غليظة.

وأما المتخذة من الخمير نفسه ففي غاية اللطافة، وهي مبردة لموضع الحموضة، لكن لا آمن أن تكون مستحيلة، ولذلك قد ينبغي أن تتجنب في الأمراض العفونية.

٩٣ - وأما الخبز المتخذ من الشعير على الصفة التي تتخذ من خبز القمح فهو تال

لخبز القمح في الجودة، ولكنه مائل إلى البرودة.

وسويق الشعير أكثر شيء سرعة في الاستحالة وهو مبرد، وبخاصة إذا شرب بالماء. وبرده كأنه في الدرجة الأولى.

وأما ماء الشعير فهو في الأدوية أدخل منه في الأغذية. وهو من الجيد في الأمراض الحارة اليابسة، بحيث لا يخفى على أحد ممن نظر في هذه الصناعة أدنى نظر، وذلك أنه مبرد مرطب معدل ذو جلاء. حسن الكيموس ليس بمنفخ ولا بطيء الانحدار، وهذه خصال معروفة في البارد الرطب شهدت التجربة له بهذا. وصنعته أن ينقع الحب صحيحا في الماء؛ يوضع للجزء الواحد منه عشرون جزءا من ماء مقدار أربع ساعات، ويطبخ حتى يختر الماء، فإن بهذه الحيلة أمكن أن لا يكون منفخا وتجريشه خطأ، فإنه لا يقبل الإنقاع، لأن الحبوب إنما تجذب الماء بالقوة الجاذبة التي فيها. والقوة الجاذبة إنما تكون موجودة في الحب ما دام الحب يزرع فينبت، وهو إذا جرش وزرع لم ينبت.

وهذا قد نبه عليه أبو مروان بن زهر في كتابه الملقب بالتيسير وذكر غلط الأطباء في تجريشهم إياه.

٩٤ - وأما الأخباز المتخذة من سائر الحبوب فقوتها قوة تلك الحبوب.

وسنذكر تلك الحبوب في الأغذية الدوائية. وقد كان ذكر ماء الشعير في ذلك الموضع أولى لكن أجرى ذكره القول ههنا.

٤٠ - القول في اللحوم

٩٥ - وأما أَلْوَمُ اللحوم لجميع الناس فهي لحوم الدجاج الفتية المصححة، ثم يتلوها في الجودة لحوم الجداء.

وللحوم الدجاج خاصة غريبة في تعديل المزاج، وذلك أن أمراقها تشفي المجذومين، كما أن أدمغتها فيما زعموا تزيد في جوهر الدماغ وتحسن الفكر.

ثم يتلو لحوم الجداء في الجودة لحوم الكباش الفتية.

هذا هو رأي جل الأطباء ما خلا جالينوس فإنه يذمها ويرى أن لحوم البقر أفضل كيموسا.

وأما ابن سينا فيقول: إن اللحوم الفاضلة هي لحوم الغنم، وكأنه يرى أنها طبيعية للناس أكثر من غيرها من الحيوان السيار.

والمشاهدة تدل على ذلك، وأكثر الأطباء يذمون لحوم الحملان لإفراط الرطوبة عليها ويمدحون الكباش الفتية.

وأما الرازي فإنه يرى أن لحوم الحملان تالية للحوم الجداء والحملان يظهر من أمرها أنها كثيرة الفضول اللهم إلا أن تكون معتدلة في تلك البلاد لحرها.

ويشهد لذلك أن شعورها في البلاد الجنوبية جعدة يابسة قصيرة، وهي في هذه البلاد تطول إلى السبوطة.

ولحوم العجاجيل لحم فاضل، وذلك أنه ليس فيه الغلظ ولا البرد واليبس الذي في المسن، وهو من بيد اللحوم عطر، وهو يفضل في هذه الخصلة لحم الجدي. فإن لحم الجدي فيه ذفر ما، يظهر ذلك منه عند الطبخ، كما أن لحم الجدي يفضله في جودة الكيموس.

٩٦ - ومن اللحوم المحمودة من الطير الحجل، وهي مائلة قليلا إلى البرد واليبس. وكأنها دجاجة برية وخاصتها إمساك البطن.

وبخاصة متى أكلت مسلوقة واليمام أيضا من الطير الغذائي إلا أنها مائلة إلى الحر واليبس، لطيفة الجوهر، وخاصتها أنها تذكي القرائح.

وأما الحمام فحار يابس أغلظ جوهرا من اليمام، وفي مزاجها مع هذا رطوبة فضلية.

يدل على ذلك ثقل حركتها، كما أنه يدل على حرارتها ملمسها، وسرعة هضم الأغذية في حواصلها.

ولذلك الذين يريدون صقال الجوهر يطعمونها الفراخ ويذبحونها ساعة تشبع، فيخرج الجوهر مصقولا، لكن قد قلت كميته، وبخاصة متى أبطئ في ذبحها.

ويذكر أن للحمام خاصة في نفع المجذومين والمفلوجين. وأما القماري فغليظة الجوهر حارة يابسة، والشحش ألطف جوهرا منها وألذ وفيه عطارة.

وأما العصافير فكلها حارة يابسة في الغاية من الحرارة.

وأما السمّان فمعتدلة أو مائلة إلى الحر قليلا لطيفة الجوهر حسنة الكيموس تصلح للأصحاء والناقهين.

وأما الزرازير فحارة يابسة بطيئة الانهضام غليظة الجوهر.

٩٧ - وأفضل لحوم الحيتان[1] هي الحيتان التي تأوي الصخور، الكثيرة التفليس التي ليست بالصغيرة ولا الكبيرة السريعة الحركة القليلة الزهومة[2].

ومن الأنواع المحمودة عندنا منها البوري ويتلوه الشابل، إلا أنه أعظم جرما منه،

---

(١) أي: الأسماك.

(٢) أي: الدسم.

لكنه إذا صيد في الأنهار بعيدا من البحر كان ضرورة قليل الفضول، لأن هذا الحوت[١] من طبعه طلب الماء البارد، فهو يرتاض لذلك.

٤١ – الألبان والبيض والزيوت والفواكه

٩٨ – ومن الأغذية الطبيعية الألبان والبيض، وأفضل ألبان الحيوان لبن النساء، ويليه لبن الأتن[٢]، ويليه لبن الماعز، وذلك أن هذه الألبان في غاية اللطافة.

وأما لبن الغنم فإلى الغلظ ما هو، ولذلك كثيرا ما يتجبن في المعدة، وأغلظ منه لبن البقر. وهذا اللبن مع أنه أغلظ فهو أكثر دسما.

وأما الأجبان فالطرية منها باردة رطبة غليظة الجوهر، والقديمة حارة يابسة لموضع الملح.

٩٩ – وأما البيض فأفضله بيض الدجاج.

والمح أفضل بكثير من بياضه. لكن بياض البيض ليس بمفرط الرداءة إذا لم يطبخ حتى ينعقد، ولهذا أمرت الأطباء بطبخه نمبرشت أي غير كثير الانعقاد، بل أن تكون رعادة واتخذته بالمري والخل والزيت.

١٠٠ – ومن العصارات الغذائية جدا الزيت، وهو معتدل أو مائل إلى الحر قليلا، مسمن للكبد، ملائم بجملة جوهره للإنسان جدا، ولذلك ليس تطبخ اللحوم في بلادنا هذه إلا به، وكذلك الأحساء أعني أنه يضاف إلى الماء.

وهذا أعدل استعمال للطبخ في اللحوم، أعني الطبخ الذي يكون بالماء والزيت وقليل ملح وبصل، وهو المسمى تفايا وهو أبسطها.

وأما المشوية فليست مستوية الطبخ. والأخباز المعجونة بالزيت رديئة لأنها عند طبخها يحترق فيها وتصيبه كبريتي ما.

وأما الربوب فكلها حارة يابسة نافعة للأعضاء التي تقبل الخشونة، لكن مع هذا إذا كانت قليلة الطبخ لها معونة في الهضم.

١٠١ – وأما الفواكه فأفضلها التين والعنب. والتين في مزاجه حار رطب يخل بالمعدة، ويلين البطن، وفيه جلاء بحسب ما فيه من اللبنية.

وأفضله أتمه نضجا. وأما العنب فإنه حار حرارة قليلة، رطب باعتدال، يخصب

---

(١) أي: السمك.

(٢) جمع أتان: الحمارة.

البدن بسرعة، إلا أنه تكون عنه رياح في الهضوم الثلاثة كلها، بخلاف التين، فإن الرياح المتولدة عنه إنما هي في المعدة والأمعاء.

وأما الزبيب فحار رطب منضج نافع للكبد بجملة جوهره، وأما نبيذه فهو أضعف في أفعاله من الخمر، وهو بالجملة يتوب منابها.

٤٢ - في المياه

١٠٢ - وأما المياه فإن أفضلها على ما يراه أبقراط وسائر القدماء هو مياه العيون الشرقية النابعة في الأرضين التي ليست بصلبة جبلية ولا دمثة سباخية، بل في الأرضين المعتدلة، فإن هذه المياه هي أعذب المياه وأفضلها، وذلك أنها أخف المياه وزنا، وهي مع هذا سريعة التأثر عن الحر والبرد، وأما الرازي فإنه يرى أن أفضل المياه مياه الأنهار الكبار العذبة.

وأبقراط يرى أن مياه الأنهار الكبار من قبل أنها تمر بأرضين مختلفة متشتتة الجوهر.

وأيضا فإن الأنهار الكبار في الأغلب لابد أن تقع فيها أنهار صغار، وتلك الأنهار تكون ضرورة مختلفة المياه.

وإنما حمد الرازي الأنهار الكبار، أظن، لموضع فعل الشمس فيها، فإن الحرارة تفعل في المياه تمييزا للأجزاء الغليظة من الأجزاء الرقيقة، ولذلك صار الأطباء يطبخون الماء لمضعوفي المعد والأكباد. وإن كان الأمر هكذا فما يفعل فيها اختلاف المياه واختلاف الأرضين أحق أن يعتبر، مع أنه لابد في الشتوة من مخالطة مياه الأمطار لها والثلوج، وقد أجمع على ذمها ولهذه العلة كانت الأنهار الكبار ما بعدت عن منبعها أردأ.

١٠٣ - ولذلك كان «النهر الكبير» عندنا بقرطبة أفضل منه عند أهل إشبيلية، وأيضا يزيد في إشبيلية تثورا بالمد والجزر الذي هنالك، ومخالطة الماء المالح بالقوة، وإن لم يتبين في الطعم منه، لقرب البحر منها، لكن على كل حال الأنهار الكبار لا تخلو مياهها من العكر، ولذلك يلفى في قيعان الخوابي التي تجعل فيها مياه الأنهار ترابًا كثيرًا ورملاً كثيرًا، كما يعتري ذلك ببلدنا. وليس يعتري ذلك عندنا في مياه العيون. فهذه هي الأغذية والأشربة الطبيعية للناس بما هم ناس، وينبغي أن نقول في الأغذية الدوائية.

٤٣ - الأغذية الدوائية

١٠٤ - وهذه أيضا منها نبات ومنها حيوان ومنها فضل الحيوان ومنها أشربة. والنبات منه حبوب ومنه فواكه ومنه بقول.

الباقلّي: إما أن يكون معتدلا في الحر والبرد، وإما أن يكون مائلا إلى الحر قليلا.

ولذلك صار يحلل الأورام بالجلاء الذي فيه، وينضجها، وهو كثير الرطوبة، ولذلك يتولد عنه نفخ كثير، وذلك ليس في الطبخ قوة على إذهاب نفخته ولو طبخ كل الطبخ كما يقول جالينوس، وزعموا أن خاصته الإضرار بالفكر، وأن من تمادى عليه لا يرى رؤيا صادقة.

الحمص: حار باعتدال، رطب ذو نفخة أيضا. وأفعاله الثوالث أنه يزيد في المني، ويدر البول والطمث، ويفتت الحصى الأسود منه.

والذي يؤكل منه رطبا يولد في المعدة والأمعاء فضولا كثيرة.

والمقلو منه، ومن الباقلي، أقل نفخة إلا أنه أعسر هضما، اللهم أن يخلخله الإنقاع قبل ذلك. وخاصته تحمير البشرة، وذلك ضرورة لكثرة ما يتولد عنه من الروح. ولذلك يعين على الباه.

العدس: بارد يابس يولد دما أسود، ويطفئ الدم الملتهب، ولا سيما إذا طبخ بالخل. وأفعاله الثوالث أنه يقطع الباه ويولد ظلمة البصر، وهو إذا سلق بالماء حابس للبطن.

الترمس: يابس أرضي مر، فإذا أنقع في الماء حتى تذهب مرارته كان غذاء طيبا. وهو إذا استعمل مرا قتل الأجنة، وأخرج الحيات من الجوف، ويدر البول ويفتح أفواه البواسير.

الأرز: غليظ الجوهر قريب من الاعتدال في الحر والبرد ويقطع الإسهال، وهو غذاء لذيذ إذا طبخ باللبن.

اللوبيا: إلى الحرارة ما هي والرطوبة، تخصب البدن وتدر البول والطمث، وتلين البطن وخاصة الأحمر منها وتري أحلاما وتسدر الرأس.

الدخن: بارد يابس عاقل للبطن، قليل الغذاء.

الذرة: باردة يابسة قليلة الغذاء.

الجلبان: بارد مجفف قليل الغذاء.

٤٤ - الكلام في الفواكه

١٠٥ - التفاح: الحلو حار باعتدال رطب، والحامض بارد يابس خاصته تقوية الأعضاء الرئيسية، وبخاصة القلب، وهو يقوي الدماغ بالشم. وهذا كله بعطريته. وهو مما يولد رياحا غليظة في الهضم الثاني والثالث، حتى إنهم زعموا أنه ربما كان سببا للسل

وذلك أنه تخرق الرياح المتولدة عنه شرايين الرئة هكذا حكاه عنه أبو مروان بن زهر، ولكن شرابه ليس تتولد عنه هذه النفخة.

الكمثرى: أما الذي لم يدرك منه ففج بارد يابس، وأما الذي أدرك فمعتدل أو مائل إلى البرد قليلا، وإنما كان كذلك لأنه مركب من حلاوة وحموضة وقبض. وأفعاله الثوالث قبض البطن. وخاصته قطع العطش.

السفرجل: أغلظ جوهرا من الكمثرى وأكثر قبضا، ولذلك صار برده أكثر. وخاصته أنه يشد النفس، وينفع من الخفقان شمه، كما ينفع الكمثرى، وهو في ذلك أقوى.

الرمان: منه الحلو ومنه الحامض، وكلاهما يرطبان، إلا أن الحلو أرطب، وتكون عنه نفخة يسيرة. وخاصته أنه يمنع الأغذية من أن تفسد في المعدة.

الخوخ: بارد رطب يحدث أخلاطا زجاجية، خاصته أنه إذا شم نفع من الغشي، ينفع أكله من بخر المعدة، وأما لب نواه فإنه يجلو الوجه. ودهنه ينفع من ثقل السمع، وعصارته تقتل الديدان.

وأما المشمش: فإن مزاجه يقرب من مزاج الخوخ، إلا أنه ليس فيه خواص الخوخ.

العبقر: هذا نوعان أبيض وأسود، وكلاهما، إذا أدرك، بارد رطب يكسر صورة الصفراء ويلين البطن ويرخي فم المعدة بعض إرخاء.

الجوز: حار يابس يغثي المعدة[1]، ويلين البطن، خاصته، زعموا، أنه إذا أكثر منه ولّد عقلة في اللسان. وهو إذا أكل بالتين شفي من السموم، وينفع الشيوخ ويضر المحرورين. وهو بالجملة غير ضار في وقت البرد القوي.

البندق: وهو المعروف بالجلّوز، هو شبيه بالجوز في جميع أحواله، إلا أن تغثيته للمعدة أقل.

اللوز: حار حرارة فاترة، رطب لذيذ المطعم، وله خواص كثيرة، منها أنهم زعموا أنه يزيد في جوهر الدماغ، وينوم نوما معتدلا، ويجلو وينقي مجاري البول. وهو بالجملة يصلح لمن يشكو هلاسا ونحافة، ودهنه أفضل الأدهان في الترطيب لأصحاب التشنج اليابس، وهو أفضل بكثير من دهن السمسم لموضع القبض الذي في هذا الدهن وكثرة الإرخاء الذي في دهن السمسم، وأيضا فإن دهن السمسم أشد حرارة. وخاصته فيما زعموا تبخير الفم. لكن جرت عادة الأطباء بأن يستعملوه بدله.

---

(١) أي يجعلها مضطربة في حالة قيء.

الصنوبر: حار يابس حرارة كثيرة، ولذلك دهنه يشفي من الفالج والاسترخاء.

الفستق: هو حار يابس حرارة باعتدال، يقوي المعدة والكبد، وهو بجملة جوهره من الأدوية العظيمة المنافع.

٤٥ - في البقول

١٠٦ - والبقول كلها مائلة بطبائعها إلى الأخلاط السوداوية، وبجملة جوهرها، إلا الخس لبرده ورطوبته، والحشيشة المعروفة عندنا بالكحيلاء، وهي لسان الثور.

الكرنب: حار يابس مولد للخلط السوداوي ضرورة. وخاصته زعموا أن عصارته تصفي الصوت.

القرع: أما القرع فإن الأطباء زعموا أنه بارد رطب مائي، وأن الخلط المتولد عنه بهذه الصفة.

قالوا: ويسرع خروجه إذا أكل مطبوخا من المعدة.

قالوا: وربما فسد في المعدة واستحال استحالة رديئة، على ما يعرض للأشياء الرطبة التي ليس فيها قبض ولا أرضية.

ويشبهونه بالتوت والبطيخ. وليس القرع في بلادنا هذه بهذه الصفة، بل هو أعسر الأشياء انهضاما وأغلظها جوهرا، حتى أن إصلاحه إنما هو بالطبخ الشديد وهو مع هذا كله رديء الكيموس، وإن كان يبرد ويرطب لأنه ليس فيه قوة بها يسهل خروجه، أعني ليس فيه قوة جلاء لا قليلا ولا كثيرا.

البطيخ: بارد مع رطوبة كثيرة، وفيه جلاء، وأفعاله إدرار البول حتى إنهم زعموا أن الإدمان على شرب مائه أمان من الحصى.

والقثاء: أبرد من البطيخ وأقل رطوبة، وإدراره للبول أقل من إدرار البطيخ، ولكونه أقل رطوبة لا يسرع إليه الفساد في المعدة كإسراعه إلى البطيخ.

البقلة الحمقاء[1]: باردة في الدرجة الثالثة، رطبة في الثانية، لزجة تطفئ العطش عاقلة للبطن مذهبة فيما زعموا للضرس.

---

(١) هي الرجلة والبقلة المباركة والفرمج وهي باردة رطبة في الثالثة تنفع المواد الصفراوية أكلاً وضمادًا، وتقطع الباءة وتضعف شهوة الجماع والطعام.

قيل: بارك النبي ﷺ فيها، بدله هندباء أو عنب الثعلب وشربة عصارتها إلى ثمانية عشر درهمًا.

القطف[١]: بارد رطب ملين للبطن، نافع فيما زعموا لأصحاب اليرقان والأكباد الحارة.

الاسفيناخ[٢]: معتدل جيد للحلق والرئة والمعدة، يلين البطن. وهو في البرودة والرطوبة في الدرجة الثانية.

البقلة اليمانية: قريبة من القطف إلا أنها أسخن وأقل رطوبة وهي المعروفة عندنا باليربوز.

اللفت: حار رطب يولد نفخا ويهيج الباه، ويسخن الكلى والظهر، وزعموا أن له خاصة في إحداد البصر.

الباذنجان: هذه البقلة تستعمل عندنا كثيرا في الأطعمة، وهي إذا سلقت وطبخت باللحم لذيذة جدا، وهي فيما أرى بعد السلق معتدلة، وذلك أن الجزء الحريف منها يذهب بالسلق، إلا أنها شديدة اليبوسة لموضع الغلظ الظاهر في جوهرها والقبض، لكن كما قلنا يعدل من يبوستها اللحم تعديلا كثيرا.

والأطباء يزعمون أن الخلط المتولد عنها خلط سوداوي، شبيه بالخلط المتولد عن الكرنب، لكن هي بالجملة مألوفة غذائية، ولذلك لا يظهر الضرر اللاحق عنها إلا بعد إدمان كثير. فهذه هي أشهر الأغذية المستعملة عندنا، وفيها دوائية ما، ولنصر إلى القول في الأدوية.

٤٦ - القول في الأدوية

١٠٧ - الأدوية النباتية:

القيصوم: قواه الأول هو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة.

والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق، والدليل على ذلك أنه دواء في غاية المرارة.

أفعاله الثواني يقطع ويحلل ويفتح السدد تفتيحا قويا، هو في ذلك أبلغ من

---

(١) القطف: هو السرمق والبقلة الرومية وهو بري وبستاني في الاستعمال في الأولى رطب في الثانية يلين البطن وينفع من اليرقان وبزره يهيج القيء ويقمع الصفراء وإذا شرب من بزره ثلاثة دراهم استفافا بالعسل على الريق كان ترياقا للاستسقاء والأكثر من يهلك ولا يقبله إلا من كان غليظ الطبع بدله خبازى.

(٢) الاسفيناخ: اسفاناخ؛ واسفناخ واسبانخ وهو بقلة برية وبستانية تشبه الرجلة إلا أنها أطول قضبانا وهو بارد رطب في الأولى مثل السلق ويبدل منه، يلين الطبيعة.

الأفسنتين، لمكان القبض الذي في الأفسنتين، قوته الثالثة الإخلال بفم المعدة لموضع مرارته من غير قبض، والمستعمل من هذا النبات هو أطرافه وزهره، وإذا أحرق اشتدت يبوسته وحرارته.

وينفع من داء الثعلب إذا طلي ببعض الأدهان الحارة، بمنزلة دهن الخروع، ورماده بالجملة أشد يبسا وحرارة من رماد القرع المجفف وأصول الشبث لبعد مزاج هذين الدوائين عن هذا الدواء، ولذلك صار رماد القرع المحرق والشبث يصلح للقروح التي فيها صلابة، مثل القروح الحادثة في القلفة، وذلك إذا كانت من غير تورم.

الفنجنكست: وهو المسمى عندنا شجرة إبراهيم، قوته الأولى من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، والسبب في ذلك أن الغالب على مزاجه جوهر أرضي محترق، وقد يخالطه أرضي بارد.

والدليل على ذلك أن مذاقه هذا الدواء حريفة مع عفوصة يسيرة.

وبين أن الأفعال الثواني من مثل هذا المزاج، هي التقطيع والتفتيح والعفوصة، ممّا تعيّن على ذلك في الأعضاء الباطنة مثل الكبد والطحال.

أفعاله الثوالث قطع الباه: ولذلك يسمى حبه حب الفقد.

وكان النساء من أهل أثينا بهذا السبب يفرشنه تحتهن في أعيادهن العظام. وبالجملة فقوته قوة السذاب، إلا أن السذاب أكثر إسخانا منه وأكثر تجفيفا، وهو مع هذا أعني السذاب ليس فيه قبض.

الثيل: وهو المسمى بالنجيل، أصل هذا النبات قوته الأولى حارة يابسة باعتدال.

والعلة في ذلك أنه مركب من جوهر مائي وجوهر أرضي، مع قليل نارية.

يدل على ذلك أنه مسيخ الطعم مع شيء من القبض والحرافة، وأما حشيشته فهي مسيخة الطعم فقط، ولذلك كانت قوتها الأولى باردة يابسة باعتدال، وقوتها الثانية تدمل الجراحات الطرية بدمها، وأما أصل هذا النبات فقوته الثالثة تفتيت الحصى، ومما يشهد أن مزاج هذا النبات هو المزاج الذي وصفنا أنه ينبت في الوهاد والأرضين الرطبة.

الشنجار: وهو المسمى عندنا برجل الحمامة. هذا هو أنواع أربعة، تختلف بالأقل والأكثر، ولم يدرجه جالينوس. والذي أحدس عليه من مزاجه أنه بارد في الأولى يابس في الثانية.

والعلة في ذلك أن هذا الدواء الغالب على أجزائه جوهره أرضي بارد مع أرضية محترقة.

ولهذا كان طعمه قابضا مع مرارة فلو كانت المرارة مساوية للقبض لحكمنا له بالاعتدال، كما أن القبض أيضا لو كان مفردا لحكمنا له بالبرد.

ولما تعاضدت المرارة مع القبض في دلالتها على اليبوسة جعلناه منها في الدرجة الثانية، لأنه ليس بشديد القبض ولا المرارة، ولذلك لا يخفى، ما مزاجه هذا المزاج، ما أفعاله الثواني والثوالث، ولذلك صار نافعا لمن به وجع الكليتين ووجع الطحال، وهو أيضا يشفي البهق والعلة التي يتقشر فيها الجلد، إذا سحق بالخل وطلي على الموضع.

الغاريقون: هذا الدواء لم يدرجه جالينوس، والذي يحدس عليه من مزاجه أنه حار في الأولى يابس في آخر الثانية.

وذلك أنه مؤلف من أجزاء باردة أرضية وحارة أرضية وحارة نارية وحارة رطبة.

يشهد لذلك أن الإنسان إذا ذاقه وجد فيه أولا حلاوة ثم بعد مرارة، ثم بعد حرافة مع قبض يسير، وذلك أن هذه الطعوم كلها تدل على الحر، إلا ما يكسر القبض من ذلك.

كما أنها أيضا تدل على اليبوسة إلا ما تكسر الحلاوة بتعديلها من ذلك.

لكن كسر القابض بالبرد أكثر من كسر الحلاوة بالترطيب ولذلك جعلناه أيبس مما أحر، ولأن هذا النبات شبيه بأصل الشجر يدل على غلبة الأرضية عليه. لكن مع هذا هو هش متفتت أبيض اللون.

وهذا كله مما يدل على مخالطة هوائية صالحة له.

وإنما جعلناه حارا في الأولى وإن كانت فيه ثلاثة طعوم تدل على الحرارة.

لأنها فيه غير قوية ولا ظاهرة.

وبالجملة ينبغي أن نعتمد في تدريجه على التجربة.

وأما أفعاله، غير الأول، فالتحليل والتقطيع للأخلاط الغليظة وتفتيح سدد الكبد والطحال والكليتين والرأس.

وأما خواصه فهو ينفع لمن نهشته دابة من الدواب المسمومة، زعموا، إذا كان سمها تظهر عليه أعراض البرودة.

والشربة منه للملسوع مقدار مثقال واحد.

وهو أيضا دواء محمود في الإسهال للأخلاط الغليظة من غير أن يكون فيه ضرر الأدوية المسهلة.

وهو في أول مرتبة من مراتب الأدوية الجاذبة من أقصى البدن.

وله خاصية في تنقية الدماغ، ولذلك يشفي من الصرع، ومن ابتداء الماء النازل في

العين. والشربة منه من درهم إلى درهمين.

وليس يحتاج إلى إصلاح، اللهم إلا ما يكسر من يبوسته فقط.

وليس ينبغي أن يعتقد أن تلطيفه للأخلاط القوية وتقطيعه يدل منه على حرارة قوية، كما غلط في ذلك كثير من الحدث[١].

البرشاوشان: وهو كزبرة البئر، هذا الدواء شهد له جالينوس أنه معتدل في قواه الأول، مع أنه دواء له أفعال ثوان كثيرة وثوالث، منها أنه يلطف ويحلل وينبت الشعر في داء الثعلب. ويحلل الخنازير والدبيلات، ويفتت الحصى، ويعين في نفث الأخلاط الغليظة اللزجة التي تخرج من الصدر والرئة.

وجالينوس يقول فيه إنه يحبس البطن. والحدث يقولون إن فيه قوة مسهلة. ومثل هذا الدواء ينبغي أن تشد اليد عليه، أعني الأدوية التي لها أفعال ثوان وثوالث، وهي مع هذا معتدلة لأمر ستعرفه بعد.

حي العالم: هذا النبات أنواع، منه المسمى الشيان وهو يزرع في الدور، ومنه المسمى المصفقات ومنه المسمى عنب السقف، وكلها في الدرجة الثالثة من البرودة، وذلك أنها مسيخة الطعم كثيرة المائية. وهي تجفف تجفيفا يسيرا. ويدل أيضا على ذلك أنها تنبت في المواضع الباردة وفي فصل الشتاء.

الأقاقيا: وهو رب شجر القرظ، هذا الدواء قوته الأولى من البرودة إذا غسل في الدرجة الثانية، ومن اليبوسة في الثالثة، وإذا لم يغسل فهو من البرودة في الأولى.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغلب عليه جوهر أرضي بارد، ولذلك كان قابض الطعم، وهو مع هذا فيه شيء من جزء لطيف حار يذهب بالغسل.

الأنجرة[٢]: وهي الخربق، ثمرة هذا النبات وورقه، يرى جالينوس فيها أنها تسخن إسخانا ليس بالقوي. وله أفعال كثيرة ثوان وثوالث.

منها أنه يحل الخراجات والأورام التي تحدث بأصول الأذنين، ومنها أنه يعين على نفث الأخلاط الغليظة التي في الصدر والرئة، وهو أيضا يشفي القروح المتآكلة. وبالجملة

---

(١) هم المحدثون من الأطباء دون جالينوس.

(٢) يعرف بالخربق، وهو نبات بزره يشبه ببزر الكراث إلا أنه أصفر اللون شديد اللذع وهو حار يابس في الثانية وقيل: في أول الثالثة ويقال هذه النبتة القريص، وإذا سحق بزرها وخلط مع عقيد العنب حرك الباءة تحريكًا جيدًا وينفع من وجع الكلى ويفتت الحصى من المثانة والكلى بدله وزنه بزر البصل وشربته إلى ثلاثة دراهم.

من كل ما يحتاج إلى التجفيف من غير لذع.

وهذا أدل دليل على ضعف حرارته. وهو مع هذا يدر البول ويهيج الباه.

وهذا أيضا يدل على نفخة فيه.

وأما خاصته أعني بزره فإسهال البلغم، وقوته في ذلك شبيهة بقوة القرطم إلا أنه في ذلك أقوى فعلا.

الشربة منه من خمسة دراهم إلى عشرة دراهم ومن ظن أنه ناري لمكان التلذيع الذي في ورقة فهو مخطئ، لأن ذلك الجزء الناري الذي في ورقه لطيف يذهب بالمسح فضلا عن الغسل.

الباذاورد والشكاعي: هذان النباتان باردان، هما من البرد في الأولى على ما شهد به أكثر الأطباء.

وقد قيل إنهما حاران يابسان واليبس فيهما أغلب من البرد، وبخاصة الشكاعي.

وهما ينفعان من استطلاق البطن بالقبض الذي فيهما، ومن نزف الدم، ومن اللهاة الوارمة، ومن الأورام الحادثة في المقعدة. والمستعمل من الباذاورد أصله، ومن الشكاعي ثمرته وأصله.

وج: صنفان جلب وأندلسي وهو المعروف بالأشبطالة، باللسان العجمي. هذا النبات: المستعمل منه أصله. قواه الأول من الحرارة، واليبس في الدرجة الثالثة، وذلك أن أغلب أجزائه هو الجوهر الناري اللطيف، وربما خالطته أرضية محترقة. والدليل على هذا أن طعمه حريف مع مرارة يسيرة.

أفعاله الثواني يجلو ويقطع ويلطف ويفتح السدد.

أفعاله الثوالث يدر البول وينفع من صلابة الطحال ويجلو كل ما يحدث من الغلظ في الطبقة القرنية من طبقات العين، وبخاصة عصارة أصله.

الصبر: هذا الدواء قوته الأولى هو في الإسخان، أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، ومن اليبس في الثالثة.

والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق يخالطه أرضي بارد.

فهو يكسر من الحرارة التي فيه، ويجتمعان في معنى اليبس.

والدليل على ذلك أن طعمه شديد المرارة مع قبض.

ومما يدل على أن مزاجه الحرارة أنه إنما ينبت بالبلاد الحارة، وذلك إما ببلاد العرب وإما ببلاد الهند. وما ينبت في البلاد غير الحارة منه فهو ضعيف، قواه الثواني يقبض

ويردع ويجلو، ولذلك صار دواء نافعا لإنبات اللحم، قواه الثوالث يلزق النواصر والقروح التي في الذكر والدبر، ويردع الأورام الحادثة في الفم والمنخرين والعينين، وخاصته إسهال الصفراء الرقيقة والغليظة.

وهو من الأدوية المأمونة جدا، إذ كان ليس فيه إخلال بفم المعدة لقبضه.

ومرتبته في الإسهال قريبة من مرتبة الغاريقون إلا أنه أضعف جذبا منه، وذلك أن الغاريقون يجذب من أقصى البدن، والصبر إنما يجذب ما في طبقات المعدة وجداول الكبد. ولهذا كان خاصا بتنقية المعدة. والشربة منه من درهم إلى مثقال.

الوسن: هذا الدواء قوته الأولى حارة، أما في الأولى ممتدة وأما في الثانية مسترخية، وكذلك في اليبس. والدليل على ذلك أنه يجلو جلاء يسيرا ويجفف.

وينقي الكليتين ويذهب الكلف من الوجه.

وخاصته التي شهر بها هذا الدواء هي المنفعة من عضة الكَلْب الكَلِب.

نانوخة[١]: أكثر ما يستعمل من هذا الدواء بزره. قوته الأولى من التسخين واليبس في الدرجة الثالثة ممتدة. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر ناري وأرضي محترق. والدليل على ذلك أن طعمه حريف تخالطه مرارة ما.

وأما قوته الثانية فبينة من مزاجه، وهي التفتيح والتحليل، وأما قوته الثالثة فإدرار البول.

اللوز المر: قوته الأولى من الحرارة في الدرجة الثانية، ومن اليبوسة فيها، إلا أنه يشبه أن يكون في الحرارة ممتدة، وفي اليبوسة مسترخية أو في الأولى، لأن الرطوبة في اللوز ظاهرة لمكان الدهنية التي فيه.

وليس يخفى عليك المزاج الفاعل لهذه الأفعال أنه مزاج حار فيه أرضية ما.

والدليل على ذلك طعمه .

وأما قواه الثوالث فتفتيح السدد التي في الكبد، ويشفي الأوجاع الحادثة في الأضلاع وفي الطحال وفي الكليتين، ويعين على نفث الأخلاط الغليظة اللزجة التي في الرئة والصدر.

---

(١) نانوخة: هي النوخة ونتوخ وناخنة وهو حار يابس في الثانية وقيل: في الثالثة، يقال له: خبز الفراعنة، والكمون الحبشي وتعرف في المغرب بالفليفلة ويسمى الكمون الملكي ويستعمل كدواء معروف وفيه حرارة وحرافة.

وأنا أرى أن أكثر أفعاله هذه الأفعال ليس بحرارة مفرطة فيه، بل بإنضاج يفعل في هذه المواد لمكان تعديلها بالرطوبة الدهنية التي فيه، ولذلك صار أوفق شيء لتفتيح السدد التي في الرئة والصدر، إذ كانت هذه الأعضاء تستضر بالخشونة.

الأشق: هذه الصمغة يستدل من أفعالها الثوالث بتخمين أنها حارة يابسة، لكن حرارتها في الدرجة الثانية مسترخية، ويبسها في الأولى.

أما حرارتها فمن حيث هي صمغ.

وقد علمنا أن الصموغ قد خثرتها الحرارة وغلظتها لكونها فضلة النبات. وأما أنها في مثل هذه الدرجة من الحرارة فلكونها ملينة، وكذلك مرتبتها من اليبوسة. ويشهد على أن اليبوسة فيها قليلة اللزوجة التي فيها، وذلك بين موجود في جميع الأصماغ.

وأما قوتها الثانية والثالثة فالتليين وتحليل الصلابات الحادثة في المفاصل الثؤلولية، ويشفي الطحال الصلب ويفش الخنازير.

الحماما: قوى هذا النبات شبيهة بقوى الوج، إلا أن الوج أكثر تجفيفا والحماما أكثر إنضاجا.

شقائق النعمان[١]: هو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، خاصته إذا مضغ أصله اجتذب البلغم. وعصارته تنقي الدماغ من المنخرين.

وأما قواها الثواني فلن تخفى عليك.

وكذلك الثوالث تجلو الأثر الحادث في العين عن قرحة فيها، وتستأصل العلة التي يتقشر معها الجلد وتدر الطمث واللبن.

الشبث: هذا هو من الإسخان: أما في الدرجة الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، وتجفيفه في الدرجة الثانية عند ابتدائها أو في الأولى عند انتهائها.

ولهذا صار متى طبخ بالزيت صار ذلك الزيت يحلل، ويسكن الوجع، وينضج الأورام اللينة التي لم تنضج، ويجلب النوم، وذلك أن الزيت الذي يطبخ به يصير مزاجه قريبا من مزاج الأدوية المنضجة، إلا أنه أسخن منها قليلا وألطف، فهو بهذا السبب يحلل.

---

(١) شقائق النعمان: هو أنواع الذكر والأنثى وغير ذلك كلها حارة رطبة قيل: في الثانية، وقيل: حارة يابسة في الأولى، وقيل في الثانية وهو نبات مشهور قشره وورقه قريب من الأرض منبسط عليها، له أغصان دقاق حضر تولد فروعًا وتعقد رءوسًا تنفتح عن زهرة مستديرة وهو نوعان: كل واحد منهما أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة غير أن زهر الواحد منهما أرق من الآخر.

وإذا أحرق الشبث صار في الدرجة الثانية من الإسخان والتجفيف، ولذلك ينفع القروح الكثيرة الرطوبة، وبخاصة التي تكون في أعضاء التناسل.

والشبث الطري أقل حرارة وأرطب من اليابس، ولذلك صار يجلب النوم وينضج أكثر من اليابس.

واليابس يحلل أكثر منه.

وبهذا السبب، كما يقول جالينوس، كان القدماء يتخذون منه أكاليل يضعونها على رءوسهم في أوقات الشراب.

البابونج: هذا الدواء يسخن ويجفف في الدرجة الأولى، وقواه الثواني أنه يحلل ويرخي ويوسع مسام البدن وينضج وله خاصة في تسكين أوجاع الجوف.

الأنيسون: المستعمل من هذا النبات في الأكثر هو بزره، وهو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، وذلك أن الجوهر الناري غالب عليه، والدليل على ذلك أنه حريف الطعم مع حلاوة أفعاله الثواني والثوالث أنه محلل، مذهب للنفخ الحادث في البطن، مدر للبول فتاح للسدد.

زراوند: المستعمل من هذا النبات في الأكثر هو أصله. وهذا النبات ضربان: الزراوند المدحرج، والزراوند الطويل.

والمدحرج أقوى في التقطيع والتلطيف، والطويل أنفع في الجلاء وإنبات اللحم. قواهما الأول: هما من الحرارة واليبس في الدرجة الثانية، وذلك أنهما مركبان من جوهر ناري قليل وأرضي محترق.

والدليل على ذلك المرارة الموجودة في طعمه مع الحرافة.

أفعاله الثواني، وبخاصة المدحرج، أنه يلطف الأخلاط الغليظة تلطيفا بليغا. ولذلك يشفي الأوجاع التي تكون من قبل أمثال هذه الأخلاط والسدد، ويخرج السلا، ويذهب العفونة، وينقي القروح الوسخة، وينبت اللحم فيها.

أفعاله الثوالث يجلو الأسنان واللثة، وينفع أصحاب الربو وأصحاب الفواق وأصحاب الصرع وأصحاب النقرس، إذا شرب بالماء، وهو موافق جدا للفسوخ الحادثة في أطراف العضل، وهذا النبات يدعى عندنا باللسان الأعجمي بالمسمقورة.

لسان الحمل[1]: هذا الدواء قوته الأولى هو بارد يابس في الدرجة الثانية، وذلك في

---

(١) لسان الحمل: هو لسان الكبش وهو المصاصة له حب كالحمص وورق عريض مزغب بارد

ورقه الخضر، وأما أصله فأقل بردا منه وأكثر يبسا، وورقه أيضا إذا جفف كذلك. وإنما صار هذا الدواء هكذا لأنه مركب من جوهر مائي وأرضي بارد، يدل على ذلك التفاهة التي في طعمه والقبض أفعاله الثواني، يجفف ويردع، نافع للقروح الرديئة الخبيثة كلها وللمواد المتعفنة يدمل النواصير، أفعاله الثوالث موافق للقروح التي في الأمعاء، قاطع للدم الذي يكون منها، وكذلك للرحم.

وأصله نافع من وجع الأسنان ومفتح لسدد الكبد والكليتين.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الأصل من كل نبات أحر من الورق ضرورة.

ولست أخلي ورق هذا النبات من حرارة، وذلك أنه يظهر من أمره أنه يجلو القروح وينقيها، وذلك بين من فعله لمن شاهده.

الأسارون[١]: الذي ينتفع به من هذه الحشيشة إنما هو أصلها، وقوتها شبيهة بقوة الوج، إلا أنها أقوى في ذلك.

الدارشيشعان: قوته الأولى من الحرارة في الأولى ومن اليبوسة في الثانية. وذلك أنه مركب من جوهر ناري وأرضي بارد، ولذلك كان حريف الطعم قابضا، قواه الثواني ينفع من القروح المتعفنة ومن المواد المتحلبة.

اللوف: المسمى أرون وهو المسمى عندنا بالصارة وهذا النبات من التجفيف والتسخين في الدرجة الأولى، وأصوله أنفع ما فيه، قواه الثواني تقطع الأخلاط الغليظة تقطيعا معتدلا. وقواه الثوالث يسهل النفث من الصدر. والناس في المجاعات عندنا يستعملون من هذا النبات خبزا يأكلونه ولكنه يعود عليهم بضرر كثير.

هليون[٢]: هذه الحشيشة معتدلة، أو إلى الحرارة قليلا، وذلك أنه يخالط طعمها

يابس في الثانية ويقال برد وسلام وهو نوعان كبير وصغير وهو قابض مبرد عجيب الإلحام جيد للقروح الخبيثة، والجمرة وحرق النار.

(١) أسارون: ناردين بري، حشيشة ذات بزور كثيرة وأصول كبيرة ذوات عقد معوجة، زكية الرائحة لذاعة للسان، لها زهر بين الورق عند أصولها، ولونها فرفيري شبيه بزهر البنج، وأصولها أنفع ما فيها، وهذه الحشيشة كانت معروفة بالأندلس في عهد ابن رشد وكانت ولا تزال تنبت في سهول وجبال إسبانيا.

(٢) هليون: هو السكوم وهو نوعان أحدهما ورقة إلى الصفرة والآخر إلى السواد وقيل أنواع حار رطب في الأولى أو معتدل وعند الشيخ داود حار في الثانية رطب في الأولى وبزره حار في الثانية يابس في الأولى وهو يفتح سدد الكلية وينفع من وجع الظهر ويزيد في المني

مرارة، ولكن يسيرة، ولذلك تذهب بالسلق، وتؤكل الحشيشة.

قواها الثوالث تفتح السدد في الكليتين، وخاصة أصلها وبزرها، وتشفي أيضا وجع الأسنان.

الجعدة: هذه أصناف كلها حارة يابسة، تفتح سدد جميع الأعضاء الباطنة، وتدر البول والطمث، وزعموا أنها تنفع من لدغ العقارب إذا شرب منها وزن مثقال بالنبيذ.

سقولوقندريون: هذه الحشيشة معتدلة في الحرارة إلى اليبس ما هي، مشهورة بحل صلابة الطحال وتفتيح سدده، كما أن الغافت مشهور بالكبد وهي أيضا تفتت الحصى.

الخنثى: وهو المسمى عندنا الأبجة، والمستعمل منه هو أصله، كما يستعمل من اللوف.

وهو يجلو ويحلل، فإذا أحرق صار رماده أشد إسخانا وأكثر تلطيفا وتحليلا، فهو لذلك يشفي من داء الثعلب.

القرطم[١]: المستعمل من هذا النبات هو بزره، وهو من الأدوية المشهورة في إسهال البلغم، مأمون في ذلك، وكأنه في أول مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة.

الشربة منه نحوًا من عشرة دراهم إلى اثني عشر درهما، وهو نافع للشيوخ إذا استعملوه بالتين قبل الطعام.

وقال فيه جالينوس في المقالة الأولى من ذكره لأشخاص الأدوية: إن قوته قوة مجففة تسخن باعتدال.

وقال في الثانية إنه في الدرجة الثالثة من الإسخان متى أراد الإنسان استعماله من خارج، إلا أنه أطلق القول هنالك إطلاقا فيه.

وفي الثانية إنما ذكر قوة بزره.

الأفسنتين: هذا نبات حار في الدرجة الأولى، يابس في الثانية.

عصارته أشد حرارة كثيرا من حشيشته، وإنما كان مزاجه هذا المزاج لأنه مركب من جوهر أرضي بارد، وأرضي محترق وناري، والدليل على ذلك أن طعمه قابض مع مرارة وحرافة، قواه الثوالث تقوية المعدة وإخراج ما فيها من المرار بالإسهال، وذلك

=

وهو موافق للمعدة.

(١) القرطم: هو حب العصفر، وشجرة منه بستاني ومنه بري، فالبري أطول ورقًا حيث ينبت في طرف القضيب وباقي القضيب بجرد، وله زهر أصفر وأصل رقيق.

شيء يفعله بقوة جاذبة وبالمرارة الغاسلة التي فيه، ويفتح سدد الكبد ويدر البول، وليس ينتفع به متى تُنُوِّل وفي المعدة بلغم، لمكان قبضه.

وهذا الدواء هو أصناف، وأفضله العطر، ولذلك صار هذا مقويا للمعدة والكبد وبالجملة فشهرة هذا الدواء باختصاصه بالمعدة والكبد شهرة كثيرة.

حب اللبان: هذا الدواء المستعمل منه هو عصارة لبه وجوفه، لأن ذلك هو الذي يجب إلينا منه، وهو من الأدوية العطرة، ومزاجه حار.

أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، وذلك أن جوهره جوهر أرضي محترق، يخالطه جوهر أرضي بارد.

والدليل على ذلك أنه مر المطعم مع قبض.

ولما كان هذا النبات قد جمع إلى المرارة العطارة والقبض كانت عصارته من أنفع الأدهان للمعدة الباردة والكبد.

وليست عصارته مما جرت العادة عندنا أن ترد الأبدان من داخل، ولا حبه، وزعموا أنه إذا ورد البدن أهاج القيء وأسهل ولن يخفى عليك ما أفعال دواء مزاجه هذا المزاج، إذا ورد البدن. وذلك من الأفعال الثواني والثوالث.

الجلنار: هو زهرة الرمان البري، كما أن جنبذ الرمان هو زهرة الرمان البستاني. هذا الدواء لنضعه في الدرجة الثانية ممتدة.

وأما في الثالثة مسترخية من البرد وأما اليبس فلا شك أنه في الثالثة.

وإنما قلنا ذلك لأن جوهره أرضي بارد، واليبوسة في الأرض أغلب من البرد، ولن يخفى عليك ما فعل مثل هذا الدواء من القبض والتجفيف وقطع الدم والإدمال، ولذلك يستعمله الناس كثيرا في مداواة من ينفث الدم، ومن به قرحة في الأمعاء، ومن يتحلب أيضا إلى بطنه أشياء تخرج بالإسهال.

وكذلك النساء اللواتي يتحلب إلى أرحامهن شيء يخرج بالنزف.

قال جالينوس وليس أحد من الأطباء الذين وضعوا الكتب إلا ويستعمل هذا الدواء.

العليق[1]: ورق هذا النبات وأطرافه وزهرته وثمره كلها باردة يابسة، وإن كانت

---

(١) العليق: بارد يابس في الأولى يقال: أرج وثمرتها هي توت الزروب وتوت الوحشي وهي من أنواع العوسج الذي يقال له جلهم ينفع من قروح الأمعاء وهو يضر الكلى ويصلحه السكر.

تختلف في ذلك: فالورق أرطبها لمكان المائية التي فيه، ولذلك في قوته إشفاء القلاع وغيره من قروح الفم.

وأما ثمرتها فإذا كانت غير نضجة فإن البرد واليبس غالب عليها لمكان القبض الموجود فيها.

وأما إذا نضجت الثمرة فإنها تقرب من الاعتدال لمكان الحلاوة الموجودة فيها، وقوة الزهر أيضا قوة الثمر بعينها، وكلاهما ينفعان من قروح الأمعاء واستطلاق البطن ولضعف المعدة والأمعاء ولنفث الدم.

وأما أصله ففيه جوهر ما حار لطيف، ولذلك يفتت الحصى المتولدة في الكليتين.

المقل: جنسان، واحد صقلي وهو أسود وقوته الثانية ملينة، وعمله بهذه القوة عمل بليغ.

ولن يخفى عليك من هذا الفعل قوته الأولى، والآخر عربي وهو أصفى من المقل الآخر وأشد تجفيفا من الأدوية الملينة، اللهم إلا ما كان منه حديثا، فإن قوته قوة الصقليّ والعربي يفتت الحصى المتولد في الكليتين إذا شرب، ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة التي لم تنضج ويفشها، ويشفي وجع الأضلاع وفسوخ العضل والمقل بالجملة من الأدوية المسهلة للبلغم الغليظ، حتى إنهم زعموا أن خاصته الجذب من الوترات والمفاصل وهو وسط في مراتب الأدوية المسهلة والشربة منه وزن مثقال.

القرصعنة: هذا النبات يرى جالينوس أنه مركب من قوى مختلفة كمثل الورد، إلا أنه ليس بقابض.

والدليل على ذلك أن في طعمه تفاهة مع حلاوة يسيرة وقليل حرافة، وبخاصة في لحائه، فإما أن يكون معتدلا وإما مائلا إلى البرد قليلا.

وما مزاجه هذا المزاج فمنافعه جمة ولهذا صارت أفعاله التحليل والردع، وأما خاصته المشهورة فهي تحليل الأورام الحالبية، حتى إن اسمه باللسان اليوناني كان مشتقا من اسم الحالب وهو يشفي هذه الأورام إن جعل عليها ضمادا وإن علق تعليقا.

والحدث يرون أن ذلك شيء يخصه لجميع الأورام، وزعموا أن شرب مائه أمان من أورام الجوف.

البلسان[١]: قواه الأول هي من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثانية، وهو ذو رائحة طيبة.

وأما دهنه فهو ألطف شيء، وليس كما يقول جالينوس، له من الإسخان ما يظنه به قوم غلطا منهم بسبب لطافته ونفوذه، وأما ثمرة البلسان فقوتها من جنس هذه القوة، إلا أنها أقل لطافة من دهنه، ولهذا الدهن خواص كثيرة وأفعال عجيبة.

فمن أفعاله الثواني أنه يحلل الأورام البلغمية البطيئة الانحلال، ويقلع أسباب الأوجاع التي تكون عن أخلاط غليظة وريح نافخة.

ومن أفعاله الثواني تفتيت الحصى.

ومتى احتملته المرأة التي لا تحمل بسبب سدة بها حملت.

وأما خواصه فإنه بازهر للسموم، وذلك أنه يشفي من سقي الأفيون ومن سقي خانق النمر، وكذلك من أكل الفطر. والشربة منه من ثلاثة أرباع إلى ربع الدرهم.

الأبهل: هذا الدواء هو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة، وهو مع هذا لطيف جدا، وذلك أنه مركب من جوهر ناري هو الغالب عليه، وجوهر أرضي محترق، وقيل جوهر أرضي بارد.

والدليل على ذلك طعمه، فإن فيه حرافة قوية مع مرارة وبعض قبض.

أفعاله الثواني أكال للعفونة التي في القروح الخبيثة، وذلك أن القروح التي ليست فيها عفونة ليس تحتمل مثل هذا الدواء، وأما العفنة إذا وضع عليها مع العسل فإنه ينقيها.

أفعاله الثوالث يدر البول ويحدر الطمث بشدة أكثر من كل شيء يدره، ويبول الدم ويفسد الأجنة ويخرج الموتى[٢]، قال وللطافته والعطرية التي فيه قد يجعل قوم منه مكان الدارصيني ضعف وزن الدارصيني.

البهار: هذا النبات ورده أقوى فعلا من ورد البابونج، ومن أجل ذلك هو أقوى تحليلا منه، حتى أنه يشفي الأورام الصلبة إذا خلط بالشمع المذاب مع الدهن.

الأشنة: هذا النبات يوجد نابتا على البلوط والصنوبر والجوز، وهو في الدرجة

---

(١) البلسان: حبه وعوده وزيته يؤتى به من مصر تخيل أنه شجر صغار كالحناء لا ينبت إلا بعين شمس ظاهر القاهرة حار يابس في الثانية، وحبه أحمر منه، ودهنه أجود من عوده، وامتحان دهنه أن يقطر على صوف ويغسل فإن زال أثره سريعًا بلا صابون فهو وإلا فلا، يبدل الدهن بالحب والحب بالعود والعكس ويبدل بالسليخة.

(٢) من الأجنة.

الأولى من البرودة.

والدليل على ذلك أن فيه قبضا معتدلا، لكن فيه مع هذا قوة محللة ملينة، وخاصة فيما يوجد منه على شجر الصنوبر لحرارة هذا الشجر، وذلك أن أحد ما يتفاضل به النبات هي المادة التي يغتذي منها كما قلنا فيما سلف.

الجنطيانا[١]: لنضع هذا الدواء في الدرجة الثالثة من الحر واليبس، والدليل على ذلك صدق مرارته، وأصل هذا النبات قوي قوة بليغة في التلطيف والتنقية وتفتيح السدد.

عجم الزبيب: يجفف في الدرجة الثانية ويبرد في الأولى، وذلك أن جوهره أرضي غليظ، يعلم ذلك من قبضه، وهو نافع غاية المنفعة من استطلاق البطن.

الشاهترج: يشبه أن يكون هذا الدواء إما حارا في الدرجة الأولى وإما ممتدا فيها، وذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق وبارد أرضي أيضا.

فكأنها تكافأت فيه هذه القوى جهة الحرارة وتعارضت من جهة اليبوسة، ولذلك ما نرى أنه يابس في الثانية.

والدليل على أنه مركب من هذه الجواهر طعمه، فإن فيه قبضا ومرارة.

وليس يخفى عليك ما مزاجه هذا المزاج ما أفعاله الأول والثواني من التفتيح والتلطيف وإدرار البول وغير ذلك. وقد رأى بعضهم أن فيه قوة مسهلة.

وهو مع هذا دواء جيد للمعدة لمكان القبض الذي فيه، وأنه غاسل لها بمرارته، والأدوية التي بهذه الصفة هي أخص شيء بالمعدة، وبخاصة إذا انضافت إليها العطارة كالحال في الأفسنتين.

ماميثا: هذا نبات لنضعه في الدرجة الأولى من البرودة، وذلك أنه يشفي من العلة المعروفة بالحمرة، إذا لم تكن قوية.

والعلة في ذلك أن مزاجه مركب من جوهر مائي وجوهر أرضي، وكلاهما باردان إلا أن برودتهما كما يقول جالينوس ليست شديدة بل مثل برودة مياه الغدران.

الفودنج البري: وهي الغبيراء، لنضع هذا الدواء في الحرارة واليبس في الثالثة،

---

(١) الجنطيانا: ويقول النصارى جنسيانا وهي عروق مرة، ورق هذا النبات الذي يلي أصله يشبه ورق الجزر وورق لسان الثور ومنبته قمم الجبال الشامخة ولونه أحمر ووسطه مشرق وساقه أجوف أملس وهو مر الطعم وجذرها مر منشط قوي للجهاز الهضمي، مضاد للالتهاب، طارد للحمى.

وذلك أن الغالب على حرارته الجوهر الناري مع أرضية محترقة. وما مزاجه هذا المزاج فبين ما أفعاله الثواني والثوالث.

عروق السوس: هذا دواء رطب في الدرجة الأولى زائد في الحر على المزاج المعتدل قليلا، وهو كما يقول جالينوس شبيه بجوهر الإنسان.

ويشهد لهذا حلاوة طعمه مع قبض يسير فيه، وذلك أن الحلاوة المعتدلة تدل على حرارة ورطوبة والقبض الذي فيه يكسر من الحرارة قليلا وكذلك من رطوبته، إلا أن الرطوبة فيه أوفر، يملس الخشونة في المريء والمثانة والمعدة وغير ذلك من الأعضاء التي تقبل الخشونة، وزعموا أن من أفعاله الثوالث أن أصله إذا دق وجفف وسحق صار دواء جيدا للظفرة التي تخرج في العين واللحم الزائد الذي يخرج من أصل الأظفار، وهذا مما يدل عندي على أن أصله أحر من عصارته، والمزاج الموصوف قبل له إنما هو مزاج عصارته.

والأصول من هذا النبات إذا عتقت وجد فيها مرارة يسيرة كالحال فيما يجلب منها إلينا، ولذلك لسنا نرى أن الحديثة منها بمنزلة القديمة.

وبالجملة عصارته أرطب وأعدل من أصله ما لم تكن مغشوشة.

الفاوينا[1]: أصل هذا النبات هو من الحرارة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثالثة، وذلك بحسب ما يحدس عليه من طبيعته، إذ كان مركبا من جوهر أرضي بارد وأرضي محترق وجوهر ناري وهوائي يسير، ولذلك كان طعمه أول ما يمضغ يظهر فيه قبض مع حلاوة، ثم إذا أطيل مضغه ظهرت فيه حرافة مع مرارة.

أفعاله الثواني ظاهرة من مزاجه وكذلك أفعاله الثوالث من التنقية لسدد الكبد والكليتين، وذلك بما فيه من المرارة والحرافة.

وأما بما فيه من القبض فيحبس البطن المستطلق، وأما خاصته فيشهد لها جالينوس وهو النفع للصبيان من الصرع إذا علق عليهم.

وزعم بعض الناس أن هذا النبات هو المعروف عندنا بورد الحمير وأنه قد جربت

(١) الفاوينا: يسمى عود الصليب وقال بعضهم ورد الحمير والله أعلم، حار في الأولى يابس في الثانية، وقيل في الثالثة بدله عظام ساق الغزلان وورق الذكر منه كالجزر والأنثى كالكرفس، وله زهر فرفيري وأسود، يخلف غلافًا كالموزة يفتح عن حب أحمر في حجم القرطم.

عليه هذه الخاصية فلم تلف له.

الجزر: صنفان، بري وبستاني، والبري أقوى من البستاني في كل شيء وقوتهما جميعا حارة مسخنة، فهما لذلك يلطفان.

وأصلهما معا فيه قوة نافخة، بها يهيج الجماع، وكذلك بزر البستاني.

وأما بزر البري فهو أحر وأيبس من أن تكون فيه قوة نافخة، ولذلك صار يدر الطمث والبول.

والجزر البري هو الدوقوا ولنضعه من الحرارة واليبس في الثالثة.

شجر الغار: ورق هذه الشجرة وثمرتها، وهو حب الغار، يسخنان ويجففان إسخانا وتجفيفا قويا، وخاصة حب الغار.

وأما لحاء أصل هذه الشجرة فهو أقل حرارة وحرافة وأشد مرارة، وفيه شيء قابض، فهو لذلك يفتت الحصى وينفع من علل الكبد متى شرب منه وزن أربعة دوانيق ونصف بشراب ريحاني.

فلنضع أصله من الحرارة في الثانية، ومن اليبس في الثالثة، ولنضع الثمرة في الثالثة من كليهما.

المشكطرامشير: قوى هذا الدواء هي بعينها قوى الفوذنج البري إلا أنه ألطف منه ومن أفعاله الثواني الجذب.

البلوط: الأمر في جميع هذه الشجرة أنها باردة يابسة ظاهر لمكان القبض الذي فيها، لكن اللحاء الذي على نفس جرم البلوط أشد قبضا، وكذلك اللحاء المستبطن لقشر ثمره وهو جفت البلوط.

وهذان الجنسان اجتمع فيهما مع القبض اللطافة، فهما بهذا السبب من أنفع الأشياء، ولذلك صار جفت البلوط يشفي من النزف العارض للنساء، ونزف الدم وخروج الأمعاء واستطلاق البطن.

الخطمي: هذا النبات أفعاله الثواني التحليل والإرخاء والمنع من حدوث الأورام وتسكين الأوجاع وإنضاج الخراجات العسيرة الإنضاج، وأصله وبزره يفعلان ما يفعل بأوراقه وقضبانه ما دام طريا، إلا أنهما أقل تجفيفا وألطف.

وحق للأصل والبزر أن يكون من كل نبات بهذه الصفة، ولذلك صار هذان أكثر جلاء حتى إنهما يشفيان البهق.

وبزره أيضا يفتت الحصى المتولدة في الكليتين، لكن مع هذا كله في الأصل قوة

قابضة.

وبذلك صار الماء الذي يطبخ فيه أصل الخطمي ينفع من قروح الأمعاء ومن استطلاق البطن ومن نفث الدم.

فلنضع ورق هذا النبات وقضبانه في الدرجة الأولى من الحر واليبس ولنضع أصله في أول الثانية.

الزيت: أما الزيت المعتصر من زيتون نضج من غير أن يدخله ملح ولا بالجملة صنعة تغير مزاجه فهو شبيه بجوهر الإنسان، وقد تقدم ذكره في الأغذية.

وأما الزيت المعتصر من زيتون غضّ، فيه بعض القبض، فبرودته بقدر ما فيه من القبض.

وأما الزيت العتيق فهو أحر وألطف من الزيت المعتدل، ولذلك كانت فيه قوة تحليل وتسكين للأوجاع.

وأما سائر الزيوت التي شأنها أن تستخرج من سائر الأدوية فطبيعتها طبيعة تلك الأودية.

وكذلك الأدوية التي جرت العادة أن تستخرج قواها في الزيت نفسه.

وأشهر الأدوية التي يستخرج زيتها نفسها دهن الخروع، ودهن السمسم، ودهن اللوز، ودهن بزر الفجل، ودهن الجوز، ودهن حب الغار، ودهن حب البان، ودهن الشونيز، ودهن الخردل.

ودهن الآس ودهن المصطكى ودهن الحبة الخضراء ودهن الإذخر(١).

أما دهن الخروع فهو أكثر تحليلا وألطف من الزيت ولذلك هو أشبه شيء بالزيت العتيق. ويستعمل الزيت العتيق بدله إذا عدم.

وأما دهن الفجل فهو أشد حرارة منه. ومن هذا أيضا دهن الخردل.

فأما دهن الآس فهو ضد هذه، وذلك أنه بارد قابض.

ودهن حب البان متوسط بين ذلك، إذ كانت طبيعته مركبة كما قيل فيما سلف من أمره. وأما دهن الشيرج فهو حار رطب.

وكذلك دهن اللوز الحلو، إلا أنه معتدل في الحرارة أو ذو حرارة يسيرة ويخالط

---

(١) الإذخر: هو نبات بمكة ولا ينبت في غير الحجاز ويقال لنواره تفاح الإذخر وهو حار يابس في الثانية بدله قردمان وهو أنواع ويعرف بطيب رائحته التي تشبه رائحة الورد.

رطوبته قبض ما، ولذلك يرطب من غير إرخاء ولا إحرار، وبهذا يفضل دهن السمسم.

وأما دهن الإذخر ودهن الحبة الخضراء ودهن المصطكى فقوة كل واحد منها مركبة من القبض والتحليل.

ولذلك صارت أنفع شيء للمعدة والكبد، إلا أن دهن المصطكى ودهن الآس ودهن الإذخر لم تجر عادة الأطباء عندنا أن يستخرجوا أدهانها أنفسها، بل إنما يستخرجونها في الزيت.

وأما جالينوس فقد نص في كتابه على أن العادة كانت عندهم جارية باستخراج دهن الآس ودهن المصطكى منهما أنفسهما وكذلك دهن الإذخر، وفضل هذه الأدهان على الدهن المستخرج في الزيت فضل بين أعني: في قولته وفعله.

وأما الأدهان التي جرت العادة باستخراج قواها في الزيت العذب عند القدماء والحدث فهي مثل دهن الورد ودهن السفرجل ودهن السوسن ودهن البنفسج ودهن النيلوفر ودهن الياسمين، وستعرف قوى هذه الأدهان بمعرفتك قوى هذه الأدوية، إلا أنه ينبغي أن يتخذ الزيت الذي تنقع فيه هذه الأدهان زيتا عذبا غير ظاهر فيه كيفية أصلا، فإن هذا هو حق المادة: أعني ألا يظهر فيها كيفية اللهم إلا أن تكون تلك الكيفية إما شبيهة بكيفية الدواء عندما يقصد بها إلى تقوية فعل الدواء، أو مضادة عندما يقصد بها الكسر من قوة ذلك الدواء.

ومثال ذلك أنا إذا أردنا أن نقصد فعل التحليل في زيت الورد أنقعناه في زيت قديم، ومتى أردنا أن نكسر من هذه القوة أنقعناه في الزيت الفج.

وأما متى أردنا أن نجعل قوة الزيت هي قوة الورد بعينها أنقعناه في الزيت العذب.

الراسن: هذا الدواء لنضعه في الدرجة الثانية من الإسخان واليبس. والدليل على ذلك أنه قد يدخل في اللعوقات النافعة لنفث الأخلاط الغليظة اللزجة من الصدر والرئة فيؤثر فيها أثرا محمودا، ومن أفعاله الثواني أنه يحر الأعضاء التي أصابها برد بمنزلة عرق النساء وغير ذلك.

الخربق: هذا الدواء صنفان أبيض وأسود، وكلاهما يسخنان ويجففان في الثالثة، وقوتهما الثانية قوة تجلو، ولذلك ينفعان البهق والقوباء والجرب والعلة التي يتقشر فيها الجلد والأبيض ليس وروده داخل البدن بمأمون بل هو في عداد الأدوية السمية.

وأما الأسود فإن القدماء كانوا يستعملونه في استفراغ المرة السوداء. وهو دواء قوي جدا، ويضر بالكبد والمعدة.

وقد استغنت عنه الحدث بغيره من الأدوية التي شأنها أن تستفرغ هذا الخلط.

ومن أفضلها في ذلك حجر اللازورد، فإن هذا الحجر مأمون قوي الجذب.

وأما الأفيثمون والبسبايج: فإنها وإن كانت أودية محمودة في استخراج المرة السوداء فليس تداني الخربق في القوة.

وحجر المغنطيس أيضا قوته في الإسهال قوة الخربق.

إلا أنه أيضا قوي الجذب من جهة ما هو حجر، لمكان اليبس الذي فيه وحجر اللازورد آمن منه.

أفيثمون: قوة هذا النبات شبيهة بقوة الحاشا وهو يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة، وهو دواء محمود، كما قلنا، في إخراج المرة السوداء.

الشربة منه من ثلاثة دراهم إلى درهمين، وفي المطبوخات من خمسة إلى سبعة.

وهو يحتاج أن يحجب من يبسه ومن جهة إكرابه، ولذلك كان النيلوفر في ذلك دواء فاضلا لأنه بعطارته يحجب إكرابه، وبرطوبته يحجب يبسه، إلا أنه مع هذا يكسر حره.

والدواء قد ينبغي أن يحجب من جميع جهاته إلا من الجهة التي يسهل بها وهي الحرارة أو من الإسهال نفسه وإن حجب بالتفاح كان عندي أحمد، إلا أن تكون هنالك حمى. وكذلك يمكن أن يحجب باللوز والاسطوخدوس.

قوة الصباغين: لنضع هذا الدواء، أما من الحرارة ففي الدرجة الثانية وأما في اليبوسة ففي الدرجة الثالثة، وذلك أنه دواء مركب من الجوهر الأرضي المحترق ومن الجوهر الأرضي البارد، والدليل على ذلك أنه مر المطعم عفص. وأفعاله الثواني والثوالث الأفعال التي من شأنها أن تصدر عن مثل هذا المزاج من تفتيح سدد الكبد والطحال وإدرار البول والطمث بقوة، وربما بول الدم، ويجلو جلاء معتدلا جميع الأشياء المحتاجة إلى ذلك. فهو ينفع من البهق إذا طلي مع الخل، وقد يسقى منه من به عرق النسا ووجع الورك واسترخاء أعضائه وذلك بماء العسل.

غافت[1]: هذا دواء مشهور جدا بتقوية الكبد وتفتيح سدده، وذلك أنه مركب من جوهر قابض وجوهر مر، ولذلك فلنضعه في الدرجة الأولى من الحرارة، لأن المرارة

---

(١) غافت: نبات شائك عريض الأوراق مزغب في وسطه قضيب خشن له زهر منه أزرق ومنه بنفسجي، مر الطعم، يعرف بالمغرب بالترهلا أو بالترهيل.

فيه أظهر من القبض.

زنجبيل: هذا النبات مجلوب من بلاد الهند وذلك أصله، وهو من الحرارة في الدرجة الثالثة، وفيه رطوبة فضلية بها صار إسخانه للبدن في بطئه، بخلاف الأمر في الفلفل.

فإن الحال في استحالة الزنجبيل عن البدن واستحالة الفلفل كاستحالة الخشب الرطب والخشب اليابس عن النار.

والدارفلفل: شبيه بالزنجبيل فلنضع الزنجبيل من الرطوبة في الدرجة الأولى.

النعنع: هذا النبات هو فودنج بستاني ولذلك فيه رطوبة فضلية يحرك بها الجماع، وهو شيء مشترك للأشياء التي فيها رطوبة فضلية لم تنضج نضجا تاما.

وطعمه مر مع قبض، ولذلك أيضا ما يظهر أنه أقل حرارة من الفودنج البري. فلنضعه من الحرارة في الثانية ممتدة أو في الثالثة مسترخية وفي اليبوسة كذلك.

تافسيا[1]: قوة هذا النبات قوة حادة تسخن إسخانا قويا، فليكن في الدرجة الثالثة، رطب في الدرجة الاولى.

والدليل على رطوبته أنه يفسد سريعا ولا ينفعل عن البدن إلا بعد مدة، كالحال في الزنجبيل.

ومن قواه الجذب من عمق البدن وتحليل ما يجذبه.

الترمس: أما إذا سلق في الماء حتى تذهب مرارته فهو دواء مغذ.

وأما إذا كان مرًّا فإنه يفعل ما شأن الأدوية المرة الصادقة المرارة أن تفعله من الجلاء والتجفيف والتحليل وتفتيح السدد في الكبد والطحال وإدرار الطمث وقتل الديدان وإخراج الأجنة .

وهو يجلو البهق ويحلل الخضرة والكمودة التي في الأعضاء، ويحلل الخنازير فلنضعه من الحرارة واليبس في أول الدرجة الثالثة أو في آخر الثانية.

الخس: هذه البقلة يقول جالينوس إن برودتها شبيهة ببرودة مياه الغدران.

والدليل على ذلك أنها لا تشفي من الجمرة ما عظم، وإنما تشفي ما لم يكن عظيم المقدار. وعلى هذا فلتوضع من البرودة، إما في آخر الأولى وإما في أول الثانية رطب فيها. وهو دواء منوم جدا وبزره إذا شرب يقطع المني.

---

(١) تافسيا: هو صمغ السذاب البري أو السذاب الجبلي حار يابس في الثالثة حار جدًا محرق وهو ينبت الشعر في داء الثعلبة.

الحاشا: هو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة ومن أفعاله إدرار الطمث والبول وإخراج الأجنة وتفتيح السدد. قال وينفع للنفث من الصدر والرئة.

الدبق: وهو العلك، هذا قوته قوة التافسيا في الأفعال الأول والثواني وهو شديد الحرارة مع رطوبة فضلية، وهو أيضا يجذب من عمق البدن وفعله ذلك بطيء لمكان الرطوبة الفضلية التي فيه.

البنفسج: زهر هذا النبات وورقه بارد رطب فليوضع من ذلك في الثانية وخاصته أنه ينوم ويلين البطن.

ذنب الخيل[(١)]: هذا نبات قوته قوة قابضة مرة، ولذلك صار يجفف غاية التجفيف من غير لذع، فهو بهذا السبب يدمل الجراحات العظيمة، وينفع من الفتق الذي تنحدر منه الأمعاء، ومن نفث الدم، ومن النزف العارض للنساء، وخاصة ما كان منه أحمر، ومن قروح الأمعاء وسائر أنواع استطلاق البطن.

وقد تحدث عنه قوم أنه أدمل في وقت ما جراحة وقعت بالمثانة.

النيل: وهو الذي يستعمله الصباغون، وقوته قوة تجفف تجفيفا قويا من غير لذع، لأنه مر قابض، وهو ضربان: بستاني وبري، والبري في ذلك أقوى من البستاني، وأفعاله أن يدمل الجراحات الحادثة في الأبدان الصلبة ولو كانت في رءوس العضل، ويقطع انفجار الدم، ويقاوم مقاومة شديدة الجراحات الرديئة متعفنة كانت أم متآكله. والبري في الخراجات المتعفنة أقوى فعلا لقوة تجفيفه، كما أنه أقل فعلا في علاج القروح الأخر من البستاني، وذلك أنه يلذعها. والبري نافع للطحال، فلنضع البري في الثانية من الحرارة وفي الثالثة من اليبس، والبستاني في الأولى من الحرارة ومن اليبس في الثانية.

الصفصاف: ورق هذا النبات وزهره يجففان تجفيفا قويا من غير لذع، وما شأنه هذا فمنافعه كثيرة واضحة، ولذلك يدمل الجراحات، وإذا أحرق لحاء هذه الشجرة جفف تجفيفا أقوى، ولذلك يستعمل في الثآليل وخاصة المدورة البيض والشبيهة برءوس المسامير.

والثآليل المنكوسة والمركوزة في الجلد، فإن هذه كلها ينفعها رماد هذه الشجرة إذا

---

(١) ذنب الخيل: يعرف عند الأطباء بالدليوث، وهو نبات ينبت في الحفائر والخنادق يقوم على أصل خشب صلب يقوم عنه فروع كثيرة لها عقدة متداخلة العقد لتحف العقدة منها أوراق دقاق كالشعر وقد تشبث بما حولها وله قضبان مجوفة خشنة صلبة وهو بارد جاف.

عجن بالخل وطلي عليها. وصمغة هذه الشجرة يقلع بها جميع الأشياء التي تقف في وجه الحدقة، فيظلم لها البصر، لأن هذه الصمغة تجلو وتلطف.

الفوذنج النهري[1]: هذا الدواء هو حار يابس في الثالثة، وذلك أنه مركب من جوهر ناري وقليل أرضي محترق. والدليل على ذلك طعمه فإن الحرافة غالبة عليه مع يسير مرارة.

ولن يخفى عليك ما مزاجه هذا المزاج ما أفعاله الثواني من التحليل والتلطيف والتجفيف، وما أفعاله الثوالث من إدرار البول والطمث.

قالوا وهو نافع لأصحاب الجذام ولمن نهشته ذوات السموم، وبخاصة إذا وضع ضمادا على موضع النهشة، ويقتل الديدان التي تكون في الأذن وغير ذلك من الأعضاء. والجبلي في هذا كله أقوى من النهري وأنفع.

قصب الذريرة: هذا القصب معدوم عندنا بجزيرة الأندلس، وهو من الحرارة واليبس في الدرجة الثانية، وهو في اليبس أكثر امتدادا، والعلة في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي وهوائي قد امتزجا، كما يقول ذلك جالينوس، على توسط من الاعتدال.

وفيه مع هذا جوهر لطيف ناري به كانت عطارته، والدليل على أنه مركب من جوهر أرضي وهوائي القبض الموجود في طعمه مع الحرافة اليسيرة.

وأيضا فمن حيث إنه قصب فالهوائية غالبة عليه، وذلك بين من أمر القصب، أفعاله الثواني يدر البول إدرارا يسيرا ويخلط في الأضمدة التي تنفع المعدة والكبد، وبالجملة فهو من أحد الأدوية التي جمعت إلى العطارة والحرافة القبض.

وما مزاجه هذا المزاج فهو مقو للأعضاء الرئيسية كلها. والجزء اللطيف الذي فيه، قال جالينوس، هو أقل منه في سائر الأفاويه.

الكبر: لنضع أصل هذا النبات أما في الحرارة ففي الدرجة الثانية ممتدة، وأما في اليبس ففي الثالثة.

والسبب في ذلك أنه مركب من قوى متضادة، وذلك أن فيه جوهرا أرضيا باردا وأرضيا محترقا وناريا لطيفا.

---

(١) الفوذنج: فوتنج هو نبات منه بري وهو الفليو والبليا وجبلي وهو الصنومران والدومران ومنه نهري والجبلي دقيق الورق قليلها، والنهري أكثر ورقا منه وأخشن وأغلظ ويسمى حبق الماء ونعنع الماء وهو حاد الرائحة عطري.

والدليل على ذلك أن الغالب على طعمه المرارة وبعده الطعم الحريف وبعدهما القابض.

ولن يخفى عليك أفعال مثل هذا الدواء، لا الثواني ولا الثوالث، مما سلف من أفعال ما مزاجه هذا المزاج، إلا أن هذا النبات له خصوصية ما ينفع الطحال وتفتيح سدده، وذلك أنه كثيرا ما يخرج مع الغائط شيئا دمويا فيسكن وجع الطحال. وكذلك يفعل في سائر الأخلاط الغليظة: يدرها في البول ويخرجها، وهو يدر الطمث ويحدر البلغم إذا تغرغر به، وإذا مضغ، وينفع من الهتك الذي يقع في رءوس العضل. وينفع من وجع الأسنان إذا تمضمض به.

الحرف: قوته من الحرارة واليبس في الدرجة الرابعة، وقوته شبيهة بقوة الخردل، وأغصانه، ما دامت طرية، أضعف من بزره بكثير، لمكان المائية التي تخالطه. ولذلك قد يأكله الناس بخبزهم.

القردمانا: هذه أيضا لنضعها في الدرجة الثالثة من الإسخان واليبس، وهو نبات ذو رائحة طيبة.

ولست أحتاج أن أكرر لك في كل موضع أفعال ما مزاجه هذا المزاج، أعني الثواني والثوالث، فإن ذلك تعليم متكرر، بل إنما نشير من ذلك إلى ما كانت منزلته منزلة الخاصة أو ما شهر به من الأفعال شهرة بليغة حتى يفوق غيره في ذلك.

وقد كان ينبغي أن نفعل هذا من أول الأمر. لكن في ما فعلنا من ذلك رياضة، وفي هذا النبات مع الحرافة مرارة يسيرة.

الكَرَوْيا: هي من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة، ولذلك تطرد الرياح وتدر البول، لا بزرها فقط بل جميعها.

السليخة: هذا دواء يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة، وهو مع هذا كثير اللطافة.

وهو مركب من جوهر ناري وهو الأكثر فيه ومن أرضي يسير. والدليل على ذلك الحرافة الموجودة في طعمه مع القبض اليسير، وهو من أجل الأفاويه العطرة، ولذلك صار مقويا للأعضاء الرئيسية، مع أنه يفتح سدد الكبد ويدر الطمث ويفعل سوى ذلك من الأفاعيل التي شأنه أن فعلها ما مزاجه هذا المزاج.

الجوز: هذه الشجرة حارة يابسة في الثانية، وفي ورقها وأطرافها شيء من القبض، إلا أن لموضع لطافة مزاجها، يغوص الجزء اللطيف منها الجوهر القابض فيفعل ما ليس يفعل ما هو أشد قبضا منه، ولذلك صارت عصارتها دواء فاضلا للحنجرة واللهاة الوارمة.

وأما لب الجوز نفسه فقد ذكرناه فيما سلف.

كبابة: هذا دواء مركب أيضا من جوهر ناري وأرضي، وهو مع هذا عطر ولن يخفى عليك ما فعل هذا الدواء. قال(١) وليس له من الملطافة ما يقدر أن يستعمل بدل الدارصيني.

الصنوبر: هو حار يابس في الدرجة الثالثة. ودهنه الذي هو القطران قريب من الدرجة الرابعة. وقوته الثالثة تعفين اللحم الرخص تعفينا لا وجع معه.

ولذلك هو في أول مرتبة من مراتب الأدوية المعفنة.ومن أجل هذا صار يحفظ اللحوم الميتة من العفن بتجفيفه وذلك الآخر يفسدها لقوة فعله، لا في الرطوبات الفضلية، بل في الأعضاء الصلبة.

وهو دواء فاضل في الهواء الوبائي إذا بخر به أو كان بحيث تشم رائحته. وهو أكثر الأدوية منعا للحمل، ومتى احتمل أو دهن به طرف الذكر أسقط الأجنة، ويقتل الديدان والقمل والحيات التي في البطن.

ومتى قطر منه شيء في السن المتآكلة سكن الوجع من ساعته. وأدسم أجزاء القطران هو الجزء الدهني الذي يجتمع في الصوف الذي يعلو عليه إذا طبخ.

وأما الثفل الذي يبقى منه بعد الطبخ فهو غليظ، ولذلك يكون تلذيعه للقروح وتفتيحه للعروق أكثر وأما الدسم فقد يمكن أن يشفي القروح، وقوته قوة الزفت. ولذلك قد يستعمل هذان في مداواة الجرب.

القنطوريون(٢): هذا الدواء صنفان: أحدهما يعرف بالجليل والثاني بالدقيق وكلاهما مركبا المزاج، ويفعلان أفعالا متضادة، إلا أن الجليل فيما زعموا مذاقته فيها مرارة وحرافة مع قبض وشيء من حلاوة.

---

(١) أي: جالينوس.

(٢) قنطوريون: منه كبير وهو قصة الحية وأصله كبير كالجزر الغليظ، وهو حار يابس في الثالثة. المستعمل من هذا النبات أصله، وهو يكون شديد الحمرة، داخله رطوبة كالدم، يقوم عنه ساق مزغب خشن كالحماض، وله زهر كحلي يخلف بزرا كالقرطم، وفيه حرافة ومرارة وحلاوة، والورق مما يلي أصله كورق الجوز وهو ينفع من نفث الدم ومن السدد والشدخ بالعضد ومن ضيق التنفس والسعال والفتق، وأما الصغير منه فهو يشبه السذاب وساقه لنحو شبر وبزره كالحنطة مر الطعم وهو حار يابس في الثالثة يدمل الجراحات في الكبار إذا وضع عليها وهي طرية وكذا العتيقة العسيرة الالتحام إذا استعمل طريا.

والمستعمل منه أصله. وأما الدقيق فالمستعمل منه ورقه وزهرته. وهذا في طعمه مرارة ظاهرة جدا مع قبض يسير، فهو لذلك مركب من جوهر أرضي محترق وشيء من أرضي بارد.

وأحسب هذا النوع هو القنطوريون الموجود عندنا. ولن يخفى عليك ما في أفعال مثل هذا الدواء من تفتيح السدد وتقطيع الأخلاط الغليظة. وبخاصة سدد الأعضاء الباطنة كالكبد والطحال.

وفيه مع هذا قوة مسهلة للأخلاط الغليظة، ولذلك قد يحقن به من أصابه عرق النسا، فيخرج خلطا غليظا مراريا، وربما أسهل كثيرا حتى يخرج خلطا دمويا، وحينئذ يكون أكثر منفعة، وهو يحدر الطمث بقوة ويخرج الأجنة وفيه قوة داملة للجراحات لمكان القبض الذي فيه.

صمغة القراسيا: هذه الصمغة ليس لها طعم، ولكن لها شيء خاص، وهو أنهم ذكروا أنها تفتت الحصى. وليس ينبغي أن ينكر ذلك عليها من حيث هي صمغة.

فإن الصموغ الغالب على مزاجها ضرورة الحرارة. وإن كان لا يبعد أن يكون منها ما هو بالإضافة إلى بدن الإنسان بارد مثل الكهرباء.

قسطرن: هذا دواء مزاجه الحرارة واليبس، والدليل على ذلك أن طعمه فيه مرارة مع حرافة، ولذلك يقطع الأخلاط الغليظة ويفتت الحصى المتولدة في الكليتين وينقي الرئة والصدر ويفتح سدد الكبد ويحدر الطمث وينفع أصحاب الصرع ويشفي من الهتك والفسخ العارض في العضل، وإذا وضع كالضماد على نهشة بعض الهوام نفع.

وإذا شرب نفع من عرق النسا ومن الجشاء الحامض، فلنضعه في الدرجة الثالثة من الإسخان واليبس.

العفص(١): أما الحصرم من العفص فهو من اليبس في الدرجة الثالثة، ومن البرد في الثانية. والدليل على ذلك القبض الظاهر جدا في طعمه، وأما النضج منه فهو أقل في ذلك.

---

(١) عفص: شجر جبلي يقارب البلوط وهو غض مضرس وليس بمثقب، وهو حار يابس في الثانية وقيل برده في الأولى وقيل يبسه في الثالثة، يذهب بالسعال المزمن ويعقل البطن ويمنع خروج الأمعاء ويشد اللثة ويذهب بوجع الأسنان وسيلان الدم منها وقلاعها، ويدمل الجراحات وينفع من أورام الدبر ويسود الشعر وهو مجفف قابض ويشد الأعضاء الرخوة الضعيفة، وشربه يضر الصدر ويصلحه الكثيراء، بدله قشر الرمان.

ولن يخفى عليك ما فعل هذا الدواء من الردع والقبض. وإذا أحرق صار أكثر حدة وأكثر تجفيفا من غير المحرق. ويصير ألطف. قال: وينبغي لك متى أردت أن تجعله يقطع الدم أن تشويه على الفحم ثم تطفئه بخل أو شراب.

الموم[1]: وهو القير الأصفر هذا الدواء معتدل في الحر والبرد والرطوبة واليبوسة.

ولما كان بهذه الصفة فمع أن له قواما ودهنية ما، بها صار يلائم الأعضاء، اتخذه الأطباء هيولى لجميع الأضمدة التي تبرد وتسخن، كالقيروط المشهور بالتبريد، وهو قيروط يصنع بأن يضرب القير في الهاون ويدعك بصب الماء البارد عليه قليلا قليلا حتى يكتسب القير الكيفية الباردة.

وهذا القيروط قد حمده جالينوس في الأمراض الحادة.

وفي القير قوة منضجة بالتسديد. وليس هو من الأدوية التي ترد داخل البدن، وفيه يسير قوة محللة اكتسبها من العسل، ولذلك متى أزيلت الصفرة الموجودة فيه كان حينئذ مادة خالصة وهو المسمى قيرا مقصرا.

الخروع: حبه يسهل، وفيه مع هذا قوة تجلو وتحلل، ولذلك فليكن في الدرجة الثالثة ممتدة من درجة الأشياء الحارة اليابسة.

الدارصيني: هو من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة. وهو أفضل الأدوية العطرة المسماة أفاويه، وللأدوية المسماة أفاويه شيء يعمها وهو مقاومة العفونة وإفناء الأخلاط الصديدية من البدن.

والدارصيني يفوق جميعها في ذلك. فأما قرفة الدارصيني فكأنها دارصيني ضعيف وهو دواء معدوم عندنا. أعني الدارصيني.

لحية التيس[2]: وهو الطراثيث، هذا من اليبس في الثانية ومن البرودة في الثالثة. وذلك أن الغالب على مزاجه الجوهر الأرضي القابض.

وزهرة هذا النبات أقوى فعلا من ورقه. وهو يدمل الجراحات وينفع من قروح الأمعاء وضعف المعدة وتحلب ما يتحلب منها،وينفع الجراحات المتعفنة لقوة تجفيفه.

---

(١) هو الشمع العسلي. أو ما يطرحه النحل أولا في الخلايا وينظمه لوضع العسل وهو ثلاثة أقسام: أولا القرص الذي فيه العسل وهو أجود الشمع، الثاني شيء لم يدخل العسل وإنما يكون حاجزا، وهذا متوسط، ثالثا المعروف بالسليط وهو شيء أسود يطلي النحل به الكوارة صونا لها.

(٢) لحية التيس: نبت ورقه كورق الكراث، فيه عفوصة، حاد الرائحة.

وبالجملة فيفعل ما تفعل الأدوية القابضة قبضا، تشوبه قوة أخرى من منفعة استطلاق البطن وقروح الأمعاء ونزف دم الطمث.

اللاذن: هو من الحرارة في الدرجة الأولى نحو آخرها حتى يكاد أن يكون قريبا من الدرجة الثانية.

وفيه قبض يسير، وجوهره جوهر لطيف فيه حدة، فهو يلين تليينا معتدلا ويحلل وينضج.

وهو نافع من علل الأرحام إذ كان فيه مع هذه الخصال قبض يسير، وبهذا يقوي وينبت الشعر المنتثر، لأنه يفني ما في أصوله من الرطوبة الغريبة ويجمع بقبضه المجاري التي فيها ينبت الشعر. وليس يفي بإبراء داء الحية ولا داء الثعلب لأن هذه علل تحتاج إلى أدوية كثيرة التحليل إذ كان تولدها عن أخلاط غليظة لزجة.

اللبلاب: هذا النبات لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الأولى وبخاصة الأخضر منه، وذلك أنه مركب من جواهر متضادة، ففيه جوهر قابض وحريف ومائي ما دام رطبا.

وهو دواء يسهل برفق، حتى إنه في أول مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة. ولذلك يستعمل في أول الحميات قبل أن يظهر النضج، كما يستعمل غير ذلك من الأمور الضعيفة الإسهال مثل لب الخيار شنبر والتمر الهندي وغير ذلك.

والمشروب من عصارته نحو نصف الرطل، وهو يسهل بلغما على حاله أو صفراء غليظة، قالوا وإن طبخ بشراب، ما دام طريا، أدمل الجراحات الكبار ويشفي الجراحات الخبيثة ويختم القروح الحادثة عن حرق النار.

وإن طبخ ورقه بالخل نفع الطحال، وزهرته أقوى في ذلك، وعصارته تستعمل سعوطا وتشفي المواد المتحلبة إلى الأذن إذا عتقت، والقروح العتيقة التي تكون في الأنف والأذن.

الحنظل: هذا دواء شديد المرارة ولكنه إذا شرب لم يفعل أفعال المرارة لأنه يبادر فيخرج بالإسهال، وذلك أنه من الأدوية القوية الإسهال للبلغم. وهو في آخر مرتبة من مراتب الأدوية المسهلة، لأنه يجذب من أعماق البدن بقوة.

وله إضرار بحدته، حتى إنه مسحج، ولذلك يحجب بالكثيراء ولب اللوز، وينبغي مع هذا أن يحجب إكرابه وإخلاله بالكبد والمعدة. والفستق يقوم في الحالتين المقام المطلوب إذا أمكن والشربة منه من ربع درهم إلى قيراط.

الصمغ: قوة الصمغ تغري وتجفف. ولذلك يستعمل في السحج ، وبخاصة إذا لم

تكن له كيفية حادة كالكهرباء والصمغ العربي.

الكزبرة: هذا دواء هو من الحرارة في الدرجة الأولى، وذلك أنه مركب من جواهر متضادة: ففيه جزء من رطوبة مائية وفيه قبض يسير. فهو بحسب هذا يفعل أفعالا مختلفة متفننة، مثل أنه يشفي الحمرة المنحطة إذا اتخذ ضمادا مع دقيق الشعير.

ويحلل الخنازير إذا اتخذ منه ضماد بدقيق الفول. وعصارته مستعملة جدا في الأطعمة تخضر بها التفايات والأحساء، وبالجملة الأطعمة التي لا يقع فيها خل ولا مري.

ومن خاصتها زعموا أنها تمسك الطعام حتى ينهضم، وتعطر اللحم الذي يطبخ بها، وإن شرب أحد من مائها، زعموا، نصف رطل قتلت.

القسط(١): هذا دواء لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الثالثة، وذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق وناري.

والدليل على ذلك المرارة الكثيرة الموجودة فيه مع الحرافة، ولن تخفى عليك أفعال ما مزاجه هذا المزاج من تحمير الأعضاء التي يوضع عليها وجذب الأخلاط إلى خارج ولذلك يشفي من النافض وإدرار البول وإدرارا الطمث وقتل الديدان وإذهاب الكلف. وينفع من الهتك والفسخ الحادث في العضل ومن وجع الجنبين.

السوسن الأبيض: هذا النبات لنضعه من الحرارة واليبس في الدرجة الثانية، وذلك أنه مرٌّ تخالطه مائية معتدلة المزاج، ولذلك دهنه يحلل بلا لذع ويلين، وهو بهذا السبب من أنفع الأشياء لتحليل الصلابة التي تكون في الأرحام، وينفع ورقه إذا سحق من حرق الماء الحار مع دهن الورد، وأصله أقوى من ورقه، فلذلك قد يدر الطمث، وهو أيضا ملين لصلابة الرحم.

الزعفران: هو من الحرارة في الدرجة الثانية ومن اليبوسة في الأولى، وهو دواء منضج مقو للقلب، فيه جوهر قابض وجوهر حار عطر. والقبض مما يعين على إنضاجه للحوجه في المسام ونبوته.

---

(١) القسط: ويقال كسد، والقسط عود أو قطع خشبية يتداوى بها وهي ثلاثة أصناف، أبيض خفيف طيب الرائحة يحذو اللسان، وهو الهندي وأسود خفيف وهو الصيني، وأبيض خفيف عطري مائل إلى الصفرة وهو العربي وهو الأجود، قال ابن النفيس في الموجز: حار يابس في الثالثة، ملطف مقرح للجلد، ينفع النافض والفالج دلكا، وكل مرض يحتاج فيه إلى جذب من العمق كعرق النسا ويدر البول والطمث بقوة، ويقتل حب القرع ويحرك الباه، وينفع الفسخ. انظر الموجز ص ١١٣.

البصل: هو من الإسخان في الدرجة الرابعة. وجوهره جوهر غليظ وذلك أنه إذا أدخل في المقعدة فتح أفواه العروق وأدر الطمث. وعصارته نافعة من الماء النازل في العين ومن الظلمة التي في البصر، إذا كانت من أخلاط غليظة. وفيه رطوبة فضلية بها صار مهيجا للجماع.

السرو[١]: هو بارد في أول الدرجة الأولى أو معتدل، وذلك أن القبض غالب على مذاقة هذه الشجرة.

وإنما فيها من الحرارة والحرافة مقدار يسير. لكن صار بهذا التركيب الذي فيه دواء نافعا جدا.

وذلك أن تلك الحرارة التي فيه تغوص القبض إلى داخل البدن من غير أن يحدث حرارة ولا لذعا. ولذلك صارت هذه الشجرة تفني ما يكون محتقنا في العمق في العلل المترهلة المتعفنة. وتذهبه إذهابا يجمع البعد عن الأذى والأمن في العاقبة، وذلك أن الأدوية الحارة اليابسة، وإن كان فيها قوة على أن تفعل ذلك، فهي مع هذا تجذب إلى الموضع رطوبات أخر، ولهذا صار نافعا للفتوق جدا، وبالجملة الحرارة التي فيه كالجناح للقوة القابضة.

السعدا[٢]: المستعمل من هذا النبات هو أصله فنضعه في الدرجة الأولى ممتدا من الحرارة. وفي الثانية من اليبوسة. وذلك أن في طعمه حرافة مع قبض ما ومن قواه الثواني أنه ينفع منفعة عجيبة من القروح التي يعسر اندمالها بسبب رطوبتها.

وهو لذلك ينفع من قروح الفم، وهو أيضا يفتت الحصى ويدر البول ويحدر الطمث.

الحناء: الذي يستعمل من هذه الشجرة إنما هو ورقها وقضبانها.

---

(١) السرو: هو شجر حسن الهيئة قويم الساق يظل أخضر طوال العام لقوته، في طعمه حدة وحرافة يسيرة ومرارة كثيرة وعفوصته أقوى من مرارته بكثير، وهو حار يابس في الثالثة ويصنع منه زيت عطري يستخدم كمطهر ومضاد للتشنج، ومدر للبول، وينفع أصحاب الفتق لأنه يجفف الأعصاب التي أرختها الرطوبة لأنه ينفي الرطوبة ويدمل الجراحات.

(٢) السعدا: ويقال سعدي هو أصل نبات له ورق يشبه الكراث، غير أنه أطول وأرق وأصلب، وله ساق طولها ذراع أو أكثر وهي غير مستقيمة وبزور أصوله كأنها زيتون طيب الرائحة عطري، وفيه مرارة، حار يابس في الثالثة، وهو ينبت في الأرض الرطبة، أكله يجفف الدم وينقي الرطوبة ويفتت الحصا، قال في التذكرة: المراد عند الإطلاق أصله.

وقوة هذا الدواء مركبة من جوهر أرضي بارد وجوهر حار، فهي بهذا السبب تجفف بلا لذع، حتى إنها تنفع من القروح التي تكون في الفم من جنس القلاع. وتنفع أيضا من القلاع. والماء الذي يطبخ فيه يستعمل في مداواة حرق النار وفي مداواة الأورام الملتهبة.

الشوكران: هذا دواء بين من أمره أنه يبرد تبريدا شديدا.

ماهوذانة[١]: هذا من أنواع اليتوع، وحبه مسهل كالحال في سائر اليتوع، وهي تسهل الصفراء، والشربة من ذلك سبع حبات إلى خمسة عشر حبة، فمن كان جيد المعدة قويها محتاجا إلى استفراغ كثير مضغ الحب، ومن كان ضعيف القوة فليبلعها صحاحا.

الحماض: قوته قوة مركبة، وذلك أن بزره فيه قبض بين مع حمضة، وهو يشفي من استطلاق البطن ويشفي قروح الأمعاء.

الشيطرج: هذا في الدرجة الرابعة من الإسخان، ورائحته وقوته وطعمه شبيهة برائحة الحرف وقوته وطعمه، إلا أنه أقل تجفيفا منه.

الخيري: هذا النبات لنضعه في الدرجة الثانية من الحرارة.

والدليل على ذلك مرارة طعمه، وأنه يخرج المشيمة ويسقط الأجنة. وبزره أقوى من زهره. وفيه تفتيح لسدد الدماغ إذا شم. ولذلك يقال إنه إذا علق من العنق شفى من الصرع.

الكندر: هذا يسخن في الدرجة الثانية ويجفف في الأولى، وذلك أن طعمه مر مع قبض، وهو دواء منبت للحم في الأبدان الرخصة، وفيه أيضا إنضاج ما، وأما قشر الكندر فقوته قابضة قبضا شديدا بينا، حتى إنه في الدرجة الثالثة من درجات الأدوية المجففة.

وليس فيه حدة ولا حرافة، ولذلك يستعمل في مداواة نفث الدم وفي من معدته رطبة، وفي النزف وفي قرحة الأمعاء.

الحضض[٢]: هذا الدواء مركب من جوهر رادع ومحلل، تركيبا معتدلا، وهو إلى اليبس مائل قليلا.

---

(١) ماهوذانة: ويسمى حب الملوك وشجرته تسمى في الشرق بالسيسبان أو البلسان.

(٢) حضض: قال ابن النفيس في الموجز (ص ٩٥): يابس في الثانية معتدل في الحرارة والبرودة وتحليله أقوى من قبضه. يقوّي الشعر، ويبرئ الكلف، وينفع الداحس، ويشد المفاصل، ويمنع كل نزف. والحضض هو شجرة متشوكة لها أغصان طولها ثلاثة أذرع أو أكثر ولها ثمر يشبه الفلفل أملس وقشره أصفر، وتنبت في الأماكن الوعرة.

وهو من الأدوية الخاصة بالعين والأذن. وله أفعال كثيرة متفننة على ما شأن الأدوية التي مزاجها هذا المزاج.

لوسيماخيوس: هذا الدواء معلوم عندنا، وخاصته قطع الدم في أي موضع كان من البدن، وهو في طبعه بارد يابس ينبت بشطوط الجداول والأنهار.

بسباسة: هو قشر يجلب من بلاد الهند، وجوهره مركب من جواهر مختلفة، والأكثر فيه الجوهر الأرضي، والأقل فيه الجوهر اللطيف ورائحته طيبة مثل طيب رائحة الأفاويه المجلوبة من الهند.

طعمه يقبض قبضا شديدا مع شيء من العطرية يسير، قوته الأولى قوة تجفف في الدرجة الثالثة، وأما الإسخان والتبريد فليس لهذا الدواء في الدرجة منهما فعل بين. وقوته الثانية قوة تجمع وتشد، وقوته الثالثة قوة تنفع من استطلاق البطن ومن قروح الأمعاء هكذا حكى ابن وافد عن جالينوس.

ساذج: قوته شبيهة بقوة سنبل الطيب.

الخبازي: قوتها قوة تحلل وتلين.

اللفاح: هذا من البرودة في الدرجة الثالثة، وفيه مع هذا مرارة. وتفاحه الذي هو اللفاح نفسه فيه رطوبة، ولذلك يحدث السبات. وأما القشر من أصوله ففيه قوة مجففة والأصل ضعيف.

الرازيانج: هذا هو في الدرجة الثالثة من الإسخان وفي الأولى من اليوسة، ولذلك صار يدر اللبن ويدر البول ويحدر الطمث. وهو نافع لمن نزل في عينيه الماء وهو ضربان: بستاني وبري. والبستاني أرطب، والبري أيبس. وهو من جهة ما هو ذفر يختص بتقوية أعضاء البول وإصلاحها.

المصطكي[1]: هو حار في الدرجة الثانية يابس في الثالثة. وذلك أنه مركب من قوة قابضة وقوة محللة.

وشهرة هذا الدواء، لتقوية المعدة خاصة ولسائر الأعضاء عموما، عندنا شهرة نغني

---

(١) مصطكى: حار يابس في الثانية، أقل فيهما من الكندر، محلل قابض، وفيه تليين، وهو لطيف جدا يذيب البلغم الرقيق، انظر: الموجز لابن النفيس (ص١٠٤)، وفي المعجم الوسيط المصصكا او المصطكاء، وهو شجر من فصيلة البطميات، ينبت بريا في سواحل الشام وبعض الجبال المنخفضة ويستخرج منه علك معروف.

عن القول في ذلك.

شونيز: يسخن ويجفف في الدرجة الثالثة. والدليل على ذلك أنه في غاية المرارة، وهو مع هذا لطيف. وإذا صر في خرقة واشتم نفع من الزكام البارد. ويقتل الديدان ويحلل النفخ ويقلع جميع أنواع الثآليل، ويحدر الطمث من نفس الانتصاب.

إكليل الملك[١]: هذا دواء محلل منضج وفيه قوة رادعة، ولنضعه من الحرارة واليبس في الأولى.

العسل: يسخن ويجفف في الثانية، وفيه جلاء كثير، وهو غذاء دوائي وبخاصة للشيوخ، فإنه من أنفع الأدوية لهم، إذ كان ينقلب فيهم إلى دم محمود، وأما السكر فإنه عسل ما، وذلك أنه أقل حرارة من العسل وأقل جلاء وليس فيه اللذع الموجود في العسل، ولذلك صار يفوق العسل في نفعه للأعضاء التي تضر بها قوة الجلاء كالمعدة والرئة والمثانة.

وهذان الدواءان للذاذتهما ولملاومة الطباع لهما قدر الأطباء أن يجعلوهما مواد الأشربة والمعاجين، والعسل أنفع في المواضع التي يحتاج فيها إلى الجلاء الكثير والتقطيع وهو إذا جلب قرب فعله من فعل السكر.

الخشخاش: أنواع الخشخاش كثيرة وهي كلها باردة رطبة. الأبيض منها في الثالثة والأسود في الرابعة.

والأبيض هو أعني بزره، ينفع من السعال الذي يكون عن مواد حارة، ويقوي الرئة عن أن يأكلها ذلك الخلط، وهو ينوم. وأما الأسود فرديء مخدر يولد سباتا.

الأترج: قشر هذه الثمرة مشهور بتقويته المعدة والكبد.

وهو إما معتدل وإما حار في الأولى، وأما في اليبس فهو في الثانية. وليست الحرافة التي في طعمه دليلا على كثرة حرارته، فإن الحرارة اليسيرة إذا اقترنت بها يبوسة كانت قوية اللذع.

وقد قال جالينوس: إن اليبوسة إذا اشتدت تفعل فعل الحرارة. وأما بزره فهو بارد قوي التجفيف. وأما لحمه فهو بارد رطب يولد أخلاطا غليظة.

---

(١) إكليل الملك: حار يابس في الأولى، وقيل: معتدل في الحرارة والبرودة، وفيه قبض يسير وتحليل وإنضاج وتسكين للوجع، مقو للأعضاء، انظر الموجز في الطب لابن النفيس (ص ٨٥).

المو: المستعمل من هذا هو أصله، وهو حار في الثالثة يابس في الثانية، وهو يدر البول ويحدر الطمث، وفيه رطوبة فضلية حتى متى أكثر الإنسان من أكله ترقت إلى الرأس فأحدثت صداعا.

الطرفاء: هذا الدواء مركب من جواهر متضادة، وذلك أن فيه قبضا مع تحليل. وهو من أنفع الأشياء للأطحلة[1] ، ولذلك زعموا أن من شرب بإناء متخذ من خشبه لم تصبه أمراض الطحال، وثمرته فيها قبض شديد يقارب قبض العفص.

الآس: هذا النبات الغالب على أجزائه الجوهر الأرضي البارد. والدليل على ذلك القبض الذي فيه، وحبسه للبطن مشهور جدا.

الحرمل: هذا حار في الثانية، يقطع الأخلاط الغليظة، ويدر البول، ويحدر الطمث، وينفع من وجع المائدة والظهر، ويقيء البلغم ويسهله.

سنبل: السنبل أنواع، وأفضله الهندي.

وهو من الحرارة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثانية. والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي بارد كثيرا، ومن جوهر ناري يسير المقدار وأرضي محترق يسير المقدار أيضا، ولما كان مركبا من هذه القوى مع العطارة الموجودة فيه صار من أنفع شيء للمعدة والكبد ضمادا أو مشروبا. وذلك أنه يقويها ويجفف المواد المنحدرة إليها وإلى الأمعاء.

الخل: هذا ظاهر من أمره أن الغالب على مزاجه الجوهر المائي لمكان الحمضة التي فيه، لكن فيه مع ذلك جزء ناري، والدليل على ذلك الحرافة التي فيه.

وليست كثرة تقطيعه دليلا على حرارته، فإن المعين له على هذا الفعل هو لطافته، والحامض بما هو حامض مقطع، فكيف إذا اقترنت إليه كيفية حارة؟ فلنضعه في الدرجة الثانية من البرودة وفي الثالثة من اليبس، وبخاصة العتيق منه. وقوة الخل في منع التعفن وتقطيع الأخلاط وتلطيفها قوة مشهورة.

برباريس: ثمرة هذه الشجرة فيها مع قوة القبض شيء قطاع لطيف، وهو يمنع ويحبس جميع العلل السيالة.

ألبان الشجر: أما الحلتيت فهو أكثر ألبان الشجر حرارة ولطافة، ولذلك هو أشد تحليلا، وخاصته نفع اللهاة إذا علق عليها.

---

(١) جمع طحال.

الكرسنة: هي مجففة في الدرجة الثانية ممتدة وتسخن في الأولى، وهو دواء مقطع محلل مفتح للسدد، وإن أكثر من أخذه بول الدم. وينبت اللحم في الأبدان الصلبة والأعضاء الصلبة.

جاوشي: هذه الصمغة لنضعها من الإسخان في الدرجة الثالثة ومن التجفيف في الثانية، وخاصته جذب البلغم وإخراجه من الوترات والمفاصل، وكأن هذه الخاصة شيء يعم الصموغ المسهلة، الشربة منه من درهم إلى مثقال.

الفلفل: أما أصل الفلفل فشبيه بالقسط، وأما ثمرته في أول ما تطلع فهي المسماة دار فلفل، وهي أرطب من الفلفل.

وأما ثمرة الفلفل التي لم تنضج بعد فهي الفلفل الأبيض، والأسود هو النضج والنوعان كلاهما يسخنان ويجففان في الثالثة.

بسبايج: وهي المسماة برجوذية، وهذا الدواء قريب من أن يكون معتدلا في الكيفيات الأول أو كالمعتدل.

والدليل على ذلك أن الغالب على مذاقته الحلاوة والقبض. يجفف تجفيفا بلا لذع، وخاصته إسهال المرة السوداء. وهو من الأدوية المأمونة جدا، وهو يفضل الأفيثمون في أنه ليس فيه كيفية خارجة عن الاعتدال والشربة منه من عشرة دراهم إلى نحوها.

الفراسيون: هذا الدواء هو من الإسخان في الدرجة الثانية نحو آخرها، ومن اليبس في الثالثة عند وسطها أو عند انقضائها.

وهو يفتح السدد التي في الكبد والطحال، وينقي الصدر والرئة ويدر الطمث، ويفعل ما تفعله جميع الأدوية المرة.

وعصارته تستعمل مع العسل لتحديد البصر ويسعط بها أصحاب اليرقان. ويستعمل في مداواة وجع الأذن إذا طال وعتق واحتيج إلى شيء ينفي سبيل عصب السمع.

وسخ الكور: هو من التسخين في الدرجة الثانية عند آخرها أو في أول الثالثة وقوته الثانية الجذب البليغ.

العاقر قرحا[1]: أكثر ما يستعمل من هذا النبات أصله خاصة، وقوته قوة تحرق،

---

(١) عاقر قرحا: نبات مغربي يسمى تيفنطست وعود القرح، ويتفرع عن قضبان كثيرة رءوسها -

فليكن في الدرجة الرابعة، ولهذا يسكن وجع الضرس وينفع من النافض إذا دلك به البدن وينفع من الخدر والاسترخاء، وبالجملة فتقويته للعصب مشهورة.

الفجل: يسخن في الدرجة الثالثة ويجفف في الثانية. وبزره أقوى ما فيه.ينفع من النمش الذي يكون في الوجه ومن الخضرة في أي موضع كانت من البدن والبري في هذه أقوى من البستاني.

الراوند: قوة الراوند مركبة، وذلك أن فيه شيئا أرضيا باردا يدل على ذلك القبض المتطعم فيه.

وفيه أيضا جزء ناري تدل على ذلك الحرافة الموجودة في طعمه.

وفيه أيضا جزء هوائي ويدل على ذلك رخاوته وتخلخله. وهو من أشهر الأدوية في نفع الكبد: يفتح سددها ويقويها، وكذلك فعله في المعدة، وجالينوس وغيره من الأطباء يصف الراوند بأنه حابس للبطن. ونحن نجده اليوم مسهلا.

وهو من أغرب الأدوية المسهلة، حجابه فيه، فإن جميع الأدوية المسهلة إنما هي سموم ما، إلا هذا الدواء خاصة، فإنه مع أنه مسهل هو مقو للأعضاء كلها. ولذلك قد يمكن أن يحجب به الدواء المسهل فيعاضده في فعله ويحجب مضرته.

الكرفس الجبلي[1]: هو من الحرارة واليبس في الثالثة لأنه مر الطعم حريف، يدر البول ويحدر الطمث ويحلل النفخ ويذهبها. والبستاني في هذا أضعف.

أندراسيون: وهي اليربطورة. المستعمل من هذا النبات هو أصله وهو يسخن في الدرجة الثالثة قريب من منتهاها ويجفف فيها عند ابتدائها، وهو نافع من علل العصب، والعلل الحادثة في الصدر والرئة من قبل الأخلاط الغليظة.

وإذا تبخر به الإنسان قطع الأخلاط الغليظة التي في الدماغ وفتح سدده، وإذا وضع أيضا في السن المتآكلة سكن وجعها، وهو أيضا يشفي الجرح، وعصارة هذا النبات قوتها قوية.وأما لبنه فهو في هذه الخصال كلها أقوى.

السذاب: أما البري ففي الدرجة الرابعة من درجات الأشياء التي تسخن وتجفف،

- الأكاليل، له زهر أصفر وأسنان كالبانوج وله مثل ساق المازريون وإكليل مثل إكليل الشبث، وله عروق في غلظ الأصبع، يحذو اللسان حذواً شديدا، والشامي فيه هو المسمى عود القروح، وهو يابس في الثانية وينفع من أورام البلغم والعصب و الاسترخاء شربا وضمادا.

(١) الكرفس الجبلي: هو الزيانة .

وأما البستاني ففي الثالثة ولذلك هو في طعمه حار حريف مر. وهو يفعل جميع الأفعال التي يفعلها ما مزاجه هذا المزاج، وهو من أنفع شيء لتحليل النفخ والرياح قاطع للباه.

الزفت: أما اليابس فيسخن ويجفف في الثالثة، وهو أكثر تجفيفا منه تسخينا.

وأما الرطب فيسخن أكثر مما يجفف، وفيه شيء من اللطافة. وبذلك فيسخن أكثر مما يجفف، وفيه شيء من اللطافة. بذلك صار نافعا لمن به ربو، ولمن يقذف المدة.

وحسب من يتعالج به أن يتناول معه مقدار أوقية ونصف من عسل، والنوعان فيهما جلاء ونضج وتحليل. والنضج في الرطب أكثر. ويقلعان البياض من الأظفار ويذهبان القوباء وينضجان الأورام الصلبة إذا خلطا في أضمدتها. وأقواها في ذلك الرطب.

الدلب: هذا رطب بارد في الأولى، إذا سحق ورقه كان ضمادا نافعا للأورام الحادثة في الركبتين. ولحاء هذه الشجرة وجوزها فيهما قوة تجفيف. ولذلك متى طبخا بالخل نفعا وجع الأسنان.

وإذا أحرق رماده ينفع من العلة التي يتقشر معها الجلد. وينبغي للإنسان أن يتوقى الغبار الذي يتعلق ويلصق بورق هذه الشجرة، فإنه ضار لقصبة الرئة.

وكذلك بآلات البصر والسمع. والدلب هو المعروف عندنا بالصفيراء.

عصا الراعي(١): هذا النبات في الدرجة الثانية من درجات الثانية من درجات الأدوية التي تبرد، أو في مبتدأ الثالثة. وذلك أنه مركب من جوهر أرضي بارد ومائي.

وهو نافع للالتهاب الذي يكون في فم المعدة، ويشفي الحمرة ويمنع ويردع المواد المنصبة، فلذلك يقطع النزف العارض للنساء ويشفي قروح الأمعاء ويقطع نفث الدم وانفجاره إذا أفرط حيث كان.

الورد: هذا الدواء مركب من جوهر أرضي بارد لطيف، من هوائي ومن مائي، والدليل على ذلك طعمه ومرارة عصارته.

وبزره أشد قبضا منه، وهو في الدرجة الأولى من البرد واليبس. وهو خاص بتقوية المعدة والكبد وسائر الأعضاء. وشهرته بذلك مغنية عن تثبيت ذلك فيه.

---

(١) عصا الراعي: هو البطباط وهو نوع من القطف الأخضر، وهو نبات شائك، غض الأوراق، مزغب، بزره بين ورقه، أحمر دقيق في الذكر أبيض في الأنثى والذكر أقوى، ويستخدم منه الأوراق كقابضة، ومضادة للجراثيم، وطاردة للديدان، مضادة للالتهاب ومنبهة ومنشطة للعضلات ويحذر تناولها أثناء الحمل.

السماق: هذه الشجرة شديدة القبض والتجفيف . وأنفع ما فيها شرتها وعصارتها لمكان ظهور القبض فيها، فهو إذن يبرد في الثانية وييبس في الثالثة. وأما أفعاله الثواني فلن تخفى عليك من إمساك البطن وانبعاث الدم وما أشبه ذلك.

سكبينج: هذه الصمغة تسخن وتلطف على مثال ما تفعل الصمو جلاء. وهو من أفضل الأدوية للماء النازل في العين ولظلمة البصر الحادثة عن الغليظة.

وهي من الأدوية المسهلة: تجذب البلغم من الوترات على ما شأنه والجاوشير والأنزروت أن يفعل ذلك فإن هذا شيء يخص الصموغ. وكأن هذه في المرتبة الأولى من الإسهال ثم يليه السكبينج والجاوشير ثم الأنزروت من السكبينج من درهم إلى مثقال. وقوة الأنزروت قوة تجفف بلا لذع، وبهذه الجراحات الحادثة عن ضربة.

خصي الثعلب: قوة هذا النبات حارة رطبة رطوبة فضلية، ولذلك الجماع، وهو يشفي، زعموا، التشنج الكائن من خلف البدن إذا شرب مع شرب قابض.

الكرفس: يبلغ من إسخان الكرفس أنه يدر الطمث والبول ويحلل النفخ وخاصة بزره. وهو أنواع بعضها أقوى من بعض، وأقواها النوع بطرساليون.

الهندباء: هذا النبات منه بستاني، ومنه بري. والبري هو مائي واليبوسة في الدرجة الأولى.

وأما البستاني فهو أبرد وأرطب. والدليل على ذلك طعمه قبضا مع مرارة ، والقبض فيه أغلب من المرارة. وهذا الدواء هو في غاية من منفعته للكبد.

حتى إن نفعها للكبد هو بجملة جوهرها. وذلك أنهم زعموا تشفي الكبد الحارة والباردة معا. لكن موافقتها للكبد الحارة يجب أن تكون أنها تنفعها بجملة جوهرها، فتجلو المرار الذي فيها وتفتح أفواه العروق.

الشيح(١): هذا دواء شديد المرارة، ليس فيه قبض، فهو يضر المعدة ويقتل الديدان بمرارته ويسخن في آخر الثانية وييبس في الثالثة.

السساليوس: أصل هذا النبات وبزره بخاصة قد يبلغ من إسخانه البول إدرارا

---

(١) الشيح: نبت سهلي شجيري معمر من الفصيلة المركبة لأوراقه رائحة عطرية وقال داود الأنطاكي في تذكرته: يقطع البلغم ويفتح السدد ويخرج الديدان والأخلاط الفاسدة وينبت الشعر طلاء ويحل عسر النفس شربا، والرمد طلاء، ويدر الفضلات ويذهب الحميات ومنقوعه ينفع في علاج البول السكري وهي مادة ذات رائحة قوية.

شديدا، وهو مع هذا لطيف حتى إنه ينفع من يصرع ومن الانتصاب.

السمسم: يسخن في آخر الأولى وأول الثانية ويرطب في أول الثالثة دهنه وهو الشيرج هذه القوة.

العنصل[1]: قوة هذا البصل قوة مقطعة تقطيعا بليغا، لكن ليس يسخن إسخانا قويا، بل هو من ذلك في الدرجة الثانية. والأجود في ذلك الا يؤخذ حتى يشوى أو يطبخ.

الخرشف: أصل هذا النبات يحدر بولا كثيرا منتنا متى سلقه الإنسان وشربه بشراب. ولذلك يذهب نتن الإبطين ورائحة البدن.

وهو بجملة جوهره مضاد للعفونة وهو حار في الثانية يابس في الثالثة.

وهو دواء غذائي يقبل طعم اللحم فيكون له عند ذلك مذاقة لذيذة كالحال في الباذنجان.

الثوم: يسخن ويجفف في الثالثة.

المر: هو في الدرجة الثالثة من الإسخان والتجفيف. قواه الثوالث: يقتل الديدان والأجنة وفيه جلاء. بسبب ذلك يخلط في الأكحال التي تتخذ لقلع الآثار الغليظة التي في العين.

ويخلط أيضا في الأدوية التي تشرب للسعال القديم والربو، وذلك أنه يجلو من غير تخشين بل جلاء معتدلا. وهو دواء مشهور بالإنضاج، ويشبه أن يكون إنضاجه بتلطيفه المادة لا يفعل فيها يبسا ولا غلظا يعسر به إنضاج الباقي. فإن هذا أحد ما قلنا إن به يكون الدواء منضجا، فإنه ليس يمكن أن نقول في المر إنه منضج بالتغرية، إذ كان جلاء. ولا أنه أيضا في مزاجه شبيه بالحرارة الإنسانية إذ كان في الثانية من الحرارة واليبس.

الجزر: أما البستاني فضعيف، وأما البري فقوي وهو يدر البول ويحدر الطمث وورقه إذا اتخذ منه ضماد وهو طري نفع الآكلة.

اسطوخودوس: هذا النبات مركب الجوهر والدليل على ذلك القبض الموجود فيه مع المرارة والعطرية، فلنضعه في الدرجة الأولى من درجات الأشياء المسخنة وفي الثانية من اليبس.

---

(١) العنصل: هو بصل الفأر، وبصل فروعن، وبصل الخنزير، واشقيل وعند العامة يعرف بالبصيلة، وهو بصل بري معروف.

وأما أفعاله الثواني والثوالث فالتفتيح والجلاء وتقوية جميع الأعضاء الباطنة والبدن كله، ولذلك صار من أنفع الأدوية للذي يجد مس الإعياء في بدنه، إذ كان الإعياء إنما هو ضعف القوة عن حمل الأخلاط.

كندس: هو حار في الدرجة الرابعة يابس فيها، من شأنه أن يحرك العطاس وهو سم لا يرد البدن.

الميعة: لنضعها في الدرجة الثانية من الإسخان وفي الأولى من اليبس. والدليل على ذلك أنها تلين وهي تشفي السعال والزكام والبحوحة، وتدر الطمث إذا شربت وإذا احتملت من أسفل. ودخان الميعة شبيه بدخان الكندر.

التين: قد ذكرنا هذا من حيث هو غذاء. وأما من حيث هو دواء ففيه قوة منضجة إذا استعمل ضمادا، وذلك اليابس منه، وتحليل أيضا.

وجميع أصناف التين تلين البطن والأخضر أضعف قوة، كما أن البري أقوى في التحليل، والماء الذي يطبخ فيه التين طبخا قويا شبيه بالعسل.

وأما مزاج شجرته فهو حار لطيف، وبخاصة لبنها وعصارتها، ولذلك صارت تقلع الثآليل المعروفة بالخيلان. ويسهل البطن، والبري في ذلك أقوى من البستاني.

السلق: فيه قوة بورقية تجلو وتحلل وتنفض فضول الدماغ من المنخرين، إلا أن يطبخ فتذهب عنه البورقية، والسلق الأبيض قوة الجلاء فيه أكثر من الأسود، لأن الأسود فيه بعض قبض.

الحلبة: تسخن في الدرجة الثانية وتجفف في الأولى. ولذلك فيها قوة ملينة وبخاصة لصلابة الأرحام.

اليتوع: جميع أنواع اليتوع كلها في الغاية من الحرارة، وبخاصة لبنها، ويتلوه بزرها ثم ورقها ثم أصلها، وأصول اليتوع إذا طبخت بالخل أذهبت وجع الأسنان، ولا سيما السن المتآكلة، فأما لبن اليتوع فلما كانت قوته أشد صار الناس يضعونه في جوف السن المتآكلة، لأنه إن وقع في موضع من الفم أحرقه، ولذلك ينبغي إذا أريد أن يوضع في السن المتآكلة أن يدار حولها بشمع، وإذا كان هذا هكذا فلبن اليتوع إذن في الدرجة الرابعة من درجات الأشياء التي تسخن، وهو يذهب الشعر إذا طلي به على البدن، حتى إنه متى كرر بطل به الشعر.

ويقلع جميع ضروب الثآليل ويشفي القروح المتآكلة، وهذه الأفعال كلها يفعلها

بزره وورقه أضعف فعلا.

كثيراء: قوة الكثيراء قوة تلحم وتلزق، وتكسر من شدة الأشياء الحادة، وهي تجفف كما تجفف الصموغ.

الحسك: هذا نبات مركب من جوهر رطب يسير البرودة ومن جوهر يابس بارد، والأغلب على البري منه اليبوسة، وعلى النابت في الماء الجوهر المائي، وهما يردعان الأورام الحارة.

وأما ثمرته فهي تفتت الحصى المتولدة في الكليتين. فلنضعه في الدرجة الأولى من البرودة، معتدل في الرطوبة واليبوسة.

عنب الثعلب: هذا دواء بارد يابس في الثانية.

هيوفاريقون: هذا دواء يسخن وجوهره جوهر لطيف، فهو يدر البول وينبغي إذا أريد أن يسقى منه أحد أن يسقى من ثمرته و لا يقتصر على بزره، وهو إذا اتخذ منه ضماد على حرق النار وعلى القروح ألحمها، ويشفي القروح المتعفنة إذا نثر عليها مدقوقا، وقد يشفي به قوم من وجع الورك.

الزوفا(١): هذا يسخن ويجفف في الثالثة: وهو لطيف، ولن يخفى عليك أفعال ما مزاجه هذا المزاج، ولذلك كان من أنفع شيء لتفتيح السدد وتلطيف الأخلاط.

العدس: يقبض قبضا ليس بالشديد، وهو وسط في الحر والبرد، ويجفف في الثانية، ونفس جرم العدس يحبس البطن، وأما الماء الذي يطبخ به فيطلق البطن، ولذلك إذا أريد منه أن يعقل البطن فينبغي أن يطبخ في الماء مرات ويهرق ذلك الماء.

الطحلب: هو بارد رطب في الثالثة.

النخلة: جميع أجزاء النخلة القبض فيها ظاهر، وأما ثمرتها إذا نضجت فهي حارة وقشر الطلع أكثر أجزائها تجفيفا.

الفو: هذا النبات فيه عطرية، وقوته شبيهة بالسنبل، إلا أنه في أشياء كثيرة أحسن منه، من ذلك أنه يدر البول أكثر من سنبل الطيب ومن السنبل الشامي.

---

(١) الزوفا: وهو صنفان رطب، وهو الدسم الموجود في الصوف، وآخر يابس وهو نبات يقوم على ساق دقيق مربع وله ورق كورق الصعتر الدقيق، وهو نبات معمر بري طبي من الفصيلة الشفوية، لورقه رائحة عطرية وطعم حريف، انظر: كتاب القولنج للرازي (ص ٢١٧).

قنة: هذه الصمغة قوتها ملينة محللة، وهي في الإسخان في أول الدرجة الثالثة ومن التجفيف في أول الثانية.

كمادريوس: هذا في الدرجة الثانية من درجات الإسخان والتجفيف، على أن إسخانه أكثر، والدليل على ذلك أن طعمه مر حريف، وهو يذوب الطحال ويدر الطمث والبول ويقطع الأخلاط وينقي السدد الحادثة في الأعضاء الباطنة.

كمافيطوس: هذا يسخن في الثانية ويجفف في الثالثة، والغالب على طعمه المرارة مع حرافة، ينفع اليرقان الذي يكون من قبل السدد ويحدر الطمث ويدر البول.

البزرقطونا: هو بارد في الدرجة الثالثة وسط بين الرطوبة واليبوسة.

الأرمدة: هي مركبة من كيفيات متضادة، وذلك أن فيها أجزاء أرضية وأجزاء قريبة من طبيعة الدخان، وهذا الجزء يذهب بالغسل، ولذلك يبقى بعد الغسل الجزء الأرضي يجفف بلا لذع، والأرمدة تختلف بحسب الأشياء التي هي أرمدتها.

الدخان: كل دخان فهو حار يابس مجفف، والدخان بالجملة مع أن مزاجه هذا المزاج توجد فيه قوة الشيء الذي هو دخانه، ولذلك صار الأطباء يستعملون دخان الكندر في إنبات اللحم في العين، ويستعملونه في العين الوارمة، وفي التي تتحلب إليها رطوبة، وفي إنبات الأشفار ودخان المر شبيه بدخان الكندر، وأما دخان الميعة فهو أقوى.

ودخان القطران أقوى من دخان الزفت، والأدخنة القوية تستعمل في العلة المعروفة بالسلاق.

١٠٨- الأدوية المعدنية

فهذه جل الأدوية النباتية المستعملة أكثر ذلك في صناعة الطب التي شهد لها جالينوس أنه جربها، وأما الأدوية المعدنية فمن أشهرها:

الطين المختوم: وهو بارد يابس مجفف، فيه قبض معتدل، ينفع من السموم ويقطع نفث الدم ويشفي اختلاف الدم من الأمعاء ومن الكبد ويجفف القروح الخبيثة إذا طلي عليها.

الطين الأرميني: هذا أيضا بارد يابس قوي التجفيف، ينفع من استطلاق البطن ومن نفث الدم ويجفف قروح الرئة والصدر حتى إنه يصلب قرحة الرئة ويبقى العليل يعيش على تلك الحال، ولا سيما إذا انتقل إلى البلاد الحارة اليابسة.

وينفع أصحاب الأمراض الوبئية، هذه التربة هي غير موجودة عندنا،والطين الذي

تختم به الكتب عندنا إذا صُوِّل، لم يبعد كثيرا من هذه الأفاعيل، وكذلك الانجبار.

الشاذنة: هذه أيضا باردة يابسة، تنفع من خشونة الأجفان، وإذا غسلت جففت قروح العين.

طين الكوكب: بارد يابس باعتدال وهو ألين جواهر الطين.

المغرة: باردة يابسة إذا شربت قتلت الدود الكائن في الأمعاء.

الجبسين[1]: مجفف ملزق ينفع من قطع الشريان إذا خلط ببياض البيض وغبار الرحى ووبر الأرنب أو العنكبوت ووضع على القطع.

اسفيذاج: الرصاص بارد يابس يجفف القروح بلا لذع.

النورة: هي شديدة الإسخان مذيبة للحم، فإذا هي غسلت مرارا جففت القروح من غير لذع.

حجر اللازورد: يسهل المرة السوداء وينفع أصحاب المالنخونيا، وهو قوي الإسهال مأمونه، الشربة منه من درهم إلى درهم ونصف، وهو إذا سحق ونثر على الأشفار الساقطة عن الأخلاط الحارة أنبتها.

وذلك أنه يقبض ويجلو جلاء يسيرا وقبضا يسيرا، فهو ينبت ذلك بما يفني من تلك الأخلاط الحارة ويرد العضو إلى مزاجه الأصلي.

حجارة الإسفنج: خاصتها تفتيت الحصى التي في الكلية فقط.

إثمد: بارد مع قبض، ينفع من الحرارة والرطوبة العارضة في العين، وينشف الدمعة وينقي قروح العين، وكأنه مقو بجملة جوهره لها.

التوتيا: هذا يكون في الأتانين التي يسبك فيها النحاس، وقد يتولد أيضا من سبك الإقليميا، يابس مجفف من غير لذع ولا سيما إذا وصل وهو أيضا من أدوية العين المشهورة، ينشف الدمعة ويجلو ظلمة البصر ويقطع المواد المنصبة إليه.

مرداسنج: وهو المرتك: هو معتدل في الحرارة والبرودة، مجفف وفيه بعض جلاء به ينبت اللحم في القروح الرطبة.

إقليميا الذهب والفضة: هذان باردان يابسان مجففان جلاءان، إلا أن إقليميا

---

(١) الجبسين: هو الجبس ويقال له الجص بارد في أول الثانية يابس في أول الرابعة إذا استعمل ضمادا ببياض البيض على الجبهة قطع الرعاف وانفجار الدم حيث كان، وإذا حرق لم يبق على ما كان عليه وإذا شرب قتل الجنين، بدنه انجبار وشربته إلى مثقال.

الذهب أشد تجفيفا وأقوى جلاء، وإقليميا الفضة إذا أحرقت جففت من غير لذع، وأنبتت في قروح العين اللحم، وهي بالجملة متولدة من الدخان الصاعد من النحاس أو الفضة عند طبخهما.

خبث الحديد: هو شديد التجفيف وإذا دق ناعما وأنقع في الخل وشرب نفع المعدة الزلاقة وينفع من أوجاع الطحال ومن أمراض المقعدة، وكذلك متى سحق بالخل سحقا متواليا كان منه دواء منبت للحم في الأذن.

الملح: أنواع الملح كلها حارة يابسة، فيها قبض وجلاء. والبورق قوة الجلاء فيه أكثر ولذلك هو أكثر تليينا للطبيعة.

الزرنيخ الأصفر: قوة هذا الدواء قوة تحرق وهو متى أحرق كان ألطف والناس يستعملونه في حلق الشعر.

الكبريت: كل كبريت ففيه قوة جاذبة لأن مزاجه حار وجوهره لطيف، ولذلك أيضا يضاد جل سموم الهوام، واستعماله يكون بأن يسحق وينثر على موضع اللسعة أو يعجن بالريق ويوضع عليها أو بالبول أو بالزيت أو بالعسل أو مع علك البطم ويشفي أيضا الجرب والقوباء والعلة التي يتقشر فيها الجلد.

الزنجار: قوة هذا قوة حادة مذيبة للحم أكالة له مع تجفيف شديد، ولذلك ما يوضع في القروح التي يحتاج فيها إلى تذويب لحم زائد أو فاسد، وأما في القروح البسيطة فليس بممكن فيه أن يندمل ولا أن ينبت.

الزاج: هذا أصناف ثلاثة: فمنه الزاج الأحمر ومنه القلقطار ومنه الزاج الأخضر. وهذه كلها فيها قوة تحرق مع قبض، وهذه الأنواع تختلف باللطافة والغلظ.

فأغلظها الأحمر ثم يليه القلقطار ثم الأخضر، وكأن الأحمر مادة القلقطار أو قلقطار في طريق الكون، وكذلك نسبة القلقطار إلى الأخضر، وذلك مشاهد من أمرها في استحالة القلقطار إلى الأخضر وكذلك الأحمر إلى القلقطار.

وزعم جالينوس أنه لما دخل المعدن الذي كان في جزيرة قبرص ألفى فيه ثلاثة عروق ممتدة، فأسفلها الأحمر ثم القلقطار ثم الأخضر، وهذا الترتيب يدل منها على الذي قلناه وكأن نسبة الأخضر إلى القلقطار هي نسبة الزاج من النحاس، والزاج الأحمر قليل التلذيع للحم لغلظ جوهره والقلقطار والأخضر أكثر تلذيعا، والأحمر لا يذوب ولا الأخضر، والقلقطار يذوب، وذلك أن الأحمر جمد جمودا حجريا والأخضر أفرط عليه الطبخ.

الأسرب: وهو الرصاص، الغالب على أجزائه الجوهر البارد الرطب، وذلك أن البرد هو الذي جمده، ولذلك متى سحق الأسرب في الهاون مع بعض العصارات وجدت المجتمع منها دواء يبرد، مثل دهن الورد أو زيت الأنفاق.

وهذا الدواء هو نافع في مداواة أورام المذاكير والعانة والمقعدة، وهو في القروح السرطانية دواء نافع، وفي ردع المواد التي تنصب إلى الأذنين والقدمين، وإذا شدت منه صفيحة على موضع العانة قطعت الاحتلام، لكن مع مضرة شديدة بآلات المني.

والصفيحة الرقيقة منه تحلل العصب الملتوي. وهذا مما يدل على أن فيه قوة محللة بالإضافة إلى لحم الإنسان، وإن كان الغالب على مزاجه البرد.

الخزف: قوته قوة تجلو وتجفف وخاصة خزف التنور.

الزرنيخ الأحمر: قوة هذا الزرنيخ محرقة.

الشب: هذا الدواء، القبض فيه شديد. ولذلك كان اسمه في اللسان اليوناني مشتقًا من هذا المعنى. وهو أنواع جميعها فيها غلظ وألطفها الشب اليماني.

النحاس المحرق: في النحاس المحرق حدة، وله مع هذا قبض، ولذلك متى غسل وذهب منه الجزء الدخاني كان دواء مدملا، وقد يدمل في الأبدان الصلبة من غير غسل.

توبال النحاس: هذا ألطف من النحاس المحرق، وألطف من قشور النحاس، ولذلك كانت الشيافات التي يقع فيها تجلو وتحلل من الأجفان الخشونة الكثيرة.

لزاق الذهب: وهو التنكار، هو صنفان: معدني وآخر يصنع في مهراس من نحاس وفهر من نحاس ببول الأطفال بالسحق، وذلك في وقت الصيف، والأجود أن يكون النحاس الذي يتخذ منه الفهر والمهراس من نحاس أحمر. ومزاجه بالجملة مزاج يذوب، ولكنه ليس يلذع لذعا شديدا، وتجفيف الصناعي أكثر تجفيفا من المعدني وأقل تلذيعا. والمعدني إذا أحرق كان ألطف.

١٠٩- ذكر اللحوم والرطوبات الحيوانية

في اللبن: اللبن السليم الطعم الحلو، من طريق ما هو دواء، نافع من النوازل الحريفة اللذاعة، ويغسل الأعضاء من الكيموسات الرديئة ويلحج في الأعضاء، فيمنع وصول الأخلاط الحريفة إليها كما يفعل بياض البيض، وهو إنما ينتفع به هذه المنافع إذا شرب ساعة يحلب أو من الثدي إن أمكن ذلك، وذلك أنه أسرع شيء استحالة عن الحرارة التي في الهواء، ولذلك يستحيل في الأبدان الرديئة الأخلاط ويسرع إلى الحمضة أو إلى التجبن

في المعدة الباردة ويملأ الأدمغة.

لكن لا نعلم شيئا يقارب أن يخلف بدل ما يتحلل من رطوبات الأعضاء الأصلية غيره، وبخاصة لبن النساء، ويليه في ذلك لبن الأتن، ثم لبن الماعز، ولهذا كانت الألبان أنفع شيء للمسلولين.

وإنما كان ذلك كذلك لأنها مادة شبيهة بالمادة الأولى التي منها تكونت الرطوبة الأصلية. ولذلك كانت غذاء للأطفال: أعني الطبيعي منه حين يولدون.

وإنما يفعل اللبن ما يفعله من التغذية والجلاء اليسير والترطيب بما هو مركب من جواهر مختلفة، وذلك أن فيه شيئا أرضيا وهي الجبنية، وهذا هو الجزء اللاحج، وفيه جزء هوائي وهو الزبد وبهذا صار مرطبا.

وفيه جزء مائي إلى الرقة ما هو به صار يجلو، وذلك هو الميش، وليس يوجد لهذا الجزء إذا تميز قوة الجلاء فقط، بل هو ملين للبطن تليينا يصلح به أن يكون مادة للأدوية المسهلة.

وهو ينقي ويغسل عن الأحشاء الفضول المعفنة ويغسل القروح التي فيها قيح، والألبان إذا أطفئ فيها الحديد السالم من الصدأ أو الحجارة الصم مرات كان نافعا من استطلاق البطن، والحديد في ذلك أنفع لمكان القبض الذي فيه، وجميع الألبان على الجملة من الأدوية النافعة من الرمد الذي يكون عن النوازل الحارة.

وينفع أيضا القروح التي تكون في الرحم وفي المقعدة التي تكون عن خلط لذاع، وإذا خلط بالأدوية المسكنة مثل الدواء الذي يؤخذ من الأتانين التي يذاب فيها النحاس نفع من القروح السرطانية، والتغرغر به ينفع من في فمه قروح مؤلمة ويسكن أوجاعها وينفع من اللوزتين واللهاة، وبالجملة إذا كان جوهره لينا بريئا من اللذاع فإنه مما يسكن الأوجاع وينفع، وبخاصة إذا طبخ، ولذلك قد يشفي من شرب الذرايح.

الجبن: والجبن العتيق حار يابس لمكان الملح والأنفحة وهو ينفع من وجع المفاصل، وأما الزبد فقوته قوة منضجة للأورام، والسمن أحر منه وهو أكثر إنضاجا منه في الأبدان الصلبة، وذلك لمكان الملح الذي يخالطه في صنعة الطبخ، والزبد ينضج الأورام التي تكون في أصل الأذنين والأربيتين، وبالجملة في المواضع الرخوة وهو إذا استعمل بالعسل لعوقاً للنفث الكائن في الصدر والرئة كان نافعا.

الأنفحة: الأنافح بالجملة حارة لطيفة يابسة، في قوتها تحلل الدم واللبن إذا جمد في المعدة، وتحبس البطن إذا شربت وبخاصة، زعموا، إذا كان الإسهال مجهول السبب.

وأما أنا فأرى الناس لشعورهم بهذه الخاصة يعمدون إلى الأطفال الذين بهم الإسهال فيضعونها على بطونهم سخنة، فينتفعون بها، ويشبه أن يكون ذلك منها بجهة التجميد للأخلاط والتجفيف

البيض: أما من حيث هو غذاء فقد ذكرناه، وأما من حيث هو دواء فنعدد منافعه فنقول: إن بياض البيض أعني بيض الدجاج هو دواء أشد الأشياء تسكينا للذع، ولذلك يستعمل في وجع العين.

ويستعمل بالجملة في جميع الأشياء التي يراد فيها تسكين اللذع، بمنزلة الخراجات التي تكون في المقعدة والعانة وجميع القروح الرديئة.

وقد يخلط أيضا في الأدوية التي تقطع الدم المنفجر من أغشية الدماغ، ومح البيضة هو أيضا من جوهر شبيه بجوهر بياضها، ولذلك جملة البيضة تستعمل بعد أن يخلط معها دهن الورد في مداواة المقعدة والورم الحادث في الأجفان وفي الأذنين وفي الثديين، إذا كان قد أصاب واحدا من هذه الأعضاء تورم.

ويستعمل بالجملة في مداواة الأعضاء العصبية بمنزلة المرفق والوترات التي في الأصابع ومفاصل اليدين والرجلين، والحدث يستعملون في مثل هذه المداواة المح دون البياض.

والمقصود من استعمالها إنما هو تسكين الوجع مع بعض إنضاج، ودهن المحاح في تسكين أوجاع الأعصاب من أنفع الأدوية في ذلك، حتى إنه يفوق في ذلك شحم الإوز والدجاج فيما حكوا، والبيضة متى طبخت بالخل كما هي وأكلت نفعت من المواد التي تسيل وتنصب إلى المعدة والأمعاء، وإن أنت طبختها ببعض الأدوية التي تمسك البطن وأطعمتها العليل المستطلق البطن نفعته.

وأنفع ما يخلط معها في هذا الموضع عصارة الحصرم أو السماق أو عصارته، والعفص أيضا وقشور الرمان وحب الآس، وأقوى من هذه زهر الرمان البري والحرق من الماء تنفعه البيضة النيئة إذا وضعت عليه وينفع البيض النمبرشت الخشونة التي تكون في الصدر وفي الأعضاء التي تقبل ذلك، وقشور البيض إذا أحرقت وسحقت ونخلت أذهبت بياض العين.

المرارات: هي بالجملة حارة يابسة، وهي بالجملة تابعة في الزيادة في هذا والنقصان لأمزجة الحيوانات، وهي بالجملة تدخل في الشيافات التي يراد منها الجلاء وبخاصة مرارات الطيور، وينبغي إذا استعملت أن يختار منها ما لم يلحقه تغير من مرض الحيوان الذي المرارة له. ومن أكثر المرارت دخولا في العلاجات الطبية مرارة الديك.

البول: قوته حادة وفيه جلاء، ولذلك قد يشفي القروح العتيقة والوسخة.

الزبل: خرو الكلاب الأبيض مخصوص بالمنفعة في الخوانيق، وزبل الفأر يحقن به الأطفال الذين تعتقل بطونهم، أخثاء البقر تنفع المستسقين ضمادا. خرو الدجاج ينفع من الخناق العارض عن أكل الفطر، وذلك أنه يقيئهم. وينبغي أن يسحق بخل وماء ثم يسقونه. زبل السباع ينفع من القولنج شربا وتعليقا على الفخذ زبل الحمام يستعمل في علل الأعضاء الباردة مثل النقرس والشقيقة الباردة والصداع البارد والدوار وأوجاع الجنبين والكتفين والظهر والبطن والكليتين وأوجاع المفاصل.

اللحوم: قد شهد جالينوس وجماهير الأطباء بمنفعة لحوم الأفاعي للجذام، ولذلك جعلت في الترياق الفاروق، وقوة هذا اللحم الأولى التسخين والتجفيف، ووجه إبراء هذه اللحوم من هذه العلة إنما هو بأن تدفع الخلط الممرض إلى سطح البدن، ولهذا ما تؤول حال من شربها إلى العلة التي يتقشر فيها الجلد ثم يبرأ.

الشحوم: بين من أمرها وفور الحرارة والرطوبة فيها، وإن كانت تختلف باختلاف مزاج الحيوان، فأسخن الشحوم شحم الأسد وشحم الثور، والعجل متوسط في ذلك، وشحم العجل أرطب، وشحم الماعز جيد للاحتقان وهو أرطب من شحم الثور.

وشحم الجداء أرطب، وشحم الدجاج والإوز ألطف الشحوم، ولذلك كانت قوتها في تسكين الأوجاع قوة وافرة.

المخ: قوة المخاخ قوة تلين وتحلل الصلابات المتحجرة في الأعضاء الصلبة، وأفضلها في ذلك مخ عظم الأيل وبعده مخ العجل.

مرق الديوك الهرم: يطلق البطن.

لحوم الدجاج: تعدل المزاج.

السراطين المحرقة: تشفي من عضة الكَلْبِ الكَلِب بخاصة فيها.

البصايص: تفتت الحصى.

القنابر: وهي القبع إذا طبخت اسفيذياجة نفعت من به وجع القولنج إذا أدمن أكلها.

الخراطين(١): وهي المسماة عندنا طرطانيا إذا درست ووضعت على العصب

---

(١) هي دود كحيات البطن توجد في الطين إذا حفر عليها، وإذا أخذت من البحر تسمى حرمط هكذا يسميها الصيادون ويقال لها حنش الأرض وعروق الأرض.

المقطوع نفعته من ساعتها منفعة عجيبة، ومن الأشياء التي تتولد في البحر مما شهرت منافعها الإسفنج وقفر اليهود وهو دواء يسخن ويجفف في الثانية، ويلزق الجراحات الطرية بدمها، إسفنج البحر فيها تجفيف وهي نعمة المادة للرطوبات التي توضع من خارج.

أزباد البحر: كلها قوتها قوة تجلو وتحلل ولها كيفية حارة.

١١٠- أدوية أخرى مشهورة

فهذه عيون الأدوية التي شهد لها جالينوس وجربها، وههنا أدوية مشهورة وإن لم يشهد لها جالينوس، فمنها:

الأهليلجات: وهي خمسة أصناف: الأصفر والكابلي والهندي والأملج والبليلج، قواها الأول هي من البرودة في الدرجة الأولى ومن اليبس في الثانية، وذلك أنها مركبة من جوهر أرضي بارد وجوهر أرضي محترق دون البارد في الكثرة.

والدليل على ذلك القبض الموجود في طعمها مع المرارة، خاصة الكابلي إسهال المرة السوداء برفق وهو يجفف البلغم بكيفيته وهو في أول الدرجات من الأدوية المسهلة لهذا الخلط وكذلك خاصة الهندي إلا أنهم زعموا أنه يختص بجذب السوداء المحرقة وإخراجها، وهي بهذا الفعل تبرئ أمراض الرأس التي تكون من المعدة، فإن جذبها ليس ينتهي لأعماق البدن، بل إنما تجذب من آلات الغذاء ولذلك الإدمان عليه يحد الحواس والفكر ويبطئ بالشيب، وأما الأصفر فخاصته إسهال الصفراء برفق.

والشربة من كل واحد منها أما مسفوفا فمن أربعة دراهم إلى خمسة دراهم، وأما منقوعا فمن عشرة دراهم إلى ستة عشر درهما.

وأما البليلج فإنهم زعموا أنه أيضا يسهل المرار برفق، وأما الأملج فلم يصفوه بالإسهال وهو يقوي الشهوة ويقطع البصاق والقيء ويحسن الذهن وينفع من البواسير، قالوا: ويقطع العطش ويزيد في الباه وعلى هذا ففيه رطوبة ما.

كشوث: هذا قوته من نوع قوة الأفسنتين وإن كان ليس مثله، وهو مركب الجوهر من قابض ومر، وهو ينفع الحميات بعد النضج كما يفعل الأفسنتين.

بلاذر[١]: حار في الدرجة الرابعة يابس في آخر الثالثة، ينفع من الفالج والاسترخاء،

---

(١) بلاذر: هو شعير عشبه أحمر بني ثمين، يصنع منه أثاث المنزل، ويستخرج من ساقه أنواع من الصمغ، ويقال لثمره حب الفهم وهو نوعان هندي أصفر اللون قشرته خلقته كلية الغنم، ومغربي وهو قريب من خلقة الشاة بلوط صغير وقشره أكحل، وهو جيد للفهم.

ويعيد القوة الحافظة إذا اعتلّت من الرطوبة والذاكرة.

بهمن: حار رطب، يسخن المعدة وآلات التناسل باعتدال، ويقوي الشهوة ويزيد في المني وينفع من الأخلاط السوداوية.

الترنجبين: هو من يسقط من السماء بخراسان وناحية الهند، وهو بالجملة كأنه سكر ما حار رطب في الأولى، وخاصته إسهال المرة الصفراء برفق، حتى إنه أضعف المسهلات لها، ولذلك يستعمل في الأمراض الحادة، ولا ينتظر به نضج على ما شأن الأدوية المسهلة أن يستفرغ بها في الأمراض.

تمر هندي: هو بارد في الثالثة يابس في الثانية، والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر مائي خالطته يسير حرارة لطفت تلك المائية وكانت لها كالآلة لنفوذها، ولذلك كان طعمه في غاية الحمضة، يسهل المرار الأصفر برفق.

الشربة منه من عشرة دراهم منقعا إلى خمسة عشر درهما، وحمضته فيها يسير قبض، فلذلك صار ينفع المعدة الصفراوية ويدفع القيء الصفراوي عنها.

جوزبوا: حار يابس في الثانية عطر الرائحة يجلو خمل المعدة من الخلط العفن ويقويها وينفع الكبد والطحال الباردين.

حجر البازهر: هذا مشهور جدا في المنفعة من جميع السموم وبخاصة سم العقرب، والشربة منه مقدار ربع درهم.

حجر الزبرجد: ينفع نزف الدم من أي موضع كان وإذا سقي منه شيء لمن لسع قبل وصول السم إلى القلب منع وصوله إلى القلب، والشربة منه نحو من سدس مثقال.

زمرد: هذا أيضا ذكروا فيه أنه نافع من جميع السموم، وبخاصة سم الأفاعي، والشربة منه تسع حبات، قالوا: ويجد شاربه أوجاعا عظاما في جسمه أول ما يشربه وانحلالا في قوّته ثم يفيق وقد انتفع، قالوا: ويقطع الإسهال المزمن إذا شرب وإذا علق على المعدة نفع من ذلك أيضا.

حجر العقيق: معتدل يقطع الدم المنبعث وطمث النساء بخاصة فيه، ويزيل الحفر من الأسنان أو يوقفه.

لؤلؤ: يابس لطيف نافع من أوجاع القلب مقوٍّ له بجملة جوهره مذهب للحزن

حار يابس في الرابعة وقال داود عسله في الرابعة، وقشره في الثالثة.

ويقوي العيون الرطبة.

خيار شنبر: يسهل الصفراء المحترقة بخاصته ويطفئ حدة الدم ويحلل الأورام، وهو دواء يسهل برفق كالتمر الهندي أو أقوى منه بقليل، والشربة منه كالشربة من التمر الهندي.

خولنجان: حار يابس في الثانية نافع للمعدة الرطبة مطيب للنكهة هاضم للطاعم مسخن للعصب مقو للباه.

حجر البجادي: إذا اكتحل به قوى البصر وحفظ النور وأزال الغشاوة والظلمة من البصر.

زرنباذ: حار في الثالثة يابس في الأولى، يجلو ويحلل الرياح الغليظة، نافع من لسع ذوات السموم، خاصته تحليل الرياح من الأرحام وحبس القيء وله ورق عطري قال بولش: إنه بدل من الدارصيني.

سبستان: وهو المخيطى حار في الأولى رطب في الثانية، يسهل برفق الفضول الصفراوية، ويسكن حدة الدم بترطيبه، ويملس خشونة قصبة الرئة، وينفع من ضيق النفس، وإذا طبخ ماؤه حتى يغلظ ووضع على داء الثعلب أو داء الحية أنبت الشعر.

سندروس: حار يابس في الثانية يحلل الفضول من الدماغ إذا شم بخاره، وهو ينفع النوازل بالجملة بخاصة فيه، وإذا قطر في العين جلا الآثار التي فيها جلاء عجيبا، وينفع من وجع الأسنان وتساقط اللثة نفعا عجيبا.

سنا: حار يابس في الثنية، يسهل الأخلاط المحترقة والرطوبات إسهالا معتدلا، لا يقوى من ذلك على الأخلاط التي فيها غلظ وتحجر، وقوته في الإسهال تقرب من قوة الغاريقون: أعني في الجذب إلا أن الغاريقون مختص بإخراج الأخلاط الغليظة، والشربة منه من درهم إلى درهمين، أما في المطبوخات فمن خمسة دراهم إلى سبعة.

سك المسك: حار يابس قابض يقوي الأعضاء ويعقل الطبيعة ويمسك القيء.

سك العفص وسك البلح: باردان يعقلان الطبيعة ويمسكان القيء.

شقاقل: حار رطب يزيد في المني ويحرك الشهوة.

صندل[1]: أبردها الأحمر، وذلك أنه يبرد في الثالثة وييبسه في الثانية وأعطرها

---

(١) الصندل: شجر طيب الرائحة يظهر طيبها بالدلك أو بالإحراق، وشجره يشبه شجر الجوز وله الوان مختلفة أحمر، وأبيض، وأصفر، ويحمل ثمرا في عناقيد، له حب أخضر، قال ابن

الأصفر المسمى مقاصري، بارد في الثانية يابس في الأولى، ينفع إذا شرب من شدة الحرارة ومن الخفقان الحادث عنها، وتضمد به المعدة الحارة والأورام الحارة فينفعها.

طباشير: هو فحم عقد خشب القني بارد يابس في الثالثة، خاصته النفع من الحرارة والالتهاب والمرة الصفراء وتقوية المعدة، وينفع من الخفقان والكرب الدائم والغم.

عود الطيب: حار يابس في الثانية هذا قد ذكره جالينوس في التجربة الطبية وقال فيه: إن قوته قوة الدارصيني إلا أنه يفوق الدارصيني، بما فيه من خصوصية تجفيفه لبلة المعدة والمرارة والقبض مع العطارة الفائقة صار هذا الدواء من أنفع الأدوية للأعضاء الرئيسة كلها: القلب والدماغ والكبد والمعدة، ويزيل الغم والخفقان الذي يكون عن الرطوبة فيما أحسب، وينفع من السموم بتقوية الأعضاء الرئيسة ودخانه من أعطر الأدخنة نافع للنزلات.

عنبر: هذا أحد أصناف القفر وذلك أنه يتولد في عيون البحر فيما زعموا، ويطفو فوق ماء البحر، وأفضله الأشهب، حار يابس في الثانية، مقوٍّ للقلب والدماغ والمعدة والحواس.

نافع للشيوخ والمبرودين، ينفع من أوجاع المعدة الباردة، ومن الرياح الغليظة العارضة في الأمعاء ومن السدد، وإذا طلي من خارج يقوي الأعضاء وبخاصة الأعصاب، ويقاوم فساد الهواء المحدث للموتان، إذا أدمن شمه وإذا شرب.

عناب: هذا الدواء ذكره جالينوس ولم يقف له على منفعة خاصية، وأما أطباء العراق فيذهبون به كل مذهب في قمعه حدة الدم والصفراء ونفعه من خشونة الصدر والرئة.

حتى إنهم يرون أنه نافع بجملة جوهره، مزاجه بارد في الأولى رطب في الثانية، ويشبه أن يكون قمعه للدم إنما هو بترطيبه.

فوفل: هي أصناف، قوتها قوة الصندل إذا شرب منه من درهم إلى درهمين أسهل باعتدال.

قرنفل: حار يابس في الثانية ممتدة، أو في الثالثة مسترخية، مقو للأعضاء الرئيسة

-

النفيس في الموجز في الطب: يمنع التحلب، وينفع الأورام الحارة والصداع والخفقان الحارين ضمادا ومشروبا، ويوافق ضعف المعدة انظر: (ص ١١٢).

كلها، نافع من العلل الباردة، يعقل البطن وهذا الدواء ذكره جالينوس في التجربة الطبية له، وزعم أن خاصة قشر القرنفل تقوية القوة الهاضمة.

الحبق القرنفلي: وهو المسمى فلنجمشك حار يابس في الثانية يفتح سدد الدماغ وينفع من الخفقان العارض من البلغم والسوداء، نافع من البواسير.

قاقلة: صغيرة وكبيرة حارة يابسة في الثانية نافعة من السدد في الكبد ومن الحصى في الكلى ومن الصرع ومن الأوجاع الباردة، وهي من الأفاويه، نافعة للمعدة هاضمة للطعام نافعة من الغثيان وكثرة القيء إذا شربت بماء الرمان.

كافور: بارد يابس في الثالثة لطيف جدا مضاد للعفونة والمواد الحارة يحبس الخلفة الصفراوية ويقطع الباه قطعا قويا، حتى إنه يصير شاربه إلى الزمانة، ويخل بالمعدة الناقصة الحرارة إخلالا رديئا.

لكّ: هي صمغة حارة يابسة في أول الثانية، مشهورة جدا بتقوية الكبد وتفتيح سددها، وهي أيضا تنفع المعدة والطحال وتنفع من أوجاع الكلى والمثانة، وتزيد في الباه، الشربة منها من نصف درهم إلى درهم.

مسك: حار يابس في آخر الثانية أقوى الأشياء عطرية، له خاصية غريبة في تقوية القلب وإزالة الحزن والفزع، نافع من الصرع واختناق الرحم، وبالجملة من أمراض الغشي كلها وينفع الرياح الغليظة المتولدة في الأمعاء ومن المالنخوليا والعلل السوداوية.

لسان العصافير: نافع من الخفقان ويزيد في الباه.

ياسمين: حر يابس في آخر الثانية، نافع من الرطوبات والبلغم ، صالح للشيوخ البدودين، نافع للصداع الذي يكون عن أخلاط غليظة. فهذا ما أردنا أن نثبت في هذا المختصر من الأدوية المشهورة، وينبغي بعد ذلك أن نصير إلى القول في قوانين التركيب.

٤٧- القول في قوانين التركيب

القسم الأول

١١١- إن الضرورة الداعية إلى تركيب الأدوية المفردة أولا ثلاثة أشياء:

أحدها: أنا لسنا نجد في كثير من المواضع في الداء المفرد ما يحتاج إليه من القوى التي بها يلتئم العلاج أو الحفظ.

والثاني: أن تكون موجودة في الدواء المفرد لكن نحتاج منها إلى مقدار أقل أو أكثر.

والثالث: أن تكون في الدواء المفرد قوى لسنا نحتاج إلى استعمالها في ذلك العلاج المقصود ولا في ذلك الحفظ، أو تكون تلك القوى مما لا يحتاج إليها في علاج أصلا ولا في حفظ.

١١٢- والقسم الأول من هذين يستعمل في المواضع التي إنما يلتئم العلاج فيها بكيفيات متضادة أو مختلفة متفننة، وذلك يعرض إما من قبل طبيعة المرض والعرض إذا تضادت، أو من قبل المرض والسبب أو طبائع الأمراض إذا تركبت، أو الأسباب إذا تركبت أيضا.

وإما من قبل طبيعة المرض والعضو في مزاجه أو في شرفه أو في وضعه أو في مشاركته، مثال الاختلاف بين السبب والمرض الحميات العفونية: فإنها من حيث هي حارة يابسة تحتاج إلى دواء مرطب، ومن حيث هي عن خلط عفوني تحتاج إلى ما يجففه ويلطفه.

وفي هذا الجنس يدخل الردع والتحليل الذي يستعمل في زمن تزيد الأورام، فالطبيب في مثل هذا الجنس يدخل الردع والتحليل الذي يستعمل في زمن تزيد الأورام، فالطبيب في مثل هذا الوضع يضطر إلى أن يخلط الدواء الرادع مع المحلل.

١١٣- وقد يلحق شك في فعل الأدوية المركبة من قوى متضادة، وهو كيف يمكن أن يلفى لها الفعلان معا في بدن الإنسان؟ فإنها إن كانت متكافئة قاوم كل واحد منهما صاحبه فلم يكن لها تأثير في بدن الإنسان وكانت معتدلة.

وإن كان أحدهما أقوى فعل الأقوى فعله، ولم يحس هنالك للأضعف فعل، وهذا الشك إنما شكوا فيه في القوى الثواني، فأما في الأول فلا، لأنهم يرون أنا متى خلطنا درهما من بابونج مع درهم من ورد كان الدواء معتدلا في كيفياته الأول، ويرون مع هذا أنه يكون فيه ردع وتحليل.

والأمر في ذلك ينبغي أن يكون واحدا كما قلنا، فكما نقول: إن هذا الدواء معتدل في كيفياته الأول بمعنى أنه يفعل في البدن حرارة متوسطة بين الحرارة التي في الدرجة الأولى والبرودة التي فيها، كذلك ينبغي أن يفهم الأمر في القوى الثواني، فيكون الدرهم من البابونج مثلا مع الدرهم من الورد يفعل ردعا وتحليلا متوسطا بين تحليل البابونج وردع الورد، وكان هذا الإهمال إنما وقع لهم من جهة أنهم لم يدرجوا القوى الثواني حتى يسار منها إلى ما هو معتدل أو خارج عن الاعتدال.

١١٤- وهذا الفعل الذي يكون للدواء المركب هو واحد، إما بالمزاج الصناعي وإما بالمزاج الطبيعي، وليس هو كثيرا حتى نحتاج أن نقول كيف يصنع الدواء الواحد كيفيتين متضادتين في موضوع واحد، ويجعل ذلك كالحال في الحس مع محسوساته.

فإنه ينفعل عن المتضادين معا بوساطة موضوع واحد، مثال ذلك أنه يدرك الأبيض والأسود معا بالرطوبة الجليدية، ويدرك الحار والبارد في جميع الأجسام على وتيرة واحدة إذا اتفق أن غمسنا بعض أعضائنا في ماء بارد، وبعضها في ماء حار، كما نسمع جالينوس يقوله، فإن هذا لا يغني في حل هذا الشك إذا فرض الدواء المركب له فعلان متضادان، وذلك أن الحواس إنما عرض لها ذلك من قبل أنها ليست هيولانية، وقد أعطي السبب في هذا في غير هذا العلم.

١١٥- وأما الانفعالات التي يقبل الجسم عن الأدوية، فهي ضرورة انفعالات هيولانية لا يصح أن توجد الأضداد منها في موضوع واحد في وقت واحد إلا على جهة ما يوجد المتوسط بين الأطراف، كأنك قلت على الجهة التي يوجد الأبيض والأسود في اللون الأصفر.

وإلا تعاوقت ضرورة إن كانت متساوية أو فعل الأغلب فعله.

١١٦- وإذ قد تبين كيف فعل الدواء المركب فلنصر إلى إعطاء مثالات تلك الأقسام الباقية فنقول:

١- أما مثال المرض والعرض فمثل الحمى العفونية والغشي، فإن الحمى تقتضي الاستفراغ والتبريد، والغشي يقتضي ضد الاستفراغ التبريد.

٢- ومثال تركيب الأمراض: الحميات المختلفة الجواهر مثل الحمى المعروفة بشطر الغب التي تتركب عن الصفراء والبلغم.

٣- ومثال الحاجة إلى ذلك في تركيب الأسباب حدوث الأمراض التي تكون عن أكثر من خلط واحد، فيضطر من أجل ذلك أن تركب من الأدوية ما يستفرغ أكثر من خلط واحد وهذه هي الضرورة الأولى إلى تركيب المسهلات وفي هذين الجنسين أعني تركيب الأمراض والأسباب يدخل تركيب الترياق، وذلك أنه قصد به مقاومة أمراض كثيرة والحفظ منها، فجعل مركبا من أدوية متفننة القوى وجهات كثيرة من مقاومة السموم.

٤- ومثال الحاجة إلى ذلك عند اختلاف طبيعة المرض وطبيعة العضو: المعدة التي تصيبها حمى الدق، فإنها من حيث بها حمى دق تقتضي التبريد والترطيب.

ومن حيث إنها معدة تقتضي التسخين والقبض، وكذلك الحال في السعال الذي

يكون عن مادة لاحِجَة في قصبة الرئة، فإن الخلط يقتضي التلطيف والتقطيع، وذلك إنما يكون بالأشياء المخشنة، والرئة من حيث هي رئة تقتضي التمليس.

٥- ومثال الحاجة إلى ذلك عند اختلاف طبيعة المرض والعضو من جهة الشرف، الورم الذي قد تناهى في الكبد، فإنه من حيث هو ورم متناه يقتضي الاستفراغ على ما سيقال في حيلة البرء، فإن كثيرا من هذه الأشياء مما ليس ههنا بينا بنفسه ينبغي أن يوضع ههنا وضعا، إلى أن يتبين ذلك في الجزء العلاجي.

ولهذا ما يقول جالينوس إن المعرفة بتركيب الأدوية إنما تكون بعد المعرفة بحيلة البرء ولعل الأمر في ذلك بالعكس: فإنه كما ينبغي أن تكون عند المعالجة قوى الأدوية عتيدة عندنا متى احتجنا إليها كذلك ينبغي أن يكون الأمر في وجه التركيب، وإلا لم يمكنا أن نعالج.

فإما أن نجعل صناعة التركيب جزءا من صناعة العلاج وذلك ممتنع، أو تقدم أولا بعد أن نصادر في تعلمها على ما تحتاج إليه مما تبين في الجزء العلاجي. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلترجع فنقول: وأما من حيث الورم في عضو رئيس جم المنفعة فيقتضي توفير قوته، وذلك يكون بالقابض وكان هذا راجع إلى اختلاف طبيعة المرض وطبيعة العضو.

٦- ومثال الحاجة من وضع العضو أنا إذا أردنا أن نوصل الجوهر القابض إلى عمق البدن خلطنا معه ما فيه لطافة لبعد موضعه ليكون للجوهر القابض كالجناح، ومن هذا الجنس خلطهم قليل الذراريح في أدوية المثانة، والزعفران في أدوية القلب.

ومن هذا النوع أيضا خلطهم الشمع في المراهم التي توضع على الأعضاء التي خارج الجسم، فإن تلك الأعضاء تقتضي بوضعها ألا يستقر فيها الدواء إن لم يكن في هيولى بتلك الصفة.

٧- وأما مثال الحاجة إلى التركيب من جهة مشاركة العضو كالمرض الحار الذي في فم المعدة.

فإنه ليس ينبغي أن يفرط في تبريده لمشاركته للعضو البارد الذي هو الدماغ.

١١٧- فهذه سبع دستورات يعمل عليها في تركيب الأدوية المختلفة القوى إذا لم يكن في الدواء المفرد ما يحتاج إليه من القوى.

٤٨- القول في قوانين التركيب

القسم الثاني

١١٨- وأما القسم الثاني من الأقسام الأول، وهو إذا كانت القوى التي يحتاج إليها موجودة في الدواء، لكن يحتاج منها بمقدار أقل أو بمقدار أكثر، فإن هذا القسم أيضا

يتشعب إلى أقسام:

أحدها: أنا نريد فعلا من أفعال الأدوية الأول فيكون عندنا دواء موجود فيه تلك القوة، إلا أنها تكون أزيد مما نريد أو أنقص فنضطر حينئذ أن نخلط به دواء آخر: إما ما يقوى به فعله أو يضعفه.

والدواء تضعف قوته بأحد أمرين: إما أن نضيف إلى الدواء القوي دواء مضادا لقوته، مثال ذلك إذا كان عندنا دواء في الدرجة الثالثة من الحرارة واحتجنا إلى دواء في الدرجة الثانية، خلطنا بذلك الدواء الذي في الدرجة الثالثة دواء هو من البرودة في الدرجة الأولى.

والوجه الثاني: أن نضيف إلى الدواء القوي دواء قوته شبيهة بقوته لا مضادة لكن تكون أنقص من قوته الأولى، مثال ذلك أن يكون عندنا دواء في الدرجة الثالثة من الحرارة ونريد أن نحطه عنها فإنا نخلط به دواء هو في الدرجة الأولى من الحرارة.

١١٩ - وهذا القانون أعني أن الدواء الأقل حرارة ينقص من الأزيد حرارة يصححه جالينوس ويستشهد في ذلك بالماء الحار والفاتر.

فإنه متى مزج الحار بالفاتر نقصت حرارته ضرورة، وقد يشكل عليه بأنا نرى أمراضا في الدرجة الرابعة أو الثالثة من الحرارة متى سقينا صاحبها دواء هو من الحرارة في الدرجة الثانية أضره، وقد كان ينبغي على هذا القياس أن يبرده.

مثال ذلك أنا إذا سقينا من به حمى محرقة عسلا فإنه يضره على المقام مضرة عظيمة، وكذلك من أصابه برد شديد في رأسه فنطلناه بدهن الورد أضررنا به مضرة كثيرة!

فنقول نحن: أما إن كان الأمر كذلك فإن الدواء الآخر هو الذي نسبة الجزء الحار فيه إلى البارد أعظم نسبة من الجزء الحار إلى البارد في الدواء الذي هو أقل حرارة.

وأما البارد فيهما بالعكس: أعني أنه في الآخر أصغر نسبة وفي البارد أعظم نسبة منه في الدرهم من السنبل، وذلك أن الدرهم من الفلفل كأنك قلت خمسة أجزائه حارة وواحد بارد.

والدرهم من السنبل جزءان منه حاران وواحد بارد فمتى خلطنا الدرهم من السنبل إلى الدرهم من الفلفل كانت ضرورة نسبة البارد إلى الحار في المجتمع من ذلك أعظم نسبة منها في الفلفل.

وهذا إذا تؤمل ظهر على جهة ما يفيد الاستقراء، وبرهانه خارج من قوة ما تبين في الخامسة من كتاب الأركان في التعاليم.

١٢٠- وهذه الأجزاء التي قدرنا أنها حارة أو باردة في الدواء فإنها وإن لم تكن فيه موجودة بالفعل فليس ذلك بضار في هذا التعليم، وهي وإن لم تكن بالفعل المحض موجودة فهي بضرب من التوسط بين القوة والفعل، ولذلك يمكن في كثير من الأجسام المتشابهة الأجزاء أن تتميز الأجزاء التي منها تركبت بالصناعة كالحال في اللبن.

ويقوي تصور هذا أن الدواء الذي فيه أجزاء حارة أكثر فهو لا شك أكثر استعدادا أن يشتعل عن الحرارة الغريزية من الدواء الذي الأجزاء الحارة فيه أقل.

لكن يعرض في بعض الأبدان لشدة حرارتها واستعداد أعضائها أن تحيل كل ما يرد عليها إلى جوهر ناري، وأنه إذا ورد عليها ما هو أقل حرارة منها استحال بجملة أجزائه إلى أجزاء نارية فيه، وذلك حال العسل مع صاحب الحمى المحرقة، وكيف لا ونحن نرى في هذه الحمى ماء الخيار يستحيل مرارا وإذا كان هذا هكذا فلنعمل على صحة هذا القانون في الأدوية.

وأما إذا أردنا أن نزيد في قوة الدواء فليس لذلك إلا سبيل واحد وهو أن يخلط بالأضعف ما هو أقوى من جنسه.

١٢١- ومما هو داخل في القسم الثاني من الأقسام الأول فهو متى أردنا عضد قوة ثانية من قوى الأدوية المفردة أو ثالثة أو حطها، وهذا أيضا يتصور على وجوه:

أحدها: أنا نعمد إلى الدواء الذي نريد حط قوته الثنية فنخلط به دواء قوته مضادة لهذه القوة.

مثال ذلك: أنه إذا كان دواء في الدرجة الثالثة من التفتيح والتقطيع خلطنا به دواء مسددا في الدرجة الأولى، فيرجع ذلك الدواء مفتحا في الثانية.

والوجه الثاني: أنا نعمد إلى دواء هو أقل تفتيحا منه فنخلطه به فإن هذا يلزم أيضا فيه أن يحط من تفتيح الأول كما لزم ذلك في الكيفيات الأول، إذ كانت نسبة الجوهر المسدد فيه إلى الملطف أعظم نسبة منه في الدواء الأكثر تلطيفا.

وأما الوجه في عضد هذه القوى الثواني والثوالث فذلك يكون بأن نخلط بالدواء الذي نريد عضده في ذلك الفعل ما قوته أقوى من ذلك.

وقد يظن أن ههنا وجها آخر لعضد القوى الثواني والثوالث، وهو أن يخلط بالدواء الواحد دواء هو في مرتبته في قواه الثواني والثوالث، فإنهم زعموا أنه يوجد بالتجربة لمجموع ذينك الدواءين في الأبدان تأثير هو أقوى مما يوجد لكل واحد منهما إذا شرب مفردا، وذلك إذا توخي أن تكون الكمية من المفرد هي بعينها الكمية من المركب: أعني

من الدواءين.

١٢٢- ويشبه أن يكون السبب في هذا أن ذينك الدواءين وإن تساويا في القوى الثواني والثوالث فليس يمكن فيهما أن يتساويا تساويا حقيقيا بل بتخمين، وذلك أنهما لابد وأن يختلفا في لطافة الجوهر وغلظه وتكاثفه وتخلخله وغير ذلك من الأشياء التي بها ذلك الدواء غير الدواء الثاني، وإذا كانت ذلك كذلك فإن تعسر على اطلاع حالتهما لتشتت جواهرهما وإذ كانت المواد التي فيها يمكن أن تستحيل عن الطبيعة غير متساوية فيكون لذلك فعلها أظهر من فعل البدن فيها ويكون انفعال البدن عنها أكثر، وذلك أن البطيء الاستحالة والخروج عن البدن يضبط السريع الخروج، فيكون فعله أشد والسريع الاستحالة ينفذ إلى الأعضاء والبطيء الاستحالة غير منهضم، فيكون فعله في البدن أقوى من حيث هو دواء لكن متى سلم هذا القول في القوى الثواني والثوالث فيلزم أن يكون الأمر كذلك في الأول ولعل الأمر هكذا وذلك أنا نرى القدماء كثيرا ما يجعلون في المعاجين أدوية قواها الأول والثواني والثوالث قوى واحدة.

١٢٣- ولكن الذي ينبغي أن يعتقد أنه إنما توجد واحدة بتقريب. وذلك أنه لا بد ضرورة أن تختلف بالأقل والأكثر، ولكن تفوت الحس وذلك إذا تنوّلت مفرده فإذا ركبت ظهر ذلك فيها، فهذه هي أصناف القسمين الأولين من الأقسام الأول التي قلنا: إنها داعية إلى تركيب الأدوية.

٤٩- القول في قوانين التركيب

القسم الثالث

١٢٤- وأما القسم الثالث من تلك الأقسام وهو الموضع الذي ليس إنما يحتاج فيه إلى استعمال جميع قوى الدواء بل بعضها، فهذا أيضا يكون على أوجه:

أحدها: أنا لسنا في كل موضع نحتاج إلى استعمال جميع الكيفيات الأول التي في الدواء المفرد بل واحدة منها فقط.

مثال ذلك أن يكون الدواء حارا رطبا ونحن إنما نريد أن نستعمل منه قوة الترطيب فقط، فهنا نخلط دواء هو بارد رطب لكن يجب أن تكون برودته مساوية لحرارة ذلك، حتى يكون معتدلا في الحرارة والبرودة رطبا فقط وكذلك في واحدة واحدة من الكيفيات الأول.

والوجه الثاني: أن تكون الحاجة إنما هي ماسة إلى استعمال قواه الثواني أو الثوالث أو كليهما لا إلى استعمال كيفياته الأول، مثال ذلك أن الحاجة إلى سقي بزر الكرفس في

الحميات إنما هي لتفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وإخراجها على طريق البول.

وأما حرارته ويبسه فليستا ههنا بمقصودتين، فههنا يجب أن نخلط به ما يكسر من يبسه وحرارته من غير أن تكون قوته الثانية مضادة للقوة المقصود استعمالها مثل أن يخلط بالكرفس نيلوفر، بل يجب أن نتحرى من ذلك ما قوته معاضدة للقوة المقصود استعمالها، مثل أن نخلط بالكرفس بزر البطيخ أو بزر القثاء، فإن في هذين البزرين، مع أنهما باردان، قوة مدرة وإن كنا قد تقدمنا فقلنا: إن القوة الأضعف التي هي من جنس الأقوى إذا خلطت بالأقوى أنها تضعفه، فهذا أمر يضطر الطبيب إليه ههنا لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك، إذ كان بين أحد أمرين:

إما أن يقتصر مثلا على بزر البطيخ والقثاء فلا يبلغ مراده أو على بزر الكرفس فيضر العليل، على أنه غير ممتنع أن يجتمع من تعاضد القوتين عند المزاج فعل أقوى من فعل كل واحد منهما على الانفراد، وإن كانت قوة أحدهما أضعف من الأخرى.

فإنا لو أفردنا الجزء الحار من الخل لم يفعل تلك الأفاعيل التي يفعل من تفتيت الصخر وتقطيعه الجلود، وأبعد من ذلك أن يفعل هذا الفعل الجزء البارد منه مفردا، بل إنما له هذا الفعل بمجموع هاتين القوتين.

١٢٥- فلذلك أيضا لست أمنع كل المنع أن يكون الدواء الأضعف إذا خلط بالدواء الأقوى، كان المجتمع عنهما فعلا أقوى، فإن أفعال الأدوية في الأبدان إنما هو أمر إضافي، وليس ذلك في الحقيقة شيئا تابعا لأجزاء الدواء في نفسه، فرب دواء هو أقل حرارة في نفسه هو أحر بالإضافة إلى بدن الإنسان من الدواء الأكثر حرارة في نفسه.

وكذلك غير ممتنع أن يكون المجتمع من بزر البطيخ مثلا وبزر الكرفس أقوى فعلا في بدن الإنسان من فعل الكرفس، وإن كانت الأجزاء التي بها يكون التفتيح والتقطيع في الكرفس مفردا أكثر منها إذا مزج ببزر البطيخ، وهذا كله بين لمن فهم ما كتبناه قبل في أمر الأدوية.

١٢٦- وهذا القانون قانون مهم في الطب، وهو أكثر تصرفا فيه، بل إذا لحظه الإنسان على ما يجب، لم يعالج - يكاد - بدواء مفرد.

وهو لعمري موجود في تراكيب القدماء: مثل فعلهم السكنجبين البزوري وإن كانوا لم يحجبوا منه في هذا التركيب اليبس، بل إنما حجبوا الحر فقط بالخل.

وما أريد إلى ذكر السكنجبين البزوري؟ بل السكنجبين الساذج نفسه فإنهم حجبوا فيه حرارة العسل بالخل مع أنه معاضد لفعل العسل الثاني.

ولهذا ما يجل قدر الأدوية المفردة التي تضادت فيها القوى الأول وتعاضدت القوى الثواني، مثل البرشاوشان[١] وغير ذلك من الأدوية المفردة، وبالجملة فمنفعة هذا القانون إنما هي بالقوى الثواني والثوالث وهو كما قلنا قانون جامع وإن كان يوجد في تراكيب القدماء فلم يشيروا إليه بالقول ولا نبهوا عليه، والذين لهم في هذا أفضل التنبيه فهم هؤلاء القوم بنو زهر، فإن لهم لعمري محاسن كثيرة في هذه الصناعة.

١٢٧- وقد تكون القوى التي يقصد حجبها غير مستعملة في صناعة الطب أصلا، مثل حجبهم ضرر الأدوية المسهلة بالأعضاء الرئيسة، وربما قصد من الدواء حجب طعمه إذا كان بشيعا.

وهذا هو العلة في تركيب المعاجين والأشربة على العسل والسكر، مع أنه في بعض المواضع قواه مضادة لقوى الأدوية المقصودة استعمالها، مثل استعمال القبض والتبريد.

فهذه جملة القوانين التي يعمل عليها في تركيب الأدوية.

٥٠- قوانين كمية ما يستعمل من الدواء

١٢٨- وأما القوانين التي يعمل عليها في كمية ما يجعل من الدواء المفرد في المركب فهي على أوجه:

أحدها: أنه لما كان ليس أي كمية اتفقت تسقى من الدواء بل كمية محدودة، وذلك لموضع قوة الدواء وضعفه، لزم أن يعتبر ذلك في المركب فنجعل من الدواء القوي كمية أقل ومن الدواء الضعيف كمية أكثر على حال ما فعل في الترياق.

والثاني: أن يكون في الدواء المركب دواء كثير المنفعة في الغرض المقصود بالمركب. وسائر الأدوية إنما جعلت لمكانه كزبد اللك، وغير ذلك من المركبات التي تنسب إلى دواء واحد فيها.

وربما كان يلقى منه مقدارا أكثر لكثرة منافعه، وربما كان السبب في كثرة ما يلقى من الدواء بعد العضو، وهذا راجع إلى ضعف قوة الدواء بالإضافة إلى

(١) ويقال: برسياوشان وهي كزبرة البئر لكثرة ما ينبت في الآبار والعيون وهي حشيشة تشبه الكزبرة الرطبة إلا أن قضبانها حمر إلى السواد، وهي بلا ساق ولا زهر، حار في الأولى وقيل معتدل، وهي أقرب للاعتدال، إذا دق وشرب فتت الحصا وأعان على نفث الأخلاط اللزجة من الصدر والرئة، ويحبس البطن، وينفع الربو واليرقان ووجع الطحال وعسر البول.

ذلك العضو، وربما تعاضدت هذه الأسباب، وربما تضادت، مثال ذلك أنه إذا اجتمع في الدواء كثرة المنفعة في الغرض المقصود منه وضعفه، وبعد العضو، فينبغي أن يلقى منه مقدارا أكثر وإذا اجتمعت أضداد هذه فيلقى منه شيء هو في غاية القلة، ولا سيما إذا اجتمع فيه مع قلة المنفعة مضرة ما وإذا تقاومت هذه الأسباب جعل منه مقدار وسط في الكثرة والقلة.

١٢٩- وأما الأدوية المسهلة، فلما كانت كميتها ليست تحتمل من التقريب في الزيادة والنقصان ما تحتمله سائر الأدوية، وجب أن يسلك في تركيبها أحد أمرين:

إما أن يجعل من كل واحد منها شربة كاملة، مثال ذلك: إن كانت أربعة أدوية أخذنا من كل واحد منها شربة واحدة ثم نسقي من مجموعها على نسبة الواحد منها إلى الكل، مثال ذلك: إن كانت أربعة أدوية سقينا منها الربع.

والوجه الثاني: أنا نأخذ من الشربة التامة من كل دواء على نسبة الواحد منها.

١٣٠- فهذه هي جميع الدستورات والقوانين التي يعمل عليها في الكمية، ولما كان أهم شيء على الطبيب إذا ركب دواء ما أن يعلم في أي درجة هو من قواه الأول والثواني والثوالث إن أمكن ينبغي أن نقول في ذلك، فنقول:

٥١- ضرورة معرفة درجة قوى الأدوية

١٣١- إنه متى أراد الإنسان الوقوف على مرتبة دواء مركب من الكيفيات الأول، فالسبيل إلى ذلك يكون بتأمل درجات الأدوية المفردة التي فيه.

فإنها لا تخلو أن تكون من جنس واحد، أعني حارة كلها أو باردة أو يابسة أو رطبة أو تكون من قوى متضادة، أعني حارة وباردة ورطبة ويابسة، والقسم الأول أيضا لا يخلو من أحد أمرين إما أن تكون تلك الأدوية المتجانسة القوى في مرتبة واحدة من القوى التي تجانست فيها، كأنك قلت في مرتبة واحدة من الحرارة أو اليبوسة، وإما أن تكون في ذلك متفاضلة حتى يكون فيها ما هو معتدل وما هو حار في الأولى وفي الثانية وفي الثالثة وفي الرابعة.

والقسم الثاني أيضا لا يخلو أن تكون تلك الأدوية المتضادة في مرتبة واحدة من التضاد أو تكون في ذلك متفاضلة حتى يكون في ذلك حار في الثالثة وبارد في الأولى ويابس في الثانية ورطب في الأولى.

١٣٢- وقد تتركب هذه الأربعة الأصناف فتوجد في دواء واحد، لكن إذا عرفت قانون البسيط عرفت ضرورة قانون المركب، فوجه النظر: أما في القسم الأول وهو الذي

الأدوية فيه متجانسة القوى في مرتبة واحدة فيشبه أن تكون مرتبة المجتمع منها مرتبة المفردات بأعيانها، إن لم يعرض لها عند الامتزاج صورة تكون بها بالإضافة إلى بدن الإنسان أحر من المفردات أو أبرد ولا سيما في الأدوية التي تخمر لكن لنعمل على أن الأمر في الأكثر يكون على هذا.

١٣٣- وأما متى كانت الأدوية متضادة في مرتبة واحدة من التضاد، فالأمر في ذلك بين أنها إنما تقاوم حتى يعتدل الدواء.

لكن بعد شريطة واحدة وهي أن تكون كمياتها في الدواء الكمية التي بها تكون لها تلك المرتبة من القوة، فإنه ليس كل دواء يكون حارا في الأولى أو في الثانية بأي كمية اتفقت فإن العسل حار في الثانية لكن إذا تنول منه مقدار أوقيتين، والصندل بارد في الثانية إذا شرب منه مقدار درهم ونصف أو درهمين.

فدرهمان مثلا من صندل يقاوم أوقيتين من العسل، وليس درهمان من العسل يقاوم درهمين من الصندل.

١٣٤- فإن كانت الأدوية المتضادة القوى في المركب ليست في مرتبة واحدة، بل يكون فيها بارد في الأولى مثلا وحار في الثالثة وبارد في الثانية وحار في الرابعة، فبين أيضا أن الأبرد يكسر من الأحر بمقدار مرتبته في البرودة إن درجة فدرجة وإن درجتين فدرجتين.

فالبارد في الأولى يصرف الحار في الثالثة حارا في الثانية وكذلك البارد في الثانية يصرف الحار في الرابعة إلى الثانية، لأنه إنما يقاوم منه أبدا عدد درجاته، ولذلك كان الحار والبارد في مرتبة واحدة يتقاومان.

وأما البارد في الثانية فإنه يصرف الحار في الثالثة إلى الحار في الأولى هذا كله إذا تساوت كميات الأدوية.

وأعني بتساويها لا التساوي في الوزن لكن التساوي في القوة، وتلك الكمية هي أول مرتبة من المراتب التي يظهر فيها فعل الدواء في البدن.

فإن اختلفت القوى المتضادة بالأقل والأكثر واختلفت الكميات أيضا بالأقل والأكثر نظرنا: فإن كان الدواء الأضعف أكثر كمية كأنك قلت ضعفي كمية الأقل فهو ضرورة يحط من الدواء الأقوى مرتبة أخرى سوى المرتبة التي حطها بكيفيته.

مثال ذلك متى كان معنا دواء حار في الثالثة وبارد في الأولى، وكان البارد ضعف الكمية التي هي في أول مرتبة من المراتب التي يظهر فيها فعل ذلك الدواء، وكان الحار

إنما منه في الدواء كمية الأقل، فإن الدواء البارد هنا ليس يصرف الحار إلى الثانية فقط بل إلى الأولى.

وإن كان ثلاثة أضعافه في الكمية صرفه معتدلا، وكذلك أيضا متى كان البارد أو الحار أقل كمية من كمية الأقل لم يعتبر. وأما إن كان الأمر في ذلك بالعكس أعني أن يكون الدواء الأقوى أكثر كمية من كمية الأقل والأضعف في كمية الأقل، فإن الأضعف أيضا إنما يحط من القوي بمقدار نسبة الكمية.

فإن كانت كمية الأقوى مثلا ضعف كمية الأقل، والأضعف في كمية الأقل، وكان الأضعف، كأنك قلت كمية الأقوى مثلا ضعف كمية الأثل، والأضعف في كمية الأقل، وكان الأضعف، كأنك قلت حار في الدرجة الأولى والأقوى بارد في الدرجة الثالثة، فإن الأحر ههنا ليس يحط البارد في الثالثة إلى الثانية، بل يحطه عن الثالثة بمقدار وسط بين الثالثة والثانية.

والعلة في هذا أجمع أن الدواء متى تضاعفت كمية الأقل، تضاعفت كيفيته وخرج عن درجته في الحرارة أو البرودة إلى درجة أخرى. ولذلك متى شرب أحد من الدواء الذي في الدرجة الثالثة من الحرارة أو البرودة أضعاف كمية الأول قتل ضرورة على جهة ما تقتل السموم.

١٣٥- وأما الأدوية المتجانسة في القوى المختلفة المراتب في ذلك فإن القانون أيضا في ذلك أن الأنقص قوة يحط من الأقوى، وقد أعطينا السبب في ذلك لكن ينبغي أن يتصور هذا على الوجه الذي أقول وذلك أنه لما كانت الأدوية المتضادة القوى إنما يحط بعضها من بعض بقدر ما فيها من تعادل التضاد.

أعني مثلا أن الدواء البارد في الأولى إنما يحط من الحار في الثانية بمقدار ما تزيدت فيه البرودة وهي درجة واحدة، فالواجب أيضا في الأدوية المتجانسة القوى أن يحط الأضعف منها من الأقوى بقدر ما نسبة الضد في الدواء الأضعف إلى ضده الذي هو أعظم نسبة منه في الدواء الأقوى.

مثال ذلك أن الحار في الدرجة الأولى البارد فيه أعظم نسبة إلى الحار منه في الدواء الحار في الدرجة الثانية، وفي الثالثة أصغر منه في الثانية.

١٣٦- وإذا كان ذلك كذلك فالدواء المعتدل مع الأدوية المتجانسة القوى هو أقرب المراتب في أن يحط ما فوقه إذ كانت نسبة التضاد فيه تقرب من أن تكون نسبة تعادل.

ثم بعده ما كان في الدرجة الأولى ثم في الثانية ثم في الثالثة، مثال ذلك: أنا متى خلطنا دواء معتدلا مع حار في الدرجة الثانية فإنه ليس في قوته أن يصرفه إلى الدرجة الأولى، لأن الذي يفعل ذلك إنما هو البارد في الأولى لكن يحط منه ما ليس يبلغ به هذه المرتبة.

فإن خلطنا به بدل المعتدل حارا في الأولى حط منه أيضا، لكن أقل مما يحط المعتدل إذ كان الدواء الحار في الأولى نسبة البارد فيه إلى الحار أصغر نسبة منها في المعتدل. كما أن نسبته في المعتدل أصغر من نسبته في البارد في الأولى، ولذلك لم يمكن في الدواء المعتدل أن يحط من الحار مثلا في الثانية مثل ما حط البارد في الأولى.

ولا يمكن أيضا الحار في الأولى أن يحط من الحار في الثانية كما يحط المعتدل، ولا أن يحط الحار في الثانية من الحار في الثالثة مثل ما يحط الحار في الأولى، وأكثر من ذلك المعتدل أو البارد في الأولى.

١٣٧- لكن إنما يكون هذا كله بعد أن يتحفظ بتساوي الكميات، أعني بتساوي القوة، وهذا كله بين بنفسه إذا تؤمل، ولجهل الحدث من الأطباء بهذه الأشياء تراهم يقولون: إن الدواء الحار في الأولى إذا خلط مع حار في الثالثة صيره حارا في الثانية.

ليت شعري إذا خلط به البارد في الأولى إلى أي درجة يصيره البارد؟ فإن قالوا إلى المرتبة الثانية فقد صار الحار في الأولى والبارد في الأولى يصيران الحار في الثالثة إلى مرتبة واحدة وإن قالوا: إن البارد في الأولى يصير الحار في الثالثة حارا في الأولى فسيصير البارد في الثانية الحار في الثالثة معتدلا وهذا كله تخبط.

١٣٨- والذي أوقعهم أولا في هذا التخبط إنما هو الرجل المعروف بالكندي، وذلك أن هذا الرجل كتب مقالة أراد فيها أن يتكلم في القوانين التي بها تعرف طبيعة الدواء المركب، فخرج إلى التكلم في صناعة العدد وصناعة الموسيقى، على جهة ما يعرض لمن نظر في الشيء النظر الذي بالعرض.

وأتى هذا الرجل في ذلك الكتاب بهذيانات وشناعات، وجعل يقول: إن نسبة الدرجات الأربع من درجات الأدوية هي نسبة الأضعاف، حتى تكون الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا، وذلك أنه جعل الأولى ضعف المعتدل والثانية ضعف الأولى والثالثة ضعف الثانية والرابعة ضعف الثالثة.

فهلا كفاه في ذلك أن يقول: إن الثانية ضعف الأولى والثالثة ثلاثة أضعافها والرابعة أربعة أضعافها؟ فإن هذا هو الذي قصد في ترتيبها لتكون مراتبها متساوية، وذلك أنهم أخذوا أول دواء ظهر منه على البدن حرارة محسوسة فجعلوه في الدرجة الأولى، ثم عمدوا

إلى دواء بعده عن هذا بعد هذا عن المعتدل، فجعلوه في الثانية، فهذا لا شك هو ضعف الأول، ثم عمدوا إلى دواء بعده عن الثانية بعد الثانية عن الأولى فجعلوه في الثالثة. فهذا فيه ثلاثة أضعاف الأول وكذلك في الرابعة.

١٣٩- وأما على رأي الكندي فإنه يلزم أن يكونوا قد جعلوا المرتبة الثانية تزيد على الأولى بضعف ما تزيد الأولى على الوسط، والثالثة على الثانية بضعف ما تزيد الثانية على الأولى.

فأي ضرورة، ليت شعري، كانت تدعو الأطباء أن يتحفظوا بهذه النسبة؟ وعلى هذا فكانت تكون الأدوية التي في الدرجة الثالثة قاتلة فضلا عن الرابعة، لأن أدوية تخرج عن المعتدل ستة عشر درجة كيف حال الأبدان معها؟ وأيضا فكان يكون بعد الدرجة الرابعة من الثالثة ليس بعد الثالثة من الوسط، فكان يجب عليهم في مثل هذا العرض أن يدرج وكذلك فيما بين الثالثة والثانية، فإنه ليس على هذا تكون مراتب الدرج متساوية.

١٤٠- وأي اختلال في هذه الصناعة أعظم من هذا الاختلال؟ وذلك أن ما قصد له من أول الأمر من حفظ مراتب زيادة القوى بعضها على بعض كان يفوتنا؟ وذلك أن المرتبة مثلا التي نسبتها إلى الأولى في التساوي نسبة الأول إلى المعتدل كانت تفوتنا.

وأكثر من ذلك فيما بين الدرجات الأخر لأنه على رأي الكندي كلما ارتفعت عظم العرض بينها حتى لو كانت هناك درجة خامسة لكانت اثنين وثلاثين جزءا، لأنها كانت تزيد على الرابعة ستة عشر جزءا.

١٤١- وهذا كله هذيان وخرافات وتكلم في أشياء ليس لها وجود أصلا، ووجه غلط الكندي أنه جعل في الدرجة الأولى ضعف ما في المعتدل من الكيفية الحارة أو الباردة فلزمه أن يتبع نسبة الضعف.

ولقائل أن يقول له: إن الذي قصده جالينوس بالدرجة الأولى هو ما يزيد على المعتدل جزءا من عشرة وعلى هذا إذا تركبت نسبة الضعف في زيادة الدرجات ليس يلزم أن يكون الدواء الذي في الدرجة الرابعة ستة عشر ضعفا للمعتدل.

وقد يدلك على هذا أن جالينوس قال: وأعني بالدرجة الأولى ما يظهر للحس أول ما يظهر من تغير البدن، ولو كان يعني بالدرجة الأولى ضعف المعتدل لم يكن التغير الذي يظهر في البدن أول تغير.

فتأمل هذا! فهو بين! ولكن عادة الناس إذا غلط رجل معروف أن يتبعوه لما غلب على طبائعهم من قوة التقليد.

١٤٢- فهذا هو القول في جميع القوانين التي بها يقف الإنسان على طبائع الأدوية المركبة وتركيبها إذا شاء، والوجه في معرفة درجة المركب في القوى الثواني والثوالث مع الوجه في معرفة القوى الأول إذا كانت القوى الثواني والثوالث مدرجة عندنا، وهذا شيء أهمله الأطباء.

١٤٣- وقد يسأل سائل فيقول: إذا كان تركيب الأدوية إنما هو شيء فاعله القياس، وكان الدواء المركب تعلم بالقياس قواه الأول والثواني والثوالث، فهل للتجربة مدخل في سبار أفعاله كما كان الاعتماد عليها في معرفة قوى الأشخاص المفردة؟ فنقول أما القوى الأول والثواني والثوالث فلا حاجة بنا إلى تجربتها في المركب، فإنها مدركة بالقول، وأما إن كان يمكن أن يحدث في الدواء المركب عند امتزاجه وتركيبه خاصة ما فللتجربة ههنا مدخل كبير، لأن تلك الخاصة قد تكون موافقة للمقصود من تركيبه وقد تكون غير موافقة.

لكن الخواص المضادة للمزاج إنما تحدث أكثر ذلك في المزاج الطبيعي لا الصناعي، وإن كان لا يبعد وجود الخاصة في الأدوية التي تخمر، لأن المزاج فيها أكثر، ولذلك يرى ابن سينا أن أكثر أفاعيل الترياق هي خواص له تابعة لجوهرة لا يمكن تعليله، ويرى أن لا يغير شيئا من النسخة القديمة التي لأندروماخس.

وأما أنا فقد كنت أرى أن أزيد أدوية كثيرة في الترياق لم تكن بعد مشهورة في ذلك الزمان أو كانت إلا أنهم أغفلوها، مثل العود والعنبر والقرنفل وغير ذلك.

١٤٤- وإذ قد تكلمنا في قوانين التركيب فينبغي بعد هذا أن نذكر من الأدوية المركبة أشهرها، ونعطي فيها أسباب تركيبها، وبالجملة فنسبرها بهذه القوانين التي سلفت فما كان فيها من نقص بيناه وما كان فيها قد وضع موضعه أعطينا أيضا السبب في ذلك. وهذا إن لم يكن ضروريا فإن فيه ارتياضا ما. وكما أن صاحب الموسيقى بعد أن يعطي أسطقسات الألحان وأصناف تركيبها فقد يتكلم في الآلات المشهورة ليقع بذلك الارتياض. كذلك ينبغي أن يكون الأمر ههنا .

هنا انتهى القول والحمد لله

الكتاب السادس

حفظ الصحة

الطب من ميدان الممكن وليس من ميدان الحتمي

١- هذا الجزء هو أشرف الغايتين المطلوبتين بهذه الصناعة، وهو بالجملة ينقسم أولا إلى قسمين: أحدهما يقال فيه كيف تحفظ الصحة . والآخر كيف تبطل الاستعدادات للأمراض المتكونة في الأبدان الصحيحة. وكأن هذا الجزء هو وسط بين حفظ الصحة وإزالة الأمراض.

٢- وهذه الصناعة إنما في قدرتها أن تحفظ أبداننا من الفساد الداخل عليها بالعرض، وذلك يكون في الأكثر من تولد فضول الأغذية في أبداننا: فإنه من البين بنفسه أنه ليس بأي تدبير اتفق، ولا بأي أغذية اتفقت، تكون سلامة أبداننا على حالة واحدة. وهذا هو أحد الأصول الموضوعة في هذه الصناعة، وإلا لم تكن صناعة فاعلة.

وأما مقدار ما تبلغ من ذلك فهو المقدار الذي تبلغه الصنائع التي غاياتها ممكن على الأكثر حصولها. وأعني بذلك حصولها لأكثر موضوعاتها في أكثر الأزمنة. مثال ذلك أن التدبير الذي يصفه جالينوس للمعتدل المزاج هو تدبير يبلغ به في الأكثر من مزاجه ذلك المزاج أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر. فإن الهرم الطبيعي وهو الذي يكون باستيلاء البرد واليبس لا تأثير لهذه الصناعة فيه، وإلا أمكن أن يكون ناس خالدين. وهذا كله بين بنفسه.

٣- والسبب في أن غاية هذه الصناعة قد يخل وجودها في موضوعها على الأقل. هو السبب فيما يشبهها من الصنائع الممكنة كقيادة الجيوش والملاحة: وذلك ليس أكثر من الاستعدادت الهيولانية: فإنه غير ممتنع أن نتوهم شخصين معتدلي المزاج قد تدبرا تدبيرا واحدا، أحدهما بلغ بذلك التدبير أقصى ما في طباعه أن يبلغه من العمر، والآخر تولدت فيه عن ذلك التدبير أخلاط رديئة فقتلته، وذلك من رداءة استعداد في مزاجه لتولد تلك الأخلاط.

٤- وإن كان لم يظهر لنا ذلك الاستعداد. لأن رب استعداد في الطباع ليس عليه علامة ولا دليل. إذ كانت الاستعدادات غير متناهية.

ومن يرى أن ذلك التدبير الذي يصفه جالينوس لذلك المزاج يبلغ به ضرورة صاحبه أكلأ العمر فهو جاهل بجهة حصول غاية هذه الصناعة عن أفعالها، على ما يرى ذلك ويعتقده عوام الأطباء.

ومن هنا قيل إن الآجال بقدر، وكذلك أيضا ليس يمتنع أن يكون إنسان مزاجه هذا المزاج يتدبر بغير هذا التدبير ويبلغ من عمره الغاية التي يبلغها من يتدبر التدبير الكثير

التخليط. لكن هذا كله في الأقل وبالعرض، ولذلك ليس يخل هذا بهذه الصناعة ولا يسقط فائدتها.

وكثير من الناس يتفق لهم أن تكون شهواتهم ومهنهم موافقة لطبائعهم فتطول أعمارهم. وربما كان الأمر بالعكس. ومن نسب الأمراض إلى ما يوجد عن الاختيار وعن الأشياء التي من خارج، فقد نسبها إلى نصف أسبابها: إذ كانت هذه الأشياء منزلتها منها فقط منزلة الأسباب الفاعلة. لكن لموضع شهرة هذا السبب يكاد الأطباء أن ينسبوا جميع ما يطرأ من الأمراض والآفات العارضة إليه، وإن طرأ أمر لم يتقدمه تدبير رديء تحيروا وقالوا: إن ذلك بأمر إلهي. وذلك جهل منهم ضرورة.

٢- الأمور التي تدخل الفساد على بدن الإنسان

٤- وإذ قد قلنا في مقدار ما تفيده هذه الصناعة فلنرجع إلى حيث كنا من تعديد الأسباب المدخلة علينا الفساد بالعرض التي يمكننا بهذه الصناعة التحرز منها. وتلك الأسباب هي الفاعلة فقط. ومن هذه ما كان وجه التحرز منها غير بين بنفسه، لأن تحرز الإنسان من حرق النار وقطع السيف ورض الحجر ليس يحتاج في ذلك إلى صناعة.

إذا كان ما هو من ذلك إلى اختيارنا. فالتحرز منه بين بنفسه، وما لم يكن من ذلك باختيارنا فلا تأثير لنا فيه فنقول:

٥-ومن الأسباب المدخلة علينا الفساد بالعرض تغير الأهوية والرياضة غير الملائمة، مثل الصنائع الصعبة التناول، والعوارض النفسانية مثل الغضب والفزع، وبالجملة جميع الأشياء التي تكسب سوء المزاج المادي وغير المادي.

ولما كانت هذه الأشياء هي التي تدخل علينا الفساد العرضي كانت هي بأعيانها التي تلتئم إما بالتحفظ منها أو بإتيان الوسط فيها إن كان مما له وسط في حفظ الصحة، ولذلك ليس يلتئم حفظ الصحة بشيء سوى استعمال الأطعمة المعتدلة الكيموس مقدرة الكمية والوقت والوضع واستفراغ الفضول وإصلاح الأهوية وتجنب العوارض النفسانية المكسبة سوء المزاج، وأملك هذه هي استعمال الأغذية على القانون الطبي، واستفراغ الفضول، وهذه هي التي القول فيها أكثر في هذه الصناعة.

٦- والفضول تستفرغ بالرياضة والدلك والاستحمام، وقد تستفرغ بالأدوية وخاصة الأمزجة غير المعتدلة. وهذا النوع من استفراغ الفضول بالرياضة والدلك والاستحمام والأدوية هو داخل في جنس الحفظ الذي هو التوقي مما شأنه أن يحدث، ولذلك قد ينبغي أولا أن نقول ههنا في أنواع الدلك وأفاعيله وأنواع الرياضة وأفاعيلها، ثم نصير بعد ذلك إلى كيف يحفظ مزاج مزاج من الأمزجة التسعة.

فأما القول في قوى الأدوية فقد تلخص فيما قبل. والذي بقي ههنا من أمرها أن يقال كيف تحفظ بها الصحة. وكذلك الأمر في الأغذية فقد قيل أيضا في قواها، والذي بقي ههنا القول فيه كيف تستعمل ومتى تستعمل. ولنبدأ من القول في الرياضة، فنقول:

٣- الرياضة: أنواعها، فوائدها

٧- إن الرياضة بالجملة هي حركة الأعضاء بإرادة ما. وذلك أولا للأعضاء التي شأنها أن تتحرك بهذه الحركة، وهي جميع الأعضاء التي لها حركات إرادية وثانيا: للأعضاء التي تجاور هذه ، وهي الأوردة وآلات الغذاء، ولما كانت الرياضات هي حركات الأعضاء كان منها كلي وجزئي، وذلك أن منها ما هي رياضة لجميع البدن وهي الحركة الكلية النقلية لجميع الحيوان، ومنها ما هي رياضة مخصوصة بعضو ما، مثل أن الصوت رياضة الرئة والقيام والقعود رياضة الصلب، ولن يخفى على من كان عالما بحركة الأعضاء أي رياضة تخص عضوا عضوا، فهذا أحد ما تنقسم إليه الرياضة من جهة الأعضاء أنفسها.

٨- والرياضة منها قوية ومنها ضعيفة، وكل واحد من هذين إما أن يكون عن نقلة المرتاض أعضاءه فقط، وهذه يوجد فيها السريعة والبطيئة، وإما أن تكون مقاومة بينه وبين محرك آخر، كمن يثبت في مكان ويأمر غيره أن ينزعه منه. ومن هذا النوع إشالة الحجر وغير ذلك؛ وهذه ليس توجد فيها السريعة والبطيئة . وربما اجتمعت في الرياضة السرعة مع القوة ، كالذين يطفرون بالحراب .

٩- والرياضة المعتدلة فعلها بالجملة تنمية الروح الغريزي، ودفع الفضول عن آلات الغذاء وتحليلها، وتصليب الأعضاء أنفسها؛ وهي في هذا المعنى أفضل شيء تنمي به الحرارة. وذلك أن الحرارة التي تنمي بها هي من ذات الحرارة الغريزية ، وأما ما عداها من الأشياء التي تنمي الحرارة من خارج، مثل الأدوية ولقاء الأشياء المسخنة بالفعل ، فكأنها حرارة عرضية. وهذه متى استعملت بعد كمال الهضم نفعت هذه المنفعة التي ذكرنا. وأما متى استعملت والغذاء غير منهضم لن يؤمن عن استفراغ الأعضاء أنفسها أن تجتذب الغذاء إليها غير منهضم، وأن تخل الحركة أيضا بالقوى الماسكة التي فيها، فتدفعه غير منهضم. وبالجملة فالقوة الهاضمة إنما يكمل فعلها بالسكون؛ كما أن القوة الدافعة إنما يكمل فعلها بالحركة؛ ولهذا كان وقت الرياضة هذا الوقت. وعلامة هذا الوقت أن يكون البول منصبغا أترجيا لا شديد الحمرة؛ ومقداره في القوة هو أن يبتدئ البدن يعرق والنفس يتصاعد .

١٠- وأما الرياضة القوية فإنها تستفرغ من البدن أكثر مما يحتاج إليه، فهي بذلك تضعف كما نرى ذلك في أصحاب المهن القوية. وأما الضعيفة فإنها لا تستفرغ كل ما يجب

استفراغه؛ فلذلك كانت زائدة في الأعضاء ومسمنة للأبدان. وأما أن الرياضة بالجملة مصحة عظيمة وأنها آثر من عدم الرياضة فذلك بين من حال المقصورين في السجن ، فإنه تصفر وجوههم وتفسد سحنهم وتختل أفعالهم الطبيعية كلها، وليس يظهر هذا في الإنسان فقط، بل وفي جميع الحيوانات المقصورة، كالطيور في الأقفاص وغير ذلك فهذا هو القول في الرياضة وجميع أفعالها .

٤- في التدلك

١١- وأما التدلك فإن له أيضا فعلا ظاهرا في استفراغ الفضول التي في الهضم الأخير، وهو الهضم الذي يكون في الأعضاء أنفسها. وأصناف الدلك البسيطة بالجملة ستة أصناف: ثلاثة من قبل الكيفية، وثلاثة من قبل الكمية. فالثلاثة التي هي من قبل الكيفية أحدها هو الصلب، والثاني اللين، والثالث المعتدل. والثلاثة التي من قبل الكمية أحدها الكثير، والثاني القليل، والثالث المعتدل. فأما فعل الدلك الصلب في الأبدان فهو تكثيف مسامها وتصليبها. وأما فعل اللين فهو تفتيح المسام وإرخاء اللحم. وأما فعل المعتدل فمتوسط بين هذين الفعلين. وأما الدلك الكثير ففعله في الأبدان تقضيفها وتهزيلها. وأما المعتدل ففعله فيها تنمية اللحم باعتدال . وأما القليل فليس له فيها كبير تأثير، سوى أنه يسخن إسخانا يسيرا .

١٢- فهذه أفعال أصناف الدلك البسيطة؛ ولن يخفى عليك المركبة. من ذلك أن الدلك الصلب المعتدل يربي لحما صلبا، واللين المعتدل يربي لحما رخوا، والمعتدل فيها جميعا يربي لحما معتدلا في الجهتين معا. فأما أوقات استعمال الدلك فهي أوقات استعمال الرياضة. وسنذكر فيما بعد ترتيب أصناف الدلك مع أصناف الرياضة. ولأن الاستحمام أيضا أحد ما تستفرغ به الفضول فلننظر أيضا في قوة أجزائه وأفعاله، فنقول :

٥- الاستحمام.. والنوم

١٣- إن الحمام يفعل أفاعيل متضادة كثيرة: أولى وثواني وثوالث. وذلك أنه يرطب وييبس ويبرد ويسخن ويستفرغ الفضول التي في المسام وتحت الجلد، وقد يسددها، وهو أيضا يحلل الروح ويذهب النفخ ويعد الأبدان للغذاء، ولذلك ربما حرك الشهوة للغذاء، ويصب المواد أيضا من عضو إلى عضو ويذوبها، ويسكن الأوجاع ويهيجها، والسبب في هذه الأفاعيل المتضادة هو أحد ثلاثة أشياء:

[الأول] اختلاف أجزائه.

والثاني: اختلاف الموضوعات التي فيها يفعل أعني الأجسام.

والثالث: اختلاف مدد الإقامة فيه في القصر والطول .

١٤ - وأما أجزاؤه، فهي الماء الحار والماء البارد والهواء الحار، وهي أيضا تستعمل فيه على مراتب : فالماء المعتدل في السخونة والبرودة يفيد البدن رطوبة ويحلل قليل تحليل يبلغ به أن يجلو الوضح الذي يكون على ظاهر الجلد . وأما الهواء الذي في طبيعة هذا الماء فإن الجسم فيه يعرق أدنى عرق ويستفرغ به رقيق الفضول. وهذه هي طبيعة البيت الأول من بيوت الحمام . فإن الهواء وإن كان في نفسه أرطب من الماء على ما تبين في غير هذا الموضع، فإنه ليس يرطب الأبدان كترطيب الماء لها.

وذلك لأنه لا يلزمها كما يلزمها الماء، بل الهواء ييبس وبخاصة كلما كان أحر. وأما الماء الحار والهواء الحار الكثير الحرارة فإنهما يسخنان الأبدان ويستفرغان فضولها، ويستفرغان أيضا مع الفضول الأرواح، والهواء كما قلنا مع هذا ييبس، وهما إنما يفعلان هذه الأفعال في الأبدان النقية.

وأما في الأبدان المملوءة فضولا فإنهما يسددان مسام الجلد لكثرة الفضول، لأنها تبادر إلى الخروج فلا تسع على المسام فتصيب عن ذلك قشعريرة وتذوب الأخلاط وتنصب من عضو إلى عضو.

ولهذا كله ليس ينبغي أن يستعمل الحمام من في عضو من أعضائه امتلاء. والبيت الثالث في هذه الأفاعيل أكثر من البيت الوسط. وهو أيضا إنما يشفي من الأوجاع ما ليس يكون سببها مواد منصبة كالأورام وغير ذلك.

١٥ - وتبريد الحمام يكون بالذات ويكون بالعرض. أما التبريد الذي بالعرض فتفتيحه المسام واستفراغه الفضول اللذاعة، وأما الذي بالذات فاستعمال الماء البارد فيه. وذلك أن الماء البارد هو أيضا أحد أجزاء الحمام، وكأنه إنما هو آلة ههنا على جهة الإصلاح لما أخلت به الحرارة من تليين وإرخاء للأعضاء. وتبريد الحرارة الغريزية على جهة ما تستعمل البرودة كثير من الصنائع، كصناعة الحدادة والطبخ وغير ذلك، فإن هذه كلها تستعمل البرودة على القصد الثاني، وما الذي احتاج إن احتيج من ذلك باستعمال الصنائع لها والطبيعة في ذلك أقدم استعمالا لها.

وأما الماء البارد فإنما يستعمل في الحمام بآخرة، وبعد استفراغ الفضول. والحمام إذا استعملت فيه جميع أجزائه في الأبدان النقية فعل أفاعيل جيدة متضادة: منها أنه يحلل الفضول ويستفرغها من غير أن يخل بالقوى، ويلين الأعضاء من غير أن يرخيها، ويرطبها من غير أن يسخنها، ويبردها من غير أن يكثفها، وهذا كله إنما يتم باستعمال الجزء الحار فيه والبارد، ولما لحظ قوم من أفعال الحمام أفعاله الرديئة ذموه ولم يعلموا أنه إن استعملت جميع أجزائه في

الأبدان النقية لم يلحق عنه فعل رديء أصلا.

١٦- وأما النوم فإن فعله الإنضاج والترطيب، والسهر فعله التحليل والاستفراغ وإذكاء الحرارة الغريزية، ولذلك إذا أفرط النوم أطفأ الحرارة الغريزية ورهل الأجسام، وإن أفرط السهر يبس الأجسام وحلل الحرارة الغريزية وأشعل العرضية.

١٧- فهذا هو القول في طبيعة الأشياء التي كان يجب ههنا تقديمها قبل القول في حفظ صحة مزاج مزاج من الأمزجة التسعة.

ونبدأ من ذلك بالمزاج المعتدل إذ كان ليس يكاد يحتاج في تدبيره أكثر من تقدير الأغذية واستعمال الرياضة والدلك والاستحمام وتقدير النوم واليقظة والأفعال النفسانية والإقامة في الهواء المعتدل. وأما حاجة مثل هذا المزاج إلى الأدوية: فإما أن لا يحتاج إليها أصلا، و إن احتاج فحاجة قليلة.

وجالينوس يرى أن من مزاجه مثل هذا المزاج ليس يحتاج في حفظ صحته إلى استعمال دواء أصلا، لكن ما يشترط هو في تدبيره من الرياضة والاستحمام والدلك يكاد يكون ممتنعا لمن يرى أن الغاية القصوى للإنسان هي أن يكون صحيحا، ويكون مع هذا في غاية الحرمة والثروة، فضلا عن من يرى أن صحة الإنسان إنما هي من أجل أفاعيل أخر من أفاعيل النفس، مع عون أمور كثيرة من الأشياء الضرورية عن ذلك.

ولكن على الجملة قد ينبغي أن نذكر ما قاله في ذلك بإيجاز، ليكون ذلك في أذهاننا كالقانون ويستعمل من ذلك كل إنسان ما ليس يعوقه عن غرضه الأهم، وما يقدر عليه من ذلك بحسب الأمور الضرورية فنقول:

قانون لحفظ صحة المزاج المعتدل

١٨- إن جالينوس يرى في تدبير هؤلاء أول ما يولدون: أن ينثر على أبدانهم ملح لأنهم محتاجون إلى تصليب أبدانهم لما يلقاهم من الأشياء التي من خارج. والأصوب عندي أن يعوض من الملح ما ليس فيه لذع. قال أبو مروان بن زهر: دهن البلوط يفعل هذا الفعل من غير أن يلذع. ويكون غذاء هذا الطفل اللبن فقط. إلى أن تطلع أسنانه.

فإذا طلعت درج في الأغذية الرطبة شيئا فشيئا. وذلك أن اللبن شبيه بمزاج الطفل، والغذاء كما قلنا ينبغي أن يكون شبيها، وأيضا فإنه الغذاء الذي أعدته الطبيعة لذلك.

وهذا بعد أن تكون المرأة المرضعة متحفظة في الغذاء مرتاضة، متجنبة للجماع، فإن الجماع يثور دم الحيض ويغير رائحة اللبن، ثم يحمم هذا الطفل كل يوم في الماء الفاتر

في هواء معتدل، لأن لا يقشعر جسمه عند خروجه من الماء.

وجالينوس يرى أن يكون ذلك في الحمام، وأنا أرى أن الهواء إذا كان معتدلا فلا حاجة بهم إلى الحمام. والاستحمام ينبغي أن يتوخى به خلو معدهم من اللبن، لأن لا ينتشر الغذاء في أعضائهم غير منهضم، وذلك يكون في أثر أطول نوم ينامونه.

١٩- وأما الرياضة فحسبهم منها تحريكهم في المهود وما أشبهها مما يسكن بكاءهم، ولذلك ما ينبغي للداية أن تعنى أكثر من العناية أن لا تدخل عليهم ما يخوفهم، فتنحرف أمزجتهم، تمنعهم من الحزن والبكاء ما استطاعت بأن تركز على السبب المحزن لهم سريعا فتدفعه، فإن الأطفال كثيرا ما يتأذون بالحر والبرد والأوساخ وغير ذلك من الأشياء التي من خارج. واستعمال الألحان أيضا معهم مما يحسن أخلاقهم ويبسطها.

٢٠- فهكذا ينبغي أن يكون تدبير الأطفال إلى أن يقووا على المشي، وذلك في السنة الثالثة، فإذا فعلوا ذلك أخذوا في الرياضة كل يوم عند قيامهم من النوم، ثم دلكوا واستحموا وتناولوا أغذيتهم مقدرة الكمية والكيفية والوضع. كما نقول بعد.

فإذا كان أيضا آخر النهار وطلبوا الغذاء فعل بهم ذلك الفعل. وينبغي أن تكون رياضتهم رياضة لا تبلغ أن تيبس أبدانهم فتمنعها من النمو، ولا يكون استحمامهم إلا بالماء الفاتر فقط لهذه العلة بعينها.

فإن الماء البارد أيضا يمنع النمو. وهكذا يكون تدبيرهم إلى أن ينتهوا إلى ثلاث أسابيع. والأنبذة الزبيبية، وما يقوم بالجملة مقام الخمور، من أضر الأشياء للأطفال الصغار لأنها تملأ رءوسهم وتحمي أبدانهم وتفسد أفكارهم وأما إذا صاروا في سن الشباب فإنهم ينتفعون بها لأنهم حينئذ تتميز فيهم المرتان الصفراء والسوداء، وللأنبذة في مقاومة هاتين وإخراجهما من الأبدان فعل ليس بالدون.

وذلك أنها تقاوم السوداء بجملة جوهرها وتخرج الصفراء بالبول وتلين الطبيعة. وأيضا فإن الأنبذة ترطب الأعضاء التي عرض لهم فيها يبس ما فهذه حاجة الشباب إلى الأنبذة، فقط إذ كانوا موفوري الحرارة، وأما الشيوخ فحاجتهم إليها جمة المنافع كما سنقول بعد.

٢١- ولكن بالجملة أغذية الفتيان لطيفة. وأوفق الأشياء لهم الفراريج بلباب الخبز المحكم الصنعة، وينبغي أن يؤدبوا على أن لا يأكلوا البقول ولا الفواكه الرطبة.

وبالجملة أن لا تكون سيرتهم سيرة البهائم في المطعم والمشرب، وذلك مع ما

يؤخذون به من التعلم، فإني أحسب أن من مزاجه هذا المزاج[١]، هو معد للحكمة بالطبع، فإذا جاوز الفتيان الثلاثة الأسابيع فيكون تدبيرهم على هذه الجهة إذا كمل فعل الهضم في أبدانهم. وآية ذلك أن يكون الماء منصبغا انصباغا معتدلا، لا بالشديد الصفرة ولا بالأبيض، فحينئذ ينبغي أن تلقى عنهم أثوابهم ثم يمرخون بالزيت العذب تمريخا لينا رخوا من غير تصليب.

٢٢- وهذا التمريخ المقصود به إعداد البدن للرياضة، فإنه لا يؤمن إذا شرع في الرياضة قبل هذا الفعل أن تكون المسام متكاثفة، فتبادر الفضول إلى أن تخرج بمرة فتسد المسام.

والمقصود بالزيت في التمريخ أمور: منها أنه يحلل الفضول ويرخي الكثافة ويجعل مر الأكف على الأبدان سهل الجرية، حتى لا يلحق الأبدان عن الأكف رض، وهذا التمريخ ينبغي أن يكون من فوق إلى أسفل ومن أسفل إلى فوق، ومن اليمين الى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، ومؤربا. وذلك أن بهذه الأفعال تنفتح أفواه المسام في جميع الجهات، والموضع الذي ينبغي أن يلقى فيه عن هذا الفتى ثيابه، ينبغي أن يكون هواؤه شبيها بهواء الربيع في البلاد المعتدلة.

وأحسبني لا حاجة بي ههنا أن أقول في البلاد المعتدلة، فإن هذا[٢] ، ليس يمكن أن يولد في غير البلاد المعتدلة فإن كان الهواء كما قلنا ربيعا فليس ينبغي أن يغير منه شيء، وإن كان الهواء شتاء فينبغي أن يسخن الموضع الذي يتجرد فيه تسخينا يسيرا.

وكذلك إن كان صيفا فينبغي أن يرد حتى يصير في طبيعة هواء الربيع، فإن الهواء البارد ليس يبلغ فيه من استفراغ الفضول إلى ما يراد، كما أن الحار يستفرغ فيه أكثر مما يحتاج إليه. فلهذا ما اخترنا أن يكون الهواء الذي يتجرد فيه هذا الفتى بهذه الصفة.

٢٣- ثم من بعد هذا التمريخ المعد يشرع في الرياضة، وليأخذ منها أعدلها في القوة والضعف والسرعة والبطء كاللعب بالكرة الصغيرة وما أشبه ذلك، ويمضي فيها حتى يعلو نفسه، ويبتدئ يعرق جسمه، فحينئذ فليقطعها ويصير إلى السكون قبل أن يظهر في لون وجهه تغير ويبتدئ الانتفاخ الذي عرض في أعضائه عن الرياضة أن تحلل. وبالجملة أن تنقص أفعاله وحركاته.

---

(١) أي المعتدل.

(٢) أي صاحب المزاج المعتدل.

٢٤- وهذا المقدار في شخص شخص، كما يقول جالينوس ، إنما يعرفه الرائض، في يوم ثان وثالث. فإن وقع في شيء من هذا غلط تدورك في اليوم الثاني. مثل أنه إن كانت رياضته أشد مما ينبغي استعمل في اليوم الثاني أكثر ذلك التسكين في الرياضة.

فإذا فرغوا من الرياضة فليستعملوا حبس النفس. فإن عندما يضبط النفس تعود الحرارة الغريزية فتفتح المسام وتبذرق الفضول عنها، بمنزلة الذين إذا أرادوا أن يوسعوا ثقب شيء نفخوا فيه.

وهذا الإمساك ينبغي أن يكون مع مد عضل الصدر والحجاب، وقليل مد عضل البطن فإن بهذا الفعل تندفع الفضول من الرئة والصدر إلى أسفل ، أعني إلى أعضاء الغذاء، ثم بتمديد الحجاب وعضل البطن لأعضاء الغذاء تنفض أيضا أعضاء الغذاء من الفضول التي فيها.

وينبغي أن يتوقى من حبس النفس أن يكون الحجاب مسترخيا. فإن الفضول حينئذ ترقى إلى الدماغ بمنزلة الذين ينفخون في المزامير. فإن هؤلاء، يظهر من أمرهم أنهم تحمر وجوههم وتنتفخ أوداجهم. وذلك من حركة الأخلاط إلى رءوسهم.

٢٥- ثم من بعد هذا يستعمل من الدلك الدلك الذي يكون إلى الصلابة مع الكثرة، وذلك أن الغرض من هذا الدلك غرضان: أحدهما تنقية بقايا الفضول التي بقيت تحت الجلد من الرياضة. والغرض الثاني تصليب البدن وتكثيفه وإعداده لأن لا يتأثر عن الأشياء التي من خارج. ويستعمل في هذا التدلك الرياضة التي تسمى التسكين من الامتداد مع الرائض والالتواء عليه، ومد يديه وذراعيه وغير ذلك مما جرت به عادة الرواض أن يفعلوه. لكن تكون هذه الأفعال منقطعة مع سكون بينها غير متواترة.

ويكون هذا الدلك في غاية السرعة حتى لو أمكن كما يقول جالينوس أن تلقى الجسم كله أكف تغطيه في هذا الفعل، حتى يكون تحلله بالسواء وفي زمن واحد، وهذا التدلك أيضا إنما يكون بالزيت العذب.

٢٦- ثم من بعد هذا هل ينبغي أن يستحم أم لا؟ أما جالينوس فإنه يرى أنه لا حاجة به إلى الاستحمام إلا من جهة الغبار إن كان ارتاض في موضع غبار، أو من جهة الدهن، ولذلك ليس يحتاج هذا إلى استعمال هواء الحمام أصلا. وينبغي أيضا إذا صار الفتيان الذين مزاجهم هذا المزاج إلى الأسبوع الرابع أن يعودوا الاستحمام بالماء البارد، فإن ذلك يصلب من أعضائهم ما أرخته الرياضة ويقل عطشهم بأثر الرياضة.

وبالجملة ترجع الحرارة المنتشرة بالرياضة إلى عمق البدن فتفعل كل ما يجب أن

تفعله، وكان استعمال الماء البارد ههنا على جهة التعديل لما لحق عن الرياضة من الأفعال غير المقصودة، كما يستعمل الماء البارد في الحمام إذا احتيج إلى ذلك.

وينبغي أن يكون هذا الماء لا ببرد مياه الثلوج، ولا أيضا يكون قليل البرد، لأن الأول ينكأ الأعضاء والثاني لا يفعل ما يراد منه. ويجب أن يكون انغماسه فيه دفعة، وأما هل يغمس رأسه في الماء البارد ففيه نظر. وجالينوس أطلق القول في ذلك إطلاقا. وإنما قلنا ذلك لأن الرأس هو العضو البارد بالطبع، ولذلك الأولى عندي أن لا يفعل ذلك.

٢٧- ثم من بعد هذا كله يتغذى غذاء موافقا في الكيفية والكمية، وأصلح الأغذية لهم لحوم الدجاج مع الخبز المحكم الصنعة في الخمير والطبخ، ثم يتلو ذلك لحوم الجداء، ثم لحوم فتي الضأن صالح لهم، وكذلك لحوم العجاجيل. ويفعلون هذا الفعل إثر كل هضم.

فمن يرى أنهم يتغذون في النهار مرتين فسيرتاضون أيضا مرتين. ويستحمون مرة بالغدو، ومرة بالعشي. وقد قال جالينوس إن بعضهم كان يرى أن يفعل بهم ذلك في النهار ثلاث مرات. وهذا إنما يتفق مع تقسيم غذائهم عليهم.

إلا أن أبدان الفتيان قوية وهضومهم حسنة فما حاجتنا إلى تقسيم الغذاء عليهم إلى ثلاثة أوقات؟ وإنما يصنع ذلك بالشيوخ الهرم. ولذلك رأى الحدث من الأطباء أن أعدل أوقات الغذاء للمزاج المعتدل ثلاث أكلات في يومين. وعلى هذا تكون رياضتهم واستحمامهم ثلاث مرات في يومين.

٢٨- وأما الجماع فينبغي أن يستعملوه بقصد ومن حيث لا يلحقهم منه في أثره كسل ولا نصب ولا ضعف ولا بالجملة حال غير طبيعية. وإنما كان ولا بد ضروريا استعمال الجماع من أجل أن المني فضلة أعدتها الطبيعة للدفع كسائر الفضلات. لكنها شريفة في نفسها.

ولذلك يقع عن أدنى غلط في استفراغها ضرر كبير.

وقد منع قوم ممن يروم حفظ الصحة من الجماع أصلا. وأما الرياضة التي ينبغي أن تستعمل بعد الجماع فهي الرياضة المصلحة لما لحق عنه. ولما كان الجماع ييبس ويضعف القوى ويخلخل الجسم وجب أن يكون التدلك الذي يستعمل بعد الجماع مما يصلح هذه الأشياء، فتكون فيه صلابة ما بها يكثف المسام ويقوي الأعضاء، ويكون بالدهن الكثير ليرطب اليبس.

٢٩- وأما نوم هذا الفتى فيكون أيضا معتدلا، وذلك بحسب ما تدعوه إليه طباعه: فلا يستدعي النوم وهو مستعسر عليه، ولا يدافعه وهو يغالبه. هذا متى لم يعرض له خطأ

في تدبيره أو أمر من خارج.

٣٠- وينبغي أن يتدارك إن وقع غلط في تدبير هذا الفتى فيقابل بالحال المضادة. مثال ذلك إن أكل طعاما فيه قبض فاعتقلت طبيعته، فينبغي أن يطعم دسما، فإن رياضته إنما ينبغي أن تكون بعد التبرز، وكذلك أيضا إن كان سبب ذلك تقليل كمية الغذاء أو تباعد أوقاته، فينبغي أيضا أن يقابل بالضد؛ لأنه كثيرا أيضا ما يكون السبب في احتقان الفضول في هؤلاء سوء المزاج الحادث عن الأشياء التي من خارج، أعني الحر والبرد: فإن هذه أيضا يعسر التحفظ منها، فينبغي أيضا عند ذلك أن يقابل ذلك المزاج بضـــده، ولست أعني باحتباس الفضول فضلة البراز والبول. بل أعني فضلات البدن من جميع المجاري كالمجرى الذي بين الكبد والمرارة والكبد والطحال، وكذلك مجرى الأنف والحنك.

وبالجملة فمتى أهمل شيء من هذا التدبير فينبغي بعد ذلك أن يعطوا الأدوية التي تستفرغ هذه الفضول.

٣١- وأمر الرياضة أيضا مما ينبغي أن يصلح الخطأ الواقع فيها.ومن أكبر الخطأ العارض فيها هو الإعياء الذي يصيب بعقبها. وقد قيل فيما سلف إن الإعياء الذي يكون عن الأشياء التي من خارج ثلاثة أصناف بسيطة. وهذه الثلاثة الأصناف أحدها هو الإعياء القروحي، والثاني التمددي، والثالث الورمي.

فأما معالجة الإعياء القروحي من حيث هو عن خلط حار. وذلك إما من فضول بقيت لم تحلل في الرياضة. أو من أشياء ذابت من اللحم أومن الشحم لإفراط الرياضة.

فينبغي أن يكون ذلك مما يحلل تلك الفضول أو يستفرغها، وذلك بالدلك اللين الكثير: إذ كان هذا الدلك للينه لا يصلب ولكثرته يستفرغ. ويكون ذلك بالزيت السخن القديم الذي ليس فيه قبض. وهؤلاء فيما أرى محتاجون من الحمام إلى الهواء فقط، ثم يستحمون بعد ذلك بالماء الفاتر السخونة، ويستعملون من الغذاء ألطف مما كانوا يستعملونه وأرطب وأبرد وأقل كمية.

وأما الإعياء التمددي فإن شفاءه يكون بالإرخاء. فلذلك ينبغي أن يدلكوا الدلك الرخو بالزيت المسخن في الشمس ودهن الشبت في هذا الموضع ودهن البابونج[1] لا

(١) البابونج: هو زهر أبيض وأصفر وهو أسرع الزهور جفافا وهذه الزهور مقوية للدم وتساعد على الهضم، وزيتها عطري طيب الرائحة، قال جالينوس: هو قريب القوة من

بأس به. وهؤلاء ينبغي لهم أن يدخلوا الأبزن المعتدل ويطيلوا اللبث فيه، ويستعملوا الرياضة المسكنة. وهي التي يفعلها الرواض عند التمريخ من مد الأعضاء وفتلها. فإن بهذا الفعل يكون خروج الفضول التي في العضل.

كما أن بالدلك يكون خروج الفضول التي تحت الجلد، وأما الإعياء الورمي وهو الذي يكون مع تمدد وحس مؤذ وزيادة في كمية الأعضاء فشفاؤه يكون بالقصد إلى ثلاثة أشياء:

أحدها: الاستفراغ والثاني: التبريد والثالث: الإرخاء. فلذلك قد ينبغي أن يكون الدلك في هذا رفيقا. ويمكث في الماء المعتدل الحرارة مكثا طويلا. ويستعمل الدهن الكثير المفتر. وإن كان زمان الصيف فدهن البنفسج في ذلك موافق. وصاحب هذا الإعياء ينبغي أن يكون غذاؤه أقل كمية من صاحب الأصناف الأخر وأبرد.

٣٢- فهذه هي حال تدبير أصحاب هذا المزاج في سن الشباب، وهو إلى نحو من خمس وثلاثين سنة. ثم من بعد الانحطاط ينبغي أن يقل من رياضتهم وتلطف أغذيتهم. ويقصد أن تكون رطبة إلى الحرارة ما هي، فإذا حصلوا في سن الشيخوخة استعملوا من الرياضة الرفيقة مثل المشي الرفيق وما أشبه ذلك، ومن الأغذية الرطبة الحارة. ولهذا التدبير عرض في الزيادة والقلة بحسب علو أسنانهم وانحطاطها. قال[١]:

وينبغي للشيوخ أن يتغذوا ثلاث مرات في النهار، ويرتاضون عند كل تمام هضم منها رياضة مسكنة، ويتدلكون ويستحمون. ولأن الشيوخ كثيرا ما تتولد في أبدانهم فضول كثيرة، وهم لا يقدرون من الرياضة على ما به تستفرغ تلك الفضول كلها. لم يكن بد في حفظ صحتهم من استعمال الأغذية الدوائية أو الأدوية.

فلذلك ينبغي أن يجعل أبدا في أول طعامهم ما تلين به بطونهم، مثل أن يأكلوا في أول طعامهم مساليق السلق بالمري والزيت والملح. وكذلك مساليق الخبازى والاحتقان بالزيت نافع لهم، وكذلك استعمال التين بالقرطم أو بزر الأنجرة قبل الطعام. وشراب العسل من أنفع الأشياء لهم، ولا سيما لمن لا يستجيز منهم أخذ الأنبذة.

فإن كان ممن يستجيزها فهي من أنفع الأشياء لهم، فليتوخ منها الأنبذة التي اتخذت

الورد في اللطافة لكنه حار. وحرارته كحرارة الزيت. يسكن الأورام دهانا ويقوي الأعضاء العصبية كلها، وهو أنفع الأدوية أكثر من غيره، ويستمرخ بدهنه في الحميات. وينفع في كل حمى غير شديدة الحدة، ويقوي الدم، ويساعد على الهضم.

(١) أي جالينوس.

بعد أن أخرج من الزبيب عجمه فإن أضر شيء بالشيوخ القوة القابضة ثم عتقت إلى أن بلغت نهاية كمالها. وليتوخوا من الوانها الألوان الجلابية. وليس تعتق الأنبذة المعمولة بهذه الصفة في بلادنا من أقل من ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر.

فأمّا ما دون ذلك فلا خير لحفظ الصحة فيه، كما أن الخمور إنما تعتق في هذه البلاد من نحو ستة أشهر إلى عام، ولا بأس أن يستعملوا ماء العسل في بعض الأوقات بماء قد أنقع فيه بزر كرفس والسساليوس والنانوخة وغير ذلك.

وإن كانت فيهم أعضاء مؤوفة[١]، بالطبع، فلا ينبغي أن يروضوها.

لكن هذا الشيخ الذي كلامنا فيه ليس في أعضائه عضو مؤوف، وينبغي للشيوخ أن يدخلوا الحمام في الشهر من أربع مرات إلى ثلاث وذلك أن الشباب من هؤلاء قد قلنا بالتدبير المتقدم إنهم ليسوا محتاجين إلى الحمام. فأما هؤلاء فلقلة رياضتهم هم محتاجون إلى الحمام.

وكأن تدبير الشيوخ مركب من التدبير الذي هو حفظ مجرد وتوقٍ مما يحدث واستظهار عليه. والفرق بين التدبيرين أن ذلك تدبير بالشبيه وهذا بالضد.

وينبغي للشيوخ أن يتجنبوا الأشياء الغليظة أكثر من تجنبهم كل شيء.

فإذا استعملوا من ذلك شيئا فزعوا إلى الأدوية الملطفة والألبان جيدة للشيوخ الذين ليست عروقهم ضيقة، لكن على كل حال ينبغي أن يستعملوها بالعسل.

وأما من كان منهم بارد المزاج بالطبع أو ضيق العروق فلا ينبغي أن يقربها.

٣٣- فهذا ما نقوله في تدبير الأمزجة المعتدلة من سن الصبا إلى سن الشيخوخة. وهذا التدبير وإن كان في غاية البعد من الإمكان فإنه كما قلنا كالقانون الذي يعمل عليه من يريد تدبير صحته. وينبغي بقدر ما نقص عن هذا التدبير أن يتدارك باستفراغ الفضول بالأدوية المفتحة للسدد، المانعة للعفونة والأورام. وينبغي بعد هذا أن نقول في تدبير سائر الأمزجة. فنقول:

٧- تدبير الأمزجة غير المعتدلة

٣٤- إن هذه الأبدان صنفان: صنف غلب على جميع أجزائه الصنف من المزاج غير المعتدل من الأصناف الثمانية التي عددت في كتاب الصحة، وصنف اختلفت أمزاج أعضائه أنفسها، مثل أن يكون الدماغ حارا والمعدة باردة وبالعكس.

وهذا الصنف أردأ من الصنف الأول، وبخاصة متى كان هذا الاختلاف فيه في

(١) أي: فيها آفة.

أعضائه الأصلية. وحفظ صحة هؤلاء بالجملة هو أقرب أن يكون داخلا في إبطال الاستعدادات المرضية من أن يكون داخلا في باب الحفظ، وبخاصة الذين أعضاؤهم الرئيسية متشتتة المزاج.

وكأن هذا النوع من الحفظ متوسط بين حفظ الأبدان غير المذمومة وبين إبطال الاستعدادت المرضية، وهي الأبدان التي تظهر فيها علامة واحدة أو أكثر من علامة واحدة من العلامات التي قلنا إنها تنذر في الصحة بأمراض ستحدث.

وسنقول في هذا الجزء فيما بعد. فلنبدأ من القول في تدبير أصحاب سوء المزاج غير المركب. ومن هؤلاء في أصحاب الأمزجة الحارة فقط، فنقول:

٣٥- إن هؤلاء في أول أمرهم ليس يظهر في مزاجهم كبير اختلال ، فإذا تمادى بهم السن ارتدف إلى الحرارة يبس ضرورة ، فغلب على أبدانهم تولد المرة الصفراء، فلذلك ما ينبغي أن تكون رياضة هذا الصنف رياضة ساكنة بالمشي الرفيق أو بالركوب الرفيق. فإن الأبدان الحارة كما يقول أبقراط ينبغي أن تراح ولا تراض.

إلا أن هذا القول إنما ينبغي أن يفهم بإضافة: فإن عدم الرياضة جملة لا ينبغي لذي صحة. ويكون الدلك المستعمل في هذا الصنف دلكا لينا معتدلا في كميته. وهو الدلك الذي ينمي اللحم. وذلك ببعض الأدهان الباردة كدهن البنفسج وغير ذلك.

ويستحموا بالماء الفاتر الذي يستفرغ من أبدانهم الفضول الدخانية.ولا حاجة بهم إلى استعمال هواء الحمام في الأكثر من تدبيرهم. واستعمال الماء البارد بعد الحار في هذه الأبدان لا بأس به، فإنه يصلح ما يفعله الماء الحار من إحرارها. وهؤلاء ليس ينبغي أن يكون أكلهم في النهار أقل من مرتين. وأما إن كان اليبس ظاهرا عليهم مع الحرارة فثلاث مرات لا أقل من ذلك ولا أكثر.

وأما نوع أغذيتهم فإن عادة الأطباء في ذلك قد جرت بأن يقولوا: أما إن كان قصد أصحاب هذه الأبدان حفظ صحتها على ما هي عليه فبالشبيه من الأغذية أعني الحارة أو الحارة اليابسة. وأما إن كان قصدهم نقل أمزجتهم فبالضد وذلك بتدريجهم في ذلك قليلا قليلا.

٣٦- وأنا أرى أن هذه الأمزجة من حيث خروجها عن الاعتدال إلى أحد الأطراف قد قاربت من الجهة التي خرجت إليها أن تقع في المرض المجانس لذلك المزاج. وذلك عند أدنى سبب يطرأ عليها من خارج. فلمكان هذا الاستعداد الذي فيها أرى أن لا تكون أغذيتها شبيهة بها من كل الوجوه.

وذلك أن أمثال هذه الأمزجة ليست واقفة بل هي متحركة إلى سوء المزاج المرضي، فلذلك ليس يقصد من تدبيرها بالغذاء منها حفظ فقط، بل وإبطال ما يحدث فيها من الاستعداد. ولهذا كله ما ينبغي أن تكون أغذيتهم فيها مضادة يسيرة لذلك المزاج.

٣٧- ومع هذا كله فليس ينبغي أن يكتفى في حفظهم بهذا التدبير دون أن تستفرغ منهم الأخلاط التي يفعلها ذلك المزاج الغالب عليهم، فيستفرغ من أصحاب المزاج الحار المرة الصفراء بالإسهال والقيء. ويتحرى في استعمال ذلك بحسب كثرة تولد هذا الفضل في ذلك البدن. ويقصد أيضا في استفراغه الجهة التي جرت عادة الطباع من ذلك أن تستفرغ منه: إن بالقيء فبالقيء وإن بالإسهال فبالإسهال. والإسهال أحمد، لأنه استفراغ على مجرى الطبع أكثر.

وأظن أن من يتدبر هذا التدبير من أصحاب الأمزجة الحارة فقط أو الحارة اليابسة فسيكتفون في استفراغ المرة الصفراء بالأدوية المستفرغة لها برفق مثل التمر الهندي والبنفسج والأهليلج الأصفر واللبلاب وغير ذلك من الأدوية الملينة.

ومهما كان هذا المزاج الغالب عليه الحرارة واليبس كان تولد الأبخرة الدخانية فيه كثيرا، فهو أحوج إلى دخول الحمام، وإلا أصابتهم حمى يوم من ساعتهم. وكذلك متى صابروا الجوع.

ويصلح لهؤلاء في بعض الأحيان أن يستعملوا الاستحمام بعد الطعام، فإن هذا يخصب أبدانهم. لكن من كان منهم يصيبه في استعمال ذلك ثقل على جنبه الأيمن فينبغي أن يتجنبه، ويستعمل الأشياء المفتحة لسدد الكبد. وأما شرب الأنبذة لهؤلاء فينبغي أن يقللوا منه، وإن استعملوها فليستعملوا النبيذ الأبيض المائي.

وبالجملة فتدبير أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة وأصحاب الأمزجة الحارة فقط إنما يختلفان في آخر الأمر بالأقل والأكثر، لأن الحرارة في آخر الأمر لا بد أن تقترن بها يبوسة، وشرب شراب السكنجبين السكري في زمان الصيف المعمول ببعض البزور والحشائش التي فيها قوة مفتحة مدرة من غير إسخان مثل بزر السريس والبرشاوشان وبزر الكرفس مكسورا قوته الأولى بمثله من بزر البطيخ مع ما يحجب من يبس هذه الأدوية ويكسر من حرها مثل عود السوس وزهر البنفسج وزهر النيلوفر تدبير جيد في الحر يمانع حدوث الحميات في هذه الأمزجة.

وينبغي أن يكون فيه مع هذا ما يقوي فم المعدة، فإن الخل بما هو خل مضر بفم المعدة.

فلذلك لا ينبغي أن يخلو مثل هذا المركب من قليل مصطكى وسنبل أو يسير من عود الطيب، وشرب ماء الشعير أيضا لهؤلاء في زمان الصيف تدبير جيد. بعد أن يكون فيه أيضا بعض ما يكسر من إخلاله بفم المعدة.

٣٨- وينبغي لأصحاب الأمزجة اليابسة أن يعنوا أكثر ذلك بترطيب أبدانهم، فإن الشيخوخة تسرع إليهم. وذلك يكون بالأغذية الرطبة المحمودة الكيموس كتفايا إناث الدجاج وبالاستحمام بالمياه العذبة المعتدلة في الحر والبرد.

وينبغي أن يتجنب أصحاب هذه الأمزجة السهر والأعراض النفسانية التي تكسب الأبدان حرارة مثل الغضب وغير ذلك. ويستعملون ما يطرب ويبسط أخلاقهم. ولتكن الأشياء التي يتعمدون لقاءها من خارج مضادة لأمزجتهم مثل الأهوية المعدلة في زمان الحر بورق الخلاف والريحان وورق الكرم والمياه الباردة، وأن تكون فروشهم وثيابهم في غاية اللدونة والوثارة وسماع الألحان المرحية أوفق شيء لهذه الأمزجة، أعني الحارة اليابسة.

٣٩- وأما الأمزجة الحارة الرطبة فأصحابها تعتريهم أمراض العفونة وسيلان الفضول، وبخاصة في سن الحداثة.

فلذلك ينبغي لهؤلاء أن يستعملوا من الرياضة القوية السريعة، ومن الدلك الكثير الصلب، ويستحموا قبل أخذ غذائهم مرتين وثلاثا.

وبالجملة فينبغي أن يعنوا بأمر معدهم، فإنه متى استحالت الأطعمة في المعدة كانت سببا لاستحالة الأخلاط في جميع البدن، وأما أغذيتهم فيجب أن تكون مائلة إلى البرد واليبس.

وليس هذا المزاج هو المزاج المعتدل كما يظن ذلك جالينوس والقدماء، حين قالوا إن المزاج الطبيعي هو الحار الرطب. وذلك أن المزاج الطبيعي إذا قيس من حيث هو وسط بالأطراف قيل فيه إنه معتدل، وأعني بالأطراف الأمزجة الثمانية.

وإذا قيس بحسب غلبة الأسطقسات فيه قيل إنه حار رطب بمعنى أن الحرارة والرطوبة فيه أغلب من البرودة واليبس. وأما هذا المزاج الذي نقول فيه ههنا حار رطب فهو بالمقايسة إلى المعتدل . فقولنا إذن في المعتدل إنه حار رطب، وفي هذا المزاج حار رطب، هو باشتراط الاسم.

وجالينوس يأخذ أن الطبيعي هو المزاج الذي يقال بالمقايسة إلى الأطراف والحار الرطب هو الذي يقال بالإضافة إلى المعتدل، فيلزمهم المزاج ههنا معتدل. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع إلى حيث كنا فنقول:

٤٠- وهؤلاء ليس ينبغي لهم أن يقتصروا من حفظ الصحة على الرياضة فقط والاستحمام واستعمال الأغذية، بل ينبغي أن يعنوا أيضا باستفراغ الفضول بالأدوية بالإسهال ومن الرأس بالعطاس والغرغرة بالمصطكى ويسير من حب الرأس والتاغندس وبإدرار البول.

والأدوية التي تصلح لإسهال أصحاب هذه الأمزجة هي الأدوية اللينة في استخراج الرطوبات مثل الغاريقون والتربذ[1] والقرطم وبزر الأنجرة. وينبغي أن يعنى هؤلاء بتفتيح السدد ومنع أسباب العفونة أكثر من جميع الناس. ومنع أسباب العفونة يكون بأشياء:

منها كما قلنا بتفتيح السدد ومنها استفراغ الخلط الذي شأنه أن يعفن، ومنها إحالته بالأدوية وذلك فيما شأنه منه أن يستحيل عن الطبيعة عند معاضدتها بالأدوية، ومنها مقابلة ذلك الخلط بأدوية مضادة لمزاجها وهذه الأدوية هي المعروفة بالأفاويه، وذلك أن العفونة لما كان مزاجها مزاجا متولدا عن حرارة غريبة ورطوبة غريبة منتنة الرائحة كانت الأدوية العطرة الرائحة في غاية المضادة لها. فإن أنت ركبت لهؤلاء من مجموع هذه القوى مركبا بعد أن تبطل ما يظهر فيه من القوى التي ليست يحتاج إليها كنت قد صنعت لهم دواء فاضلا في حفظ صحتهم.

٤١- وأما أصحاب المزاج البارد فإما أن يكون هذا المزاج أيضا معتدلا في الكيفيات الأخر، وإما أن يكون رطبا. وإما أن يكون يابسا. فأما أصحاب الأبدان الباردة فقط من هؤلاء فينبغي أن ننحو في تدبيرهم إلى ما يسخن أبدانهم من غير ترطيب من الرياضة والاستحمام والأغذية.

وأما أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة فهؤلاء أيضا ينبغي أن يكون تدبيرهم تدبيرا يسخن وييبس، ويتجنبوا الاستحمام بالماء ويكثروا الرياضة ويستعملون من الأدوية ما يستفرغ الفضول المتولدة في أمثال هذه الأمزجة. وأما أصحاب المزاج البارد اليابس فهم أردأ هذه الأصناف.

وينبغي أن يكون تدبيرهم تدبيرا يحر ويرطب، وذلك يكون بالدلك اللين والاستحمام بالماء العذب والرياضة المسكنة والنوم الطويل واستعمال الأغذية التي كيفيتها هذه الكيفية. وأصحاب الأمزجة الرطبة بالجملة ينبغي أن تتباعد أوقات غذائهم كما أن

---

(١) التربذ: أصل نبات يشبه العاقر قرحا مائل إلى البياض ويسهل البلغم الرقيق فإذا أضيف إليه زنجبيل أسهل الغليظ، وينقي البدن وسائر الأعضاء والمفاصل من البلغم.

أصحاب الأمزجة اليابسة ينبغي أن يكون الأمر فيهم بالضد، وأصحاب الأمزجة الباردة اليابسة ينبغي أيضا أن يعنوا باستفراغ الفضول التي تتولد في أبدانهم. وتلك هي المرة السوداء، والأدوية التي تكفيهم في ذلك هي مثل الأهليلجات السود. وإن ترقوا إلى أكثر من ذلك فالبسبايج فإنه دواء نافع مأمون الغائلة في إخراج هذا الخلط. والأنبذة الجلابية من أنفع شيء لهذه الأمزجة. وأما الجماع فأحمل هذه الأمزجة له هي الأمزجة الحارة الرطبة. وأشدها استضرارا به هي الأمزجة الباردة اليابسة. وأما التي بينهما فمتوسطة.

تدبير الأمزجة الخارجة جزئيا عن الاعتدال

٤٢- فهذه تدبيرات الأمزجة الخارجة عن الاعتدال . وأما الأمزجة التي إنما خرجت عن الاعتدال في الكيفيات المنفعلة فقط. أعني في اليبوسة فقط أو في الرطوبة فليس يتبع ذلك فيها كبير ضرر. كما يتبع الأمزجة التي خرجت في الكيفيات الفاعلة أو المنفعلة والفاعلة التي تكلمنا في تدبيرها. وجالينوس يحتج لهذا بأن أعضاء الإنسان في أول ما يولد هي في غاية من الرطوبة، وعند الشيخوخة في غاية من اليبوسة.

٤٣- وأما الأبدان القضيفة فإن تدبيرها يكون بإبطال أسباب القضف. فإن كان سبب ذلك فرط تحليل لموضع الحرارة في أعضائهم واليبس. فإن التدبير المرطب المبرد ينفعهم. وأما إن كان سبب القضف ضعف القوة الجاذبة التي في الأعضاء. فالطلاء بالزفت نافع لهم. وذلك بأن يبقى على البدن بمقدار ما يجذب إليه الغذاء فقط لأنه إذا طال لبثه حلل.

وأما إن كان السبب فيه استيلاء البرد على القوة الهاضمة فاستعمال الأشياء المهضة لها كالأنبذة وغير ذلك. والقضف بالجملة إنما يكون مع يبس: لكن فاعل ذلك اليبس قد يكون فرط التحليل . وقد يكون لقلة جذب القوة الجاذبة الغذاء إلى الأعضاء. وقد يكون لقلة المنهضم منه ووتاحته[1].

وقد يكون أيضا ذلك ليبس الأغذية أنفسها وإصلاح هذا قريب. وأما تقضيف الأبدان العبلة فبضد هذه الأشياء. أعني الرياضة المفرطة والإمساك عن الأكل واستعمال الاستفراغ بالأدوية وبجميع ضروب الاستفراغ من كل ما يثير الحرارة مثل السهر وجميع الأعراض النفسانية التي تفعل هذا الفعل.

٤٤- وإذ قد قلنا في تدبير الأمزجة غير المعتدلة المتساوية في ذلك فلنقل في

(١) أي تفاهته.

الأمزجة التي عدم الاعتدال فيها في نفس أعضائها. وهذه الأمزجة أيضا تدبيرها هو من جنس إبطال الاستعدادات المرضية.

أكثر ذلك من تدبير من به سوء مزاج مستو. والغرض في من حاله هذه تقوية ذلك العضو وإصلاح مزاجه. واستفراغ ما يتولد فيه وإنضاجه. ورفع السبب الفاعل له. وإصلاحه إن كانت آفته من قبل مشاركة عضو آخر. وإلا بإصلاحه نفسه. ومثال ذلك أن المعدة قد تكون في بعض الناس مؤوفة بالطبع.

وقد تكون بسبب مشاركة الدماغ. وأشد الأصناف ضررا من هذا الاختلاف هي اختلافات الأعضاء الرئيسة المشاركة إذا تضادت أمزجتها، مثل أن تكون المعدة باردة والكبد حارة والبدن مهلوس وصاحبه يشكو الحصى أو أن يكون قضيفا وأنثياه فعالة للمني . وفي مثل هذه المواضع ينبغي أن يخلط التدبير مع صرف العناية إلى الأهم من غير أن تهمل الجهة الأخرى. وهذا كله داخل في باب المعالجة، فلا معنى لذكره ههنا. والحفظ منه قبل أن يقع من جنس دفعه إذا وقع.

٤٥- ومن أسوأ أصناف هذه الأمزاج من كان مزاج دماغه غير معتدل: إما إلى البرد وإما إلى الحر. وذلك أن مزاج الدماغ إذا ساء كان سببا لآفات كثيرة تحدث بالأبدان. منها أنه يعتري عن ذلك أورام الحلق والرئة واللهاة وقروح الرئة وقروح الفم وانقطاع الصوت والبهر. وربما مال الفضل إلى معدهم فأفسدها: إن كان باردا فإلى البرد حتى يفسد مزاجها ويفسد مزاج سائر البدن.

وأصحاب هذه العلة يتجشئون جشاء حامضا كما عرض لي ذلك وأنا فتى. فأكسب معدتي سوء مزاج لست أقدر بعد على دفعه. وذلك أيضا مع سوء المعالجة لي في ذلك الوقت. فإني ما كنت حينئذ حذقت شيئا من أعمال الطب.

وربما كان هذا الخلط في بعضهم مراريا. ورفع هذا كله إذا وقع داخل في حيلة البرء. وأما التحفظ من وقوعه فهو أليق بهذا الموضع . وذلك يكون: أما في الدماغ البارد فبوضع الضمادات المجففة له المقوية التي لها بعض حرارة وعطرية كالبسباسة في الصيف والقرنفل في الشتاء.

واستفراغ الفضول التي تجتمع فيه كل يوم بالعطاس، والسواك بأصول الجوز، ومضغ المصطكى مع يسير من الميوبرزج، وأخذ بعض الأدوية التي شأنها أن تستفرغ الخلط البارد من الرأس في أوقات أخذ الدواء، وهي فصل الاعتدالين: أعني الربيع والخريف وأما الأدمغة التي تتولد فيها فضول حارة فعلاجها ضد هذا العلاج.

وذلك أن تدهن رءوسهم بدهن الورد. وأن يستفرغ منهم ذلك الخلط بالأدوية التي شأنها أن تستفرغه والرءوس بالجملة هي أكثر تأثرا عن البرد منها عن الحر. فلذلك ما ينبغي أن تصان عن البرد غاية الصون.

٩- تدبير سائر الناس .. وحفظ الأبدان المشرفة على المرض

٤٦- وأما تدبير سائر الناس الذين لا يمكنهم أن يتدبروا بشيء من هذا التدبير فينبغي أن يتأمل أمرهم. فإن كان من هذه صفته معتدل المزاج في أصل الخلقة فأحسب أن أمراضه أكثر ذلك إنما يكون من جهة الكثرة. فلذلك ما ينبغي لهؤلاء أن يتعاهدوا بالاستفراغ العام الذي هو الفصد. ولا سيما من كان منهم تعتريه أمراض الامتلاء. ويتجنبون ما أمكنهم الأغذية الكثيرة الغذاء.

وأما من لم يكن معتدل المزاج فإن أمراضه أكثر ذلك إنما تكون من رداءة الأخلاط. فلذلك ما ينبغي أن يحدس على الخلط الغالب على أبدانهم فيستفرغ أبدا.ويحدس في كمية استفراغه من كثرة تولده وقلته. فمن الناس من يكتفي باستفراغ واحد في زمن الربيع، ومنهم من يحتاج إلى استفراغين: استفراغ في الربيع واستفراغ في الخريف. وأنا أرى أنه ينبغي لمن هذا شأنه أن يستفرغ في الأسابيع من عمره والأرابيع، أكثر مما شأنه أن يستفرغ كل عام. فإنا نرى الأمراض إنما تحدث بالناس أكثر على أدوار محدودة أو قريب من محدودة في سني أعمارهم.

فمن شعر من نفسه بذلك فليستعد بمثل هذا الاستعداد، فإني أرجو أن بهذا التدبير سيسلم كثير من الناس من الأمراض العرضية. وينبغي لأمثال هؤلاء أن لا تناكر عادتهم في مطعم ولا مشرب ولا تدبير أصلا، إلا أن يكون تدبيرا رديئا فينبغي أن يهجروه ما أمكنهم.

كما أن العادة أيضا إذا تمكنت في شيء فينبغي أن لا ينقل عنها دفعة، ولو كانت في غاية المضرة إلا بتدريج. فهذا هو القول في صحة جميع الأمزجة.

٤٧- وقد ينبغي بعد أن نقول في حفظ الأبدان التي قد أشرفت على المرض. وإبطال الاستعدادات الحاصلة فيها، وهو الجزء الثاني من هذا العلم. وإن كان كثير مما سلف في الجزء الأول كأنه متوسط بين هذين الجنسين على ما قلنا، فنقول:

٤٨- إن جنس حفظ الأبدان بالجملة من الأمراض التي قد استعدت لقبولها بظهور إحدى العلامات فيها الدالة على حدوث تلك الأمراض التي عددت في كتاب العلامات، وهو ضرورة من جنس إبطال ذلك المرض إذا حدث. مثال ذلك أن حفظ البدن من الوقوع في الجذام هو بعينه يلتئم بالأشياء التي بها تكون معالجة هذه العلة.

وكذلك في مرض مرض. ومن أشهر هذه الاستعدادات الحالة المسماة إعياء، حادثا من تلقاء نفسه. وذلك أن هذه الحال متى حصلت في الأبدان استعدت بها لقبول آفات كثيرة. فلذلك كان إفرادها بالقول ضروريا ههنا. وليس الأمر كذلك في الاستعدادات الخاصة بمرض مرض.

فإن الوجه في إبطال تلك الاستعدادات هو الوجه في إبطال تلك الأمراض. فلذلك لا معنى ههنا لتكريرها. وكذلك أيضا القول في حفظ الأبدان عند فساد الأهوية هو ضروري ههنا. فلنبتدئ من الحالة المسماة إعياء فنقول:

الإعياء وأصنافه

٤٩- إنه قد قيل في كتاب المرض عن هذه الحال ثلاثة أصناف: صنف يعرف بالإعياء القروحي وأن فاعل هذا هي الأخلاط الحارة، أعني الحادث منه من تلقاء نفسه وهو الذي القول فيه ههنا. وصنف ثان تمددي وأن فاعل هذا هو كثرة الدم.

وصنف ثالث ورمي وهو مركب من فاعل القروحي ومن فاعل التمددي. ويخص هذا أنه يعرض في الأعضاء منه تزيد في أقطارها. ولذلك عد هذا الثالث في البسائط، وإلا فهو مركب منهما. فينبغي أن نبدأ أولا بالعلاج العام لجميعها ثم نصير بعد إلى ما يخص واحدا واحدا، فنقول:

٥٠- إن العلاج العام لجميع هذه الأنواع من جهة أن فاعلها مزاج مادي هو الإحالة فيما يمكن فيه إحالته، واستفراغ ما لا يمكن ذلك فيه. والإحالة تفعلها الطبيعة بالأدوية والأغذية التي شأنها أن تلطف تلك الأخلاط وتهيئها للإحالة، وقد يفعل ذلك أيضا التجويع وطلب النوم والهدوء.

وأما الاستفراغ فيكون بالأدوية المدرة للبول والعرق، وبالأدوية المسهلة وبالرياضة، ويكون بشق العروق. وهذا كله إنما لتقبل فيه الصناعة الطبيعة. فهذا هو العلاج العام لجميع هذه الأصناف.

وأما الخاص بواحد واحد منها فينبغي أن نقول فيه، فإنه ليس في كل واحد منها يستفرغ بنوع واحد من الاستفراغ، ولا يستعمل فيه نوع واحد من الإحالة. ونبتدئ من ذلك بالإعياء القروحي فنقول:

٥١- إن هذا الإعياء فاعله بالجملة كما قيل أخلاط لذاعة. وقد علمت أن الخلط اللذاع إما أن يكون صفراويا أو سوداويا أو بلغميا مالحا، فإن كل واحد من هذه يلذع: أما الصفراء فبحدتها، وأما السوداء فبحمضتها. وأما البلغم المالح فبملوحته.

وهذه الأخلاط لا تخلو أن تكون إما تحت الجلد فقط، وإما أن تكون مع هذا غائرة في العضل فقط. وإما أن تكون مع أنها في العضل هي أيضا في الأوراد أنفسها على الجهة التي شأن هذه الأخلاط أن توجد في الدم، أعني بالقوة القريبة. ثم لا تخلو أن تكون مع هذه الأخلاط في البدن أخلاط بلغمية خامية أو لا تكون.

وإن كانت فيه فلا تخلو تلك الأخلاط الخامية أيضا أن تكون في اللحم فقط أو في الأوراد أنفسها. وما كان من هذه الأخلاط في الأوراد أنفسها، أعني الصفراوية أو السوداوية أو الدم كثيرا متى كانت هذه الأخلاط وتحة في الأوراد ولم تبعد جدا عن مزاج الدم. فإن بعضها الوجود لها بالفعل إنما هو من قبل أن يستحيل إلى الدم.

وبعضها الوجود له بالفعل إنما هو بعد أن يستحيل عن الدم. بمنزلة الصفراء والسوداء. وهي تتفاضل في ذلك بالقرب والبعد، فمتى بعدت جدا عن الدم. إما بأنها تحتاج إلى استحالة طويلة وحينئذ تتصرف دما، أو قد استحالت بعد أن كانت دما استحالة كثيرة فإن الدم ضرورة في هذه الحال قليل وتح، فهذه جميع الأوجه التي يمكن أن تتصور عليها الأبدان في حال هذا الإعياء ولكل واحد منها علاج خاص. فنقول:

٥٢- وأما إذا كانت الأخلاط الفاعلة لهذا الإعياء إنما هي تحت الجلد فقط. فقد يكتفى في علاجها بالرياضة المسكنة وبالاستحمام واستعمال الأغذية اللطيفة المرطبة كماء الشعير وشراب السكنجبين وما أشبه ذلك.

وأما متى كانت هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء يوجد حسها غائرا في اللحم. فليس ينبغي حينئذ أن تستعمل الرياضة بل يستعمل الهدوء والنوم ما أمكن. والإمساك عن الطعام، وذلك أن هذه الأفعال مما تنضج بها تلك الأخلاط، فإذا كان عشي ذلك اليوم حممناه بالماء المعتدل وغذوناه بغذاء جيد الكيموس لطيف جدا، بعد أن سقيناه أيضا شراب سكنجبين(١) أو شراب العسل، إن لم يكن مزاجه محرورا.

وذلك أن هذه الأشربة من شأنها أن تستفرغ بالبول والعرق ما ليس يمكن فيه أن يستحيل عن الطباع، فإن سكن هذا العارض فقد أصبنا فيما ظننا من أن هذا الخلط إنما هو في العضل فقط. وإن لم يسكن واضطرب نوم هذا العليل فهذه الأخلاط حينئذ ليست في العضل فقط بل وفي الأوراد.

(١) السكنجبين: هو يعمل من الخل والسكر أو العسل والماء الساذج منه معناه السادة وهو دواء لبعض أنواع الحمى.

٥٣- ولذلك قد ينبغي أن تتثبت وتنظر: هل مع هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء أخلاط خامية أم لا؟ وإن كانت فهل هي في الأوراد أم لا؟ فلننزل أولا أن ليس معها أخلاط خامية، وأن هذه الأخلاط الفاعلة للإعياء في الأعضاء أنفسها وفي الأوراد فحينئذ أيضا ينبغي أن نتأمل هل معها كثرة دم أم ليس معها كثرة دم؟ وهل تلك الأخلاط بعيدة من جوهر الدم أم ليست بعيدة؟

فإن كانت مع قلة دم. وهي بعيدة من جوهره، فينبغي أن نستعمل ههنا الاستفراغ بالإسهال لنوع الخلط الذي يحدس أنه فاعل الإعياء. وذلك إما صفراويا كما سلف. وإما سوداويا وإما بلغميا مالحا. فإن الأخلاط إذا خرجت عن الطبع في كيفيتها فاستفراغها يكون بالدواء الجاذب لتلك الأخلاط بأعيانها. وأما إذا خرجت في كميتها فاستفراغها يكون بشق العروق كما سيقال في الجزء العلاجي. وأما إذا كانت هذه الأخلاط في الأوراد مع كثرة دم فينبغي أن تستفرغ بالفصد ثم بالإسهال بعد.

٥٤- وأما إن كان مع هذه الأخلاط في البدن أخلاط خامية نظرنا أيضا: فإن كانت الأخلاط في الأوراد مع دم كثير، وهي مع هذا غير بعيدة من جوهر الدم، فينبغي أيضا أن تستفرغ بالفصد وإسهال تلك الأخلاط، فإنها متى كانت قريبة من جوهر الدم لم تكن في نهاية الغلظ فتستعصي على الدواء المسهل. وأما إذا كانت هذه الأخلاط الخامية في الأوراد كثيرة مع دم قليل، وهي مع هذا بعيدة من جوهر الدم، فههنا ليس ينبغي أن نشق العرق ولا أن نسهله.

وذلك أنا متى شققنا العرق ههنا قتلنا، ومتى أيضا رمنا الاستفراغ بالدواء لم تجب تلك الأخلاط لغلظها. وأيضا فإنها تتقدم فتسد المجاري عن أن يجري فيها غيرها من الأخلاط.

٥٥- ووجه الحيلة في من هذا شأنه أن نأمره بالسكون والدعة، ونجعل أغذيتهم وأدويتهم أدوية ملطفة مقطعة من غير إسخان شديد لأن لا تنتشر تلك الأخلاط الخامية في البدن، وأوفق الأشياء لهم شراب السكنجبين البزوري الذي حجب يبسه بعروق السوس. وماء الشعير جيد لهم، لمن كان منهم شابا، مع يسير من أصل الرازيانج[1]، وماء العسل أوفق لهم

(١) الرازيانج: هو البسباس حار يابس وبزره الشمار يزيد في الباءة ويدر البول، ويفتح سدد الكبد والكلى والمثانة وينفع من الحميات المتقادمة ويقوي المعدة والدماغ ويفتت الحصى كل ذلك شربا. والاكتحال بمائه يقوي البصر ويزيد في نوره وأصله ينفع من عضة الكلب المكلوب وأكله طريا يزيد في لبن النساء ويكثره وهو قوة ترياقية بدله: أنيسون، وقيل البسباس يصدع المحرورين ويصلحه والسكنجبين، وهو يعرف بالشام ومصر بالشمار

مفردا مع شيء من زوفا وعروق السوس.

وهؤلاء تنتفخ بطونهم وتعتريهم رياح غليظة. ولذلك قد يطعمهم جالينوس الدواء المعمول بالثلاثة الفلافل والجوارش الكموني. لكن ينبغي في إقليمنا هذا إذا استعملت هذا العلاج أن تستعمله بحذر وتوقٍّ وإلا جلبت الحمى من ساعتك على المريض: فإن إقليم جالينوس أبرد من إقليمنا. وإنما كان جالينوس يستعمل هذه المعالجة في زمان الشتوة وفي غير سن الشباب. اللهم إلا أن يكون المرض يقتضي ذلك بطبعه اقتضاء كثيرا.

٥٦- وإن اتخذ ههنا مركب من الأدوية الملطفة المقوية للأعضاء الباطنة التي هي اقل حرارة من هذه كان أيضا حميدا، مثل الدارصيني والأسارون والعود والعنبر والقرنفل والسليخة وما أشبه ذلك من الطيوب. لكن جالينوس إنما أحسبه يتجنب هذه الأدوية ههنا لمكان القبض الذي فيها. فإن أنت خلطت الجنسين فعلت مركبا حسنا، لأن هؤلاء الأعضاء الرئيسة منهم في غاية الضعف، وبخاصة فم المعدة.

ولذلك ليس يجب أن يخلو هذا المركب من المصطكى. وأما الورد فلا أحمده في هذا المركب لمكان برده وقبضه، وإن كان فيه تقوية للأعضاء. والأسطوخدوس دواء حميد الموقع في هذا المركب.

وكما يتجنب الاستفراغ في هذه الحال بالإسهال كذلك يتجنب بالقيء، فإنا كما نتخوف أن نكون قد حركنا خلطا بالإسهال إلى باطن البدن من غير أن نكون أخرجناها. كذلك نتخوف أن نكون باستعمال القيء قد حركناها إلى ظاهر الجسم.

٥٧- وأما إذا كانت الأخلاط الخامية في العضل، وكان دم الأوراد نقيا، فقد ينبغي ههنا أن لا نحذر الأشياء القوية الإسخان المدرة للبول، فإنه قد أمن في هذا الموضع انتشار الخلط.

وجالينوس يستعمل في هذا الموضع الدواء الفوذنجي. ولن يخفى عليك علاج ما تركب من هذه الأصناف، وكذلك أيضا لست أحتاج أن أصف لك ههنا العلامات الدالة على غلبة خلط خلط من هذه الأخلاط على البدن، ولا مقدار كميته وموضعه، فإنك قد عرفت جميع هذا من كتاب العلامات، فاعتمد على البول في تمييز جنس الأخلاط التي تكون في الأوراد، وعلى العرق في التي تكون داخل العضل.

- والشمر وعند بعض الصيادلة بالمريض تمييزا له من الأنيسون ، وهو نبات مشهور له بزر كبزر الكرفس، وهو بري وبستاني عطري الرائحة.

وذلك أيضا من لونه ومذاقه، وكذلك فاعتمد على الوقوف على كثرة ذلك الخلط وقلته من التدبير المتقدم والمزاج المناسب له والفصل المناسب وسائر الأشياء التي قيلت في كتاب العلامات.

٥٨- وأما الإعياء الورمي والتمددي فهما ضرورة يكونان مع كثرة من الدم، فلذلك ما ينبغي أن نفصد هؤلاء ضرورة ونقدر كمية ما يخرج من جهة السن والمزاج والفصل كما سنقول في كتاب العلاج. وينبغي أن تتفقد الأعضاء في هذا الإعياء، فإن كان الثقل أكثر ذلك إنما هو في الرأس فافصد له القيفال. وإن كان أكثر ذلك إنما هو في الصدر، فافصد له الباسليق. وإن كان فيهما على السواء فافصد له الأكحل.

حفظ الصحة في المناخ الخارج عن الطبع

٥٩- وقد بقي من هذا الجزء أن نقول كيف تحفظ الأبدان من الأمراض في الأهوية الخارجة عن الطبع فنقول: إن الهواء كما قيل في غير هذا الموضع: إما أن يخرج عن طبعه في كيفياته، وإما أن يتغير في جملة جوهره وذلك بأن يتعفن.

والهواء إذا كان بهذه الصفة، أعني بأحد هذه الحالات، استعدت به الأبدان لحدوث أمراض مشاكلة لذلك المزاج، إلا أنه ليس جميع الأبدان تلقى ذلك، وإنما يلقى ذلك منها أكثرها استعدادا وإلا مرض كل إنسان في الهواء الوبائي. ولهذا كله الاعتماد في التدبير في هذه الأوقات إنما هو عام لجميع هذه التغايير بتفتيح السدد ومنع أسباب العفونة بالجملة.

٦٠- وأما ما يخص صنفا صنفا من هذه التغايير الحادثة في الهواء، فإنه متى خرج في أحد كيفياته فينبغي أن يقابل ذلك بالتدبير المضاد، مثال ذلك أنه إذا أفرط في الحر واليبس تدبر بالأغذية الباردة الرطبة، ولزمت المجالس الشمالية المعدلة الهواء بالماء والرياحين.

ونفصد أيضا، إذا أمكن ولم يمنع من ذلك شدة البرد أو الحر، إلى استفراغ الفضل المناسب لذلك الخلط المتولد في ذلك الفصل. وأما الهواء الفاسد في جملة جوهره فينبغي أيضا أن يقابل بالاستفراغ العام وبالأشياء التي تمنع الوباء بجملة جوهرها، ونجعل الأغذية باردة يابسة بعيدة من العفونة، بمنزلة الخل والعدس، ويبخر الهواء بالأشياء المانعة للعفونة، بمنزلة القسط والكندر والميعة، وللقطران في ذلك تأثير كبير، وأخذ الترياق الكبير في هذا الزمان حافظ عظيم من الوباء، وذلك أن يؤخذ منه نحو قيراط إلى درهم ويبقى عليه حتى ينهضم في الأعضاء كلها، وذلك نحو تسع ساعات.

وبالجملة فمتى تغير الهواء تغيرا ينذر بأمراض ستحدث فينبغي أن يتحفظ من حدوث تلك الأمراض. وذلك بالتدبير المضاد لطبائعها. والطين الأرميني بالخل في الهواء

الوبائي نافع، وكذلك الطين المختوم. وذكروا أنه متى أخذ من الصبر[١] جزءان ومن الزعفران جزءان والمر جزء وسقي في أول الوباء منه في كل يوم اثنا عشر قيراطا، وذلك ست وثلاثون حبة مع أوقية خمر ممزوجة انتفع به.

وإنه لم ير أحد فعل هذا إلا سلم من الوباء. وينبغي أن يتخير الهواء النقي الصافي المتحرك في زمان الصيف. وذلك بأن تسكن المواضع المرتفعة أو الغرف العالية إن لم تكن المواضع المرتفعة، اللهم إلا في وقت تغير الهواء في جوهره، فإنه ينبغي حينئذ أن تلزم البيوت المصلحة الهواء على ما وصفنا، وتجنب جميع الفواكه في مثل هذه الأهوية ضروري جدا فإن الدم المتولد عنها يجيب إلى العفونة بسرعة.

وكذلك ينبغي أن تتجنب اللحوم فإنها أيضا سريعة الاستحالة إلى التعفن. وإن استعملت فليستعمل من ذلك الطيور الجبلية. والحيتان في هذا الفصل من أردأ شيء. وشراب السكنجبين الذي ماؤه ماء الورد الصادق الحمضة، إذا أضيف إليه بعض البزور التي فيها إدرار وهي مع هذا باردة، تدبير جيد في هذه الأوقات.

وتعاهد تليين الطبيعة بالجملة بالأشياء الملينة في كل فصل تدبير حافظ للصحة بإجماع من الأطباء، مثل التمر الهندي والراوند والبنفسج والأهليلجات[٢] والخيار شنبر والترنجبين والنبلاب والرمان المعصور بشحمه وما أشبه ذلك من هذه الأمور الملينة مما يخرج الأخلاط الحادة الصديدية، التي كونها في البدن لتوليد العفونة بمنزلة الخمير في العجين للتخمير. وهذا كله الذي قلناه في هذا الجزء من هذا العلم كاف بحسب غرضنا في الإيجاز، ويتلوه كتاب شفاء الأمراض وهو الجزء السابع من هذا الكتاب.

---

(١) الصبر: هو عصارة شجر حامض مر جدا جامدة بين حمرة وشقرة وماؤه كماء الزعفران يدخل الداحس المتقرح وينفع الأورام والبثور وينفع أوجاع المفاصل وينفع من قروح الأنف والفم والأذن والعضل التي في جنب اللسان طلاء وشربا يطلق أيضا على النبات الذي يعصر الصبر منه وهو يشبه نبات السوس غير أن أوراقه أطول وأغلظ.

(٢) الأهليجيات: أو الهليج يقال له الإجاص الهندي ثمر شجر معروف أصنافه كثيرة منه الأصفر القبج ومنه الأسود الهندي وهو البالغ النضج ومنه صيني دقيق ضعيف أجوده الشديد الصفرة الضارب إلى الخضرة الممتلئ الصلب.

الكتاب السابع
شفاء الأمراض
١- الأمور العامة التي بها تكون إزالة الأمراض

١- إنه لما كانت الأحوال التي ليست بطبيعية صنفين: أمراضا وأعراضا تتبع الأمراض، وكانت الأمراض أيضا صنفين: إما أمراض منسوبة أولا إلى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وثانيا إلى المركبة وتلك هي أصناف سوء المزاج الثمانية المادي منها وغير المادي وجب أن نبتدئ أولا فنعرف وجه الحيلة في إزالة الأمراض المنسوبة إلى المتشابهة الأجزاء، المادي منها وغير المادي. بقول كلي، ثم نعرف كيف الحيلة في إزالة أمراض الأعضاء الآلية بقول كلي أيضا. ثم نصير بعد ذلك إلى شفاء الأمراض بحسب عضو عضو. من القرن إلى القدم: فإنها وإن كانت منطوية بالقوة في القول الكلي فإن في تخصيصها بالقول تتميما على ما سيظهر في ما بعد.

وكذلك نفعل في الأعراض: أعني أن القول فيها نقسمه إلى صنفين كلي وجزئي، والكلية من هذه الأشياء هي التي احتوت عليها حيلة البرء من كتاب جالينوس، وأكثر الجزئيات في كتاب الميامر . فلنبتدئ أولا بالقول في الأمور العامة التي بها تكون إزالة أمراض المتشابهة الأجزاء، مادية كانت أو غير مادية. ثم نصير إلى القول في نوع نوع منها. وذلك بحسب الترتيب الأنفع ههنا. فنقول:

٢- إن الغرض في شفاء سوء المزاج غير المادي هو غرض واحد فقط، وهو إبطاله وصرفه إلى الحال الطبيعية. وذلك إنما يكون بالذات وأولا بضده، فإن الضد كما قيل شفاء للضد، والأضداد التي بها تبطل الأصناف الحادثة عن سوء المزاج في بدن الإنسان هي الأدوية أكثر ذلك. والأغذية المضادة بقواها الأول لسوء المزاج المرضي: أعني إذا كان المزاج حارا يابسا فإن شفاءه بالأغذية والأدوية الباردة الرطبة وإنما قلنا إن إبطال سوء المزاج إنما يكون أولاً و بالذات عن ضده لأنه قد يتفق أن يطل بالعرض عما هو من نوعه. مثال ذلك أن الماء البارد قد يبطل سوء المزاج البارد بسده لمسام البدن وعكسه الحرارة الغريزية إلى قعر البدن. لكن هذه المداواة ينبغي أن تحذر كل الحذر، ولا تستعمل إلا حيث الضرورة، والأطباء كثيرا ما يستعملونها في هذه الصناعة كما سيلوح لك.

٣- وأما الغرض من إبطال سوء المزاج المادي فشيئان: أحدهما استفراغ المادة والآخر إصلاح المزاج الحادث عن المادة في العضو المستفرغ، والذي به يكون الاستفراغ أشياء:

أحدها: فصد العروق.

والثاني: شرب الأدوية المسهلة والمقيئة والمدرة والحقن. وبالجملة جميع الأدوية الملطفة المقطعة التي تدر البول والعرق وتلين الطباع.

وهذا النوع من أفعال الأدوية إنما يكون لها بقواها الثواني والثوالث والخواص. كما أن إبطال سوء المزاج المفرد إنما يكون لها بالكيفيات الأول. وقد يكون الاستفراغ بالتجويع والرياضة والاستحمام والتدلك. إلا أن الاستفراغ بالرياضة إنما يمكن فيمن لم يمرض بعد. فأمّا المرضى فليس يمكن فيهم الاستفراغ بالرياضة.

٢- الاستفراغ: أنواعه وشروطه

٤- وأما الاستفراغ بالفصد فقد يوقف على أنه فعل طبي بالتجربة والقياس. أما التجربة فيحصل عنها علم ذلك لمن زاول شيئا من أعمال هذه الصناعة. وأما القياس فإنه يظهر ذلك به من جهتين: إحداهما أنا نرى الطبيعة تشفي باستفراغ الدم في كثير من الأمراض الدموية. وكذلك أيضا تشفي باستفراغ الأخلاط أنفسها. وهذا هو أدل دليل على استعمال الاستفراغ بالأدوية المسهلة وغير المسهلة في شفاء الأمراض. وأما الوجه الثاني. الذي يمكن أن يظهر به أن الفصد علاج طبي في بعض سوء المزاج المادي. فهو أنه غير ممتنع أن يكون بعض الناس يسرف في تدبيره في المطعم والمشرب. حتى يجتمع في بدنه من الدم كمية زائدة على المجرى الطبيعي. والزيادة ينبغي أن تستفرغ ضرورة.

وليس يكفي في مثل هذه الرياضة ولا التجويع. لأن هذه إنما تحلل من البدن مقدارا يسيرا بالإضافة إلى ما يحتاج من الاستفراغ من به الامتلاء الذي بحسب التجاويف.

ولذلك حكى جالينوس أنه جاءه فتى شاب يذكر له أنه كان يبصر في نومه كأنه يسبح في بركة من دم، ورأى علامات غلبة الدم عليه ظاهرة، فأمره بالفصد، فمشى الفتى إلى بعض الأطباء الذين كانوا على رأي ارسسطراطيس في ترك الفصد فأمره بالرياضة، فلما شرع الفتى في الرياضة تحللت أخلاطه وذابت فانطفأت حرارته الغريزية دفعة، على جهة ما ينطفئ السراج عن الزيت الكثير إذا صب عليه دفعة.

٥- فأما في أي موضع يستعمل واحد واحد من هذه الاستفراغات أو أكثر من واحد منها فينبغي أن نحددها أولا، وحينئذ نصير إلى معالجة صنف صنف من أصناف سوء المزاج بعد أن نعدد أيضا الأمور التي يستدل منها، إما استدلال موافقة وإما استدلال مضادة، على كمية الاستفراغ وإبطال سوء المزاج. وتلك هي طبيعة المرض والقوة والمزاج والسن والبلد وسائر الأشياء التي تذكر بعد، فنقول:

٦- إن الاستفراغ إنما يجب بالجملة متى خرجت الأخلاط في جميع البدن أو في عضو من أعضائه عن طبيعتها. إما في الكمية وإما في الكيفية أو في كليهما. فخروجها في الكمية يعرض عنه الصنف من الإعياء المعروف بالتمددي، وهو الامتلاء المعروف امتلاء بحسب الأوعية.

وأما الامتلاء المعروف امتلاءً بحسب القوة، فيكون عن خروج الأخلاط في الكمية والكيفية حتى يثقل القوى الغاذية والقوى المحركة. وبالجملة القوى الفاعلة ضرورة، لأنه إذا ضعفت القوى لم تفعل في الأخلاط الفعل الطبيعي. وكثيرا ما يتبع هذا الصنف من الامتلاء الحالة المسماة إعياء قروحيا لرداءة الأخلاط الموجودة في هذا الصنف من الامتلاء.

فهذه هي جميع الأحوال التي متى كانت في جميع البدن أو في عضو منه اقتضت الاستفراغ.

٧- وأما الحالة التي ينبغي أن يستفرغ فيها الدم أولا وأكثر ذلك. فهي الحالة التي تخرج فيها الأخلاط في البدن عن كميتها الطبيعية. وذلك ليس أكثر من تزيد الدم في كميته إذ كانت الأخلاط محمولة فيه بالقوة. وهذا التزيد كثيرا ما يحدث الإعياء التمددي كما قلنا .

وأما الحالة الثانية التي ينبغي أن يستفرغ فيها لكن دون هذا الاستفراغ. فهي متى كان خروج الأخلاط في كميتها وكيفيتها معا. وبخاصة متى كانت كيفية غير مضادة لطبيعة الدم ولا بعيدة من جوهره. كالأخلاط الخامية. وهذه الأحوال سواء كانت في جميع البدن أو في عضو منه، إلا أنها متى لم تكن إلا من عضو واحد أو أكثر من عضو وبالجملة متى لم تكن في جملة البدن، فقد يكون الاستدلال المأخوذ من طبيعة جملة البدن في أكثر الأمر استدلالا مضادا لاستفراغ ذلك العضو أو الأعضاء. على ما سنقول بعد.

٨- وقد يستعمل استفراغ الدم في هذه الصناعة بضرب من العرض. وذلك في أمراض الاستفراغ مثل استعمالهم الفصد في قطع الرعاف وقطع دم البواسير وغير ذلك، لكن هذا كما قلنا من الاستعمال العرضي، فينبغي أن يتجنب ما وجد السبيل إلى غيره.

وقد يستعمل هذا النوع من الاستفراغ في نقل المادة عن العضو فقط إلى ضد الجهة، لا أن يقصد بذلك خروجها عن البدن. وأكثر ما يستعمل هذا مع قلة الدم ورداءة كيفيته. وقد يجتمع هذان الغرضان في استفراغ الدم. وذلك حين يقصد استفراغ المادة الفاعلة للمرض وحفظ تزيد المرض. وإذا قصد الاستفراغ فقط كان شق العرق في أقرب

موضع من العضو الألم فقط وإذا قصد تمييل المادة إلى ضد الجهة كان شق العرق في أعضاء مضادة في الوضع للعضو العليل. وإذا قصد الغرضان جمعا معا. والاستفراغ الأول يسمى جذب استقامة والثاني جذب مخالفة.

٩- فأما في أي موضع يجب أن يجمع الأمران جميعا، أو أن يرجح أحدهما على الآخر. فسيبين من قولنا عند معالجة أمراض الأعضاء أنفسها. ولهذا السبب بعينه لم تكن العروق المفصودة عروقا واحدة بأعيانها في جميع الأمراض.

بل يفصد في بعض الأمراض الباسليق وفي بعضها القيفال وفي بعضها الأكحل. وربما فعلنا ذلك من اليد اليمنى. وربما كان ذلك من اليسرى كما سيأتي بعد، فهذه هي المواضع التي فيها يستفرغ الدم. والأغراض المقصودة في استفراغه.

١٠- وأما المواضع التي فيها يستفرغ بالدواء المسهل فهي أولا خروج الأخلاط في كيفيتها فقط، وذلك الذي يعنون برداءة الأخلاط، هذا متى لم تكن الأخلاط الخارجة في كيفيتها خروجها إنما هو إلى الخامية. وأما الموضع الثاني الذي قد يستعمل فيه الدواء فهو إذا اجتمع الأمران جميعا: أعني خروج الأخلاط في الكمية والكيفية.

وحينئذ يجب الجمع بين الاستفراغين. لكن أي الاستفراغين ههنا يجب أن يقدم فيه؟ موضع نظر فقد حكى الرازي في التجارب المارستانية أنه رأى قوما مشوصين فصدوا من غير أن يسهلوا فماتوا. وذلك أن الكيفية الرديئة كانت مغمورة بالكمية. فلما ظهرت بالفعل قتلت. وقد نرى أيضا بعض مواضع يضطر فيها إلى تقديم الفصد لضيق الوقت ولظهور الانتفاع به سريعا. والحق أنه يجب أن يقدم أهمهما في الغرض المقصود. وقد قال أبو مروان بن زهر إنه لا ينبغي أن يستعمل الفصد إلا بعد تليين الطبيعة. ولعل ذلك لأن الأعضاء إذا استفرغت من الدم جذبت من الثفل ما ليس شأنه أن تتغذى به، وذلك لموضع استفراغها فتعتريها رداءة كيفية مع أنه قد يكون ذلك سببا لتحجر الثفل وذلك إذا امتصت منه الأعضاء الرطوبة.

وبين قولنا دواء ملين ومسهل فرق: فإن المسهل هو الجذاب. والملين هو المقطع أو المزلق أو ما أشبه ذلك مما يعين على إخراج الثفل فقط.

١١- وأما متى كان خروج الأخلاط في كيفيتها إنما هو إلى الخامية والغلظ، فليس ينبغي حينئذ أن يستعمل الفصد ولا الإسهال. أما الفصد فالأمر فيه بين. وأما الإسهال

فلأنها[١] لا تجيب إلى الخروج لعسرها. وتخرج الأخلاط الجيدة. وجالينوس يستعمل في استفراغ هذه: أما قبل أن يُحَمَّ صاحبها فالأدوية المسخنة الملطفة، وأما إذا حموا فالدلك مع الأدوية الملطفة القليلة الإسخان وقد فصل كيف استعمال ذلك قبل الحمى في كتاب حفظ الصحة. وسنفصل بعد كيف استعمال ذلك مع الحمى.

١٢- وقد يستعمل أيضا الإسهال بالدواء بضرب من العرض في مداواة الإسهال. وذلك على جهة إخراج الخلط الفاعل للإسهال. لكن مثل هذا الاستعمال هو غير مأمون. وذلك أنه وإن كان يقاوم السبب. فهو يزيد في المرض ضرورة زيادة عظيمة.

وهو بالجملة من باب المداواة بالشبيه لا بالضد. والحقن إنما تستعمل أكثر ذلك عندما يقصد بها استفراغ ما في الأعضاء أنفسها أو من جهة جذب المخالفة: فإن إخراج الأخلاط بالدواء قد يقصد منه هذا الغرض ولذلك يحمد القيء في الأمراض السفلية كما يحمد الإسهال في الأمراض الفوقية وقد تستعمل الحقن حيث لا يمكن الدواء المسهل. إما لأن العليل لا يقدر أن يزدرد شيئا وإما لأن المعدة منه أو الكبد مئوفة فينكؤها مرور الدواء به

١٣- وأما الاستحمام فإنما يستفرغ الأخلاط الرقاق فقط. ولذلك لا يستعمل في الأمراض التي هي عن أخلاط غليظة إلا بعد النضج. وذلك أنه إذا استعمل والأخلاط غليظة ذوبها ولم يؤمن انتشارها في البدن وانصبابها إلى الأعضاء الرئيسة.

وأما الاستفراغ بالتجويع فهو أيضا أحد ما يستعمل في الأمراض وبخاصة القريبة المنتهى الحادة على ما سيظهر من قولنا. فهذا هو القول في جميع الأشياء التي يداوى بها سوء المزاج المادي وغير المادي. والمواضع التي يستعمل فيها صنف صنف من هذه الأصناف أو أكثر من صنف واحد.

٣- الزيادة والنقصان في الاستفراغ .. وإدخال الضد

١٤- وقد ينبغي بعد أن ننظر في الأمور التي يستدل منها على هذه الأشياء استدلال موافقة فيزاد في كمية الاستفراغ؛ أو استدلال مخالفة فينقص من كمية الاستفراغ ومن إدخال الضد. أو يترك استعماله أصلا وبخاصة الاستفراغ فإنه يظن أن ههنا مواضع لا يجب أن يستفرغ فيها وإن اقتضت ذلك كل الاقتضاء طبيعة المرض وكذلك يشبه أن يكون ثم أيضا مواضع هذه حال استعمال الضد فيها.

أعني أنه لا يجب استعماله أصلا. وإن اقتضت طبيعة المرض استعمال ذلك.

(١) أي الأخلاط.

فنقول:

١٥- إنه لما كان قصدنا، أما في إبطال سوء المزاج غير المادي فرده إلى ما كان عليه. ولم يكن يتهيأ ذلك إلا بأن يكون الضد الذي يقابله في درجته من الخروج،وجب أن نعنى بمعرفة مقدار خروج البدن من الصحة إلى المرض . وذلك إنما يكون بمعرفة مزاج البدن الصحي قبل، فيلزم لهذا أن يكون أحد ما يستدل عليه من استعمال كمية الضد هو مزاج البدن الطبيعي وسنه والبلد أيضا والفصل من أوقات السنة والتدبير. وذلك أن هذه كلها تحدث في الأبدان الصحيحة أحوالا ما. والعادة أيضا قد يظن أنها تنفع في هذا المعنى على ما سيلوح بعد لكن من غير هذا الوجه.

وكذلك القوة والسبب والعرض. فإن هذه كثيرا ما يكون الاستدلال منها مضادا للاستدلال من تبريد سوء المزاج أو تسخينه. وذلك إنما يلحظ أكثر ذلك، أعني السبب والعرض والقوة. حيث يكون السبب في سوء المزاج مادة.

وأما إذا كان سوء المزاج غير المادي في عضو ما فقد يستدل على مقدار إدخال الضد عليه من مزاج العضو نفسه ومن منفعته ومن مشاركته ومن وضعه ومن ذكاء حسه.

وأما الاستفراغات التي يداوى بها المزاج المادي فلما كان القصد منها أيضا أن يستفرغ الزائد فقط لا أقل من ذلك ولا أكثر وجب أيضا أن تعرف الأشياء التي تكون أسبابا في زيادة المواد في بدن الإنسان وفي نقصانها، وتلك هي طبيعة البدن ومزاجه: فإن بعض الأبدان يكثر فيها تولد خلط من الأخلاط والمواد. وكذلك أيضا سنه والفصل من أوقات السنة والبلد والتدبير وانقطاع ما جرت العادة بسيلانه، مثل انقطاع دم البواسير أو دم الطمث أو قطع الرياضة أو استفراغات بالجملة اعتادها الإنسان.

وللعادة في هذا مدخل ما. والقوة من أكثر الأشياء التفاتا إليها في هذا الجنس، فإنها كثيرا ما تضاد طبيعة المرض في الاستفراغ. وأعني ههنا بالقوة: القوى الفاعلة كالقوة النبضية، وبالجملة الغاذية والقوة المحركة. وقد يؤخذ أيضا الاستدلال على مقدار الاستفراغ في جميع البدن من الأعضاء المئوفة وبخاصة الرئيسة، كمن به مرض يوجب فصده. وهو ضعيف، فم المعدة.

وأما إذا كان المقصود بالاستفراغ عضوا ما من أعضاء البدن فقد يؤخذ الاستدلال على استفراغه من وضعه ومن مشاركته ومنفعته وحسه وشكله وهيئته ومن حالة ذلك العضو أيضا من جميع البدن. فإنه ربما شهد له البدن بالاستفراغ وربما لم يشهد له.

وذلك بأن لا يكون امتلاء في ذلك البدن إلا في ذلك العضو، والحمل أيضا في النساء من أحد ما يستدل به على مقدار استعمال الضد في الشفاء أو لا استعماله أصلا. وعلى مقدار الاستفراغ أو عدمه فهذه هي جميع الأشياء التي يستدل منها على مقدار الاستفراغ أو لا استفراغ أصلا، وينبغي أن نقول في قوة دلالة كل واحد منها ووجه دلالته. وذلك في الصنفين جميعا أعني في استعمال الضد والاستفراغ.

إذ كان ليس طريق لعلاج سوء المزاج غير هذين الطريقين. ونبتدئ من ذلك بوجه دلالتها على استعمال الضد، فنقول:

٤- وجوه الدلالة على استعمال الضد

١٦- أما المزاج إذا كان مناسبا للمرض وكان البلد أيضا كذلك والفصل والسن فإن الأطباء زعموا أن مثل هذا السوء مزاج لم يخرج في مثل هذا المرض خروجا كثيرا عن الطبيعي.

مثال ذلك أن يكون شاب حار المزاج في بلد حار وزمان صيف أصابته حمى حادة فيلزم على هذا أن يكون شفاؤه بالبارد الذي ليس يقوي البرد قالوا: وأما متى كان المزاج والسن والبلد والفصل غير مناسب للمرض فقد تباعد هذا البدن عن مزاجه الصحي بعدا كثيرا، فينبغي أن يقابل هذا بما هو أكثر تضادا: مثال ذلك أن يكون شيخ بارد المزاج قد مرض في بلد بارد وفصل بارد من مرض حار، فإن هذا على قياس أقاويلهم يحتاج إلى دواء أكثر تبريدا.

وهذا كله خلاف ما تقتضيه المشاهدة: فإنا نجد الفتى الذي وصفنا قبل ليس ينتفع بشيء من التبريد والترطيب إلا بالذي يكون في الغاية كماء الدلاّع وماء الخيار. ونجد الشيخ الذي بهذه الصفة متى سقيناه ماء الخيار هلك ضرورة وخمدت حرارته الغريزية. فنقول:

١٧- إن وجه الغلط في ذلك هو أن يوضع خروج بدن الشيخ، الذي بهذه الصفة في سوء المزاج الحار، وبعده عن مزاجه الطبيعي هو بعينه خروج بدن الشاب الذي وصفنا في سوء المزاج الحار الذي أصابه، عن مزاجه الطبيعي، فضلا عن أن يكون خروج بدن الشيخ أكثر منه. لأنه لو كان الأمر هكذا للزم أن تكون المبردات المستعملة في بدن هذا الشيخ هي المبردات المستعملة في بدن الشاب أو أكثر تبريدا.

كأنك قلت أدوية في الدرجة الرابعة أو الثالثة من البرد. وليس الأمر في نفسه هكذا لأنا متى أنزلنا شابا صفراويا هو من مزاجه الطبيعي في الدرجة الأولى من الحرارة وأصابته حمى خرج بها مزاجه إلى الدرجة الثانية، فهذا إنما خرج درجة مثلا عن مزاجه الطبيعي،

وشفاؤه ليس يمكن أن يكون بما هو بارد في الثانية. لشدة استحالة الأدوية إلى الجوهر الناري في بدن هذا الشاب. وذلك لبعده في الحرارة عن المزاج المعتدل.

١٨- وأما الشيخ الذي ذكرنا فلنفرض مزاجه الطبيعي من البرودة في الدرجة الأولى وهو قد مرض مرضا خرج به إلى الدرجة الثانية من الحرارة، فهذا ضرورة قد تباعد عن مزاجه الطبيعي، كما قيل ، أكثر مما تباعد الشاب، لأن الشاب تباعد درجة وهذا درجتين أو ثلاث درج، إلا أن الشيخ يهلك ضرورة قبل أن يخرج إلى هذه الدرجة.

ولذلك الذي يشفي الشيخ الذي قد مرض مرضا حارا في الغاية من الحرارة هو دواء في الدرجة الثانية من البرودة لا أكثر من ذلك، لأنه إن كان أبرد من ذلك حطه عن مزاجه الطبيعي فقتله: إذ كانت الأعضاء الأصلية من الشيوخ باردة وأيضا فليس في بدن الشيخ جودة استعداد لأن تستحيل فيه الأدوية في هذا المرض إلى جوهر ناري. كالحال في الفتيان: فإن الشيوخ بالجملة ولو مرضوا أمراضا هي في الغاية من الحرارة ليس ينبغي أن تتجاوز فيهم الدرجة الثانية من البرودة. وذلك أنهم وإن كانوا كما قلنا قد بعدوا عن مزاجهم فلم يبعدوا بعد الشباب، لأن الشيخ لا شك يهلك قبل ذلك. وأيضا فلو قدرنا شيخا يخرج في الحمى المحرقة إلى الدرجة بعينها التي يخرج إليها الشاب وأمكن فيه أن يعيش وقتا ما لما أمكن أن يداوى: لأن الأدوية الباردة التي تضاد ذلك المزاج كانت تعود فتفسد أعضاءه الأصلية بردها، فيزيد ذلك الخروج بعدا عن الاعتدال. والبعد عن الاعتدال هلاك أو مرض ضرورة.

وأيضا فإن سلمنا وجود مثل هذا فأدويته تكون أدوية الشاب بعينها ضرورة. وأما الشاب فلو أعطي أدوية تبرده أكثر من مزاجه الأصلي لكان ذلك صلاحا به لأنه كان يقرب من الاعتدال بذلك.

وأحد ما يتدبر به صحة الفتيان هو رد أمزجتهم إلى الاعتدال، كما قيل في كتاب الصحة ، وهذا أيضا أحد الأسباب في احتمال الشبان الأدوية التي في غاية البرد. فعلى هذا ينبغي أن تفهم الأمر في وجه دلالة السن والمزاج والبلد والفصل مع مناسبة المرض أو لا مناسبته.

١٩- وقد يسأل سائل فيقول: كيف يمكن أن يتوهم شيخ بهذه الصفة يمرض مرضا حارا. فإن الأخلاط ليست تنزل من السماء، وإنما تتكون في الأبدان فنقول له إنه غير ممتنع أن يعرض ذلك من جهة التدبير والأغذية. وأما متى فرضنا الأغذية والتدبير

مناسبين فليس بممكن فيه ضرورة أن يعرض له مرض حار.

فإن الأمراض إنما يعرض حدوثها كما قيل في كتاب المرض من أحد شيئين: إما من قبل مزاج الأعضاء أنفسها. وإما من قبل الأشياء التي من خارج وإذا كان الهواء والمزاج والسن والبلد مضادا لمرض هذا الشيخ فلم يبق شيء يكون سبب هذا المرض إلا الأغذية والتدبير.

وينبغي أن يفهم ههنا مع الفصل الطبيعة الجزئية التي تكون لذلك الفصل في تلك السنة والهواء بالجملة متى كان مضادا للمرض فينبغي للطبيب أن يفرح به. ومتى كان مناسبا له فينبغي للطبيب أن يسعى في صلاحه وذلك بأن يميله إلى ضد المزاج الذي هو عليه فإن كان حارا برده وجعل مسكن العليل في البيوت الشمالية وأجرى فيه المياه من علو وفرشه بالأزهار الباردة. وإن كان باردا سخنه بوقد النار فيه وتوخى المساكن الشرقية أو القبلية وسد الأبواب.

٢٠- وأما كيف يتصور الاستدلال في مثل هذا التداوي من العادات فإن الماء البارد مثلا، الذي نسقيه في الحميات المحرقة كما سيقال بعد، إذا كانت عادة العليل شربه في صحته. فينبغي أن لا يتخوف عليه من شربه وإن كانت كبده أو فم معدته باردة.

وأما إذا لم تكن عادته فإما أن لا نسقيه الماء البارد أصلا. وأما إن سقيناه فأقل كمية وأقل بردا. وذلك أن الطبيعة من شأنها أن تصير الضد شبيها وملائما: وذلك أن الضد متى ورد عليه ضده شيئا فشيئا وطال وروده عليه استعد بذلك لمقاومته ومتى ورد عليه دفعة ومن غير ورود متقدم أفسده، ولذلك متى هجم على الأبدان الحر أو البرد مرضت.

وهذه هي أحد الأمور المقصودة في تدريج الفصول: لأن الأبدان لو خرجت من فصل الشتاء إلى فصل القيظ دفعة هلكت. وقد بلغ من تأثير العادة أن قوما فيما زعموا تعودوا السموم على تدريج بأن تناولوا منها أولا مقدارا يسيرا ولم يزالوا يزيلون شيئا فشيئا فيما يتناولون منها حتى صارت لهم أغذية أو عادت لا تضرهم أصلا. ولهذا السبب بعينه ينبغي للطبيب أن يبدل الأدوية في العلاج، وذلك أنه إذا دام على الدواء الواحد ألفته الطباع فلم تتأثر عنه.

٥- قوة استعمال الضد وكمية المعالجة به

٢١- وأما القوة فالأمر فيها أيضا ظاهر أنه يجب أن يكون أحد ما يتأمل عند المعالجة. وبخاصة المعالجة التي تكون بالاستفراغ. وأما المعالجة التي تكون بمقاومة الضد فقد يظهر أن القوة يجب أن يتأمل فيها أيضا. مثال ذلك أصحاب الدق فإن الاستحمام

بالماء البارد يشفيهم.

لكن إذا صاروا إلى حد قد ضعفت فيه قواهم لم يؤمن أن ينكأ الماء أعضاءهم الأصلية. فيكون ذلك سببا لهلاكهم. كما حكى جالينوس عن الفتى الذي كان به سوء مزاج غير مادي في معدته حار، وكان الأطباء يحمونه الماء، فلما اشتد به الألم شرب ماء كثيرا دفعة بقصد أن يموت إذ رأى أن الموت خير له من تلك الحياة. برى من سوء المزاج الذي في معدته، إلا أنه خدر منه المريء فمات لأنه لم يقدر أن يبتلع شيئا.

٢٢- فأما سوء المزاج إذا كان مع مادة. وهي الحال التي يحتاج فيها إلى جمع النوعين من العلاج. فقد يكون الاستدلال المأخوذ من مضادة سوء المزاج مخالفا للاستدلال المأخوذ من استفراغ المادة: مثال ذلك في الحميات العفونية فإنها من حيث هي سوء مزاج حار يابس تحتاج إلى التبريد والترطيب إلا أن التبريد مما يفجج الخلط الفاعل لسوء المزاج، وفي مثل هذا الموضع يحتاج الطبيب أن ينصرف إلى أهم الأمرين من غير أن يغفل الآخر مثال ذلك أن الأهم في حمى البلغم هو استفراغ المادة والأهم في حمى الصفراء إبطال سوء المزاج.

وأما إذا تساويا في مقدار الخطر فينبغي أن تصرف العناية إليهما بالسواء. وأما إذا لم يهم سوء المزاج فينبغي أن يبدأ أولا بقطع السبب.

فإنه لا سبيل إلى تمام البرء إلا بهذه الجهة، وهكذا ينبغي أن يفهم الأمر في الأمراض المركبة والعرض المضاد للمرض مثل الحمى والغشي: فإن الحمى تقتضي التبريد والغشي يقتضي التسخين. وأيضا فإن الغشي يقتضي التغذية والحمى تقتضي الاستفراغ على ما سيقال بعد.

٢٣- وينبغي أن تعلم ههنا أن العرض المضاد للمرض إنما يكون ضرورة تابعا لمرض حادث مضاد للمرض الأول. مثل الغشي العارض عن الاستفراغ المضاد للامتلاء.

وأما إذا كان سوء المزاج ليس السبب فيه مادة فليس يلفى فيه هذا الاستدلال كالحال في حميات يوم، وكذلك سوء المزاج إذا كان عارضا عن الأشياء التي من خارج وغير متمكن لم يستدل عليه من القوة كالحال في هذه الحمى.

فهذه هي الأشياء المأخوذ منها الاستدلال على معالجة سوء المزاج غير المادي إذا كان في جميع البدن. وأما إذا كان في عضو منه فإنه يستدل عليه كما قلنا بمزاج العضو: مثال ذلك الدماغ، فإن الأطباء يقولون إذا أصابه سوء مزاج بارد استدللنا على أن علته

يسيرة فتكون مداواته بالأشياء الضعيفة الحرارة.

وإذا أصابه سوء مزاج حار استدللنا بذلك على أنه قد خرج عن مزاجه خروجا كثيرا، فعالجناه بالأشياء البالغة في البرد هذا هو قياس قولهم في سائر الأعضاء. وإن كانوا لم يصرحوا بذلك في الدماغ.

٢٤- وهذه المسألة بعينها هي مسألة الشيخ والشاب. بل متى احتجت أن تسخن الدماغ فسخنه بلا توق، ومتى احتجت أن تبرده فتوق أن تضره، وكذلك سائر الأعضاء الباردة كالعصب والأعضاء الحارة ينبغي أن تبردها بلا توقٍّ. وأن لا تسخنها إذا بردت إلا وأنت حذر من أن تضر بها. وكذلك اليابسة والرطبة فإن كل موجود إنما يدخل الضرر عليه من جهة الأسطقس الغالب عليه. وأما منفعة العضو فإذا كانت في البدن كثيرة.وكان رئيسا له أفعال كثيرة فهو أحوج شيء إلى توفير قواه.

وإنما كان ذلك كذلك لمشاركة أمثال هذه الأعضاء للقلب الذي هو ينبوع الحرارة ومعدن الحياة ولذلك لا ينبغي أن تسرف في إدخال الضد على مثل هذه الأعضاء. وبخاصة الكيفية الباردة. ولهذا ما يتوقى إذا حدث بالكبد مزاج حار أن نبرده بالأشياء الباردة في غاية التبريد. وإن كان هذا الاستدلال هو على مقدار الاستفراغ أدل. أعني الاستدلال الذي يكون من جهة شرف العضو. وأما مشاركته فقد يؤخذ منها ههنا أيضا الاستدلال:

فإن فم المعدة لمشاركته للدماغ ينبغي أن لا نبرده تبريدا شديدا وإن أصابه سوء مزاج حار لمشاركته للعضو البارد. وكذلك الكبد لا ينبغي أن نبردها جدا لمشاركتها للقلب. وبالجملة فينبغي في استعمال الضد في الأعضاء الرئيسة أن تشتد العناية بأمر القلب لموضع مشاركته لهذه الأعضاء: فإنه جميعها بالقوة وإن كان واحدا بالفعل على ما تبين في كتاب الصحة، فمتى كان في الكبد سوء مزاج حار فينبغي أن نقصد مع تبريده تبريد القلب أيضا بالأدوية التي تفعل ذلك.

فإنه غير ممتنع أن يكون السبب في سوء مزاج الكبد القلب أو يعود ضرورة سوء مزاج الكبد فيؤثر في القلب. فلهذا ما ينبغي أن لا نهمل العناية بأمر القلب في الأعضاء الرئيسة. وليس ينبغي أن يفهم هذا في التبريد والتسخين والترطيب والتيبيس فقط بل وفي جميع الأفعال من التقوية وغير ذلك من الأفعال الثواني والثوالث.

وأما الاستدلال من الوضع ههنا فظاهر أيضا: وذلك أن سوء المزاج إذا كان في عضو في ظاهر الجسم لم يحتج من الأدوية إلى أدوية قوية الكيفية.

وأما إذا كان في داخل البدن فإنه يحتاج إلى أدوية قوية لأنها تضعف عند مرورها بسائر الأعضاء كالحال مثلا في الرئة فهذا هو القول في دلالة هذه الأشياء على كمية المعالجة بالضد.

وقد ينبغي أن نقول بعد في دلالتها على كمية الاستفراغ وبخاصة نوعي الاستفراغ الذي هو الفصد والإسهال. فنقول:

٦- كمية الاستفراغ: الفصد والإسهال

٢٥- إنه إذا اقتضت طبيعة المرض الفصد فينبغي أيضا أن ننظر إلى السن والهواء والمزاج والتدبير والعادة. فإن كان جميع هذه مناسبا للمرض فلنقدم على الفصد من غير توق. وكذلك أيضا متى لم يكن في البدن عضو رئيس به آفة أو مرض يضاد بذلك دلالة الاستفراغ مثل أن يكون بارد فم المعدة، أو يكون في البدن حالة لا يصلح معها استفراغ الدم مثل التخمة. أو تكون قد أتت على العليل من مرضه أيام حتى ضعفت قوته، أما السن يناسب إخراج الدم فهو سن الشباب.

وأما السن الذي يقع فيه الفصد في غير سن الشباب. لكن من بعد أن ينقص من كميته. فهو من أول الأسبوع السادس في الأكثر إلى السبعين، ومن بعد ذلك فلا يفصد أصلا. وإن كان قد يوجد من يحتمل الفصد وهو ابن ثمانين . وأما من دون الأسبوعين على رأي جالينوس فلا يفصدون أصلا، وإن حثت على ذلك طبيعة المرض كل الحث، قال أبو مروان بن زهر أما أنا ففصدت ابنا لي من ثلاث سنين وأنقذته بذلك من الموت.

٢٦- وأما القوة فإذا كانت ضعيفة جدا فليس تنقص من كمية الفصد بل قد تمنع منه أصلا، وإن كان ذلك العليل لا يعيش دون أن يفصد لم يكن سبيل إلى برئه. كالحال في كثير من أمراض الشيوخ.

٢٧- أما الفصل المناسب لإخراج الدم فهو فصل الربيع. وأما فصل الصيف فيضاد أيضا إخراج الدم لضعف القوى فيه وتحلل الأرواح، لكن إذا أوجبت ذلك طبيعة المرض فإنما له تأثير في كمية الاستفراغ فقط.وأما فصل الشتاء فيضاد أيضا الفصد لجمود الدم في ذلك الفصل وغلظه.

وأما فصل الخريف وإن قارب أن يشبه الربيع في اعتداله في البرد والحر فلموضع يبسه وتشتت القوى فيه. وضعفها من فعل الصيف المتقدم قد لا يلائم أيضا ذلك الفصد.

٢٨- لكن هذه كلها إنما تنقص من كمية الاستفراغ إذا أوجبت ذلك طبيعة المرض. وإذا كان المقصود بالفصد عضوا ما من أعضاء البدن. ولم يكن الامتلاء إلا في

ذلك العضو، كان دليلا على نقصان كمية الدم، وينبغي في مثل هذه المواضع أن يخرج في مرتين أو ثلاث. لأن لا يلحق عن ذلك ضرر في إخراجه دفعة.

٢٩- وأما شرب الدواء المسهل فإنه أيضا يستدل على مقدار الاستفراغ فيه من هذه الأشياء فلا يستفرغ به الصبي أصلا ولا الشيخ الهرم ولا يستفرغ به في الصيف ما لم تدع إلى ذلك ضرورة. وذلك أنه لا يؤمن لموضع يبس الفصل وحره أن يورث العليل مزاجا شبيها بهذا المزاج، وكذلك لا يستعمل في فصل الشتوة لعسر إجابة الأخلاط. وأما الخريف والربيع فحمد الأطباء استعماله فيهما.

وذلك أن الأخلاط في الخريف أكثر ذلك إنما هي خارجة عن الطبع في كيفيتها لكن رأوا من لم يضطره إلى ذلك أمر وإنما يأخذ الدواء على وجه حفظ الصحة أن يأخذه بعد نزول المطر لأن المطر حينئذ يكسر من يبس الصيف.

وأما شهادة المزاج للاستفراغ بالدواء، فإذا كان الخلط مناسبا للمزاج فينبغي أن يستفرغ بلا توق، وإذا كان بخلاف ذلك نقص من كمية الاستفراغ. والعادة لها تأثير في هذا الموضوع كما لها تأثير في غير ذلك من الأشياء.

٣٠- وأما إذا كان المقصود استفراغه عضوا من أعضاء البدن فقد يستدل على استفراغه كما قلنا من وضعه ومن مشاركته. مثال ذلك أن الدماغ متى أردنا استفراغه بالفصد، فصدنا القيفال لمشاركته للدماغ أكثر من الباسليق. والمشاركة نافعة جدا في الاستفراغ الذي به يقصد الجذب إلى خلاف.

مثال ذلك أنه إذا أفرط دم الطمث وضعنا المحاجم بين الثديين، وإذا أفرط الرعاف وكان من المنخر الأيسر وضعنا المحاجم على الطحال، وإذا كان من الأيمن وضعناها على الكبد. وأما من الوضع فمثل أن العضو إذا قصد استفراغه وهو في أعلى البدن كان استفراغه من أسفل أنجع، إذ يجتمع في هذا الاستفراغ والجذب إلى خلاف ولهذا يحمد القيء في الأمراض التي في أسفل البدن والإسهال في الأمراض التي في أعلى البدن.

وأما شكل العضو وخلقته فمنها أيضا يوقف على جهة استفراغه، مثال ذلك أنا قد علمنا من خلقة المعدة أنها تستفرغ من جهتين: بالقيء وبالإسهال. وكذلك علمنا من خلقة الكبد أنها تستفرغ من محدبها بإدرار البول ومن مقعرها بالإسهال.

وعلمنا أيضا من خلق هذه الأعضاء وكونها طريقا للأدوية أنه لا يبغي أن تستفرغ الأورام الحادثة فيها بالإسهال لموضع مرور الدواء المسهل بها ونكئه لها ولأورام الحلق بالغرغرة.

٣١- وأما عظم منفعة العضو وشرفه فقد يدعونا أيضا إلى توفير قواه في الاستفراغ من جهة مشاركة العضو الرئيس، بإطلاق وهو القلب. مثال ذلك ورم الكبد إذا تناهى، فإن الورم من حيث هو ورم في هذا الوقت يوجب التحليل ومن حيث هو في هذا العضو يجب أن لا يخلو الدواء المستعمل مما فيه قبض وعطرية.

وكذلك العضو الذكي الحس لا يحتمل قوة الاستفراغ. وأما نفس سوء المزاج فقد يظن به أيضا أنه يضاد الاستفراغ للمادة الفاعلة له. وذلك بالاستفراغ الذي يكون بالأدوية فقط لموضع زيادة الأدوية بحرارتها في سوء المزاج. وأيضا فإن الاختلاف في نفسه يحر المزاج. وهذا هو أحد الأمور التي دعت بعض الأطباء أن لا يستعمل الدواء المسهل في أوائل الحميات مع عسر الأخلاط في ذلك الوقت، وسنتكلم في هذه المسألة فيما بعد.

٣٢- وأما الحامل فإن أبقراط رأى أن لا تفصد إذا تحفظ بجنينها إلا في الشهر السابع أو السادس أو نحوه، لأن الجنين حينئذ أقوى ما هو. وكذلك في ما أحسب أباح استعمال المسهل من الشهر الرابع إلى الشهر السابع إذا كانت الأخلاط في بدنها هائجة.

وأما أنا فأقول إذا كان استعمال الفصد إذا كان هنالك امتلاء زائد على ما يحتاج إليه الجنين فلا بأس به. وأما استعمال الأدوية المسهلة فإني لا آمن من غائلتها على الجنين من جهة أن فيها جوهرا سميا، وأيضا فإن الجذب ربما تعدى إلى أخلاط الجنين فقتله، وأيضا فإن الأدوية المسهلة مدرة للبول، والمدر للبول من جنس المدر للحيض، والمدر للحيض مسقط للأجنة.

٣٣- فهذه هي جميع الدستورات والقوانين الكلية التي تتنزل من معالجة سوء المزاج المادي وغير المادي بمنزلة الأسطقسات والمبادئ لجميع ما يراد أن يتكلم فيه من معالجة سوء المزاج، فلنبتدئ بمعالجة صنف صنف منه، ولنجعل تقسيمنا ههنا له على هذه الجهة. وإن كانت على غير الجهة التي سلفت في كتاب المرض، لأن هذه الجهة هي الأنفع ههنا، فنقول:

٣٤- إن سوء المزاج المادي وغير المادي إما أن يكون في جميع البدن. وأشهر هذا الصنف هي الحميات. وإما أن يكون في عضو منه. وهذا أيضا إذا كان ماديا صنفان: إما أن يكون مصبوبا في تجويف ذلك العضو أو متشربا في جرمه فقط من غير أن يعتريه به غلظ خارج عن الطبيعة. وإما أن يعتريه به عندما يتشرب في جرمه غلظ خارج عن الطبيعة. وهو المسمى ورما. فنبتدئ نحن أولا بذكر سوء المزاج العام وهي الحميات، ثم

نذكر سوء المزاج الذي يوجد في عضو ما من أعضاء البدن.

أي عضو كان، المادي من ذلك وغير المادي، ثم نذكر الأورام ونذكر أيضا.مع ذكرنا الأورام والحميات. مقاومة الأعراض التي كثيرا ما تعرض معها فتعوق عن علاجها. ولنبدأ من الحميات بأكثرها دورا وهي حمى يوم. فنقول:

٧- حمى يوم

٣٥- إن هذه الحمى المقصود من شفائها غرضان: أحدهما قلع سوء المزاج الحار اليابس الذي هو جوهرها. وذلك يكون بالبارد الرطب. والآخر العناية بأن تورد على البدن شيئا مضادا للسبب الفاعل للحمى الذي من خارج. وذلك أن هذه الحمى ليست شيئا أكثر من سوء مزاج غير مادي يعرض عن الأشياء التي من خارج، كما لاح ذلك في كتاب المرض. وهذه الحمى يؤخذ الاستدلال على مقدار تبريدها وترطيبها من المزاج والهواء والسن والعادة والتدبير، ومن السبب الفاعل لها أيضا.

والتبريد يستعمل في جميع هذه الحميات بالذات وبالعرض: أما الذي بالذات فبالأدوية والأغذية، وأما الذي بالعرض فبالاستحمام بالماء الفاتر. فإن هذه الحمى لما كانت حمى الروح لزم أن يعرض عنها في البدن أبخرة دخانية متى لم تحلل أشعلت الجسم ولم يؤمن أن تعود نوبتها ثانية وثالثة. حتى لعل نوبتها تفضي إلى حمى العفونة.

فلذلك كان دخول الحمام لجميعهم مداواة عامة أعني الماء من الحمام فقط. وهم يختلفون في استعماله بقدر اختلاف الأسباب الفاعلة لحمى حمى من هذه الحميات، فلنذكر من أصنافها أكثرها دورا.

٣٦- فمن ذلك أن هذه الحمى كثيرا ما تحدث عن استحصاف الجلد. وذلك إما لبرد وإما الاستحمام بالأشياء القابضة كالشب والامتناع من دخول الحمام، وإما من يبس البدن كالتعرض للهواء الحار، وأكثر الناس وقوعا في هذه الحميات هم أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة، وهم الذين كلامنا فيهم في هذا الموضع . ثم بعدهم أصحاب الأمزجة الحارة الرطبة. ثم يليهم أصحاب الأمزجة الحارة فقط فأقول:

٣٧- أما من حُمَّ من استحصاف بدنه لتركه دخول الحمام أو لاستحمامه بعض المياه القابضة. فإن العلاج الذي يجب أن يكون ههنا مقابل الشيء الذي من خارج، هو الاستحمام بالماء الفاتر بعد انقضاء نوبة الحمى والدلك الذي يرخي المسام بالدهن الفاتر الذي ليس فيه كيفية قابضة. ولست تحتاج أن تدخله الحمام مرتين أو ثلاثا. كما كان يفعل جالينوس. فإن ذلك إنما هو تدبير ينبني على عادتهم في كثرة دخول الحمام.

وأما استعمال الماء البارد بعد الاستحمام بالماء الحار في صاحب هذه الحمى فإني أرى فيه تكثيفا للمسام، إلا أن يحدس أن المسام قد تفتحت بأكثر مما ينبغي أو استحر الجسم أكثر مما ينبغي، فحينئذ يجب أن نغمسه في الماء البارد. ثم عند الخروج من الحمام، إذا كان حار المزاج يابسه وكان الفصل حارا، فأوفق الأغذية له ماء الشعير:

وذلك أنه يبرد ويرطب مع أنه يعين على خروج الفضول من جميع سبلها. فإذا انهضم ماء الشعير فليأكل السمك الرخص الرضراض، ولحوم الجداء والفراريج وما أشبه ذلك بالخبز المحكم الصنعة. فإن عاودت نوبة ثانية فينبغي أن يجتهد في تفتيح المسام، وبالجملة في رفع السبب الذي أعادها، وذلك باستحمامه مرة ثانية وتدبيره ذلك التدبير بعينه، وقد تحدث أيضا هذه الحمى كثيرا عن السهر والغضب والهم والتعرض للشمس. ومداواة هذه تخالف مداواة تلك من جهة خلاف السبب الفاعل فقط.

٣٨- أما من حم بسبب غضب فإنهم يحتاجون إلى التبريد أكثر ممن حم عن سهر أو غم. وليس يحتاج واحد من هؤلاء إلى الدلك أصلا، ويحتاج من حم من سهر أن ينوم. ومن حم من حزن أن يورد عليه سبب مضاد للحزن.

وكل هؤلاء يستعملون من الحمام الماء الفاتر فقط وصاحب السهر وصاحب الغم يحتاجان إلى الترطيب أكثر. وأما من حم من قبل التعرض للشمس فهو يحتاج إلى التبريد أكثر.ولذلك ينبغي أن يكثر المقام في الماء الفاتر ويمرخ بالأدهان الباردة كدهن البنفسج. وأما رأسه فيجب أن ينطل، إذا شكا صداعا من الحر، بدهن ورد مبرد في البئر أو في الثلج بيسير خل، ويصب على رأسه من علو، ولا يزال يفعل ذلك به إلى وقت انحطاط الحمى. وأما من حم من سبب برد أصابه فقد ينبغي أن يدخل الحمام وهذا يحتاج إلى الهواء الحار منه. ويكون الطعام الذي يتناول بعد خروجه من الحمام معتدلا أو مائلا قليلا إلى الحر، وأوفق الأشياء لهم ماء العسل.

ثم يتناولون بعد خروجه عن المعدة بعض الطيور التي فيها خفة مع يسير إسخان. كاليمام والسمان وما أشبه ذلك و ينبغي أن تنطل رءوس هؤلاء بدهن السوسن وما أشبهه من الأدهان الحارة بعد الحمام وقبله كما ينطل رأس من أصابته الشمس بالأدهان الباردة بعد الحمام وقبله.

وكما أن هذه الأدهان يتحرى أن تكون باردة بالفعل كذلك ينبغي أن تكون الأدهان. الحارة حارة بالفعل، وذلك أن تسخن في إناء مضاعف. ومعنى ذلك أن يكون طبخها بواسطة الماء.

٣٩- وبالجملة، كما قلنا، دخول الحمام علاج عام لأصحاب حمى يوم إلا من كان به زكام سببه برد، أو حم من قبل ورم في أطرافه أو عقر أصابه أو عفن به، معه ورم الأربيتين والإباط.قال جالينوس: وأما إن كان سبب الزكام حارا فينبغي أن يدخلوا الحمام.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الحمام يفي بانضاج الأخلاط اللطاف وإخراج ما ليس شأنه منها أن يقبل النضج. وأما الأخلاط الغلاظ فتنتشر في الحمام وتذوب وتسدد، وإنما يستعمل الحمام فيها بعد ظهور النضج، والأنبذة البيض المائية الألوان التي فيها عطرية نافعة لجميع هؤلاء إن كانوا ممن جرت عادتهم باستعمالها بعد أن يأخذ الطعام في الهضم. أعني يستعملونها بدل الماء، إما صرفا وإما ممزوجة.

وذلك أن فيها منافع ليست في الماء. وذلك أنها تمنع الطعام أن يطفوا في فم المعدة. وتحلل النفخ وتدر البول والعرق وتعين الطباع على إخراج جميع الفضول. فإن أكثر من يحم بهذه الحمى تضعف هضومهم ضرورة ولا سيما من حم من سهر أو غم.

وأما من حم من إعياء فتدبيره تدبير صاحب الإعياء إلا أنه يمال به إلى البرد ويكثر من كمية غذائه من غير أن يتخم. ومن حم من الجوع فينبغي أن يطعم طعاما سريع الغذاء إلى البرودة والرطوبة. ولذلك أمثال هؤلاء إذا لحقتهم في أول ما تظهر بهم الحمى فأطعمتهم لم يحموا، وأما من حم حمى يوم من سدد تصيبه فإن وفى هذا التدبير بتفتيح سدده في ثلاثة أيام بعد أن تزيد في ذلك أن تدلكه بشيء ينقي بدنه مثل بزر البطيخ أو دقيق الشعير أو دقيق الباقلى[١].

وأقوى من ذلك دقيق الكرسنة[٢] ، وأن تسقيه أيضا بعض ما فيه تفتيح للسدد، مثل شراب السكنجبين مع عود السوس وحشيشة البرشاوشان[٣]، وزهر البنفسج فهي

---

(١) الباقلي: الباقلاء وهو الفول المعروف، وأجوده السمين الأبيض الذي لم يتسوس وأرداه الطري، وإصلاحه في إطالة نقعه وإجادة طبخه وأكله بالفلفل والملح والزعتر والمطبوخ منه بخل وماؤه ينفع من الإسهال المزمن وخصوصا إذا كان بقشره.

(٢) هي الجلبان وتسمى أيضا الكرفالا، حب نبات معروف في حجم العدس غير مفرطح بل مضلع لونه ما بين، الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس، وهو يبدل الدم لشدة أضراره ويصلحه ماء الورد وشربته إلى ثلاث.

(٣) هي حشيشة دقيقة منبتها حياض المياه والشطوط والأنهار يشبه الكسيرة الرطبة. لكن قضبانها حمر تميل إلى السواد بلا ساق، وبلا زهر ولا نور، وهو معلل ملطف وهو مع دهن الآس والشراب يطول الشعر وينفع من البواسير والقروح الخبيثة والرطبة وينقي الرئة جدا وينفع السعال ويدر البول ويفتت الحصاة.

من جنس هذه الحمى. وإن لم يف هذا التدبير به وبقيت به هذه الحمى الثلاثة الأيام أو زكنت من أول الأمر أن به من الامتلاء ما إن استعملت معه التفتيح دون استفراغ عام أضررت بالمريض .

وذلك أن الأبدان المملوءة هذه الأدوية أحرى أن تزيد في سددها من أن تفتحها. فعلاجها داخل في جنس آخر من الحميات كأنه متوسط بين حمى يوم وحمى عفونة. وهو الفصد أو تليين الطبيعة. وذلك بحسب ما تراه من الدلائل التي سلف ذكرها وبحسب ما تستفيد من القوة التجريبية . فإن ما وصف من ذلك بالقول ليس يوقف منه على المقدار الذي ينبغي أن يستعمل من ذلك في شخص شخص، بل إنما ذلك إلى القوة الفكرية التجريبية.

٤٠ - ولذلك ما كانت هذه الصناعة تحتاج بعد حصول الأمور الكلية التي فيها إلى تجربة تحصل منها مقدمات جزئية تستعمل في شخص شخص. وليس يمكن أن تكتب هذه المقدمات في كتاب، إذ كانت غير متناهية.

وهذا الجزء من الطب هو الذي أرى أنه يعوقني عن الكمال في هذه الصناعة. وذلك أني لم أزاولها كبير مزاولة اللهم إلا في نفسي أو في أقرباء لنا أو أصدقاء ولم أكن أيضا أتولى علاجهم بل كنت أتفحص ما يعرض لهم من التغايير عند معالجة الأطباء لهم في وقتنا الذين هم أبعد خلق الله عن هذه الصناعة. ما خلا هؤلاء القوم بنو زهر وبخاصة أبا العلاء وابنه أبا مروان. هذا المعاصر لنا، فإن هؤلاء القوم كما قلنا هم على الطريقة الطبية.

٤١ - وكثيراً أيضا ما تصيب هذه الحمى عن التخم وبخاصة الحارة، وذلك للناس الذين أبدانهم حارة يابسة وهم الذي كلامنا فيهم ههنا. وذلك إنما يكون إذا استحالت الأطعمة في معدهم إلى الدخانية. ولأن كثيرا ممن تعرض له هذه التخم إما أن يصيبه ذرب وذلك لمكان فساد الطعام ولذعه. وإما أن يصيبه امتساك البطن وهذا أردأ الصنفين.

وإنما يعتري ههنا امتساك البطن لموضع اليبس والحرارة واختلال القوة الدافعة، فقد ينبغي أن نفصل علاج كل واحد منهما. أما الذي يصيبه الاستفراغ. فإنه ينبغي أن يتأمل أمره: فإن كان الخلط قد خرج بأسره وانقطع الاستفراغ فليدخلوا الحمام وليغذوا بأغذية فيها تقوية للمعدة.وتدهن معدهم بالأدهان المقوية. وأما متى أفرط الاستفراغ فإن الأجود أن لا تدخلهم الحمام، هكذا يقول جالينوس.

٤٢ - وأما الحدث من الأطباء فإنهم يعالجون استفراغ البطن الشديد بدخول الحمام، وذلك أن فيه جذبا إلى ضد الجهة وهو وإن كان كما زعموا فهي مداواة بالعرض

إذ كانت بالشبيه، وينبغي أن يتجنب ما أمكن ذلك بل نغذوهم من غير أن ندخلهم الحمام بعد أن نعنى بأمر معدهم. وذلك يكون إن كان الاستفراغ قد انقطع بأن نضع على معدهم صوفا مبلولا بزيت طبخ فيه أفسنتين[1]، وإن كانت تلك الصوفة مغموسة في دهن الناردين[2]، فهو أفضل وأقوى من هذه كلها، وأفضل أن تأخذ مصطكي فتسحقها مع دهن الناردين حتى تصير في قوام وسخ الحمام، ثم نغمس فيها لبدا ونضعها على فم المعدة. قال وينبغي أن تكون هذه الأدهان مسخنة في إناء مضاعف إذا أردنا استعمالها فإن الفاتر يرخي فم المعدة.

وبالجملة الأعضاء الرئيسة ليس ينبغي أن نقرب منها دواء باردا بالفعل وإن كان باردا بالقوة. وإن كان الالتهاب في فم المعدة ظاهرا فلنخلط مع هذه الأدهان شيئا من ماء السفرجل وعصارة ورق أطراف الكرم، وقد تركب هذه الأدوية مع القير ويتخذ منها قيروطي ليكون لزومها للمعدة أوفق.

٤٣- وقد يعترض معترض هذا العلاج ويقول: هؤلاء فم المعدة منهم حار فما بال جالينوس يعالجهم بدهن الناردين مسحوقا بالمصطكى. فنقول نحن: إن الاستدلال المأخوذ ههنا من سوء المزاج نفسه غير الاستدلال المأخوذ من العضو نفسه .

وذلك أن هذا العضو من شأن هذه الأدوية تقويته، أعني الأدوية التي فيها قبض يسير ومرارة مع عطارة. ولهذا ما كان أصحاب التجارب لا يعالجون ضعف المعدة بأكثر من هذه الأشياء، فكانوا ربما أضروا كثيرا من الناس، كما حكى جالينوس أنه عرض لمن

---

(١) هو نبات أنبوبي الزهر زكي الرائحة، مر وحريف الطعم، يعرف في المغرب بالسيبة ويضاف إلى الشاي كالنعناع، ويعرف في مصر بالدمسيسة ويستعمل في صناعة بعض أنواع الكحول، وهو مقوّ للجهاز الهضمي، منبه ومنشط للرحم، طارد للديدان، مضاد حيوي، منبه ونشط للصفراء ، طارد للريح مطهر، هذا النوع منبه للأعصاب، منظم للحيض، مضاد للرثية.

(٢) وهو السنبل الرومي وهو الإقليطي وهو حريف مر قليلا معتدل البرودة جاف، وهو مهدئ فهو يسكن الأعصاب دون أن تكون له التأثيرات الجانبية التي تنتج عن الأدوية التقليدية المتشابهة، لهذا النبات رائحة مميزة كريهة إلى حد ما وقد أطلق عليه الطبيب اليوناني جالينوس بحق إسم (فو). وقد أجريت على الناردين أبحاث موسعه أظهرت وجود مواد كيميائية تدعى فاليبوتريات في خلاصات النبتة، ويبدو أن هذه الخلاصات تثبط الجهاز العصبي في حين أن النبتة الطازجة مركزة أكثر، ثم يجب عدم الخلط بين الناردين المخزني (الطبي) والناردين الأمريكي الأحمر الذي يزرع في الحدائق والذي لا يتمتع بأية خصائص طبية.

به سوء مزاج يابس فقط في معدته أو يابس حار.

٤٤- وإذا كان ذلك كذلك نظرنا فإن كان سوء المزاج في حد ليس يجب أن تصرف العناية إليه مزجنا الأمر. وذلك بأن نضيف إلى تلك الأدوية أدوية باردة، لكن نتحرى مع ذلك أن تكون موافقة لها في قوة القبض. وهذه الأدوية كثيرة. وأما متى كان الاستفراغ بعد لم ينقطع فقد يجب مع هذا كله أن نغذوه بما فيه قبض.

وذلك أيضا بحسب قوة الاستفراغ وضعفه: يكفي في اليسير منه الخبز المحمص بشراب الورد أو شراب السفرجل. وإن كان أقوى من ذلك فاعتمد في ذلك على الأدوية القابضة. والسويق المعمول من ماء الشعير مع ماء السفرجل أو ماء الكمثرى أو ماء الرمان غذاء صالح لهم كما يقول جالينوس.

وأما إن كان الإسهال قد انقطع فحسو فتات الخبز جيد لهم. ومتى عرض لهؤلاء سقوط الشهوة فقد ينبغي أن يعطوا جوارش السفرجل مع يسير مصطكى وشيء من أطراف الكرم.

وجالينوس يطعمهم في هذه الحال الدواء المتخذ من السفرجل الذي وصف تركيبه في آخر كتابه في تدبير الصحة، وهو دواء يقع فيه فلفل وأشياء حارة ينبغي أن تتجنب في إقليمنا. بخاصة في زمان الصيف في المحرورين المزاج.

٤٥- فأما من احتبست طبائعهم منه فقد ينبغي أن ننظر أين وقوف الطعام منهم: هل في معدهم أو فيما دون المعدة من الأمعاء؟ فإن كان وقوف الطعام في المعدة فإن جالينوس يأمر أن يعطوا الدواء المتخذ بالثلاثة الفلافل. قال: ولا يكون من القوي بل من الذي ذكر تأليفه في كتاب تدبير الأصحاء. وهذه المعالجة هي لعمري في الاستحالة إلى الحموضة معالجة مطابقة. وأما في مثل هذه التخم الحارة فكيف يمكن أن يعد هذا علاجا لها.

ولكن لمحتج أن يحتج لجالينوس ويقول: ألم يتبين في كتاب المرض أن قوى الأعضاء تضعف عن سوء المزاج الحار، كما تضعف عن البارد، إذ كان كل عضو إنما يفعل فعله بحرارة مقدرة، ويكون ضعفها: أما عن المزاج البارد فبالذات ومن جهة ما هو ضد.

وأما عن الحار فبالعرض: مثل الشمس التي تطفئ النار والسراج الذي ينطفئ إذا أدخل في التنور مع ما يحدث اللذع في هذه التخم الحارة من ضعف المعدة؟ وإذا كان هذا هكذا فإنما لحظ جالينوس البرد العرضي الذي أصاب المعدة في مثل هذه التخمة فقصد إلى معالجته.

٤٦- وهذا وإن كان الأمر فيه على هذا فقد كان ينبغي له أن يصرف من العناية

حظا لسوء المزاج الحار حتى يخلط العلاجين. ولكن يعينه على هذا إقليمه.

أما أنا فأرى في هذا الموضع أن أنفع الأشياء لهم جوارش السفرجل المتخذ بالعود والمصطكي والقرنفل، وذلك بأن يتوخى في تأليفه أن تكون برودة لحم السفرجل تقاوم حرارة تلك حتى يكون الدواء معتدلا في الحر والبرد، ولن يخفى عليك كيف تأليف مثل هذا المركب من القوانين الكلية التي ذكرناها في التركيب. وإن كسرت قوى هذه الأدوية الأول بغير السفرجل أيضا، مثل أطراف الكرم و غير ذلك من الأشياء الباردة القابضة. كان حسنا.

٤٧- والمعالج إنما يعمل في هذه الأشياء بحسب ما يرى صرف العناية إليه أهم. ولذلك قد يكون الأولى في بعض المواضع بأن يضيف من هذه الأدوية إلى لحم السفرجل ما يكون المجموع منها حرارته في الأولى إذا رأينا أن الأهم صرف العناية إلى برد المعدة.

كما أنه أيضا في بعض المواضع قد تقلل كمية تلك الأدوية الحارة إذا كان الأهم صرف العناية إلى سوء المزاج الحار. وجالينوس يأمر أيضا أن ينطل البطن من هؤلاء بالماء الحار، يقصد بذلك الإرخاء. لكن من حيث الإرخاء مضر بالمعدة فقد ينبغي أن يستعمل فيها بحذر. فإن الإرخاء وإن كان موافقا لهذا المرض إذ كان أحد ما يعرض عند احتباس الطعام ضيق المجاري فإن طبيعة هذا العضو تقتضي ضد ذلك.

ولذلك ينبغي أن نمزج الأمرين أو نصرف العناية إلى أهمهما. وأما متى كان الطعام قد انحدر عن المعدة فالنطول لهم دواء جيد، إلا أنه قد يخاف منه أيضا انتشار ذلك الغذاء الفاسد في الأعضاء المنطولة. والحقن في هذا الموضع أولى الأشياء بإسهالهم. أما متى لم يكن هنالك لذع ولا نفخة فتكفي في ذلك الحقن المؤلفة من العسل والزيت ويسير ملح. وإن كان هنالك لذع فشحم البط أو شحم الدجاج.

وإن كانت هنالك نفخة فليطبخ مع الزيت شيء من سذاب وبزور تحلل الرياح مثل بزر الكرفس والكمون وبزر الرازيانج والكرويا. وحدوث النفخ في هذه التخم دليل على أن الحرارة الغريزية فيها ضعف. ولذلك ليس ينبغي أن يقصد فيها إلى التبريد فقط ولا إلى التسخين، بل يمزج الأمران جميعا. وربما تمادت الحمى بهؤلاء إلى الثلاثة الأيام فلا تجزع، ودبرهم بعد انطلاق بطونهم وانقضاء نوبتهم بدخول الحمام والأغذية الخاصة بأصحاب هذه الحمى.

٤٨- قال وأما التخم الحامضة فليس يكاد تعرض عنها هذه الحمى إذ كانت هذه التخمة ليس يتولد منها جوهر دخاني يلهب الروح، وليس يمتنع أن يعرض ذلك من جهة

السدد فقط وينبغي أن تعلم أن أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة قليلا ما تعرض لهم هذه الحمى. وكذلك الباردة اليابسة والباردة مفردة واليابسة مفردة.

وكأن البدن البارد الرطب هو في مقابله هذا البدن الذي وصفنا أنه أكثر استعدادا لقبول هذه الحمى وهو الحار اليابس. ولذلك أضر شيء على هذه الأبدان التجويع والرياضة، وترك الاستحمام أوقع شيء لها في حمى يوم. وأكثر الأبدان احتمالا لهذه الأشياء هي الأبدان الرطبة الباردة. وأما من حم من ورم في الحالبين أو في الإبطين فالعناية بأمرهما إنما هو معالجة تلك الأورام. وينبغي أن يتحرى الإسهال في من حم من زكام أو الفصد إن ظهرت علامات غلبة الدم، فإن بذلك تحفظهم من أن يقعوا في أمراض صعبة. وجالينوس يدخل أصحاب أورام الأربيتين الحمام ويقول إنهم يحتاجون منه إلى الهواء الحار. ولست أرى ذلك اللهم إلا بعد الانحطاط.

٤٩- وهذا الذي قلناه كاف في معرفة ما تعالج به حميات يوم من سائر الأسباب الأخر التي عددت في كتاب المرض. وينبغي بعد هذا أن نصير إلى القول في الحميات المطبقة. إذ كانت هذه الحميات كأنها وسط بين حمى يوم والعفونية. فنقول:

٨- الحميات المطبقة

٥٠- إنه قد لاح في كتاب المرض أن هذه الحمى إنما تعرض من قبل السدد لكثرة الدم، وأنها صنفان: صنف لم يتعفن فيه الدم بعد. وصنف قد أخذ فيه الدم في التعفن، وأن كل واحدة من هذين إما أن تكون متساوية إلى آخر انقضائها، وذلك إذا كان ما يتولد فيها من الأبخرة الدخانية مساويا لما يخرج من المسام.

وإما أن تكون متزيدة وذلك أيضا إذا كان المتولد فيها من الأبخرة أكثر مما يتحلل ويخرج، وإما أن تكون متنقصة وذلك أيضا إذا كان الأمر فيها بالعكس: أعني أن يكون المتولد أقل من المتحلل. فمن حيث هذه الحمى إنما تعرض عن الامتلاء الذي بحسب الأوعية فمعالجتها ضرورة إنما تكون بفصد العرق، وبخاصة التي لم يتعفن فيها الدم بعد وذلك أيضا بعد أن نقدر سائر الأشياء التي تدل على كمية الاستفراغ.

٥١- وجالينوس يرى في هذا الموضع إذا كانت القوة قوية أن يخرج لهم من الدم إلى أن يغشى عليهم ولابد. قال: فإن بذلك تبرد أبدانهم على المكان بردا سريعا. وربما انطلقت طبائعهم بمرار أو قيء. وبالجملة فيرى أن هذا العلاج ضروري في هذه الحمى.

٥٢- وأنا أرى أن هذا المقدار من الاستفراغ غير صناعي، وأن صاحبه مخطئ

قطعا، وذلك يظهر من أن الصناعة إنما تتقيل[١] أبدا الطبيعة. ولم يقع قط بحران محمود بدم يبلغ به صاحبه إلى الغشي، بل إنما يقع ذلك في البحارين الرديئة وهي التي تفرط فيها القوة الدافعة فتدفع أكثر مما يجب دفعه. وأيضا إذا كان المقصود في الاستفراغ بما هو استفراغ إنما هو إزالة الكمية الزائدة على الكمية الطبيعية للدم أفترى إنسانا يخرج من دمه حتى يبلغ الغشي ولم تنقص كمية الدم الطبيعية في بدنه؟ هذا شيء لا أراه ممكنا.

وإنما قصد جالينوس بهذا التدبير تبريد البدن دفعة. فكأنها معالجة بالعرض مع ما فيها من الخطر. والأولى أن يبقى من الحرارة الغريبة شيء من أن يذهب شيء كثير من الحرارة الغريزية.

مع أنه غير مأمون أن يكون من هذه حالة ربما كان في بدنه استعداد لتعفن خلط ما. فعندما تقل حرارته الغريزية يتعفن ذلك الخلط وقد ذهبت قوته فيموت ضرورة.

وهذا كله مع أن العلامات التي يوقف بها على أن الحمى خالصة من العفونة علامات ظنية تخمينية. فكم في هذا من الغرر؟ وأما متى ظهرت في هذه الحمى علامات العفونة وذلك في البول والنبض فليس ينبغي أن يفصدوا إلى الغشي.

وذلك أن الحمى العفونية لابد لها أن تبقى بعد الفصد إلى أن تنقضي في السابع أو الرابع فيحتاج إذ ذلك إلى أن يبقى من القوة ما يفي بمقاومة بقية المرض.

٥٣- قال جالينوس: وأما متى عالجت هذه الحمى، يعني الدموية العفونية، وقد ضعفت القوة، قال وليس ضعف القوة بعدد الأيام، يشير إلى الذين يحدون وقت استعمال الفصد بأول المرض، فقد ينبغي حينئذ أن نسقيهم الماء البارد المثلج حتى تخضر أبدانهم على المكان. لكن بعد شروط: أحدها أن يكون المرض قد نضج وأن لا يكون في الأحشاء ورم وأن لا يكون لذلك العليل عضو ضعيف ، مثل أن يكون بارد في المعدة. قال وكذلك متى لم يكن ذلك العليل، قد اعتاد شرب الماء البارد.

وإنما كان ذلك كذلك لأن ما يستدعي ههنا سوء المزاج مضاد لما يستدعيه قلع السبب أو العضو الضعيف أو العادة، وذلك أن الماء البارد من شأنه أن يفجج الأخلاط ويمنعها من النضج، والحمى ليس يمكن فيها أن تقلع إقلاعا تاما ما دام السبب الفاعل لها في البدن موجودا. وكذلك متى شربه من به ضعف في فم المعدة لم يؤمن أن تصيبه رعشة أو خدر أو غير ذلك من أمراض سوء المزاج البارد.

---

(١) أي: تتشبه.

وقد شرب قوم ماء باردا دفعة فأصابهم على المكان ضيق تنفس لبرد العصب المحرك للحجاب، وآخرون امتنعوا من الازدراد. وأما متى شرب، والطبيعة قد أنضجت الخلط، فإنه يكون في ذلك الوقت عونا صالحا للطبيعة لأنه ليس هنالك مرض إلا سوء المزاج الحار، فإذا أبطله الماء البارد وقلع عنها سوء ذلك المزاج فعلت الطبيعة حينئذ في ذلك الخلط أتم أفعالها من تتميم نضجه ودفع ما شأنه أن يندفع، وذلك أن سوء المزاج على كل حال كان عائقا لها. ولذلك تنطلق بطون من هذه صفته إذا شربوا الماء البارد بمرار أو يتقيئونه.

٥٤- فهذا كله هو معنى قول جالينوس في سقي الماء البارد. وأنت فينبغي لك أن تعلم أن لهذه الحميات في قلة الحرارة وكثرتها عرضا كبيرا، ولذلك خصت الكثيرة الحرارة منها باسم المحرقة وأن هذا يختلف بحسب الأقاليم والبلدان اختلافا كثيرا.

فرب حمى محرقة في بلد حار ومع سن الشباب والفصل الحار والتدبير الحار. إن لم يبادر في أول الأمر إلى سقي الماء البارد، إما أن يحترق العليل قبل أن يظهر النضج فيموت وإما إن كان في قوته محتمل إلى ظهور النضج فيكون النضج نضجا خبيثا ويكون حينئذ لا معنى لسقيهم الماء البارد إذ قد فات الأمر فيهم، مثل الغمامة السوداء الظاهرة في البول وأكثر من ذلك الثفل الراسب الأسود.

فلذلك: الأولى والأحزم في هذه الصناعة أن يبادر لمن هذه حاله بسقيه الماء البارد من أول الأمر وإن لم يظهر نضج. فإن المادة الفاعلة لمثل هذه الحمى التي هي في غاية الحرارة ليس العائق لها عن النضج شيئا غير الكيفية، لا غلظ ولا لزوجة .

فعندما تبرد تلك الكيفية ينضج المرض على الحين. وأيضا فإن الأولى في من هذا شأنه أن تقلب حماه إلى حمى لينة كثيرة الأيام فيتمكن من معالجتها من أن يموت على الحين. وإنما يعتري هذا إذا كان الخلط فيه غلظ ما وأفرطت في التبريد.

وبالجملة فالخطأ الواقع في تبديل مزاج الحمى أخف من الموت. وهذا الفعل من أفعال هذه الصناعة هو أشرف أفعالها أعني التخليص من الموت.

٥٥- وأما أصحاب الحميات الذين ينتظر بسقيهم الماء البارد ظهور النضج المحمود فأظنهم لو خلوا وطبائعهم لبرئوا. لكن في زمان طويل ومع مشقة كبيرة: فليس فعل هذه الصناعة في هذه الحال غير التسهيل وعون الطبيعة، وهو من قلة الشرف بالإضافة إلى الأول بحيث ترى ذلك.

وقد حكى الرازي أن فتيين كانا سافرا في زمن شديد الحر وكان أحدهما مولى

والآخر عبدا له. فحم كل واحد منهما حمى محرقة في غاية الإحراق.

فتشوغل بالمولى عن العبد بسقيه الماء البارد ولم يسق العبد فنجا المولى وهلك العبد. وبلادنا هذه هي في الحر والبرد متوسطة بين بلاد جالينوس وبلاد الرازي.

ولكن على حال بلادنا هذه البطاحية تعرض فيها مثل هذه الحميات كثيرا. وقد خرجنا عما قصدنا له، فإن القول في مداواة هذه الحمى هو جزء من القول في مداواة حمى العفونة فينبغي أولا أن نخبر بالعلاج المشترك لهما ثم نردف بالعلاج الخاص بصنف صنف من أصناف الحميات، فنقول:

٥٦- إن هذه الحميات من حيث هي سوء مزاج مادي فالغرض فيها أولا غرضان: إبطال سوء المزاج واستفراغ المادة. ولأن المادة ههنا مع حرارة عفونية فقد يلحق أيضـــا ههنا غرض ثالث وهو إبطال الأسباب المعينة على العفونة في الأبدان، وتلك هي قلة التنفس من انسداد المسام، وانسداد المسام يعرض لها إما من قبل أشياء قابضة أو باردة أو ميبسة. وقد يعرض انسداد المسام من الأخلاط. وذلك أيضا إما بكثرتها وإما بغلظها، وإما بلزوجتها.

وقد تجتمع هذه كلها. فالغرض الثالث إذن من أغراض مداواة الحميات هو أن يرفع كل واحد من هذه بما يقابلها، فإن العفونة ليس سبيل إلى ارتفاعها ولا إلى منع تزيدها إلا برفع جميع هذه أو ما كان منها موجودا في بدن المحموم مع استفراغ المادة. فإذا كان ذلك كذلك فكثيرا ما تتضاد استدلالات هذه الأعراض في العلاج وبخاصة إذا طرأ هنالك عرض مضاد للاستدلال على مداواة الحمى.

لكن متى كان الأمر هكذا أعني: أن يتضاد الاستدلال المأخوذ من نفس الحمى ومن أسبابها ومن أعراضها فينبغي للطبيب إن لم ترهقه الحمى ولا العرض أن يعنى أولا بقلع السبب.

فإن بذلك تنقلع الحمى مثل حمى السوداء. وإن أرهقته فينبغي أيضا أن يصرف العناية إليها مع أن لا يغفل أمر السبب. كالحال في حمى الصفراء الخالصة إلا أن تكون الحمى من العظم بحيث لا يلتفت مع ذلك لسببها كالحميات المحرقة.

وربما كان الاهتمام بهما على السواء فحينئذ ينبغي أن يمزج الأمران كلاهما. وهكذا حال العرض مع الحمى. والسبب، أعني أنه إذا أرهق أمره. اشتغل به، وإن كان ذلك زائدا في الحمى وفي سببها مثل الغشي العارض في الحميات.

٥٧- ونحن إنما نذكر أولا من الحميات ما ليس فيها أعراض مانعة من علاجها ثم

نصير بعد ذلك إلى مقاومة الأعراض التي كثيرا ما تضاد علاج الحميات، فإن القول في مقاومتها غير القول في شفائها إذ كان شفاؤها إنما يكون بحسم أسبابها، ومقاومتها إنما هو مقابلتها بما يبطلها في الحين.

وربما كان زائدا في سبب العرض مثل سقي الأفيون في الأوجاع الباردة. فنقول:

٥٨- أما التبريد والترطيب في جميع الحميات فإنه يستعمل بالأغذية والأدوية التي ترد داخل البدن والتي توضع من خارج، وذلك بالقوى الأول منها فقط. وقد يستعمل التبريد أيضا بالهواء، وذلك إذا كان باردا في ذاته مثل ما نأمر أصحاب حمى الدق بتنشقه.

وإذا كان حارا بإصلاح كيفيته وتبريده. وقد تستعمله هذه الصناعة بأن ينقل العليل من إقليم إلى إقليم ومن بلد إلى بلد، مثل ما نأمر من به قرحة الرئة أن ينتقل إلى البلاد الجنوبية مثل بلاد النوبة وبلاد العرب.

٥٩- وأما الاستفراغات في الحميات فإنها تكون أيضا بالفصد والأدوية. وذلك بالقوى الثواني منها والثوالث والخواص. وقد يكون بالتجويع، وقد يكون بالاستحمام والدلك، وأما الرياضة فلا يتصور الاستفراغ بها في الأمراض، وينبغي أن تنظر أين يستعمل واحد واحد من هذه الاستفراغات أو أكثر من واحد وفي أي وقت يستعمل، فإن الوقت أحد ما يهم في هذه الصناعة.

ولذلك يقول أبقراط: والوقت ضيق بمعنى أن وقت المعالجة ضيق العرض. فنقول:

٦٠- أما الاستفراغ بشق العرق فذلك يكون حيث تظهر علامات كثرة الدم، سواء كانت هنالك رداءة من الأخلاط أو لم تكن، إلا أنه أحمد إذا لم تكن هنالك رداءة أصلا. وقد حددنا هذه الأحوال فيما سلف. وأما وقت إخراجه فهو ما دامت القوة قوية.

ولما كانت القوة بهذه الصفة في الأكثر في أوائل الأمراض رأى بعضهم أن يحد زمان الاستفراغ بأول المرض.

والحق في خلاف ذلك. فرب مريض يحتمل الفصد بعد السابع وكمية الفصد قد تؤخذ من عظم المرض ومن المزاج والسن والفصل والعادة والتدبير والقوة، وكأن جودة القوة ورداءتها تابعة لرداءة المزاج وجودته لكن جعلها الأطباء جنسا آخر.

٦١- وأما الاستفراغ الذي يكون بتفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وتلطيفها وإنضاجها وإصلاح ما شأنه أن يقبل منها الإصلاح وإخراج ما ليس شأنه أن يقبل منها الإصلاح، فهو في جميع الحميات وبخاصة الحميات غير المحرقة، وهو في جميع أوقات المرض.

وذلك أن المادة العفونية إنما تصلح بهذين الفعلين: اعني أن يخرج منها ما ليس شأنه أن يقبل الإصلاح ويصلح منها ما شأنه أن يقبل الإصلاح، كما نرى الذين يعالجون إصلاح جميع الأشياء العفنة من خارج يفعلون.

ويلزم عن هذا الفعل ضرورة تليين الطبيعة دائما وإدرار البول، إلا أن هذه الأدوية لما كانت في أكثر الأمر حارة يابسة مثل بزر الكرفس والرازيانج قد يضاد استعمالها حرارة الحمى.

فلذلك ينبغي أن تكسر قوى هذه الأدوية الأول بالأشياء التي هي في طبائعها باردة، ولها مع هذا عضد لهذه القوى المطلوبة منها، وذلك مثل بزر البطيخ وبزر القثاء وبزر الهندباء والأدوية التي تلفى لها هذه الأفعال. وهي مع هذا معتدلة أو قليلة الحرارة.

فينبغي أن تتوخى في علاج الحميات، وذلك مثل البرشاوشان والقرصعنة[(١)] والهندباء[(٢)].

٦٢- وبالجملة ينبغي كما قلنا متى استعملت الأدوية الحارة أن يكسر من قواها، ولكون السكنجبين جامعا لهاتين الخصلتين، أعني التقطيع والتلطيف وإدرار البول مع التبريد، كان من أشهر الأدوية المستعملة في الحميات.

إلا أنه قد يلزم عنه السحج وإخلال بالمعدة والكبد، وبخاصة في أواخر الحميات المزمنة، فلذلك ما ينبغي أن يخلط به ما يقوي الأعضاء الرئيسة مثل أن يغلي في الماء الذي يشرب به يسير مصطكى، أو يستعمل بممروس مربى الورد أو بعض أقراص الورد

---

(١) نبات حار يابس يبسه أكثر من حرارته، يقال له شوكة إبراهيم والشوك المفلفل وتعرفه العامة بأبي عجل يدر الطمث ويحلل النفخ الرقيق من المعدة ويدفعه إلى الأمعاء ويذهب بأوجاع الجنب والصدر وشرب مائه يحلل الدبيلات والأورام والبثور وينقص الأخلاط الفاسدة والحرقة ويهيج الباءة، وإذا هشم أصله ومص هيج الإنعاظ بدله جزر وشربته مثقال، قيل في التذكرة: وكل من نوعه تبقى قوته عشر سنين وهو يضر الرأس ويصلحه الصمغ والخل ، ويبول الدم ويصلحه العسل.

(٢) بقل وهو صنفان بري وبستاني، والبستاني صنفان: لينة رخصة جدا فيها لبن. وورق كالكبر وزهر إلى البياض قد يخلف بزرا دون القرطم، وهو كثير في الجبال المغربية والبوادي، وهو ينفع أمراض الكبد الحارة والتهابها شربا، وينفع من الخفقان أيضا، ومن لسع العقرب ضمادا مع أصولها، وماؤها مع الأسفداج يبرد تبريدا شديدا، وخصوصا في حرق النار، ويروى (كلوا الهندباء ولا تنقضوه، فإنه ليس يوم من الأيام إلا وقطرة من الجنة تقطر عليه) ذكره أبو نعيم. بدله طرخشكون.

التي ليست بكثيرة الأفاويه، وذلك بحسب ما يكون أحد الأمرين أهم: أعني التقوية أو التلطيف أو التقطيع.

وقد ينتج عنه أيضا عرض آخر، وهو أن الخلط المتولد عنه بارد يابس فإن اتفق أن يضارع بجوهره الخلط الفاعل للحمى، فينبغي أن يتجنب، مثل سقيه في حمى الربع، وإن استعمل فيستعمل مكسورا من يبسه بمثل عروق السوس وشراب البنفسج، إلا أن في البنفسج إرخاء. فلذلك ينبغي أن يحجب متى استعمل .

وحجبه بالزبيب في مثل هذا الموضع جيد. وبالجملة فحجب اليبس من شراب السكنجبين ضروري لموضع تخشينه للأعضاء العصبية كالمريء والمعدة والمثانة وقصبة الرئة.

والسكنجبين أيضا المعمول على مياه البزور التي وصفنا نافع في أكثر الحميات. ولما كان أيضًا ماء الشعير باردا رطبا منقيا لسبل الفضول جلاء غسالا لها غير منفخ كان أيضا من أحمد الأدوية في هذا الشأن.

ولذلك كان السكنجبين وماء الشعير محمودين في علاج الحميات إلا أن ماء الشعير كثيرا ما يخل بفم المعدة، فينبغي أيضا أن يحجب بأن تضع فيه يسير مصطكى مثل أن تضع قيراط مصطكي في نصف رطل منه.

وذلك أيضا بحسب أهم الغرضين. والأدوية المحمودة في تليين الطبيعة هي أيضا ما جمع هاتين الخصلتين: أعني الاستفراغ من غير أن يضاد علاج الحمى. وهذه الأدوية هي مثل التمر الهندي و البنفسج والترنجبين ولب خيار شنبر والإهليلجات، إلا أن لموضع القبض الذي فيها قد ينبغي أن تتجنب قبل النضج. واللبلاب أيضا دواء جيد في أوائل الحميات وإن كان فيه بعض حرارة.

وترتيب هذه الأدوية في تليين الطبيعة هي كما أصف : الترنجبين أولا ثم البنفسج والتمر الهندي واللبلاب ثم اللب خيار شنبر ثم الإهليلجات.

٦٣- وينبغي مع هذا كله أن يتحرى في جميع الحميات الأدوية المضادة بجملة جوهرها للعفونة ، إلا أن هذه الأدوية هي في الأكثر حارة إذ كانت الأدوية التي بهذه الصفة في الأكثر هي الأفاويه.

لكن يجب أن يستعمل منها يسير، وذلك بعد أن تكسر قواها الأول. وأما الأدوية التي لها هذه الفعل من غير إحرار فلتستغنم في هذا الموضع. وتلك الأدوية هي ماء الرمانين والصندلين والطباشير إلا أن الصندلين والطباشير فيهما بعض تسديد.

وإذا استعملت تلك الأول محجوبة بهذه كان عن ذلك علاج نافع.وأما الأدوية التي

يقصد بها التبريد والترطيب فهي أيضا كثيرة مختلفة بحسب اختلاف مراتب الحميات في قوة الحرارة وضعفها. فأول مراتب الأدوية الباردة هي ماء الشعير كما قلنا، وشراب الجلاب. ولست أحمد في شراب الجلاب أن يكون معمولا على ماء الورد وحده، كما حمده قوم من الحدث، لمكان اليبس الذي يأتي فيه، بل أن يكون الماء وماء الورد بنصفين أو يكون ماء الورد أقل.

وذلك أيضا بحسب الحال. وأقوى من ذلك الأشربة التي تتخذ من عصارات النباتات الرطبة الباردة مثل عصارة القرع والقثاء والخيار والدلاع وأقوى من هذه كلها استعمال هذه العصارات من غير سكر وبخاصة الدلاع فإنه مضاد بجملة جوهره للصفراء.

٦٤- وأما الموضع الذي يجب أن تستفرغ فيه المادة بالأدوية الجذابة فهو عند غلبة رادعة الأخلاط وخروجها في الكيفية. وقد رسمنا هذه الحالات. وأما الوقت فهو ما دامت القوة قوية وذلك في الأشهر والمجمع عليه، إذا ظهر النضج، والسبب في ذلك أنه الوقت الذي يقع فيها الاستفراغ المحمود من الطبيعة. وذلك أن القوة الدافعة إنما تتحرك لدفع الفضل على المجرى الطبيعي عند كمال النضج. والصناعة من حقها أن تقيل أفعال الطبيعة. وأيضا فإن النضج إذا كمل فليس هناك عسر جذب، لا من قبل غلظ ولا لزوجة ولا سدد.

٦٥- وأما من قبل أن يظهر النضج ففي ذلك موضع فحص، واختلاف بين الأطباء، وذلك أن جالينوس وجل الأطباء يرون أن ينتظر بالاستفراغ النضج، إلا أن يكون المرض في غاية الحدة، وهو الذي يفهم من قول أبقراط إلا أن يكون المرض مهتاجا.

وذلك أن المرض إذا كان في غاية الحدة كانت الأخلاط فيه ضرورة في غاية الهيجان، ولم يؤمن أن تنصب إلى بعض الأعضاء الرئيسة فتورمها إن لم تستفرغ من أول الأمر. وأيضا فإن الأخلاط التي بهذه الصفة هي ضرورة في غاية من اللطافة والحدة فلا غلظ هنالك ولا لزوجة تعوق فعل الدواء المسهل، وإنما يلحق ذلك عن شيء واحد فقط.

وهو أن الأدوية المسهلة تضاد بكيفياتها الأول هذه الحمى. لكن يصلح ذلك بكسرها بأشياء باردة رطبة لموضع الضرورة إلى ذلك . وأما إذا لم تكن الأمراض في غاية الحدة أو كانت مع ذلك هادئة فإنه ينتظر النضج.

لكن ينبغي أن تفهم ههنا أن التي في غاية الحدة في بلاد أبقراط هي ههنا حادة مطلقة.

وناهيك من أن الحميات الحادة إنما كان يعالج فيها أبقراط بماء الشعير والأنومال

ومعناه ماء العسل.

٦٦- وإذا كان ذلك كذلك فلنعمل على أن الأمراض الحادة بإطلاق في بلادنا هذه. أو فيما هو أحر منها. يجب أن تستفرغ بالأدوية الجاذبة في أول الأمر. وهذه الأمراض الحادة الخلط الفاعل لها إنما هو أكثر ذلك في الأوراد التي حول فم المعدة والكبد.

وبالجملة في أشرف العروق وأعظمها. ولذلك قد ينبغي متى ألفي فيها كثرة الدم ولو أدنى كثرة أن تستفرغ، فإن ذلك مما ينفع منفعة عظيمة وتسكن به على المقام سورتها إلا أن يكون هناك شيء يعوق عن ذلك من الأشياء التي عددت فيما سلف

٦٧- وأما متى كانت الأمراض غير حادة، وهي مع هذا عن اخلاط خامية نيئة، فبإجماع أيضا منهم أن لا تستفرغ إلا بعد أن تلطف وتقطع ويظهر للطبيعة فيها نضج ما، وإلا لم يجب الدواء إلى الخروج. وأما الأمراض غير الحادة التي تكون عن الأخلاط الرقاق مثل حمى الغب الخالصة التي ليست تنوب أكثر من سبعة أدوار فإن ابن سينا يرى أن ينتظر ههنا ولابد النضج، فإن، فإن نضج الخلط الرقيق التغليظ،كما أن نضج الغليظ الترقيق.

والخلط الغليظ كما يستعسر على الطباع لغلظه كذلك الرقيق يستعسر على القوة الدافعة دفعه لمكان تشدده عليها وتفرقه.

فإن كان الأمر في جذب الدواء هذه حاله مع الأخلاط أعني أنه يعسر عليه جذب الأخلاط الغليظة لسدها المنافذ والسبل والرقيقة لتشددها فنعم ما رأى في ذلك ، وإن كانت الأدوية المسهلة كلما كانت الأخلاط أرق كانت أسرع إلى الإجابة. ولذلك قلما يسقى دواء لأي خلط كان إلا وتخرج معه الصفراء لرقتها. وأيضا فمتى أفرط فعل الدواء كما قيل فيما شأنه أن يخرج سوداء أو بلغما فإنه يتبع قباء ذلك الخلط الخاص بذلك الدواء خروج الصفراء.

وبالجملة فالحس يشهد أن الأخلاط كلما كانت أرق كانت أسرع إلى الإجابة بالدواء المسهل، وليس كذلك الأمر عند الطبيعة. ولو كان الأمر كذلك لكان أولى شيء أن يحذر الإسهال في الأمراض التي في الغاية من الحدة، فإن الأخلاط أرق ما تكون في هذه الأمراض لأنه على هذا الرأي يلزم كلما رق الخلط عسر خروجه.

٦٨- فإذا كان هذا كله كما وصفنا، فينبغي أن لا يتوقف في الإسهال في الأمراض الصفراوية. وأيضا متى انتظر النضج في كثير من هذه الأمراض لم يؤمن أن يغلب الخلط الطبيعة بكيفيته فيكون نضج رديء لا يرجى معه خلاص.

فإذن الأحزم في الأمراض الحادة إطلاق الاستفراغ بالدواء المسهل والفصد إن

أمكن بعد كسر حر الأدوية المسهلة ويبسها.

٩- مداواة الحميات العفونية بإطلاق

٦٩- وأما الحمى البلغمية والسوداوية فإن الرازي أيضا يسهل في أوائلها، لأنه الذي يرى هذا الرأي بإطلاق: أعني أن يسهل في أوائل الحميات.

فأما جالينوس فقد صرح في حمى السوداء أنه لا ينبغي أن يسهل في أوائلها. وذلك في رسالته إلى أغلوقن. وأيضاً فإن هذه الحمى سليمة العاقبة وليس يخاف فيها ظهور نضج رديء.

وأما البلغمية فوخيمة العاقبة، فلذلك ينبغي عندي أن يحتال أولا في استفراغها وإن لم يكن نضج، لكن يتقدم الطبيب أولا فيقطع ويلطف نحوا من أسبوع، فإن الحرارة في هذه الحمى ليست تضاد هذا الفعل لضعفها في هذه الحمى، فإذا فعل هذا بادر الطبيب فأسهل.

وقد يشهد لهذا ما نراهم يفعلون في السكات والأمراض الصعبة الباردة، فإنهم يبادرون ويستفرغون فيها، وذلك بأن يضعوا في الدواء المسهل أدوية تذوب وتلطف وما أحسب أحدا يلتزم شرب شراب السكنجبين المعمول على ماء الإيرسا[1] وبزر الكرفس وعود السوس[2] أسبوعا إلا وقد تهيأت في بدنه الأخلاط للخروج. هذا وإن لم تكن جملة الخلط الفاعل للمرض لكن يخفف بذلك على الطبيعة.

ثم يعود أيضا ثانية فيقطع ويلطف أسبوعا آخر ثم يسهل بذلك القدر الذي خمن

---

(١) الإيرسا اسم يوناني معناه قوس قزح، لاختلاف ألوانه في الزهر وهو أصل السوسن الأسمانجوني (أي: له لون سماوي) وهو عرق كسار المواعين، وهو السوسن الأزرق حار يابس، أكله نافع من جميع العلل الباردة يبدل عرق الأبيض من عرق الأسود والعكس وشربته إلى مثقالين، وهو مضاد للالتهابات. ومنبه ومدر للبول.

(٢) هو عرق السوس، ويقال شجرة الفرس والمتك وعصارته: وهو رب السوس يصفي الصوت، ويلين قبضة الرئة. جيد لجميع آلات النفس والسعال، ويسكن العطش، ويدر البول وينفع من قروح المثانة والكلى والحميات العتيقة والداحس والجراحات ضمادا ويدخل في الأكحال، فيذهب بالصفراء. بدله كثيرا، وقيل السوس يضر الكلى وتصلحه الكثيرا، ويضر البطن ويصلحه العناب، وتبقى قوته عشر سنين، وقد استعمل السوس للغايات الطبية منذ ٥٠٠ سنة ق.م ويستخدم كعلاج لقرحات المعدة، ويعتقد الصينيون أنه يطرد السموم من الجسم، والسوس أيضا عقار مقو هام، يستخدم لعلاج حالات السعال الربوي ومضادًا للتشنج ودواء للقرحة، يمكن مضغ الجذر المجفف كقطعة من الحلوى، وفي الصين يعطى الجذر للأطفال لتعزيز النمو العضلي.

أنه قد سهل جريته من الأخلاط فإن الحال في هذا كالحال فيمن لا يقدر أن يحمل حملا ثقيلا بأسره فيقسمه في مرات حتى يخف الأمر على الطبيعة ويظهر النضج محمودا وإلى جهة الأصلح إن شاء الله فإن هذا أولى من أن يسلم العليل إلى الطبيعة والمرض. فإن غلبت الطبيعة وظهر النضج المحمود طلبنا حينئذ أن نهضها.

٧٠- وذلك كما قلنا ليس من أشرف أفعال هذه الصناعة وإن لم تقهر الطبيعة لم تنفع العليل بشيء، بل نكون قد أسلمناه. ويمكن أن نفعل هذا المعنى بعينه في الحمى السوداوية.

وكما أن الذين نريد أن نسهلهم وهم أصحاء نتقدم أولا فننقي مجاريهم ونلطف أخلاطهم كذلك ينبغي أن نفعل في المرض، إلا أن فعلنا في المرض ينبغي أن يكون بأكثر عناية إذ كانت الأخلاط فيهم أقل نضجا، وقد يشهد لهذا ما نرى جالينوس يفعل في الإعياء الحادث من تلقاء نفسه، وهي حالة قريبة من الحمى، فإنه يسهل فيه جميع الأخلاط الفاعلة للإعياء ما خلا الخلط الخامي.

فإن هذا مجمع عليه أن لا يستفرغ. ولذلك يرى جالينوس أن يستفرغ من به حمى من هذا الخلط بالدلك، إلا أنه كما قلنا للأقاليم في هذا حكم عظيم. فليس ينبغي أن نثبت القول في هذه الأشياء على جهة واحدة. بل الأخلاط الخامية في البلاد الحارة، يمكن عندي أن تستفرغ على النحو الذي قلنا بعد أن نتقدم في تلطيفها وتقطيعها مدة ما طويلة لكن تكون أقصر من مدة ظهور النضج.

فإن بذلك يخف الأمر على الطبيعة فيأتي النضج محمودا. وينبغي أن تجرب هذه الأشياء: فإن للتجربة في هذه الأشياء قوة عظيمة وأما المقدار الذي يمكن أن يبلغ بالقول في هذه الأشياء فهو المقدار الذي كتبناه.

٧١- وأما التدبير بالأغذية فبودِّنا كان أن لا يطعم العليل شيئا إلى منتهى المرض لتفرغ الطبيعة لإنضاج الخلط الفاعل للحمى ودفعه. لكن لما كانت القوة لا تحتمل ذلك نظرنا: فإن كان المرض من الأمراض الحادة قريب المنتهى، مثل أن يكون بحرانه في السابع، وكانت القوة قوية وإنما تكون القوة قوية إذا كان المزاج معتدلا أو قريبا من الاعتدال أو يكون السن سن الشباب اقتصرنا من الغذاء على ماء الشعير فقط أو مع يسير فتات خبز مغسول بالماء السخن من أوقيتين إلى ثلاث. هذا هو الذي ينبغي أن يكون ألطف تدبير في إقليمنا هذا وبحسب عوائدنا.

وأما القدماء فإنما كان عندهم التدبير اللطيف أن يبقى العليل الأسبوع الأول كله

دون غذاء ويتناول ماء العسل فقط. وذلك شيء لا يحتمله أهل بلادنا هذه.

وذلك لمكان مزاج الهواء والعادة. وأما في تلك الأقاليم فإن الأبدان فيها أقل تحللا وكانوا مع هذا يشربون الخمور ويأكلون لحوم الخنازير. وهذان من أكثر الأشياء تغذية.

٧٢- وبالجملة فينبغي أن يلتفت في الغذاء إلى العادة فإن من الناس من اعتاد أن يأكل في النهار ثلاث مرات، وهؤلاء هم أقل الناس صبرا على الجوع، ولا سيما الذين أمزجتهم أمزجة حارة متخلخلة. وأما إن زكنا أن المنتهى يبعد. وأن القوة تضعف قبل المنتهى. فقد ينبغي أن نطعم العليل أكثر مما حددناه قبل، فإذا ظننا أن المنتهى قد قرب لطفنا حينئذ الغذاء. هذا كله إنما يفعل مع ثبات القوة.

وثبوت القوة إنما يكون في الأمزجة الموثقة. وأما الأمزجة الحارة اليابسة فقلَّ ما تحتمل التجويع، ولا سيما في الأمراض المناسبة لها وفي الفصل الحار، فإن كثيرا ممن هذه صفته إذا جوعوا انقلبت حماهم، بعد أن كانت لينة، فصارت محرقة.

وربما وقعوا في الذبول. وذلك أن أمثال هؤلاء: المانع لهم من النضج إنما هو رداءة الكيفية، فإذا جوعوا استزادت تلك الرداءة وتشيطت أخلاطهم.

٧٣- وأما وقت الغذاء فينبغي أن يكون بعد انحطاط النوبة وقبل عودتها مرة ثانية؛ لتفرغ الطبيعة في وقت النوبة إلى نضج الأخلاط، هذا هو المختار إذا ساعدت القوة ولم يعرض عرض خطير يوجب التغذية مثل حدوث الغشي أو توقع حدوثه.

وأما متى خفنا شيئا من هذه الأعراض فإنا قد نغذو العليل في أول النوبة، فإن بذلك يمكن أن نحفظه من حدوث الغشي، كما فعل جالينوس بالفتى الذي قص قصته حين كان أطباء وقته جوعوه الثلاثة الأيام المشهورة عندهم في تجويع المرضى.

وقد غذوه أيضا في نفس النوبة بعينها، وأما متى كانت الحمى غير مفترة فقد ينبغي أن نتخير لغذائهم أخف أوقاتها ونتحفظ أيضا بالعادة. وأوفق الأوقات لهم هي الأوقات الباردة كالغدوات والعشيات.

٧٤- وأما الحمام فلما كان من شأنه أن يستفرغ الفضول اللطاف حمد في الحميات بعد النضج. وأما قبل فلا، لأنه يهيج النافض بزيادته في السدد ويذوب الأخلاط وينشرها في الجسم فلا يؤمن أن يورم بعض الأعضاء الشريفة، إلا أنه كما قلنا وإن كان يستفرغ الفضول فهو يزيد في حرارة الحمى ويبسها، ولا سيما إذا استعمل الجزء الهوائي أو في الحرارة فقط إذا استعمل منه الجزء المائي السخن.

وليس يمكن في أبدان هؤلاء أن يتلافى ذلك فيهم باستعمال الماء البارد من بعد،

فإنه يفجج الأخلاط. فلهذا ينبغي أن لا يستعمل الحمام إلا بعد الانحطاط التام وفي الحميات غير الحادة.

٧٥- وأما الأنبذة والأشربة العطرية القليلة الاحتمال للماء فإن الأطباء حمدوها بعد ظهور النضج، وبخاصة في الحميات التي تكون العناية فيها أهم بقطع السبب مثل حمى البلغم والسوداء. وأما المحرقة فينبغي أن تتجنب الأشربة فيها كل التجنب.

٧٦- وأما الدلك فإن جالينوس يستفرغ به في الحمى التي تكون عن الأخلاط الخامية. وفي ذلك موضع نظر: فإن الدلك لا يؤمن معه أيضا أن تنتشر الأخلاط في البدن، وقد أمر هو في كتاب الصحة لمن به إعياء وجسمه مملوء من هذه الأخلاط أن لا يستعمل حركة أصلا لا استحمام ولا دلك ولا غير ذلك.

وأيضا فإن الدلك إنما يستفرغ من الأخلاط ما تحت الجلد وفي العضل. وأما ما كان من ذلك في العروق فيعسر إلا على جهة جذب الطباع. وأيضا فما أظن أن صحيحا إن دلك ذلك الدلك الذي يصفه هو إلا أصابه إعياء ضرورة وتورم جلده. لأنه دلك خشن في نهاية الكثرة.

وكيف وأصحاب هذه الأمراض لا ينفكون من وجود مس الإعياء؟ فهذا ما كان ينبغي أن نقوله في مداواة الحميات العفونية بإطلاق. وينبغي بعد أن نصير إلى مداواة واحدة واحدة منها.

أ - في الحمى الصفراء

٧٧- وهذه الحمى، إذا كانت الغب الخالصة وتحققت أمرها، فالأولى في هذه الحمى، لمكان سلامتها وعلمنا بأن الطبيعة لابد أن تستولي عليها، أن لا تحرك الطبيعة بدواء جذاب مثل السقمونيا، فإن الدواء لو حجب ما شاء الله أن يحجب لابد أن يخل بالأعضاء الرئيسة فتضعف القوة لذلك وتزيد في حرارة الحمى ويبسها.

ولو لم يكن فيها شيء غير نفس حركة الاختلاف لكان في ذلك ضرر كبير لإحرارها المزاج، فإذا ظهر النضج فلا بأس باستعمال الدواء الجذاب. أما في أول الأمر فتلين الطبيعة بزهر البنفسج والتمر الهندي مع ما يحجب إخلالهما بفم المعدة، مثل يسير من المصطكى. والراوند في ذلك أفضل لأنه مع أنه يحجب إضرارهما يعاضدهما في الإسهال.

ومقدار ما نسقيهم من الراوند من ثلاثة أرباع الدرهم إلى نصف درهم، ثم يستعملون بعد ذلك شراب الجلاب والسكنجبين بشطرين بخمسة أمثالهما من الماء

البارد، ثم من بعد ذلك يتناولون ماء الشعير هكذا كل يوم إن لم تجب الطبيعة من ذاتها بمقدار ما يحتاج من ذلك، وذلك مجلسان فما دون ذلك، وإن أجابت الطبيعة ذلك الدواء الملين أكثر من هذا القدر أغب أخذه بقدر ذلك.

٧٨- وإنما اقتصرنا من التبريد والترطيب على الجلاب وماء الشعير لأن هذه الحمى أيضا ليست بشديدة الحرارة. إذ كان تولدها عن الصفراء الطبيعية. واقتصرنا من تفتيح السدد على السكنجبين وماء الشعير فقط لأن السدد أيضا في هذه الحمى إما أن لا تكون وإما إن كانت فيسيرة.

فإذا ظهر النضج، فإن رأيت أن الإهليلج الأصفر يفي بما تريد من ذلك فافعل. وإلا فلابد من السقمونيا فتسقي العليل من ذلك من ست حبات إلى ربع درهم مع مثلها من مصطكى وأوقية من شراب النيلوفر[١] ونصف أوقية من شراب التفاح.

أما النيلوفر فلكسره من كيفيات السقمونيا الأول التي هي الحرارة واليبس مع أنه أيضا مقو بعطريته للأعضاء، وأما المصطكي فاستظهار أيضا على منع إخلالها بالأعضاء إذ كانت قد جرت عادة الأطباء أن يجعلوها حجابا لها وإن ضعفت قوة العليل أو خشيت أن تضعف فلا بأس بأن تطعمه الخبز المغسول.

وأبقراط قد شهد أن هذه الحمى متى لم يكن فيها خطأ من التدبير أن أعظمها قوة لا يتجاوز اليوم الرابع عشر، فأما إن كانت هذه الحمى ليست من الصفراء الخالصة بل من المحية أو من الزنجارية أو الكراثية ففيها ضرورة خطر كبير وبخاصة الزنجارية. حتى أنه يكاد من تصيبه هذه الحمى لا يسلم منها.

٧٩- وهذه الحميات تكون طويلة النوب: الجزئية والكلية، خبيثة الأعراض، فلابد في مثل هذه الحميات من الاستفراغ بالدواء الجذاب الذي رسمته قبل، بعد أن نضيف إليه ما يصلح منها لموضع إحراقها. أعني الصفراء. ولا بأس أن تخلط بدوائك شيئا من البسابيج لمضارعة الصفراء المحرقة الغليظة للسوداء.

وذلك أيضا بعد أن تكسر من يبسها بدهن اللوز الحلو. وتفتيح السدد ينبغي أن يكون في هذه الحمى أبلغ، إن لم تكن الحرارة مفرطة، فإن كانت مفرطة فلتكن عنايتك

---

(١) كرنب الماء ويسمى حب العروس وله أزهار جميلة ألواه الأبيض، وبذره أقوى من حبه، وهو منوم مسكن شرابه نافع من الحميات، فيه قوة مسخنة، ويضمد به الجبهة من الصداع ويقوي المعدة ويسخنها ويعين على الباه.

أميل إلى التبريد والترطيب.

٨٠- وأضعف ما تكون هذه الحميات. أعني الشديدة الحرارة الخبيثة الأعراض. ما كان منها داخل العروق. وهي التي تسمى محرقة. وهذا الجنس من الحميات ليس يمكن أن يكون عن الصفراء الطبيعية، فلذلك ينبغي في أول هذه الحمى بعد استفراغ الخلط بالدواء الجذاب وإخراج شيء من الدم إن ظهرت هنالك كثرة أن يسقى العليل كل يوم من عشرة دراهم من التمر الهندي منقعا من غير شراب ولا حلاوة. ثم تسقيهم بعد ذلك ماء الشعير ثم تتشاغل باقي النهار بسقيهم ماء الدلاع أو ماء الخيار إن أعوز ماء الدلاع، فإن هذا هو أبلغ تدبير تعالج به الحميات التي في غاية الاحتراق.

ولا تجزع من شرب ماء الدلاّع في مثل هذه الحال ولا من الماء المثلج، فإنك إن تقلب حماهم إلى حمى لينة طويلة الأيام خير من أن يموتوا.

وقد حكى أبو مروان بن زهر أنه شاهد فتى بهذه الصفة فسقاه ماء الدلاع وكان يقيئه مرة صفراء ولم يزل يفعل به ذلك إلى أن انقلبت حماه إلى حمى طويلة الأيام.

وأظن أن ماء الدلاع في مثل هذه الحمى أقوى من الماء المثلج، فإن الماء ولو كان في غاية البرد من شأنه أن يقبل السخونة. وأيضا فإن الماء من حيث هو بسيط إنما يفيد كيفية باردة فقط، وماء الدلاع يفيد كيفية باردة وكمية من جهة ما يرجع جزء دم.

٨١- وأما متى كانت هذه الحميات هادئة وكان معها من طول نوائبها الجزئية والكلية ما يظن معه أنها ليست عن صفراء محضة، بل محية على رأي من يرى أن المحية أبرد من الطبيعية. فقد ينبغي حينئذ أن تكون عنايتك مصروفة إلى تفتيح السدد أكثر من التبريد.

بخلاف ما كان الأمر عليه في الخالصة، وإن كان قلما توجد هذه الخالصة. والأدوية المحمودة في ذلك هي التي لها قوى مفتحة من غير إحرار قوي كالبرشاوشان وأصل الكرفس وبزر السريس.

ويجب مع هذا أن تكسر من يبسها بعروق السوس، ومن حرها أيضا ويبسها بزهر البنفسج وزهر النيلوفر وبزر البطيخ، ولا تغفل مع هذا أن تلقي في دوائك ما تكون فيه تقوية للأعضاء كيسير من المصطكى والسنبل.

وهذه الأدوية إنما ينبغي أن تركبها على شراب السكنجبين. وينبغي أيضا أن تستعمل فيها من الأدوية السهلة ما يسهل الصفراء مع بعض ما يسهل قليل بلغم مثل بزر

الأنجرة[١] والقرطم بعد أن تكسر من حرهما ويبسهما. فهذا هو وجه العلاج في جميع حميات الصفراء.

ب - في حميات البلغم

٨٢- وأما هذه الحمى، إذا كانت عن بلغم بسيط وتحققت أمرها، فيجب أن تصرف العناية فيها إلى تفتيح السدد وتقطيع الأخلاط وتلطيفها أكثر منها إلى التبريد والترطيب.

حسبهم شراب السكنجبين البزوري بعد أن يحجب يبسه بمثل عروق السوس ويكون في تركيبه يسير مصطكي وسنبل وقرفة، فإن فم المعدة من أصحاب هذه الحمى ضعيف. والأولى في هذه الحمى من أول الأمر أن تلين طبائعهم بلب القرطم وبزر الأنجرة بعد أن تكسر من يبسها بالترنجبين.

فإذا مضى لهذا التدبير نحو الأسبوع فاسقهم دواء جذابا للخلط الممرض. وأوفق الأدوية لهم التربذ لمكان اختصاصه بإخراج الرطوبة التي في فم المعدة، والغاريقون لمكان إخراجه أيضا الأخلاط الغليظة وتفتيحه السدد، وإن أضفت إلى هذا المركب شيئا من أيارج الفيقرا لم تخط بعد أن تجعل عمادك فيه التربذ والغاريقون[٢] وتحجب يبسها بدهن اللوز وكذلك يبس أيارج الفيقرا، ولتكن الأفاويه في الأيارج مثل الصبر.

وأما شحم الحنظل فمهما أمكنك الاستغناء عنه فافعل إلا أن تركن أن الخط من القوة بحيث أن لا يفي به إلا شحم الحنظل، فحينئذ يجب أن تخلطه في المركب بعد أن تحجبه بمثله من الكثيراء ولب اللوز.

وأكثر ما تعطيهم منه ثمن درهم. ولابد أن تعيد عليهم هذا الدواء، فإن هذا الخلط لا يخرج في مرة واحدة. وكل هذا إنما تفعله من الالتفات إلى القوة وسائر الشروط التي تقدمت. والدواء التربذي الذي يسقيه الرازي في أول هذه الحمى لا بأس به.

وأما الغذاء في هذه الحمى فتطلق لهم الفراريج الصغار مخلولة. فإن المنتهى يبعد في هذه الحمى فإنها ليست تنقضي في أقل من ثلاثة أسابيع وربما دامت إلى أربعين يوما أو أكثر من ذلك.

---

(١) الأنجرة: نبات بزره يشبه بزر الكراث. إلا أنه أصفر اللون شديد اللذع، ويعرف بالحريق.

(٢) الغاريقون: عبارة عن الرطوبات التي تعفن في باطن ما تأكل من شجر التين والجميز، ويقال إنه ينفع من اليرقان والصرع، وضعف العضل والكبد وضيق التنفس، وتعب المعدة والرئة، والاختناق، ومرض المفاصل والسموم، وكل أوجاع البطن ويصلح اللون ويصرف النزلات وفساد الطعام، وعلى الأخص إذا مزج بالينسون أو رب السوس أو بالراوند.

قال الرازي: ومهما تجاوزت هذه الحمى الأسبوع الرابع فيجب أن يسقى العليل أقراص الورد التامة بماء البزور، وذلك أن أصحاب هذه الحميات تضعف منهم الكبود والمعد في آخر الأمر. حتى أن كثيرا ما يؤول أمرهم إلى الاستسقاء.

٨٣- وقد شاهدت أنا قوما كانت بهم حميات مزمنة فأشار عليهم بعض أطباء وقتنا باستعمال السكنجبين دائما فصاروا إلى الاستسقاء وهلكوا. ولست أقصرك على أقراص الورد وإنما ذكرتها مثالا لتعطي أنت أشياء هي في قوتها، بعد أن تزيد فيها وتنقص بحسب الأحوال الحاضرة، ومما هو قريب من هذه القوة ذبيد الورد، لكنه أميل إلى البرد من الأقراص. وأقراص الورد الصغرى أضعف من ذبيد الورد.

وذلك أن الورد فيه ضعف الأفاويه. وكذلك أيضا إن رأيت أن تخلط ماء البزور بشراب السكنجبين فافعل، وإن كان هناك تهيج في القدمين والأجفان فإياك وشراب السكنجبين فإنه يصير بهم سريعا كما قلنا إلى الاستسقاء.

٨٤- وأما الحميات التي تحدث من البلغم النيئ وهذه حميات تنتفخ فيها الوجوه والبطون وتصير ألوان أصحابها رصاصية أو جصية فإن جالينوس يرى استفراغهم بالدلك، وذلك ما ما داموا مستيقظين.

بأن نقسم عليهم نصف زمانهم حتى يكون نصفه للنوم ونصفه للدلك وقد قلنا ما في الدلك ويسقوا ماء العسل بالزوفا[١] وعروق السوس، وجالينوس يسقيهم ماء الشعير ولست أحمده في هؤلاء لأنه يخل بمعدهم ويجمد طباعهم، اللهم إلا أن يوضع فيه مصطكي ويسير فلفل وأصل رازيانج.

وليس ينبغي أيضا أن يتركوا بلا غذاء ألبتة، وإن كان يظن بهم أنهم يحتملون الصبر على الجوع لمكان الأخلاط الخامية المجتمعة في أبدانهم؛ فإن مثل هذه الأخلاط عسيرا ما تتحول إلى الدم، والجزء الغاذي فيها ليس بكثير وهم من ضعف القوى بحيث يشرف أصحاب هذه الحمى على الغشي في أكثر أحوالهم.

ويجب أن تكون أغذيتهم لباب الخبز المختمر منقوعا في ماء العسل أو النبيذ الجلابي إذا استجازوا ذلك. وصفة الدلك الذي يأمر به جالينوس أن يكون بمناديل من خرق إلى الخشونة ما هي. وتبتدئ أولا من الساقين والقدمين ويكون الدلك من فوق إلى

---

(١) الزوفا وهو صنفان: أحدهما نبات يقوم على ساق دقيق مربع، وله ورق كورق الصعتر الدقيق، يقال له اليابس، منه جبلي ، ومنه بستاني.

أسفل: تبتدئ من الركب إلى القدمين ومن الأربيتين إلى الركب، ثم يدلك من المنكبين إلى أن يصل إلى اليدين، ثم يدلك الصلب على ذلك المثال.

ثم صر بعد ذلك إلى الرجلين ثم تعود بعده إلى الصلب، تفعل ذلك النهار كله. قال جالينوس: فإن أحس العليل في أعضائه بإعياء فينبغي أن يمرخ بالزيت الذي ليس فيه قبض. ودهن البابونج ودهن الشبث في ذلك جيد. قال: ثم امسح الدهن لأنه يؤذي ويكرب.

هذا جميع ما يرى جالينوس في تدبير هؤلاء وأصحاب هذه الحمى يعرض لهم الغشي كثيرا وسنذكر علاجه عند مقاومة الأعراض التي تضاد علاج الحميات.

ج- في حمى الربع

٨٥- وهذه الحمى فأهم شيء فيها هو العناية بالتفتيح والتقطيع والتلطيف. حتى إن صاحب هذه الحمى ليس يكاد يحتاج إلى ما يبرد ويرطب.

وإن احتاج فحاجة يسيرة، وكأن الأمر في هذه الحمى بعكس ما عليه الأمر في الحمى المحرقة، فإن تلك صرف العناية فيها إنما هو إلى صورة الحمى. وهذه إلى سببها.

فلذلك ينبغي أن يتوخى ههنا من المقطعة الملطفة الأدوية المخصوصة بالطحال، مثل أصول الكبر والطرفاء والسقولوقندريون والوج[1].

فإن هذا العضو يحتمل الأدوية القوية التفتيح من غير أذى. وذلك أيضا بأن تستعمل هذه الأدوية مع شراب السكنجبين الزبيبي ويستعمل أيضا في أول الأمر تليين الطبيعة بالبسبايج[2]. يستخرجه في مرقة ديك هرم مطبوخا تفايا.

يكون زيتها دهن لوز. فإن أحببت في هذه الحمى أن تنتظر النضج فافعل لقلة الخطر الذي فيها. وإن أحببت أن تستفرغه قبل النضج، فلا أقل أن يكون ذلك بعد التقطيع

---

(١) الوج: هو الإيكر أو الإير وهو حار يابس، وهو ينفع من المعدة والكبد والطحال وأوجاع الأرحام ويدر البول واللبن والحيض وينفع من وجع السن والبهق والبرص ويذهب برائحة الثوم والبصل والخمر من الفم. بدله في طرد الرياح والكبد والطحال وزنه كمونا كرمانيا، راوند صيني وشربته مثقال.

(٢) البسبايج: ويسمى في المغرب أستوان، وهو أضراس الكلاب، وثاقب الحجر، لأنه ينبت في الحجر الصلاب والمغاير ورقه كورق الساق الأكحل إلا أنه أصغر منه، وفيه نقط بين الصفرة والحمرة. كأنهما جدري في ورقه، نتحفر عروقه مشبكة على الأحجار وعليه زغب أكحل، وإذا كسر وجد داخله أخضر ومن أراد أخذه فليطبخه في الشعير، وشربته من درهم في المطبوخ إلى خمسة دراهم، بدله أشيون أو أفتيمون.

بالشراب الذي رسمته لك نحوا من أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.

٨٦- والأدوية التي تخرج هذا الخلط قد علمتها، وهي في ذلك على مراتب: فأولها مرتبة الإهليلج الكابلي والأسود، ثم يليها في الأمن البسبايج، وإنما اجتنبنا تليين الطبيعة بالإهليلج لموضع القبض الذي فيه. ثم يلي البسبايج الأفتيمون.

وهو أقوى فعلا من البسبايج وفيه مع هذا إكراب أكثر. فلذلك ينبغي أن تحجب منه هاتان القوتان معا أعني من كيفيته الأولى ومن إكرابه. ولا بأس أن يخلط في مثل هذا المركب. ما يكون كالجناح لمثل هذه الأدوية، من الأدوية اللطيفة مثل أن تجعل في هذا المركب حبتين من محمودة أو ثلاث حبات أو ثمن درهم من ماهوذانة. وإن لم نقصد في هذا الموضع إخراج هذا الخلط.

لكن لغلظ هذه الأدوية تحتاج إلى ما يعطيها مبدأ حركة، وبعد الأفتيمون حجر اللازورد. وأما الخربق[1] الأسود فينبغي أن تتجنبه ما استطعت. وبعد النضج في هذه الحمى فالترياق من أنفع الأدوية لهم كما يقول جالينوس. وأما متى استعمل قبل النضج فربما قلبها إلى حمى محرقة. وإن كان الفصل شتاء والسن سن الشيخوخة فالفلافلي نافع لهم بعد النضج أيضا وبخاصة في البلاد الباردة.

٨٧- وينبغي أن نعنى في هذه الحمى بالطحال. وذلك بأن نضمده بالأدوية التي من شأنها أن تحلل صلابته وتذهب نفخته. كما أن في الحمى الصفراوية يجب أن نعني بالكبد من صاحبها، والحمى البلغمية بفم المعدة: فإن أعظم عضو يتعفن فيه الخلط حتى يكون كالمستوقد للحمى هو في حمى السوداء: الطحال، وفي حمى الصفراء: الكبد، وبخاصة ما كان منها غير نائب. وكذلك المعدة لحمى البلغم.

فينبغي أن نعنى في هذه الحميات الثلاث باستفراغ هذه الأعضاء وتقويتها وإنضاج الأخلاط التي فيها وإصلاحها. وأما متى ظهرت كثرة من الدم أيضا في أول هذه الحميات فافصد إلا في البلغمية. فينبغي أن تفعل ذلك بتوق مخافة أن تكون هنالك كثرة من الأخلاط النيئة. والحمى المطبقة كلما كانت العفونة فيها أكثر كانت أحرى بالإسهال منها

(١) الخربق: نبات ورقه كلسان الحمل، وهو أبيض وأسود ينبت في أماكن جبلية، ومن منافع الأسود يبرئ الجرب في اليومين والحزاز والبرص والبهق إذا سحق سحقا جيدا، وتدلك به القروح المذكورة وشربته إلى نصف درهم بدله الأزورد، ويدمي القروح المذكورة على أوجه المسطور وإذا عجن بعسل ووضع على الدواحس المتآكلة أبرأها، والأبيض ينفع في الصرع والجنون ووجع المفاصل والفالج والأسود كذلك.

بالفصد. وبالعكس متى كانت العفونة فيها أقل كانت أحرى بالفصد منها بالإسهال.

فينبغي فيها أن نجمع بينهما في الأكثر على هذه النسبة. فهذا هو القول في جميع حميات العفونة عموما وخصوصا. إذا عرفت كيف علاج هذه البسائط فلن يخفى عليك ما تركب منها مثل شطر الغب وغير ذلك. وقد بقي من الحميات البسائط حمى الدق.

د- في حمى الدق

٨٨- وهذه الحمى من حيث هي سوء مزاج حار يابس غير مادي فالغرض في مداواتها غرض واحد فقط وهو التبريد والترطيب، والحاجة إلى الترطيب أمس منها إلى التبريد.

ولهذا ما ينبغي أن نحتال في تبريد هؤلاء وترطيبهم بكل ما يمكن. وذلك يكون بشيئين اثنين: أحدهما الأشياء التي ترد داخل البدن والآخر الأشياء التي تلقاه من خارج. مثل الأضمدة والهواء والاستحمام.

وهذه الحمى كما سلف ثلاث مراتب تختلف بالأقل والأكثر: فالمرتبة الأولى سهلة البرء والمرتبة الثانية عسيرة البرء، والثالثة ممتنعة. ووجه علاج الأولى والثانية واحد إلا أنه يختلف بالأقل والأكثر. والأغذية التي تلائم هؤلاء هو اللبن الحليب. وأفضل الألبان لهم لبن النساء فإن لم يكن فلبن الأتن فإن لم يكن فلبن الماعز.

وذلك بعد أن يتحفظ بغذاء المرأة بأن يكون ذا كيفية محمودة وأن يتناول منه المقدار الذي لا يسوء منه هضمه وبعد رياضة. وهكذا ينبغي أن يفعل بالأتان وذلك بأن تطعم حشائش باردة ويعنى بهضمها، ولأن الألبان من شأنها أن تتجبن في فم المعدة فليدرجوا عليها قليلا قليلا: فأول ما يسقون منه أوقية ثم لا يزال يزاد فيها إلى أن يسقوا نصف رطل. وماء الشعير لهم ضروري.

٨٩- ولأن هذه الأبدان أحوج الأبدان إلى التغذي إلا أن القوة الغاذية فيهم ضعيفة فقد ينبغي أن نحتال بأن نجعل أغذيتهم سريعة الاستحالة جيدة الكيموس. وأفضل اللحوم لهم إناث فراريج الدجاج التي قد غذيت بالبر. وخصى الديوك المغذاة أيضا بالبر وباللوز.

ومحاح البيض غذاء جيد لهم. فإن كان الحر عليهم شديدا فلا بأس بتناول بعض البقول الباردة وأفضلها في ذلك الخس. وذلك أنه ينومهم وهم أحوج خلق الله إلى النوم. ولهذا المعنى بعينه، أعني ضعف قواهم. نجعل غذاءهم في مرات كثيرة على ما سنقول بعد.

٩٠- وأما استعمال الحمام في هؤلاء ففيه موضع نظر. وذلك أنه يظهر من أمرهم أنهم ليسوا يحتاجون إلى ما يسخن ولا إلى ما يحلل ويستفرغ. ولذلك لا يلفى هؤلاء

التبريد العرضي الذي في الحمام وهو الذي يكون باستفراغه الفضول الحارة.

لأن هذا إنما يكون في سوء المزاج المادي. وإذا كان الأمر هكذا فإنه يظهر من أمرهم أنهم لا يحتاجون إلى الهواء من الحمام أصلاً. وأما الماء السخن فإنه أيضا وإن كان يرطبهم فإنه يحللهم. وأما الجزء البارد من الحمام فقد كنا نرى أنه أنفع الأشياء لهم لو أنهم يحتملونه.

أما جالينوس فيصرح أن الحاجة في هؤلاء إلى إدخال الحمام ليس هو لشيء أكثر من أن تعد أبدانهم لاحتمال الماء البارد الذي يغمسون فيه بأخرة[1]، وصفة استعمالهم الحمام على ما يقوله هو أن يحمل المريض على فراشه، فإذا صار إلى البيت الأول ألقي هنالك على بساط صغير وقد أخذ بأطرافه أربعة أنفس، كل واحد منهم بزاوية من زوايا البساط فإن كان البيت الأول حرارته معتدلة فلتنزع ثيابه هنالك ويدخل به إلى البيت الثاني عريانا. والاعتدال في بيوت الحمام هو أن تكون متناسبة: نسبة الأول إلى الأوسط نسبة الأوسط إلى الثالث.

ثم يسكب في البيت الثاني على بدنه دهن فاتر. فإذا فعل به ذلك فليدخل إلى البيت الثالث ويصير إلى الأبزن. قال ويكون لبثه في كل بيت من بيوت الحمام بقدر ما يمر فيه مار فقط من غير أن يسرعوا. قال وهذا إنما يكون في الحمام المعتدل الرطب بصب المياه فيه وجريها عليه. قال وليمكث العليل في أبزن الماء الحار مقدار معتدلاً.

ثم يغمس فيه بأن يرخى البساط الذي هو محمول عليه. ثم يغمس بعد في الماء البارد. فهذا هو الذي يرى جالينوس في تدبيرهم بالحمام.

٩١- وأما الرازي فيرى أن حاجة هؤلاء إنما هي إلى الماء الفاتر الرطب. لكن لما كان لا يمكن لهؤلاء إذا نزعت ثيابهم أن لا تقشعر جلودهم ولا بعد خروجهم من الماء. كان الصواب أن يكون الأبزن في بيت معتدل من بيوت الحمام، أعني لا يكون باردا ولا حارا، وكذلك ينبغي أن تكون صفة الماء.

وقد أرى أنا أيضا أن في الحمام منفعة ما لهم، وهي المنفعة التي في اللطوخ الزفتي. وذلك أن القوة الجاذبة فيهم ضعيفة، فإذا أصابهم الماء الحار أعطاهم مبدأ به تجذب. ولذلك ما ينبغي أن يستعملوه إلى حد تتفتح به مسامهم وتزيد به أبدانهم وأعضاؤهم في جميع أقطارها فقط. ثم يخرجون عنه، وإلا حللهم كالحال في لطوخ الزفت.

ولأن هذا الوقت ضيق فينبغي أن نعتني به غاية العناية. وهذه المنفعة أظن جالينوس

---

(١) أي في نهاية الأمر.

قد أشار إليها حيث يذكر علاج سوء المزاج الحار اليابس الحادث في المعدة. وأما أبو مروان بن زهر فيظهر من أمره أنه يقتصر على إدخالهم الأبزن المعتدل فقط من غير حمام ثم بعد أن يخرجوا من الحمام يسقون اللبن.

فإذا تم هضمه فليدخلوا مرة ثانية إلى الحمام، فإذا خرجوا فليشربوا ماء الشعير، فإذا كمل هضمه تناولوا لباب خبز مختمر ببعض الأشياء التي ذكرناها قبل.

٩٢- وأما استعمال الأشياء التي من خارج فمنها الحمام كما قلنا وقد وصفنا كيف استعماله. ومنها استعمال الهواء نفسه: فإن كان حارا برد بأن يفرش البيت الذي يكون فيه بالبقول الباردة كالورد والخلاف والآس والنيلوفر وقضبان الكرم وورقه.

ويحتال في أن تنصبَّ من أعاليه مياه إلى وسطه. ويكون بيتا شماليا. ويحتال في أن تكون في أعلاه كوى ينفذ فيها الريح من غير أن يدخل منها شمس وأما إذا كان الهواء باردا فلا شيء أحوج منهم إلى استنشاقه.

وبخاصة إذا كان بدء سوء المزاج فيها من المعدة أو من الكبد أو من الرئة أو من الصدر أو من المعـــى الصائم أو من الأرحام أو من الكليتين. ثم يتصل بعد سوء المزاج بالقلب.

وقد يكون حدوثه بالقلب حدوثا أوليا. ولذلك متى زكنت في أول الأمر العضو الذي منه انبعثت الحمى فقد ينبغي أن تكب على تبريده وترطيبه من غير أن تخل به، ولا سيما إن كان عضوا له منفعة شريفة، وذلك بالضمادات المتخذة بالصندل والماء ورد وبالبقول الباردة أو بالقيروطي الذي يصفه جالينوس، إلا أنه متى أردت التبريد فتوخ العطارة والقبض في الأعضاء الرئيسة. وهذا التدبير هو من تدبير من صار في النهاية. وأما من كان في أول أمره فقد يبرأ بأخف من هذا التدبير.

١٠- علاج الحميات المصحوبة بأعراض تعوق مداواتها

٩٣- وإذ قلنا في الحميات خلوا من الأعراض التي تعوق عن مداواتها فلنقل كيف وجه العلاج فيها إذا اقترنت إليها هذه الأعراض فنقول: إن هذه الأعراض بالجملة هي كل ما كان سبيلا إلى انحلال القوة المسمى غشيا، وذلك يكون ضرورة عن سوء المزاج الحار الغريزي الذي في القلب: إما بارد وإما حار.

وسوء المزاج الحار يكون ضرورة إما من قبل الأشياء التي من خارج مثل: الهواء الحار كما يعرض لمن يطيل المكث في الحمام، وإما من قبل الأشياء التي من داخل مثل: سوء مزاج الأعضاء الرئيسة كفم المعدة، أو مثل سوء مزاج غالب على جميع البدن، كما

يعتري ذلك في الحميات المحرقة، وأما سوء المزاج البارد فيعرض ضرورة عن ملاقاة الأشياء الباردة التي من خارج، وعن سوء مزاج الأعضاء الرئيسة مثل برد فم المعدة أو اختناق الرحم أو عن سوء مزاج غالب على جميع البدن، كما يعتري ذلك في الحميات التي تتولد عن الأخلاط الخامية.

وسوء المزاج البارد يصيب من الاستفراغات الشديدة. وذلك أنه متى نقصت كمية الحار الغريزي لم يمكن فيه أن يدبر البدن، وكان بالإضافة إلى الأفعال أبرد مما ينبغي. فإن أفرط ذلك أصاب عن ذلك غشي لا أن نقصان الكمية هي بذاتها سبب للغشي.

لأن كل كون وفساد سببه الحار أو البارد أو اليابس أو الرطب لا غير على ما تبين في العلم الطبيعي.

٩٤- وأنواع الاستفراغات المفرطة هي الإسهال والقيء والعرق وانفجار الدم من المنخرين أو من المقعدة أو من غير ذلك من الأعضاء. وفي النساء إفراط دم الطمث. وقد يعرض الغشي عن الاستفراغ الذي يكون عن بط الأورام الكبار وانفتاحها. والأرق أيضا مما يجلب الغشي وذلك بتحليله واستفراغه الروح الغريزي.

ومما يعرض عنه الغشي العوارض النفسانية مثل الفرح الشديد والهم. فإن هذه أيضا تبرد الروح الغريزي بإفراط حركة النفس وتكسبه سوء مزاج. والوجع الشديد أيضا مما يجلب الغشي وذلك يفعله إما بسوء المزاج الفاعل للوجع وإما بإفراط حركة الروح القوة الدافعة في الوجع كما يقول جالينوس.

٩٥- فهذه هي جميع الأعراض التي تؤدي إلى الغشي وهي بالجملة متى حدثت في الحميات فينبغي أن نصرف العناية إلى نفس مقاومتها وإن كان ذلك مضادا لنفس علاج الحمى ونحن نصف كيفية الوجه في منع حدوث الغشي ومقاومته إذا حدث ولنجعل كلامنا أولا من ذلك في الغشي العارض من قبل الأخلاط النيئة.

٩٦- أما منع حدوث الغشي في هؤلاء فذلك يكون بالتدبير الذي تقدم وصفه لأصحاب هذه الحميات، فإن غشي عليهم إما لمكان إهمال من ذلك التدبير أو لغير ذلك من العوارض فينبغي أن يغدوا على المكان.

وإن كانت التغذية في النوبة نفسها مضادة لما يراد من استيلاء الطبيعة عليها. وليس ههنا شيء يقوم مقام الشراب. وإن كانت الشريعة قد حرمته فإنه لصاحب هذه الحال في معنى الميتة للمضطر. فلذلك فلنبادر فنعطيهم خبزا منقعا في شراب.

وأفضل الأشربة في ذلك الشراب الجلابي النافذ الحرارة في البدن من غير مرارة ولا قبض. وإنما يكون كذلك الشراب الذي يكون في أول أمره قابضا، فإذا عتق ذهب ولم يبلغ مبلغا يمر طعمه.

ولست أعني ههنا بالشراب الذي جرت عادة أهل بلادنا أن يضعوه على الزفت، فإن ذلك شراب دوائي لا غذائي وهو أنكأ شيء للأعضاء الرئيسة لبيسه وحرافته.

وإن أخذوا دواء المسك مع الشراب فلا بأس بذلك. وينبغي أن ينضح بماء الورد على وجوههم في أول الأمر أو بالماء البارد، ويغمز على أنوفهم . وبالجملة يحرك الروح على الانبعاث. فإن كان من به هذه الحمى به ورم في كبده أو في معدته أو ما أشبهها من الأعضاء الرئيسة فلا تطمع في برئه، فإن الأغذية لأمثال هؤلاء تزيد في الورم أكثر مما تجبر من القوة. ودلك الساقين واليدين في وقت الغشي فعل جيد.

٩٧- وأما من يعرض لهم الغشي لحدة أخلاطهم وانحرافها، وهم الذين تصير وجوههم في أول الأمراض إلى الوجه الذي يصفه أبقراط، وهو أنف دقيق وعينان غائرتان وصدغان لاطئان إلى غير ذلك مما قيل، فهؤلاء علتهم كأنها على مضادة لتلك الأولى.

فلذلك حفظ هؤلاء من الغشي يكون بأن لا يجوعوا أصلا على ما جرت العادة به في انتظار المنتهى، أو في الثلاثة الأيام المشهورة عند الأطباء الذي كانوا في زمان جالينوس. وأفضل الأغذية لهؤلاء حسو الفتات أو كشك الشعير[١] نفسه بحب الرمان فإن الرمان خاصته أن لا يستحيل به الطعام إلى الفساد الدخاني وفصوص البيض وخصى الديوك والفراريج الصغار.

وإن عرض لهم الغشي لإهمال وقع في أغذيتهم فليسقوا أيضا شرابا بخبز. وليكن الشراب من القليل الاحتمال للماء الذي يصفه أبقراط، وهو الشراب الأبيض العطر الرائحة، وليكن ممزوجا بالماء البارد. كما أن الذي علتهم من الأخلاط الخامية ينبغي إن مزج لهم أن لا يمزج بالماء البارد. فإن الماء البارد من أضر الأشياء لهم.

وينبغي أن تعلم أن شراب التفاح مع دواء المسك وسائر الأشياء التي يظن بها أنها

---

(١) الشعير بارد يابس في الأولى أجوده الأبيض، وغذاؤه دون غذاء الحنطة وماء الشعير نافع للسعال وخشونة الحلق مدر للبول جلاء للمعدة قاطع للعطش مطفئ للحرارة معلل، وماؤه أغذى من سويقه قال أبقراط: في ماء الشعير عشر خصال هذه المعدودة ولزوجة معها بلاسة وهو أسرع الأغذية في الأمراض الحادة. انظر الطب النبوي لشمس الدين الذهبي.

نافعة من الغشي ليس تقوم مقام الشراب، لأن هذه كلها تحتاج إلى فضل قوة من الطباع وحينئذ تستحيل . وأما الشراب فهو أسرع الأشياء استحالة حتى قالوا: إنه ليس له هضم في المعدة بل في الكبد فقط، وهؤلاء لو استطعنا أن نغذوهم بشيء لا يحتاج إلى استحالة لفعلنا لضعف قواهم ولما نريد أن نتلافى من أمرهم بسرعة.

والهواء الذي يأوي فيه هذا العليل ينبغي أن يصير باردا قابضا، ويدهنوا بدهن قابض. وبالجملة ينحى في تدبيرهم إلى كل ما يمنع التحليل مثل أن تضمد أكبدتهم ومعدهم بما فيه قبض وعطرية.

فإن كانت الحرارة مع هذا شديدة فيتخذ لهم من هذه الأشياء ما فيه مع هذه الخصال برد، ومن كان من هؤلاء به ورم في أحد الأعضاء الرئيسة فلا مطمع في برئه أيضا.

٩٨- وأما من أصابه الغشي من سبب خلط مراري في فم معدته فقد ينبغي إن أمهلت الحال أن تقيئه بالماء الحار. بإدخال ريشة في حلقه، فإن لم يطاوعه القيء فلتلين طبيعته، وجالينوس يرى أن يسقوا دهنا فاترا في هذه الحال، فإنه إن لم يهيج القيء لين طباعهم.

ولكن لما كانت الأدوية التي تهيج القيء من شأنها أن تخل بالقوة أكثر مما أخل بها الخلط المرضي فيتزيد الغشي، فلذلك الأولى في هذه الحال أن تقوى المعدة بمثل المصطكى والسنبل مع عصارة السفرجل[١]، أو عصارة ورق الكرم.

فعند ذلك تقوى القوة الدافعة فتدفع الخلط ، فتكون تقيئته بطريق العرض وهو أحمد شيء في مثل هذا الموضع. وأما من يصيبهم الغشي من خلط بارد فليسقوا المعجون المتخذ بالثلاثة الفلافل. ثم يسعى في استخراج ذلك الخلط على ما سنذكر في معالجة سوء المزاج الحادث بعضو عضو.

٩٩- وأما الوجع فإن أمكن أن يرفع برفع السبب الفاعل له فليست المداواة حينئذ مضادة للمرض لكن موافقة له، وعلاجه حينئذ يكون داخلا في باب معالجة سوء المزاج الحادث في عضو عضو. وذلك أن الوجع إنما يكون عن سوء مزاج بارد أو حار مادي أو غير مادي.

وقد يكون عن سوء المزاج اليابس من غير مادة، وهو الوجع الذي يعرض عند التشنج اليابس. وأما إذا أرهق الوجع وضاق الوقت فقد يستعمل في معالجته ما يزيد في

---

(١) شجر مثمر من الفصيلة الوردية وموطنه الأصلي غربي آسيا وينمو هناك بريا وهو يزيل الخشونة والسعال واليابس من الصدر ويحفظ الأجنة في بطون الأمهات.

السبب. وهو أن يخدر حس العضو الوجع. وهذه معالجة ليست نافعة إلا بالعرض. وذلك أن عندما يقل حس العضو لسوء المزاج الحادث فيه عن الخلط أو يقل عن حركة القوة الدافعة التي فيه. فليس يتبع ذلك انحلال من الروح.

وأما إذا أفرط حس العضو فيتبع ذلك انحلال من الروح. ومتى استعمل هذا النوع من العلاج في الأوجاع التي أسبابها باردة كانت أشد نكاية في العاقبة. وأما متى استعمل فيما سببه حار فليس يعود منه على العضو كل الضرر . ولهذا ما ينبغي أن لا يستعمل فيما سببه بارد إلا حيث يشرف العليل من الوجع على أمر مهول.

١٠٠- وأشهر الأدوية التي فعلها هذا الفعل هي الفلونيا وذلك لمكان الأفيون الذي وقع فيها. وهذا العلاج بالجملة يستعمل في جميع الأوجاع الحادة إذا أرهقت إليه الحاجة كوجع العين والضرس والأذن والمعى. لكن كما يقول جالينوس لا تستعمله إلا بعد أن تعلم العليل أنه سيناله من استعماله ضرر في الآجل.

لكن يمكن أن يتلافى كثيرًا من ذلك الضرر، وحيث تستعمل الأفيون في هذه المواضع ليس يستعمل مفردا بل محجوبا بمثله من جندبادستر كما فعل في الفلونيا، وأجود الفلونيا لهذا التي ليست بالعتيقة جدا، لأن هذه قد ضعفت فيها قوة الأفيون[1]. والتي أيضا ليست بالحديثة لمكان وفور قوة الأفيون فيها. وأما شفاء الترياق للأوجاع فهو شفاء على جهة قلع السبب، كما تبرئ الأشياء التي ترفع سوء المزاج الفاعل للوجع.

ولذلك كان في ذلك أشرف فعلا من الفلونيا. فمتى أردت شفاء الوجع على طريق رفع المرض الفاعل على حدس فاحدس أي خلط هو الفاعل له. فإنه قد يكون عن الخلط الحار كما حكى جالينوس أن إنسانا كان به وجع في معاه، وكان يظن أن سببه بارد إذ كان أكثر ما تعرض هذه العلة عن سبب بارد، فكان إذا سقي الأشياء الحارة أو احتقن بها زاد وجعه، فحدس أن فاعل ذل خلط صفراوي متشرب في طبقات المعى فأطعمه طعاما غير سريع الاستحالة وسقاه مرات الدواء المتخذ بالصبر فشفاه. وأما متى كان عن خلط بارد فيشفيه أيضا استفراغ ذلك الخلط، كما حكى جالينوس عن الوجع الذي أصابه فلما احتقن نزل بخلط خام فبرئ.

وقد يكون الوجع عن ريح بخارية تتحلل عن نفس هذا الخلط. وحينئذ لا ينبغي أن

---

(١) الأفيون هو عصارة الخشخاش وأجود ما أخذ منه بالمشرط. وأضعفه ما يؤخذ منه بالطبخ أو بالعصر، شمه ينوم وهو مخدر مسكن لكل وجع سواء كان شربا أو طلاء، وقد يؤخذ من الخس البري وهو مخدر ومنوم.

يستعمل في فشها الأدوية الحارة لأنها مع أنها تفشها تولد من ذلك الخلط بخارا آخر. فشفاء مثل هذه الأوجاع إنما يكون باستعمال الأدوية القليلة الحرارة المنضجة. والترياق في مثل هذه الحال دواء نافع.

١٠١ - وقد خرجنا عما كنا بسبيله؛ لأن شفاء الوجع على جهة رفع السبب الفاعل له سنذكره عند ذكرنا شفاء الأعراض فلنرجع إلى حيث كنا فنقول: وقد يستعمل في الأوجاع على جهة المقاومة الأدوية المسكنة للأوجاع التي ذكرناها في كتاب الأدوية. كشحم البط وشحم الدجاج والنطول بالماء الحار والزيت ودخول الأبزن وما أشبه ذلك.

ويستعمل خاصة في الأوجاع التي تكون عن أبخرة محجمة النار على جهة المقاومة أيضا ريثما يفرغ الطبيب فيرفع السبب. ولذلك كثيرا ما تعود الأوجاع التي تعالج بالمحجمة إذا لم يشرع الطبيب في حسم سببها أو يقع في تدبير المريض أدنى خطأ. وإنما كان ذلك كذلك لأن أبخرة هذه الأخلاط هي في تكون دائم إلى أن تفنى مادتها.

١٠٢ - وأما الاستفراغات فالعلاج الشامل لها أنحاء:

أحدها: تمييل المادة إلى ضد الجهة التي تستفرغ منها.

الثاني: تقوية العضو المستفرغ؛ لأن لا تنصب إليه المادة.

والثالث: تضييق مجاريه.

والرابع: إخدار القوة الدافعة إذا أرهق الأمر إلى ذلك وأفرط دفعها، كما يعتري ذلك في الهيضة العظيمة.

فالقيء يعالج بربط الساقين والعضدين واستعمال الأشياء القابضة من داخل ومن خارج. وكذلك الإسهال يعالج بشد العضدين، وبالجملة الجذب الذي يكون إلى خارج.

ولذلك يدخلون أصحاب الهيضة إذا أفرطت الحمام، وإن كان الحمام مع هذا يزيد في الاستفراغ. ولذلك ينبغي أن يستعمل بتوق وبإعطاء الأشياء القابضة. وسيقال في هذه الأشياء عند معالجة سوء المزاج المادي المنصب من عضو إلى عضو.

وأما انفجار الدم من المنخر فإنه يعالج إن كان من المنخر الأيمن بوضع المحجمة على الكبد، وإن كان من الأيسر فيوضعها على الطحال.

كما يعالج النزف الذي يكون من الرحم بوضع المحجمة بين الثديين. وهذا كله مع استعمال الأدوية القابضة التي شأنها أن تجمع أفواه العروق. وأما الأرق فيعالج بالأغذية والأدوية التي شأنها أن تنوم.

واستعمال الأدهان المنومة مثل دهن النيلوفر والبنفسج والقرع وشم الروائح التي

تفعل ذلك، والشراب الممزوج إذا لم تكن هنالك حمى. فهذا هو القول في مقاومة الأعراض التي يرهق أمرها عند معالجة الحميات. فإن القول في شفائها على حسب جهة قلع أسبابها سنقول فيه عند التكلم في شفاء الأعراض.

١١- معالجة سوء المزاج في كل عضو على حدة

١٠٣- وينبغي إذ قلنا في معالجة سوء المزاج العام في البدن أن نقول في معالجته إذا حدث في عضو من أعضاء البدن، أي عضو كان، بالقول المطلق دون تورم، ونصير بعد ذلك إلى القول في الأورام فنقول: إن السبيل إلى معالجة سوء المزاج الحادث في عضو عضو من أعضاء البدن هي بعينها السبيل إلى معالجة سوء المزاج الحادث في جملة البدن.

وذلك إذا كان سوء مزاج غير مادي فبالضد، وأما إذا كان ماديا فبالاستفراغ والضد معا، والشروط المشترطة في تقدير الاستفراغات وتقدير استعمال الضد من السن والمزاج والعادة والفصل فهي بعينها مشترطة ههنا. ويختص هذا بمراعاة مزاج العضو وخلقته ووضعه ومشاركته وحسه ومنفعته. وقد فصلنا هذه الأشياء فيما سلف فلتكن ههنا عتيدة بحذاء أذهاننا لما نريد أن نقوله ههنا، ولننزل أنه قد حدث بالمعدة سوء مزاج يابس فقط غير مادي. فنقول:

١٠٤- إن الوجه في علاجه هو بعينه وجه علاج سوء المزاج اليابس الحادث في جميع البدن، وهو المسمى حمى دق غير أنه يخالفه من حيث هو سوء مزاج في معدة.

فلذلك ما ينبغي إذا حدث بالمعدة مثل هذا المزاج أن تبادر بصاحبه إلى الحمام وتدخله في أبزن معتدل، فإذا خرج من الحمام شرب لبن الأتن أو لبن الماعز بشيء يسير من السكر.

فإذا انهضم اللبن ويوقف على ذلك من الجشاء ومن مقدار انتفاخ البطن فليدخل الأبزن مرة ثانية.

ولا أقل أن يكون بين الوقتين أربع ساعات إلى خمس ساعات من ساعات الاستواء. ويمسح بالدهن في إثر خروجه من الحمام كل مرة بزيت أو بدهن البنفسج، فإن الدهن إنما يطلقه القدماء على الزيت.

وذلك أن الدهن يرطبه ويحفظه من إفراط التحلل.

فإذا خرج من الحمام المرة الثانية فإن استلذ اللبن فليسقه، وإلا فليشرب ماء الشعير. فإذا انهضم فليغتذ بلباب خبز مختمر محكم الصنعة من دقيق نظيف، ويكون قد طبخ في التنور فإنه أفضل أنواع طبخ الخبز وأعدلها نضجا لطبخه في الهواء الحار مع فتايا

إناث الدجاج وخصى الديوك المسمنة باللبن أو اللوز. ولا بأس بالسمك الرضراضي والطيور الجبلية، ما لم تكن يابسة حارة. والمختار منها هي الطيهوج والدراج والسمان والحجل وذلك أن الغذاء الموافق لهؤلاء هو ما كان في غاية سرعة الهضم وكثرة التغذية.

وكأن هذين استلالان متضادان لأن الأغذية الكثيرة غليظة الجوهر وهؤلاء لا يقوون على هضم هذه الأغذية.

١٠٥- وليستعملوا بعد استمراء الطعام نبيذا أبيض اللون عطرا، وإذا عطشوا في أول الأمر فليسقوا منه أيضا ممزوجا، لأن هذا إذا شرب ممزوجا أوفق لهم من الماء بكثير، لأن الماء يطفو به الطعام في فم المعدة وتحدث عنه قراقر.

وأما النبيذ الشرابي فإنه سليم من هذه الخصال. وإنما أعني بالشرابي الذي قوته قوة الشراب أي يتلوه في أفعاله. والشراب الذي يصلح ههنا هو الشراب الأبيض الذي يسميه أبقراط القليل الاحتمال للماء. وينبغي أن يستعمل منه القدر الذي لا يطفو به الطعام على فم المعدة. ولا يلحق عنه مس نفخة ولا ثقل على المعدة، فإن عرض من هذا شيء في أول يوم فليقلل منه في الثاني.

وكذلك ينبغي أن يتفقد كمية الطعام بعناية، لأن لا يثقل المعدة أو يمددها فإذا صلحت أحوال هؤلاء أخذ بهم في أن يردوا إلى عوائدهم قليلا قليلا في المطعم والمشرب وغير ذلك.

١٠٦- وأما إذا اقترن إلى اليبس حرارة فقد ينبغي أن يقرن إلى هذا التدبير الرطب ما يبرد مثل سقيهم ماء الشعير وشراب النيلوفر والجلاب. وإن شربوا نبيذا فكثير المزاج بالماء البارد. وبالجملة فيباح لهؤلاء شرب الماء البارد فإنه من أنفع شيء لهم، إلا أنه إن كان اليبس قد استحكم فينبغي أن يستعملوه بتوق لأن لا يخل بفم المعدة.

وتدهن المعدة من هؤلاء بدهن السفرجل والزيت المعتصر من الزيتون الغض مع دهن اللوز. فإن هذه العلة من حيث هي سوء مزاج يابس حار تقتضي التبريد والترطيب، ومن حيث هي سوء مزاج في معدة تقتضي الأشياء التي فيها قبض وحرارة. ولذلك لا بأس ههنا أن يتخذ في هذه الأدهان شيء من المصطكى.

وأما إذا كانت اليبوسة معها برودة فقد ينبغي أن نجعل مع اللبن الذي يشربونه عسلا فائقا وهو العسل الياقوتي الذي ليس تتبين فيه رائحة مرعى النحل. ورائحته شبيهة برائحة

الحاشا[١] دون أن يكون النحل قد رعى زهرها.

ويتجنبون ماء الشعير إن كانت البرودة قوية. وتضمد المعدة من هؤلاء بالمصطكى المسحوقة مع دهن الناردين أو سائر ذلك من الأدهان العطرة. وذلك بأن تبل صوفة في الدهن المسحوق فيه المصطكى وتوضع على فم المعدة.

والأحزم في هذا أن تخلط مع ذلك دهن لوز، فإن المزاج يقتضي الترطيب. ومن حيث هو في معدة يقتضي القبض إذ كانت الأشياء القابضة المرة هي المقوية للمعدة.

ودهن الضرو في سوء المزاج البارد نافع لكن بعد خلطه بدهن اللوز أو بدهن السمسم. ودهن اللوز أفضل. واللطوخ الزفتي من أنفع شيء متى استعمل بالمقدار القصد. وذلك بأن يترك على العضو ريثما ينفخه، وذلك نحوا من نصف ساعة وينبغي أن تعلم أن اليبوسة أعسر قبولا للترطيب من قبول الرطوبة لليبوسة، كما أن الأشياء الباردة أعسر قبولا للحرارة من الحرارة للبرودة.

ولذلك أعسر هذه الأصناف علاجا هي البرودة مع اليبوسة. فإنه مرض الشيخوخة. والأجسام الحية يمتنع حفظها من الشيخوخة.

١٠٧ - وأما المزاج الحار فقط فإنه ينبغي أن يعالج بالأشياء الباردة فقط. بعد أن لا يستعمل التبريد في هذا العضو[٢] جزافا: فإنه عضو الأغلب على طبيعته البرد.

وكل موجود فإنه يألم أكثر ذلك من جهة الأسطقس الغالب عليه. ولذلك كانت أمراض هذا العضو في الأكثر البرودة. ولهذا كان المجربون إنما وقفوا من أمراض هذا العضو على هذا النوع فقط من سوء المزاج، فكانوا يخطئون على من به سوء مزاج حار في معدته، مثل الرجل الذي حكى جالينوس أنه كان به سوء مزاج حار في معدته فكان الأطباء لا يبيحون له شرب الماء البارد.

---

(١) الحاشا: نبات شجرة شوكية كان القدماء يهيئون أغصانه ما يجعلونه أداة للقنابل بعد أن يلف حواليها القطن وتعرف بأوراقها الصغار وعلى أطرافها رءوس صغار عليه زهر أبيض يميل إلى الحمرة وهو معلل مقطع حتى للدم المنعقد، مسخن حتى أن شرابه يمنع اقشعرار البراد في الشتاء ويشرب لضعف الوصب إذا خلط بالسويق والشراب ضمادا على عرق النسا، ويخلط بالطعام فيحفظ قوة البصر ويزيل ضعفه، وينقي الصدر والرئة ويعين على الهضم، وشرابه يزيل سوء الهضم، ويدر البول والطمث، والحاشا نبات ربيعي يكون بالجبال والأدوية، بورق صغير كالصعتر.

(٢) أي: المعدة.

فلما عصاهم في ذلك حسنت حاله وانتفع به. فلهذا الذي قلناه كله يحتاج أن يحتاط في تدبير هذا العضو. وإن كان به سوء مزاج حار. وأيضا لعلة أخرى ليست بدون هذه: وذلك أن هذا العضو له فعل مشترك في البدن وهو رئيس مشارك. والأعضاء التي هذه صفتها يجب أن يحتاط في تدبيرها لأن لا تختل قواها.

ولذلك أمرت الأطباء أن لا يقرب إليها دهنا وإن كان باردا بالقوة إلا وهو سخن بالفعل.

كما أنه يجب أن يحتاط عند استفراغها بأن يخلط أبدا بالمحلل فيها القابض، وإلا أخل بقواها. فإنه كما يجب أن نراعي ذلك في الاستفراغ كذلك يجب أن نراعي ذلك في التسخين والتبريد.

وقول جالينوس إنه ليس يستدل من فعل العضو على إبراء سوء المزاج فقط، كما يستدل منه على إفراغ الفضل، لا معنى له: فإنا كما نتخوف عند إفراغ الفضل منه أن نخل بقوته وذلك بأن نكسبه سوء مزاج كذلك نتخوف من إدخال الضد عليه، وبخاصة من تبريده.

وهي الجهة التي منها يدخل على أعضاء القوة الغاذية أكثر ذلك الفساد. وهذا القانون في معالجات الأعضاء الرئيسة إنما السبب فيه مشاركة القلب لها. فكيف يهزأ جالينوس بأركيغانس إذ يرى أن القوة المدبرة في القلب وهو يعالج الدماغ عند تعطلها. هو يقر أن أحد الاستدلال المأخوذ منه علاج سوء مزاج الدماغ هو شرفه.

وشرفه ليس مستفادا إلا من القلب. ولذلك يلزم ضرورة عند معالجة فعل من أفعال الدماغ مراعاة أمر القلب. فهو يهزأ بأركيغانس بتركه معالجة القلب وهو يفعلها ولا يشعر أنه يفعلها. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع فنقول:

١٠٨ - وأما المزاج البارد الرطب فلن يخفى عليك أنه ينبغي أن ييبس ويسخن. والأدوية التي تفعل ذلك مشهورة كمعجون الفلافل وغير ذلك. كما أنه ليس يخفى عليك أن البارد فقط يحتاج أن يسخن والرطب فقط يحتاج أن ييبس، وهذا الذي قلناه من مداواة سوء المزاج غير المادي.

وتمثيلنا به في المعدة ينبغي أن تفهمه في سائر الأعضاء. وبخاصة التي شأنها أن تكون سببا لحدوث نوع ذلك المزاج الذي أصابها في جميع البدن مثل الأعضاء التي إذا أصابها سوء مزاج حار يابس كانت سببا لأن تحدث في البدن حمى دق وذلك إذا اتصل ذلك المزاج بالقلب.

١٢- سوء المزاج الذي يكون مع مادة في عضو

١٠٩- وإذ قد قلنا في مداواة سوء المزاج غير المادي فينبغي أن نقول في سوء المزاج الذي يكون مع مادة في عضو ما. فنقول: إن هذا النوع من سوء المزاج قد قلنا إن الغرض من شفائه غرضان: أحدهما تفريغ الفضل والآخر إصلاح سوء المزاج نفسه الحادث عن الفضل.

لكن هذه الأشياء يستدل على فعلها ههنا من وضع العضو ومشاركته ومنفعته وحسه مع الاستدلال من طبيعة المرض والسبب والعرض. ولما كانت الأعضاء التي فيها فضول لا تخلو تلك الفضول أن تكون متكونة فيها أو منصبة إليها من جميع البدن أو من عضو ما من أعضاء البدن.

فإن من شأن الأقوى أن يدفع بفضله إلى الأخس ولا سيما إذا أعانه الوضع والسبل المتصلة بمنزلة حال المعدة من الرأس وجب أن نتأمل أيضا هذه الأشياء في استفراغ العضو الذي نريد استفراغه: فإنه إن كان هنالك امتلاء في جميع البدن أو كان هنالك عضو يصب إليه فضلا فليس يمكن إبراء ذلك العضو الذي تقصد علاجه دون العناية بهذا الذي يجري من مرضه مجرى السبب الفاعل، وهو العناية بأمر ذلك العضو أو بأمر جميع البدن والعناية بذلك تكون باستفراغ ذلك العضو وإصلاح مزاجه أو استفراغ جميع البدن مع تقوية العضو المئوف لأن لا ينصب الفضل إليه بالأدوية القابضة وتسيل تلك المادة إلى جهة مضادة لجهة العضو المنصب إليه أو تميل المادة، إن كانت انصرفت من جهة أخس إلى جهة أشرف، إلى الجهة الأولى مثل أن يكون إنسان كثيرا ما كان يحدث به زكام فارتفع وانصرف الفضل إلى معدته.

١١٠- والوجه في استفراغ الأعضاء يوقف عليه من خلقتها: مثل أن المعدة تستفرغ بالقيء والإسهال، والكبد بهما جميعا وبإدرار البول زائدا، والمعى بالإسهال والحقن.

وربما كان الخلط مبثوثا في جرم العضو، وحينئذ يحتاج من الأدوية إلى ما هو أقوى جذبا لذلك الخلط.

وربما تركبت هذه الأمراض، وحينئذ ينبغي أن نصرف العناية منها إلى أشدها إرهاقا إن كان هنالك شيء يرهق. وإن كان لا يمكن برؤه على التمام قبل أن يبرأ المرض الآخر مثل أن يكون إنسان به في جرم معدته خلط حاد وفي تجويفها خلط آخر فإن الترتيب يقتضي أن لا يخرج المبثوث في جرم المعدة حتى يخرج الذي في تجويفها.

إلا أنه إن كان ذلك الخلط المبثوث في جرمها في حد يصيب منه الغشي فقد ينبغي

أن نصرف العناية إليه، وأما إذا لم يكن هنالك أمر يرهق فقد ينبغي أن يكون العلاج على ترتيب: فنعنى أولا بالمرض الذي يجري مجرى السبب ثم يقلع السبب.

وكذلك أيضا بالمرض الذي لا يمكن أن يبرأ دون أن يبرأ المرض الآخر وإن لم يكن له سبب. مثال ذلك أن المعدة بها خلط متشرب في جرمها وآخر في تجويفها وهو منصب إليها من الدماغ، أقول إن العناية ههنا أولا تكون بالدماغ. ثم بالخلط المنصب فيها، ثم بالمتشرب في جرمها.

١١١- وههنا أدوية خاصة باستفراغ عضو عضو وتقويته ليمتنع عن قبول الفضل قد سلفت لك معرفتها في كتاب الأدوية. فينبغي أن تتوخاها فيما يخصها من الأعضاء.

مثال ذلك أنه متى كان في جرم المعدة خلط مبثوث حار فإن أيارج الصبر أحمد الأدوية في إخراجه. وذلك أنه لا يتعدى جذب الصبر أكثر مما في المعدة.

وسائر الأدوية التي من شأنها أن تخرج هذا الخلط، مع أنها تخرجه من المعدة، قد تصبه أيضا إلى المعدة لقوة إسهالها، وأما إذا كان هذا الخلط مصبوبا في جوفها فقد يفي باستخراجه شرب الأفسنتين بالعسل والإهليلج الأصفر، وأما إذا كان هذا الخلط بلغميا، وكان رقيقا فقد يفي باستخراجه القيء بماء الشعير والعسل.

وأما إذا كان غليظا فإنه يحتاج أن يقطع بالسكنجبين البزوري. ثم يخرج بالأدوية التي شأنها أن تستفرغه مثل الغاريقون والصموغ المسهلة وشحم الحنظل إن اضطرت إلى ذلك الضرورة. وكذلك الأمر في الخلط السوداوي ينبغي أيضا أن يستفرغ بالأدوية الملائمة له بعد التقطيع.

وبالجملة فينبغي أن نتحرى ههنا الأفعال الثوالث من أفعال الأدوية. فإنها التي تختص بعضو عضو، ولذلك ما نرى أن تعديد هذه الأمراض بحسب عضو عضو، ووصف الأدوية النافعة لها طريق متمم لهذه الطريقة الكلية وهي الطريقة الكناشية.

لكن سنجمع نحن الطريقتين عند معالجتنا الأعراض الداخلة على عضو عضو. فإن شفاء تلك الأعراض إنما يكون بقلع الأمراض الفاعلة لها.

١١٢- وأما من يقتصر على الطريقة الكناشية دون معرفة الطريقة الكلية فيخطئ قطعا -كما يفعل ذلك أطباء وقتنا- وأما الاقتصار على الأمور الكلية فقد يمكن ذلك إذا كان الفاعل لذلك في غاية الحذق. ولذلك كان أحد الشروط المعدودة في الكمال في الصنائع أن يكون لصاحب الصناعة قوة على أن يستنبط منها ما يحتاج إلى استنباطه.

١٣- في علاج الأورام

١١٣- فهذا هو القول في علاج سوء المزاج المادي في عضو عضو إذا كان من غير تورم، وقد بقي من هذا الجزء من المرض أن نقول كيف معالجته إذا كان مع ورم: فنقول إن الغرض من شفاء الأورام، بما هي أورام فقط، أولا غرضان:

أحدهما: استفراغ المادة الفاعلة للورم.

والثاني: إبطال سوء المزاج الحادث. وربما كان أحد الغرضين أهم من الآخر في بعض الأورام، وربما كان الاهتمام بهما على السواء. مثال ما الاستفراغ فيه أهم: الورم الدموي. ومثال ما إبطال سوء المزاج فيه أهم: الورم المسمى حمرة رقيقة، فإن التبريد في هذا الورم أهم من الاستفراغ. ومثال ما الاهتمام بهما سواء: الأورام المركبة من هذين الورمين. وهذان الغرضان من شفاء الأورام إنما يكونان مقصودين فقط إذا كان الورم قد تم تكونه، وأما إذا كان دائما يتكون فقد ينضاف إلى هذين الغرضين غرض ثالث وهو قطع السبب الفاعل له. وذلك ليس شيئا أكثر من قطع جريان المادة المنصبة إلى العضو والسبب في انصبابها، وذلك يكون ضرورة إما من امتلاء في الجسم كله أو في عضو واحد أو أكثر من واحد يدفع ذلك الخلط لذلك العضو الوارم: فإن كل واحد من هذين يكون سببا لأن تنصب المادة إلى ذلك العضو.

١١٤- وأما المزاج الحار فالأمر فيه بين، وذلك أن الحرارة من شأنها أن تجذب المادة. وأما الوجع: فإما أن يكون يفعل ذلك بسوء المزاج الذي حدث عنه الوجع، وإما أن يكون يفعل ذلك بسوء مزاج حادث عن إفراط حركة القوة الدافعة لدفع الفضل، أو بكلا هذين الأمرين.

وأما سوء المزاج الحار الذي يكون سببا لأن تنصب المادة إلى العضو. فإنه قد يكون عن الأشياء التي من خارج بمنزلة سم حيوان أو ضربة أو غير ذلك. وقد يكون عن الأشياء التي من داخل : بمنزلة ريح ممدة أو خلط حار يلذع أو امتلاء يثقل العضو، والوجع يكون عن هذه الأسباب بعينها. وهذه الأغراض الثلاثة من معالجة الأورام قد تتضاد الاستدلالات منها، وقد لا تتضاد.

ووجه العمل في تضادها قد قلناه في غير ما موضع. فينبغي أن نقول في الأشياء التي بها تلتئم هذه الأغراض الثلاثة من شفاء الأورام. ولنبدأ من ذلك بقطع السبب الفاعل. فنقول:

١١٥- أما إن كان سبب انصباب المواد إنما هو امتلاء في الجسم فقد يجب ههنا

الاستفراغ العام، وذلك إما بالفصد إن كانت كثرة من الدم، وإما بالإسهال والقيء إن كانت هنالك رداءة في الدم، وإما بكليهما إن اجتمع الأمران: أعني الفصد والإسهال، وذلك أيضا بعد أن ننظر في سائر الشروط المشترطة في أمر الاستفراغات.

ويجب أن يكون هذا الاستفراغ يجمع الضربين من الاستفراغ الذي تقدم ذكرهما، وهو الاستفراغ الذي يكون بجذب المادة إلى خلاف الجهة ويكون مع هذا على محاذاة واستقامة أعني في أقرب السبل المتصلة بالورم على مثال ما تفعله الطبيعة، فإن أورام الكبد كثيرا ما تكون بحارينها بالرعاف. وهذا المعنى بعينه ينبغي أن نقصده في استفراغ الأخلاط: فإن كانت العلة في الأعضاء الفوقية أسهلنا أو حقنا، وإن كانت في السفلية قيأنا.

وأما إن كان الفاعل لذلك الانصباب عضوا ما من أعضاء البدن فقد ينبغي أن نستفرغ ذلك العضو نفسه إن أمكن، مثل أن نضع محجمة عليه بعد الشرط.

مثال ذلك اندفاع الفضل إلى العينين إذا كان سببه الدماغ فقط، فإن المحجمة التي توضع على القفا تشفي من ذلك لأنها تجمع مع استفراغ العضو الوارم جذب المادة إلى خلاف.

إلا أن هذا الاستفراغ الذي نقصد به العضو نفسه من أضر الأشياء إذا استعمل وفي البدن امتلاء. فإن خفنا الغلط في ذلك أو لم يمكن، استفرغنا الاستفراغ العام بعد أن نقدر أيضا أن دلالة البدن في الاستفراغ مضادة لدلالة ذلك العضو.

وكثيرا ما يكون ذلك العضو له سبل خاصة لدفع فضوله، فينبغي أيضا أن نستفرغه منه. مثال ذلك الدماغ: فإنه يمكن أن يستفرغ بالتعطيس والغرغرة. وإذا اجتمع الأمران كلاهما فينبغي أن نقصد النحوين من الاستفراغ: أعني أن يكون الفاعل لانصباب الخلط عضوا من أعضاء البدن ويكون البدن مع ذلك ممتلئا.

وقد ينضاف إلى هذا الغرض في قطع المادة المنصبة غرض آخر، وهو تقوية العضو الوارم بالأشياء الباردة القابضة، إلا أن هذا الغرض إنما ينبغي أن يكون بعد الاستفراغ وإلا لم نأمن أن تنصرف المادة من عضو أخس إلى عضو أشرف.

١١٦- فهذا أحد ما تعالج به الأورام في زمن التكون وأما إن كان السبب في الانصباب حرارة العضو الوارم، فقد ينبغي أن نقصد لإبطال سوء ذلك المزاج وذلك: أما إن كان سببه قد ارتفع مثل أن يكون سببه نهشة حيوان سمي فقد ينبغي أن نقصد أولا لاستفراغ ذلك السم بالأدوية الجذابة والمحيلة له، وقد يستفرغ بالمحجمة.

وكذلك إن كان سببه خلطا من الأخلاط قصد لاستفراغه. وكثيرا ما يكون

الاستدلال المأخوذ من هذه الأشياء مضادا للغرض الثاني من شفاء الأورام، وهو استفراغ الورم نفسه، وقد لا يكون مضادا: مثال ذلك -إذا كان مضادا- إبطال سوء المزاج الحار، فإنه يكون بالأدوية الباردة، والاستفراغ إنما يكون بالأدوية المحللة.

ومثال ما يكون الاستدلال فيه غير مضاد، إذا كان السبب فيه بخارا أو خلطا ينبغي أن يستفرغ من العضو نفسه، فإن هذين الفعلين إنما يكونان بالأدوية المحللة.

١١٧- وأما شفاء الوجع فإنه يكون، كما قلنا، إما بقطع أسبابه وإما بأن نورد على العضو مزاجا مضادا للمزاج المؤلم، وذلك يكون بالأدوية المخصوصة بتسكين الأوجاع كشحم البط والدجاج ودهن محاح البيض وغير ذلك من الأدوية.

وقد يكون ذلك بإخدار الحس كما قيل. ولن يخفى عليك ما من هذه الاستدلالات يضاد بعضها بعضا، وما منها ليس تتضاد. فهذا هو القول في أحد الأغراض الثلاثة التي عددنا من أغراض شفاء الأورام، وهو أول أغراضها، أولية زمانية، إذ كان هذا النحو من المعالجة إنما ينبغي أن يكون في زمن تزيد الأورام، فلذلك جل معالجة الأورام إنما يكون في ابتدائها بالاستفراغ والجذب إلى خلاف. ووضع الأدوية الباردة القابضة على الورم نفسه.

وأكثرها ما يرهق قطع السبب الفاعل في الأورام السريعة الحركة في الكون. وهي الأورام الحارة الحادثة عن الدم أو عن المرة الصفراء أو عن كليهما أو عن ما شابه أحد هذين الخلطين أو كليهما. وأنت فقد عرفت من كتاب الأمراض أصناف الأورام فلن يخفى ذلك عليك.

١١٨- وأما الغرض الآخر من شفاء الأورام، وهو استفراغ نفس الورم، فذلك يكون بعد تكون الورم، وهو زمان الانتهاء. والاستفراغ من نفس الأورام يكون بالأدوية المنضجة والمحللة.

وقد يكون بانفجار الورم نفسه بالأدوية المنضجة، وذلك إذا لم تف الأدوية المحللة باستفراغه. وقد يفتح عليه بالدواء الأكال أو بالحديد إذا كان الجلد الذي عليه خشنا.

وبيّنٌ أنه متى استعمل الاستفراغ بالأدوية المحللة والمادة في الانصباب أنك تصب إلى العضو الوارم أكثر مما تستفرغ منه. فلذلك ما ينبغي أن تكون أدوية الورم بعد الاستفراغ أدوية تردع وتقبض مع يسير تحليل لمكان تهييج القبض الوجع، فإذا تناهى فأدوية محللة فقط.

وما بين هذين الطرفين من الزمان فأدوية ممزوجة من هذين الصنفين. وأنت فقد

عرفت هذه الأدوية من كتاب الأدوية فلا معنى لإعادتها ههنا. وأما تدبير سوء المزاج في الورم الحار فإنما يكون أولا بالتبريد إذا كان في التبريد ردع وأيضا فإن بسكون الحرارة يقل الانصباب إلى العضو.

وأما الأورام الباردة فالتسخين إنما ينبغي أن يستعمل فيها بعد تمام تكونها، فإن التسخين لا يضاد التحليل.

١٤- علاج الأورام الظاهرة والباطنة

١١٩- فهذه هي أغراض معالجة جميع الأورام بما هي أورام، وبقي ههنا أغراض تنضاف إلى هذه الأغراض، هي مأخوذة من نفس العضو الوارم ومن نوع الورم ونحن نبتدئ من هذه الأورام بالصنف من الأورام الحارة التي تحدث كثيرا بالأعضاء الباطنة والظاهرة.

وأعني بالأورام الحارة الأورام التي شأنها أن تقيح ويتبع حدوثها في الأعضاء الرئيسة حميات، ولا بد سواء كانت دموية أو بلغمية أو صفراوية أو سوداوية.

وأما الأورام البلغمية التي ليست تقيح كالسلع. وكذلك السوداوية كالدبيلات وغير ذلك، فإنها قليلا ما تحدث بالأعضاء الباطنة.

وإذا حدثت فهي ممتنعة العلاج، وكذلك الورم المعروف بالسرطان، وذلك أن هذه يحتاج في تحليلها إلى أدوية خشنة لا تحتملها الأعضاء الرئيسة، حتى إن أكثرها إنما شفاؤها القطع بالحديد، وأيضا فلكونها إنما تنحل في زمان طويل تخور قوة العليل قبل ذلك.

ولهذا فنعمل في علاج هذه في الأكثر على أنها في ظاهر البدن فنقول:

١٢٠- أما الأورام بما هي أورام فتلتئم معالجتها من الثلاثة الأغراض التي قلنا، وهي تختلف من جهة أنواعها في هذه الثلاثة بالأقل والأكثر فالأورام الصفراوية تحتاج في أول الأمر إلى ما يبرد تبريدا كثيرا مثل الكاكنج[١] والطحلب[٢] وماء عنب الثعلب

---

(١) الكاكنج: هو عنب الثعلب البستاني، ويعرف بعنب الديب والأصلي منه ورقه كورق الريحان ولونه يضرب إلى الصفرة وثمره كذلك مع حمرة ومنه جبلي مزغب وزهره أحمر وورقه كورق التفاح وله ثمر كثمر الزيتون، ينفع الأمراض الباردة وبالملح يحل الورم ويذهب السرطان دهانا واعلم أن عنب الثعلب أنواع كثيرة ويجب الحرص من استعمال غير المعروف منه لأنه خطر .

(٢) الطحلب: هو ما يتولد من الماء ويسمى غزل الماء، أو هو الخز الذي يكون على وجه الماء. يتولد من تراكم الرطوبات المائية وينعقد بالبرد، وهو نوعان (١) إما حب متفاصل

والقيروطي المتخذ بالماء.

وأما الدموية فتحتاج مع التبريد إلى قوة قابضة، مثل أن يخلط بهذه الباردة ما فيه قبض وردع كقشور الرمان والسماق[1] وغير ذلك من الأشياء القابضة ما لم يكن هناك وجع، فإن كان وجع استعمل المسكن مع هذا.

وأما الأورام البلغمية والسوداوية فتحتاج إلى تبريد يسير وردع يسير لضعف حركتها في التكون.

ولن يخفى عليك أن الاستفراغ العام في هذه الأورام ينبغي أن يكون مناسبا للخلط الفاعل لها.

١٢١- فهذه هي الأغراض المضافة إلى تلك الأغراض الأولى من حيث هو ورم كذا. وأما الأغراض المضافة إلى هذه الأغراض من حيث هي في عضو كذا.

فنحن نقول في ذلك إذ كان هذا هو أهم شيء في معالجة الأورام التي في الأعضاء الرئيسة، فنقول: أما الاستفراغ الذي يكون بشق العرق في ورم أحد الأعضاء الباطنة فإنه يستدل على موضع الاستفراغ من مشاركة العضو الوارم ومن وضعه.

وذلك أنه ينبغي أن يكون الاستفراغ إذا لم يكن في العضو نفسه أن يكون في عضو أقرب مشاركة للعضو الوارم. وذلك أن تكون بينهما سبل مستقيمة أو قريب من مستقيمة. ولهذا فصدوا في أورام الكبد والطحال والكلى وبالجملة الأعضاء السفلانية العرق الباسليق وهو عرق البدن. وفصدوا في أورام الرأس والرقبة والحنجرة وعضل الحلق القيفال وهو عرق الرأس . وإذا أرادوا أن يستفرغوا هذه الأعضاء كلها على السواء فصدوا الأكحل لأنه مشترك لهما لكن اين ينبغي أن يفصد في ورم الكبد: هل الباسليق من اليد

الأجزاء ويسمى بخز الماء (٢) أو خيوط متصلة ويسمى غزال الماء منه بحري ومنه نهري ومنه صخري، وهو حابس للدم في كل موضع طلاء، ويضمد به الأمعاء فيضمدها.

(١) السماق: هو شجر صغير من الفصيلة البطمية التي تشمل الفستق والبطم والبلاذر الأمريكي وهي تشبه العدس ويستفاد من حموضتها في المآكل، وأوراق السماق قابضة والمقادير الصغيرة منها منبهة للهضم والمقادير الكبيرة سامة، أما السماق العطري، فيستعمل مع الزعتر المطحون، وكان يستعمل مجروشا مع الكمون ويشرب بالماء لوقف القيء والغثيان ويطحن مع الكزبرة والملح والكمون، ويستعمل مسفوفا مقويا للهضم فاتحا للشهية، والسماق له ثمر يقارب الرمان طولا وورقه طويل مزغب يحمل عناقيد حمراء ذات حب صغير شديد الحموضة.

اليمني أو الباسليق من اليد اليسرى فيه نظر.

١٢٢ - أما جالينوس فإنه يصرح في كتابه في حيلة البرء أن الباسليق من اليد اليمنى هو الذي ينبغي أن يفصد في ورم الكبد، والباسليق من اليد اليسرى في ورم الطحال.

وأقاويله الكلية تقتضي خلاف ذلك. وذلك أنه قد تبين أنه ينبغي أن يقصد في الاستفراغ الذي يكون والورم بعد في التكون غرضان: أحدهما استفراغ المادة من الأعضاء المشاركة، أعني التي بينها وبين العضو الوارم سبل نافذة مستقيمة.

وأن يكون مع هذا الجذب مضادا على مثال ما تفعله الطبيعة التي تستفرغ في ورم الكبد بالرعاف من الأنف الأيمن. فإن هذا الاستفراغ قد جمع المضادة في الوضع والمشاركة. إذا كان هذا كله كما وصفنا فليس في استفراغ الباسليق من اليد اليمنى في ورم الكبد إلا غرض واحد، وهو غرض المشاركة لأنهما في طرف واحد من طرفي عرض الجسم، إذ كانت الجهات المتضادة في الجسم إنما هي إما طرفا العرض وهما اليمين واليسار، وإما طرفا الطول وهما الفوق والأسفل، وإما طرفا العمق وهما الأمام والخلف، فإن هذه الأطراف هي جميع الأطراف التي يتأتى فيها جذب المخالفة.

١٢٣ - وإذا كان هذا على ما وصفنا وكانت الكبد في أحد طرفي العرض من الجهة اليمنى، فينبغي أن يكون الفصد إذا أريد به الجذب إلى خلاف الجهة في الطرف الآخر وذلك في الباسليق من اليد اليسرى.

فإن هذا الموضع يجمع المشاركة على سبل مستقيمة أو قريب من المستقيمة والجذب إلى ضد الجهة. وكذلك ينبغي في ورم الطحال وورم الصدر.

أعني متى كان الورم في الجانب الأيمن فصدنا الباسليق من اليد اليسرى وبالعكس، لكن الاستفراغ من الموضع الذي يجمع المشاركة والجذب إلى خلاف الجهة يشبه أن يكون إنما ينتفع به بعد أن يستفرغ من كمية المادة أكثر مما يستفرغ من كميتها، إذا قصد الغرض الواحد وهو المشاركة. فلذلك متى كان البدن والعضو الوارم نفسه يقتضي الاستفراغ فينبغي أن يقصد في الاستفراغ الغرضان، ومتى كان إنما يقتضي الاستفراغ العضو الوارم فقط أن يقصد فيه غرض واحد وهو غرض المشاركة.

ولذلك كثيرا ما نقصد في أمثال هذه المواضع إلى الجذب الناقل فقط من غير استفراغ.

وإذا كان مرض العضو يقتضي الاستفراغ والبدن لا يقتضيه فربما كان الغرض

الأول من الاستفراغ هو الذي ليس يحتاج غيره.وذلك عند كمال الورم عندما يفصدون عرق اللسان في الذبحة إذا استحكمت.

ولو أمكنهم أن يفصدوا العضو الوارم نفسه لفعلوا لأنه ليس في ذلك الوقت مادة إلا ما لحجت في العضو.

وأما في زمن التزيد فقد ينبغي أن يجمع الغرضان جميعا، لأنه متى اقتصر على الاستفراغ من غير جذب إلى خلاف، كان ما ينصب إلى الورم أكثر مما يستفرغ منه: بمنزلة من يستعمل الأدوية المحللة قبل الاستفراغ أو الأدوية المفتحة للسدد، فإن بحركته إليه أعني الدم وخروجه عن ذلك العضو ينصب إليه أضعاف ما خرج منه إن لم يكن الانصباب قد انقطع.

ومما قصدوا فيه الغرضين معا قصدهم في علل الرحم في مأبض الركبة أو في الصافن، وإن كانت المضادة ههنا ليست في أقصى طرفي الطول. وكذلك وضعهم المحاجم في علل العين على نقرة القفا وفصدهم الجبهة في علل القفا. وأما فصدهم الأسيلم في علل الطحال من اليد اليسرى، فإنه إنما قصد به المشاركة فقط.

وللقصد لجذب المخالفة يشدون أطراف اليدين والرجلين في أورام الصدر والمعدة وأورام الرقبة والرأس. ولهذا المعنى بعينه كرهوا جملة واحدة استفراغ أورام الرحم باستدعاء الطمث.

وكذلك كرهوا استفراغ أورام الكبد بالأدوية المدرة للبول والمسهلة، لأنه جذب غير مضاد. وأيضا فإن الأدوية تهيج الأورام بمرورها عليها، وقد قلنا إن هذا أحد الأسباب في تزيد الأورام.

وكذلك الحال في استفراغ أورام المعدة بالدواء المسهل، وكرهوا الغرغرة في أورام الحلق واللسان والفم وأعلى الحنك، وكرهوا إدرار البول جملة واحدة في أورام الكلى والمثانة.

هذا كله إنما كرهوه ما دام الورم في التزيد، وأما إذا انقطع سبب التكون فلا بأس بذلك لأنه من باب استفراغ العضو الوارم نفسه وإن كان الحدث من أصحاب الكنانيش يستعملون هذه الأشياء من غير تفصيل.

١٢٤- ومما فيه موضع فحص أورام الأذن اليمنى والأذن اليسرى من أي جهة ينبغي أن يتعمد فيها الفصد، فإنه من البين أن العرق الذي ينبغي أن يفصد لها هو القيفال.

وذلك أنه قد يظهر في هذا الموضع أنه ليس ينبغي أن يفصد في ورم الأذن اليمنى

القيفال من اليد اليسرى، لأن القيفال ههنا من اليد اليمنى قد جمع، مع المشاركة، الجذب إلى خلاف، وهو الذي بين طرفي الطول، أو الوسط إن حققت وطرف الطول.

لكن لما كان غير مأمون، ولا سيما في الأبدان الممتلئة، أن ينجذب الدم إلى الأذن اليمنى من طرف العرض المقابل عندما نستفرغها نحن من أسفل في القيفال. كان الحزم أن يكون الفصد في القيفال من الجهة اليسرى: فإن هذا الموضع يجمع مع المشاركة الجذب إلى أقصى جهة التضاد، إذ كانت المضادة ههنا من جهتين: من جهة طرفي الطول والعرض. ومتى اقتصرنا على أحد طرفي هذه المضادة لم نأمن أن يكون الجذب من الجهة الأخرى. وبودنا لو اتفق لنا في كل موضع نقصد فيه جذب المخالفة جميع أنواع التضاد التي هي الفوق والأسفل واليمين واليسار والأمام والخلف. وبخاصة متى كان هنالك امتلاء بحسب التجاويف.

لكن هذا ممتنع في أكثر العلاجات، وبعضها ممكن أن يجمع فيها أكثر من واحد.

١٢٥- فهذا هو القول في دلالات الأعضاء أنفسها على موضع الاستفراغ بشق العرق.

وينبغي أن تعلم أنه لابد في أورام الأعضاء الرئيسة من الاستفراغين، أعني إخراج الدم والإسهال، فإن أورامها في الأكثر ليست من خلط واحد، بل يجتمع فيها مع الكثرة الرداءة، ويكون الاهتمام بأحد الاستفراغين أكثر بحسب غلبة الأخلاط.

وقد حكى الرازي أن قوما اقتصر بهم في الشوص على الاستفراغ بالفصد فماتوا.

١٢٦- وأما دلالة الأعضاء أنفسها على الغرض الثاني من أغراض شفاء الأورام، وهو التبريد، فإن للأعضاء على ذلك دلالة ليس بالدون.

وذلك أن أورام الكبد وفم المعدة ليس ينبغي أن يوضع الدواء عليها وهو بارد بالفعل بل أن يكون سخنا بالفعل مثل دهن السفرجل أو دهن الآس، وأحرى من ذلك الأدهان الحارة كدهن المصطكى والأفسنتين وغير ذلك.

وإنما كان ذلك كذلك لمكان توفير قوى هذه الأعضاء لحاجة الأبدان إليها. وذلك أن فعل هذه الأعضاء يحتاج إليها جميع أعضاء البدن أعني المعدة والكبد.

وأكثر من هذا كله فم المعدة لكون مشاركتها للقلب كما قلنا غير ما مرة. وأما الدماغ فليس يكتفى في تبريده بالدواء البارد بالقوة بل بأن يوضع عليه الدهن باردا بالفعل وأن يخلط به ما يوصله مثل ما جرت به العادة بأن يخلط من الخل مع دهن الورد بقدر ما يوصله. وهذا كله ليس لمكان مزاج الدماغ فإنه العضو البارد بالطبع، بل لمكان العظم

الصلب الذي عليه.

ولذلك نتحرى بوضع الدهن على الرأس أن يكون من علو وتصادف به مواضع الشئون من الدماغ، وهو الدرز الإكليلي الذي يتحرك عند المضغ. وأما العينان فلموضع فرط حسها، فإنه ليس يقرب إليها شيء من هذه المعالجة على هذه الصفة، ولا دهن ولا غير ذلك،مما فيه لذع، بل نتحرى أن نجعل مواد أدويتها أشياء لا لذع فيها.

وأحمد الأشياء في ذلك على ما اجتمعت عليه القدماء رقيق بياض البيض، فإنه قد جمع خصالا محمودة. وذلك أنه أبعد شيء من اللذع ويملس الخشونة الحادثة فيها ويردها ويطول مكثه فيها باللزوجة التي فيه.

واللبن المحلوب أيضا من الثدي في ذلك نافع، وفيه، زائد إلى هذا قوة إنضاج.

١٢٧- وقد يستدل أيضا على الورم من جهة العضو الذي فيه، على أن لا يبرد أصلا ولا يردع، وذلك إذا كان في اللحم الذي من شأن الطبيعة أن تدفع إليه الفضول، مثل اللحم الذي عند الأذنين وتحت الآباط والأربيتين. فإن الأورام العظام متى خرجت في هذه المواضع يخاف من تبريدها أن تعود إلى عضو شريف.

أما التي في اللحم الذي تحت الأذنين فإلى الدماغ، وأما التي في اللحم الذي تحت الآباط فإلى القلب، ولا سيما ما كان من هذه الأورام قد دفعتها الطبيعة على طريق البحران، ولهذا كرهوا الردع القوي في ورم الرئة لقربه من القلب.

١٢٨- فهذه هي الاستدلالات المأخوذة من الأعضاء أنفسها في الغرضين من غرضي شفاء الأورام وهو قطع السبب الفاعل، وتبريد سوء المزاج المتولد عنها. وإن كان هذا الغرض الثاني ينطوي فيه الغرض الأول. وذلك أن الأشياء الباردة رادعة.

وأما دلالة الأعضاء الوارمة على الغرض الثالث فهي مختلفة في ذلك اختلافا كثيرا من ذلك أن الأعضاء الرئيسة ليس ينبغي أن تخلو الأدوية المحللة فيها من أدوية فيها قبض وعطرية، وذلك في زمان استعمال الأدوية المحللة للأورام وهو زمان الانتهاء، لأن استعمال القابض في زمان التزيد في الأورام أمر يعم جميع الأورام.

وهذه الأعضاء هي الكبد والدماغ والمعدة ويتلوها الطحال. وإنما كان ذلك كذلك لأن هذه الأعضاء لها فعل مشترك لجميع الأعضاء. وهي مشاركة للقلب، فهي من أجل هذا تحتاج إلى توفير قواها. والأدوية المحللة هي مثل الأضمدة المتخذة بالخبز والزيت السخن والعسل والقابضة العطرية، هي مثل الأفسنتين والمصطكى والسفرجل ومن ذلك أن الكبد إذا كان الورم منها في الجانب المحدب فاستفراغه يكون بالأدوية المدرة للبول.

وإذا كان في المقعر فاستفراغه يكون بالأدوية المسهلة للبطن. وهذا أيضا إنما يكون في زمن الانتهاء.

وهذا استدلال مأخوذ من الخلقة وينبغي أن تكون الأدوية التي يقصد بها إدرار البول أنفذ قوة لأنها ليس تصل إلى محدب الكبد إلا وقد ضعفت قوتها، لأنها تستحيل في الكبد. وأما التي يقصد بها استفراغ ما في مقعره فيجب أن تكون ألين قوة.

وكذلك الأمر في جميع الأعضاء التي تصل إليها الأدوية بعد هضوم كثيرة مثل الرئة. فإنها في هذا المعنى أكثر من سائر الأعضاء كما تبين في كتاب الصحة. وهذا استدلال مأخوذ من الوضع.

١٢٩ - والأشياء التي تدر البول في الكبد وتفتح سددها هي الأفستين والغافت، فإن هذين الدوائين مخصوصان بالكبد كما أن الطحال مخصوص بقشور أصل الكبر والسقولوقندريون، فأصل الكبر له بمنزلة الأفستين للكبد، والسقولوقندريون بمنزلة الغافت.

والأشياء التي تلين البطن برفق في أورام مقعر الكبد هي مثل ماء اللبلاب وبزر الأنجرة والقرطم. وأما الطحال فلا سبيل إلى استفراغه إلا بالإسهال.

وينبغي كلما عتقت هذه الأورام أن تقوي الأدوية المحللة لأن هذين العضوين أكثر قبولا لأن تتصلب فيها بآخرة الأورام الحارة، أما الكبد فلغلظ جوهرها وكثافته، وأما الطحال فلغلظ ما يغتذي به، لأنه في نفسه سخيف الجوهر.

والكلى مما تقبل الصلابة أيضا لمكان كثافتها. والأدوية القوية التحليل هي مثل أصل السوسن الأسمانجوني والزوفا والقنطوريون[1] والزراوند المدحرج وما أشبه ذلك. وجميع هذه الأدوية إذا استعملت فينبغي أن تستعمل مكسورة من يبسها بعود السوس.

١٣٠ - وبالجملة فينبغي لك أن تجهد نفسك أن لا تقيح بين يديك الأورام التي في مثل هذه الأعضاء، وبخاصة ورم الرئة فإنه إذا قاح: إما أن لا يمكن برؤه على التمام فيصلب.

وإما أن يموت العليل ضرورة. فإن الورم متى صار إلى أحد هذين الأمرين في هذه الأعضاء عسر علاجه. وعلاج الورم إذا قاح وانفجر هو داخل في باب علاج القروح.

---

(١) القنطوريون: منه كبير أصله كالجزر الغليظ شديد الحمرة، داخله رطوبة كالدم، يقوم عنه ساق مزغب خشن كالحماض، له زهر كحلي. يخلف بزرا كالقرطم، فيه حرافة ومرارة وحلاوة، والورق مما يلي أصله كورق الجوز . ومنه صنف صغير يشبه السذاب وساقه نحو شبر. وبزره كالحنطة مر الطعم، وهو منشط لعمل الكبد ومضاد للالتهاب منبه مقو.

وهنا أيضا أمر يخص الأعضاء التي ترم وليس عليها جلد كثيف، أنها في أول أمرها لابد أن يرشح فيها من الورم صديد. فلهذا ما ينبغي في مثل هذه الأورام من أول الأمر أن تعطي أصحابها ما يغسل ذلك الصديد ، وتنقي تلك المنافذ التي فيها يجري، وتقطعه أيضا إن كان فيه غلظ.

وهذه الأعضاء هي الكبد والصدر والرئة والمعدة. لكن ينبغي أن تكون هذه من الجلاء في حد لا تلذع معه هذه الأعضاء فتهيج أورامها. والأدوية الفاعلة لذلك هي مثل ماء الشعير وحسو النخال باللوز والبرشاوشان مع عود السوس واللوز المر وبزر البطيخ. وشراب الهندباء مع السكنجبين تختص به أورام الكبد.

وأما أورام الرئة والصدر فالخل أضر الأشياء فيها، لأنها تتأذى عن الخشونة. فلذلك أوفق الأشياء فيها هو البرشاوشان مع مثله من عود السوس أو من شراب البنفسج.

وبزر البطيخ في ذلك جيد والقرصعنة في هذه المواضع محمودة بجملة جوهرها وبأفعالها الثواني والثوالث.

فكأن هذه الأورام من حيث هي في هذه الأعضاء استدلالاتها مضادة لاستدلالاتها من حيث هي أورام. وذلك أنها تحتاج في زمان الانحطاط أن لا تخلو أضمدتها من القابض، وفي زمان الابتداء أن لا تخلو الأدوية المشروبة فيها مما يكون فيه جلاء.

وإذا كانت الأورام في الأمعاء السفلى فالحقن فيها أنجع لما يراد من الأفعال في تلك الأورام، كما أنها إذا كانت في الأمعاء العليا فما يؤكل ويشرب في ذلك أنجع. وهذا الاستدلال هو مأخوذ من الوضع. ومن ذلك أيضا أن أورام الحلق تخلط أبدا مع الأدوية المحللة فيها أدوية لزجة لتتشبث في ممرها بها.

وكذلك يفعل في الأدوية التي يقصد فيها ردعه، ومع ذلك أن تزدرد الأدوية شيئا شيئا لتمر بالورم. وأما أورام الدماغ فإذا صارت إلى حد الانحطاط فقد ينبغي أن نتحرى في تحليلها أيضا الأدوية القوية، وبخاصة إذا كانت الأورام في طبيعتها مائلة إلى البرد كالأورام التي تنسب فيه إلى البلغم. والأدوية القوية في مثل هذه الحال هي مثل الجندبادستر ودهن السوسن والأقحوان. وإنما كان ذلك كذلك لمكان الوقاية التي على هذا العضو، وإلا فهو رطب منفعل.

وقد يستعمل وضع المحاجم في استفراغ الأورام بآخرة والشرط لكن مثل هذا الاستفراغ ينبغي أن يتحرز منه مخافة أن يكون في البدن فضل فينجذب للعضو الوارم.

وإنما ينبغي أن تستعمل هذه المعالجة حيث يؤمن الانصباب ويصعب استفراغ ما

قد لحج في نفس العضو بالأدوية. وبالجملة فاستعمالها في الأعضاء الرئيسة غرر.

١٣١- فهذا هو القول في دلالة الأعضاء الوارمة مضافا إلى دلالة معالجة الأورام بما هي أورام، فإن الأورام التي في الأعضاء الآلية إنما يتم علاجها بجميع هذه الأشياء.

وأما الأورام التي في اللحم البسيط فليس يحتاج في علاجها إلى الأغراض المستعملة في مداواة الأورام بما هي أورام، وفي كثير منها ليس يحتاج أن يحفل بالسبب الفاعل، مثل الأورام الحادثة في اللحم الرخو عن أشياء من خارج مع نقاء من البدن. فإنه يكفي في علاج هذه الزيت السخن فقط.

وإذ قد قلنا في الأورام الحارة فلنقل في الأورام الباردة وهي التي ليس يكون فيها تقيح. ونقول أيضا في القروح التي تحدث كثيرا في سطح البدن مثل النملة المتآكلة الساعية ومثل قروح الجمر و هي التي تعرض أكثر ذلك في الهواء الوبائي فنقول:

١٣٢- أما الأورام الرخوة وهي التي تكون عن بلغم غير غليظ تشوبه في الأكثر نفخة ما، فمنها ما يحدث عن فساد الكبد مثل الأورام التي تحدث في أطراف المستسقين، وهذه فعلاجها تابع لعلاج مزاج البدن ويكفي فيها أن تدهن بدهن ورد مع يسير خل وملح.

وأما ما كان منها حادثا عن انصباب مادة، فإن الغرض في شفائه هو استفراغ العضو من ذلك الخلط وتحليله، وذلك يكون بما مزاجه مضاد لمزاج هذا الخلط وهي الأشياء المسخنة المجففة.

ولأن هذا الخلط فيه رقة ما ونفخة قد يستفرغ أيضا ما فيه بعصره إياه وتجفيفه. ولهذا ما يعالج من هذه ما كان خفيفا بإسفنجة مبلولة بماء وخل.

وذلك أن الإسفنج فيه تجفيف وقبض لكونه من طبيعة ماء البحر، والخل فيه تجفيف وتقطيع.

وأما ما كان أغلظ من هذا فقد ينبغي أن يخلط مع الخل شبا ورمادا وملحا، ويتوخى أن تكون الإسفنجة جديدة وإلا غسلتها بماء الرماد والملح والشب وتربط الإسفنجة على العضو ربطا محكما على جهة ما يربط العظم المكسور.

١٣٣- وأما الأورام الصلبة وهي التي تكون عن الخلط الغليظ فإن استفراغها إنما يكون بالأدوية الملينة كمخ ساق الأيل والعجل والأشق. وقد عرفت طبائع هذه الأدوية مما سلف لك.

وإنما اختصت هذه الأدوية بتحليل هذه الأورام لأن الأدوية القوية التحليل تحلل منه اللطيف وتبقي الغليظ متحجرا. فكأن هذا الفعل ههنا ينبغي أن يكون مركبا من

تحليل ومن إعداد للتحليل. وذلك أنه ليس كل أجزائه تقبل التحليل على وتيرة واحدة.ولكون هذين الغرضين مطلوبين في معالجة هذه الأورام كان أيضا من الواجب أن يستعمل من الأدوية الملينة بأدوار أدوية قوية التحليل.

وأفضل هذه الأدوية هو الخل إذا أضيف إلى الأدوية الملينة، إلا أنه ليس ينبغي أن يستعمل دائما فإنه يحجر بقية الورم. وقد حمد جالينوس في هذا حجارة المرقشيثا بالخل. قال: فإن لم يتهيأ فحجر الرحي. وذلك أن تؤخذ هذه الحجارة وتحرق بالنار، ثم يرش عليها الخل ويوضع العضو على ذلك البخار الصاعد من الحجر.

فإن هذا فيما زعموا له أثر جيد في تحليل هذه الأورام وبخاصة ما كان من هذه الأورام عند الوترات والأعضاء الصلبة. وأنا أقول إن حمد هذا الفعل إنما هو لأن قوة الخل تصل إلى العضو وتسري فيه على استواء إذ كانت محمولة في جوهر هوائي. على ما شأن الأشياء التي تنطبخ بتوسط الهواء أن يكون الطبخ فيها باستواء، مع أن ذلك البخار متولد أيضا عن مثل هذه الأحجار. وهو بين أنه لو سخن الخل بالحجر ثم وضع على الورم لم يكن له مثل هذا الفعل.

١٣٤- وأما إذا كان الورم الصلب في الطحال فإن استعمال الخل في أضمدته يحمد دائما: وذلك أن هذا العضو متخلخل، وإنما الصلابة التي تصيبه من غلظ جوهر ما يغتذي به.

وبالجملة فالخل كأنه مناسب لهذا العضو بجملة جوهره إذ كان غذاؤه مما يشبه مزاج الخل وهي السوداء، ولذلك لا يخلون أدوية الطحال التي تشرب من الخل. وليس ينبغي في الأورام الصلبة في الطحال أن يقتصر على الأضمدة من خارج بل وأن تستعمل الأشياء التي عهد منها تحليل صلابة الطحال، كأصول الكبر والسقولوقندريون والطرفاء، والأجود أن يضاف إليها بعض الأفاويه.

وأما متى كان الورم الصلب في الكبد فليس ينبغي أن يقرب منه الخل بتة، ولا في حين ما. فإن هذا العضو يقبل بطبعه الصلابة كثيرا ويستضر بالخل، بل ينبغي أن يعالج بالأدوية الملينة فقط كالدارصيني والسنبل والأسارون والقسط والإذخر وما أشبهها. والأورام الصلبة الحادثة في الكبد عسيرة البرء ولا سيما إذا لم تتلاحق في أول أمرها فإن صاحبها بالجملة يصير إلى الاستسقاء.

١٣٥- وأما الخنازير فإنها أورام صلبة تحدث في اللحم الرخو. وعلاج هذه أما ما كان منها عن بلغم لطيف فالتحليل بالأدوية الملينة، وأما ما كان منها عن بلغم غليظ

فالتفتيح والتعفين وقد عرفت الأدوية التي تفعل هذا الفعل مما سلف أو بالقطع بالحديد متى كان المتولي لذلك عارفا بالتشريح لأن لا يقطع عصبا أو شريانا له خطر. وكذلك أيضا السلع تعالج بهذه الأنحاء الثلاثة من المعالجة: وذلك إما بالتحليل وإما بالتعفين وإما بالقطع. ومن أنواع السلع ما تفي بها الأدوية المحللة كالسلع العسلية. وبعضها ينجع فيها العلاجان: أعني التعفين والقطع بالحديد ولا تفي بها الأدوية المحللة. وبعضها لا يفي بقلعها إلا الحديد وهي الشحمية.

وبهذا النوع من العلاج تقطع الثآليل وكل ما كان زائدا في الجسم. فأما ما حدث من السلع في باطن الجسم فعلاجه يكون بالأفاويه مخلوطة بها الأدوية الملينة، إلا أنها كما قلنا عسيرا ما تقبل البرء.

١٣٦- وأما النملة فإنها صنفان: صنف يعرف بالنملة المتآكلة وهي التي تأكل الجلد وتسعى فيه، وصنف يعرف بالجاورسية لأنه يحدث فيها بثور صغار مثل حب الجاورس.

فالصنف الدباب منها لأنه يحدث عن خلط صفراوي رقيق وقد ينبغي أن يعمد إلى استفراغه بالأدوية التي تستفرغ مثل هذا الخلط. وأحمد الأدوية في ذلك هي السقمونيا مع ميس اللبن، وأن يوضع على القرحة ما يجففها من غير لذع ويرد كالماميثا[1] وعنب الثعلب وما أشبههما.وأما الجاورسية فإنه يظهر من أمرها أنه يخالط الصفراء فيها بلغم ما، فلتجعل غرضك فيما يستفرغ الخلطين معا أعني الصفراء والبلغم.

١٣٧- وأما القروح المعروفة بقروح الجمر، وهي كلها قروح إنما تحدث أكثر ذلك في الهواء الوبائي من عفونة الدم وغليانه فلذلك تتبعها ضرورة حميات وبائية فعلاجها يكون بنوعي الاستفراغ العام، أعني الفصد والإسهال.

ولا يقتصر من الأدوية المسهلة على ما يخرج خلطا واحدا، بل جميع الأخلاط مثل حب القوقايا وغير ذلك، بعد أن يعوض من الأسطوخدوس فيه بسبايج، ويحتاط في حجب السقمونيا فيه والحنظل[2]، فإن البدن في مثل هذه الحال يقبل العفونة في جميع

---

(١) ماميثا: هي عصارة عشبية طيبة الرائحة مرة الطعم لونها بين صفرة وحمرة وغبرة ومتى أخذت من العشبة المذكورة تصبح متجملة سهلة الكسر، زعفرانية العصارة.

(٢) الحنظل: نبات حولي من الفصيلة القرعية زاحف مفترش غزير التفريع والثمار كروية الشكل وتتكون بداخلها البذور منبسطة الشكل بيضاوية نوعا لونها أصفر بني والجيد منها الأبيض اللين، وهو محلل جاذب وورقه يقطع نزف الدم، ونافع لأوجاع العصب والمفاصل وعرق النسا والنقرس، ويسهل البلغم الغليظ، المجتنى منه الأخضر يسهل بإفراط ويقيء بإفراط

الأخلاط وينبغي أن يوضع على القرحة ما فيه تجفيف بلا لذع وتبريد قليل ومقاومة للتآكل، كضماد يتخذ من دقيق الشعير وحب الثيل، وحشيشة الأنجرة ولسان الحمل[1] والقرصعنة ويسير من الترياق الفاروق، ويكون الضماد معجونا بماء الورد.

وجالينوس يحمد أن يوضع على نفس القرحة مثل أقراص أندرون، وبالجملة الأقراص الشديدة التجفيف.

ويوضع على العضو العليل ضماد يكون فيه بعض تبريد وتحليل، لأن الردع خطر في هذا الموضع، لأن لا تنصرف المادة إلى عضو شريف. والتقييح أيضا هنا لا يصلح لأنه يزيد في العفونة.

١٣٨- وأما الأورام السرطانية فيجب أن تستفرغ المادة الفاعلة لها. وذلك بالأدوية التي شأنها أن تستفرغ الخلط السوداوي ، ويتابع ذلك مرات كثيرة.

وأما نفس الورم فإنما ينبغي أن يعالج بالأشياء المجففة التي لا لذع فيها، وهي المعدنيات مثل الأسفيداج والاقليميا وما أشبه ذلك. وإنما كان ذلك كذلك لأن هذا الورم

ويجب الاحتراز من تناول الكثير منه إلا بمقدار معقول، وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب، وأكله على الريق ملثوثة بعسل أو غيره فتسهل بلغما غليظا بقوة المنصب في المفاصل وينفع من أوجاع. مثل الفالج والنقرس والتشنج وشربته إلى نصف درهم مفردا، وإذا دق مع شحمه وضمد على الصرة سهل الطبيعة وكذلك على باطن القدم والمفرد على الشجرة مثله يضر الرأس ويصلحه الأنيسون والكثيرا والصمغ يضعفه بدله قثاء الحمار.

(١) هو نبات معروف وهو ضرب من المر وأنفعه الأكبر والثمرة في ورقه فهو قابض جيد للأورام الحارة وحرق النار، وجيد للقروح الخبيثة ويضمد به داء الفيل فيضمر، وهو نافع للأورام الحارة كلها مثل النملة والحصب وينفع من الربو والسعال ونفث الدم ونزف البواسير والاستسقاء والإسهال المراري شربا، وبزره ينفع من السحج وقروح الأمعاء شربا واحتقانا وينفع أصله من عضة الكلب المكلوب ومن خواص أصله إذا علق على صاحب البواسير والخنازير أبرأها، بدله هندبا ويضر الرئة ويصلحه العسل قبل الطحال وتصلحه المصطكا، وأما شربته إلى ثلاثة اطلاع لحمى الغب، وأربع للربع، ولسان الحمل بارد يابس قابض يقطع سيلان الدم وينفع الشرى والجمرة، وينفع الرمد ونزفه وبزره وورقه لسدد الكبد، وفي معجم الألفاظ الزراعية ٥٠٣: (لسان الحمل: جنس نباتات عشبية معمرة طبية برية من فصيلة الحمليات)

لرداءة كيفيته يقبل التآكل عن أدنى لذع يكون في الأدوية التي تجففه لموضع رداءة الخلط الفاعل له.

وذلك أنه إنما يكون عن السوداء غير الطبيعية وهي السوداء المحترقة التي إذا صبت على الأرض عرض لها نفاخات وغليان شبيه بما يعرض عن الخل، وهذه إنما تقبل البرء أول امرها.

فأما إذا فرغ تكونها فإنها لا تقبل البرء. وذلك أن الأدوية التي وصفنا لا تفي بتحليلها ولا يمكن قطعها بالحديد لأنها تأخذ من البدن جزءا كبيرا فيه أعضاء شريفة من الشرايين والعصب، فإن قطعت تلك الأعضاء لم يؤمن منها الهلاك على الجسم. وكذلك أيضا لا يمكن قلعها بالدواء الأكال لهذه العلة بعينها، ولا أيضا متى حدث هذا الورم في عضو رئيس أمكن برؤه.

١٣٩- فهذا هو القول العام في معالجة أصناف سوء المزاج المادي وغير المادي. وينبغي أن تعلم أن الأورام التي تكون في الأعضاء الرئيسة والحميات، منها ما يقبل البرء من غير علاج أصلا بل الطبيعة كافية فيه، وبهذا أمكن أن يتخلص كثير من جفاة الأمم من الأمراض الصعبة مثل البربر والعرب والأكراد وغير ذلك من سكان البراري.

لكن إذا استعملت العلاجات الطبية في مثل هذه المواضع كانت سهلة على الطبيعة وسائقة إلى البرء في زمان يسير مع أمن في العاقبة، فإن كثيرا ممن تخلصهم الطباع من الأمراض الصعبة يصيرون من ذلك إلى زمانات في أعضائهم كما اتفق لي إذ مرضت من حمى قوية كان بحرانها بورم في فخذي فزمنت بذلك قدمي.

وههنا أيضا أمراض لا تفي الطبيعة بالتخلص منها إن لم تقترن إليها صناعة الطب. وهذا هو أشرف أفعال هذه الصناعة. وقد يتفق من هذه الأمراض، أعني الحميات والأورام، ما لا تفي الطبيعة ولا الصناعة بالتخلص منها، لكن هذا عسى أن يكون أقليا وفي أمزجة ما. وههنا أيضا أمراض ما لا يمكن الطبيعة ولا الصناعة أن تخلص منها، وذلك في الأكثر ، بل إن اتفق التخلص منها فبالعرض. لكن هذه الأنواع من الأمراض هي أقلية أيضا. كقروح الرئة وما أشبهها.

وإذا كان هذا كما وصفنا فإذن غاية هذه الصناعة تتبع أفعالها في أكثر موضوعاتها.

أي في أكثر الأمراض وفي أكثر أشخاص المرضى، وذلك أيضا في أكثر الزمن. فالحال إذن في حصول غاية هذه الصناعة كالحال في حصول غايات سائر المهن والقوى. فعلى هذا ينبغي أن تفهم أن هذه الصناعات صناعة فاعلة.

١٥- تفرق الاتصال في اللحم

١٤٠- وقد ينبغي بعد هذا أن نصير إلى القول في جنس المرض المعروف بتفرق الاتصال. سواء كان هذا المرض للأعضاء المتشابهة أو الآلية على ما يقول الأطباء.

أو كان إنما يوجد أولا للمتشابهة وثانيا للآلية على ما تبين من قولنا، ما خلا الجنس من الانفصال الذي يعرف بالخلع والفلك، فإن هذا ضرورة منسوب إلى الأعضاء الآلية فقط وإن كان كثيرا ما تتداخل هذه الأنواع بعضها على بعض.

مثال ذلك سوء المزاج من حيث هو مادي فإنه داخل في أمراض الزيادة. وبخاصة متى كان خروج المادة عن المجرى الطبيعي في الكمية. لكن المسامحة في هذا غير ضارة في هذه الصناعة. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع إلى غرضنا، فنقول:

١٤١- أما تفرق الاتصال فهو يحدث في كل واحد من الأعضاء المتشابهة الأجزاء: فإذا حدث في اللحم سمي قرحة، وإذا حدث في العظم سمي كسرا، وإذا حدث في العضل أو العصب سمي هتكا. وليس لما يحدث من ذلك في العروق الضوارب وغير الضوارب اسم فلنسمه نحن انبثاقا أو انفجارا.

ولمداواة هذا النوع من المرض استدلال عام واستدلال خاص بحسب واحد واحد من هذه الأعضاء، كما أن لها استدلالات أخر أيضا من حيث هي حادثة في أعضاء آلية، وذلك بحسب شرف العضو وخسته وخلقته ووضعه وبالجملة الأمور التي عددناها في الاستدلالات المعول عليها في شفاء سوء المزاج. ونحن فنبتدئ بالغرض العام من معالجتها ثم نصير بعد ذلك إلى ما يخص واحدا واحدا منها، فنقول:

١٤٢- أما تفرق الاتصال بما هو تفرق اتصال. إذا كان بسيطا ولم يكن هنالك مرض آخر. فالغرض من شفائه غرض واحد فقط وهو ضم ذلك التفرق وإلصاق جهتيه بعضها ببعض.

وذلك يتم في بعض الأعضاء بالربط فقط وبعضها يتم فيها بالربط ورفائد. كالحال في انكسار العظم وكثير من الأعضاء. وبخاصة إذا كان القطع عرضا وبعضها يتم فيها بالخياطة كالحال في مراق البطن إذا وقعت به ضربة فخرج الثرب.

فإن في هذا الموضع ينبغي أن يرد الثرب إن كان لم يفسد وإن كان فسد فليقطع لأنه ليس بعضو ضروري وإنما هو لمكان الأصلح على ما قيل في كتاب الصحة، لكن لعظم الشرايين والعروق التي فيه فينبغي أن تربط عند أصولها،وحينئذ تبتر.

وربما انتفخ الثرب حتى لا يمكنه أن يدخل وذلك من قبل الهواء البارد وحينئذ ينبغي

أن يكمد بإسفنجة مبلولة بماء في غاية الاعتدال. وجالينوس يرى أنه إن فعل هذا به ولم يدخل فينبغي أن يشق شيء من الصفاق. لكن أعمال اليد جلها في زماننا هذا قد دثر.

وبعض الجراحات ليس يكتفى فيها بضم شفتيها ولا بخياطتها دون أن يوضع دواء مدمل ينشف الصديد الذي يكون بين أجزاء الجرح الذي لم يمكن فيه أن نلزقه، كالحال في جراحة البطن. وأما ما التزقت جميع أجزائه فهو في غنية عن الدواء المدمل.

والأدوية المدملة هي التي فيها قبض وتجفيف: أما التجفيف فلإفناء الصديد الذي هنالك. وأما القبض فليجمع شفتي الجرح.

وينبغي أن تعلم أن كثيرا من الأعضاء ليس يندمل تفرق اتصالها. كالمعى الدقاق والحجاب، وبالجملة الأعضاء الشديدة اليبس.

١٤٣ - وأما القروح الحادثة في اللحم، إذا ذهب معها جزء من اللحم، فالغرض من شفائها غرضان: أحدهما أن يخلف من اللحم بدل ما ذهب، والغرض الآخر أن يولد فيها أيضا إذا كمل اللحم بالنبات منها شيء شبيه بالجلد: فإن الجلد ليس يمكن فيه أن يعود كأول مرة كالحال في اللحم.

والغرض الأول من هذين الغرضين إذا كانت المادة الواصلة إلى العضو ملائمة في كيفيتها وكميتها، أعني الدم وكان العضو ليس به سوء مزاج أصلا، فالطبيعة كافية في إنباته. لكن لما كانت جميع الأعضاء تتولد فيها فضلتان وذلك عند تمام هضمها، فضلة رقيقة وفضلة غليظة، كانت هاتان الفضلتان كثيرا ما تعوق نبات اللحم في القروح، ولذلك احتاجت الطبيعة أن ترفدها الصناعة في هذا المعنى بأدوية يكون فيها تجفيف لتلك المائية وجلاء لذلك الوضر من غير أن يتعدى ذلك الجلاء إلى إذابة اللحم النابت.

وهذه الأدوية هي المعروفة بالأدوية المنبتة للحم. والفرق بينها وبين المدملة أن المدملة أشد تجفيفا وليس فيها جلاء أصلا.

والأدوية التي بهذه الصفة كثيرة. منها الكندر ودقيق الشعير ودقيق الباقلاء ودقيق الكرسنة وأصول السوسن والإقليميا[1] والزراوند والجاوشير[2] والتوتيا.

---

(١) وهي ما يتولد من الدخان الصاعد عند طبخ المعدن كالفضة والذهب والنحاس.

(٢) قال بعضهم وصححه أنه الحلتيت أو نوع منه، قال: هو تافرفرا بالبربية وهي من أنواع الكلخ والمراد صمغه إلا أنه قليل ويستخرج صمغه بتشقيق أصله في أول ظهور الساق وهو شبيه بالكلخ الا أن ورقه كورق التين شديد الخضرة مخمس تقطع الأجزاء المستديرة وهو ينفع من الأورام الباردة خصوصا البلغمية كالفالج واللقوة والقولنج الغليظ ويدرّ

وهذه الأدوية يخالف بعضها بعضا بالأزيد والأنقص: فالكندر ودقيق الشعير ودقيق الباقلاء في الدرجة الأولى من الإنبات، ويليها دقيق الكرسنة وأصول السوسن. ثم من بعد ذلك الزراوند والجاوشير وكأنهما في الدرجة الثالثة.

١٤٤- والاستدلال على ما يستعمل من نوع هذه الأدوية وكميتها وجهة استعمالها يوقف عليه من مزاج العضو ووضعه وذكاء حسه وشرفه. أما من مزاج العضو فإن العضو متى كان عضوا رطبا بالطبع كان المنبت فيه الكندر مثلا، وكذلك المزاج الرطب مثل أمزجة الصبيان والنساء.

ومتى كان يابسا لم يكف فيه الكندر بل ما هو أقوى منه مثل الكرسنة وغير ذلك، حتى إن الأعضاء الشديدة اليبس إنما ينبت فيها اللحم الأدوية التي في غاية من اليبس، مثل قروح الأذنين فإنها إذا كانت ضعافا أبرأ منها شياف الماميثا بالخل، وإن كانت أقوى من ذلك فأقراص أندرون.

وربما احتيج فيها إلى الدواء المتخذ بخبث الحديد والخل. وكذلك الحال في جراحات الصدر.

١٤٥- وهذه المشاهدة لا شك صحيحة، لكن جالينوس يرى أن السبب في ذلك هو أن العضو اليابس إذا ترطب رطوبة مساوية لرطوبة العضو الرطب بالطبع أن اليابس قد خرج عن طبعه أكثر فهو لذلك يحتاج إلى دواء أكثر تجفيفا.

وهو الذي يقوله في إعطاء سبب هذه المشاهدة هو صحيح بوجه ما، فإنا إن أنزلنا أن عضوا في الدرجة الأولى من اليبس وآخر مثلا معتدلا أو في الدرجة الأولى من الرطوبة فخرج مثلا المعتدل عن مزاجه درجة واحدة إلى الرطوبة فالذي يشفي هذا ضرورة هو اليابس في الأولى.

وإن أنزلنا العضو الذي مزاجه يابس في الأولى خرج إلى هذه الدرجة بعينها أعني الدرجة الأولى فهو في الرطوبة قد تباعد عن مزاجه درجتين ضرورة وهي درجة الاعتدال والدرجة التي تليها.

-

الحيض بسرعة ويحرك الجنين ميتا أكلا وحمولا ويقطر في الأذن فيفتح الصمم، والجاوشير لفظة معناها حليب البقرة، وأيضا ورق شجر لا يبعد عن الأرض يشبه ورق التين شديد الخضرة. ساقه طويلة عليها زغب شبيه بالغبار وعلى طرف ورقه إكليل شبيه بإكليل الشبث زهره أصفر ونوره طيب الرائحة وعروقه كثيرة تتشعب عن أصل واحد وهو غليظ القشر.

فالدواء إذن الذي هو في الدرجة الثانية من اليبس يشفيه لأنه يقابله بدرجتين أيضا، أعني الدرجة الأولى والدرجة التي بعدها، وذلك أن الدواء الذي في الأولى قد يجفف مثل هذه الدرجة ويحطها رتبة واحدة، وهذا ظاهر بنفسه إذا تؤمل.

والذي في الثانية يحطها أيضا رتبة ثانية.

فإذن تحتاج القرحة التي في العضو اليابس إلى دواء أقوى ضرورة. فإن الأدوية إنما تشفي إذا كانت في درجة المساواة في التضاد.

لكن ليس يلزم في القروح التي في الأعضاء اليابسة أن تترطب ولا بد رطوبة مساوية للقروح التي في الأعضاء الرطبة، بل رطوبتها أكثر ذلك إنما هي على نسبة، فإن الفساد يسارع إلى الأعضاء اليابسة قبل أن تترطب رطوبة مساوية لرطوبة الأعضاء الرطبة.

وإذا كان هذا كما وصفنا وكانت المشاهدة تقتضي أن قروح الأعضاء اليابسة والأمزجة اليابسة تحتاج إلى داوء أيبس، فليس السبب في ذلك شيئا غير عسر انفعال العضو اليابس وغلظ الفضلة التي هنالك: فإن اليبوسة كما تبين من أمرها في العلم الطبيعي عسيرة الانفعال من غيرها.وكأن هذه المسألة تشبه مسألة الشيخ والشاب وقد سلف منا القول فيها.

والوجه الذي به يعلم الطبيب أن الدواء مقصر عما يحتاج إليه من تنقية القرحة هو كثرة الوضر فيها، والوجه الذي به يعلم الطبيب أن الدواء مقصر عما يحتاج إليه من تنقية القرحة هو كثرة الوضر فيها، كما أن الوجه الذي يقف به على أن الدواء يجلو أكثر مما ينبغي هو احمرار شفتي الجرح أو زيادة غوره. وقد يتفق أن يكون الدواء الأكال يزيد في الوضر فيغلط الطبيب ويظن أنه يقصر.

لكن يفرق بينهما بما قلناه من احمرار القرحة والحرارة المحسوسة وزيادة في غورها. وأما الاستدلال المأخوذ من الوضع في علاج القرحة فالأمر فيه بين.

وذلك أن القرحة إذا كانت في عضو تلقاه الأدوية ولم يتغير بعد كفى في ذلك الأدوية الضعيفة، كالحال في قروح المعدة.

ولذلك ما يحتال لقروح الأمعاء إذا كانت في المعى الغلاظ بأن يحقن العليل بالأدوية من أسفل، وإذا كانت في المعى الرقاق بأن نسقيه إياها.

١٤٦- وأما الأعضاء الغائرة فهي تحتاج إلى أدوية أقوى كقروح الرئة. والفسخ الذي يقع في العضل، لبعده أيضا عن ظاهر البدن، تحتاج الأدوية التي توضع عليه لتحلل الدم الذي خرج عن العروق أن تكون أدوية قوية. فإن ذلك التفرق الذي يعتري في

العضل لا سبيل إلى التحامه أو يزول الدم الذي خرج بين تلك الأجزاء.

ولعلمنا أيضا بوضع قصبة الرئة احتلنا لصاحب قروحها أن يرقد على خلوى قفاه ويمسك الدواء في فمه حتى يرشح منه في قصبة الرئة شيء يصل إلى القرحة من غير أن يهيج سعالا.

ولذلك نأمر أيضا صاحب قرحة المريء أن يزدرد الدواء قليلا قليلا ويخلط أيضا فيه ما يثبطه في مروره بالحلق . وأما الاستدلال من خلقتها فبذلك احتلنا لبعض القروح بأدوية تؤكل وتشرب فقط، ولبعضها بأدوية توضع من خارج فقط، ولبعضها ما جمع الأمرين جميعا. واحتيل في آلات ملائمة لخلق الأعضاء لتوصل إليها الأدوية مثل القثاطير للمثانة وغير ذلك من الآلات.

وأما ذكاء الحس فالأمر فيه بين أنه لا يحتمل العضو الذي بهذه الصفة الأدوية القوية. وكذلك الأمر في العضو الجم المنافع في المشاركة.

١٤٧ - وأما القروح التي تكون في ظاهر البدن وهي التي قلنا إنه يحتاج فيها إلى أن تخلف بدل الجلد جسما آخر فذلك يتم بالأدوية المدملة. وهي أدوية في غاية اليبس كالعفص والجلنار وما أشبه ذلك. وذلك لما نريده من يبس العضو الذي يحدثه ههنا.

وهي بالجملة أقوى تجفيفا من اللاحمة.

وأما القروح التي ينبت فيها لحم زائد فهي تحتاج إلى أدوية تأكل ذلك اللحم وهي في ذلك أقوى من المنبتة. وهذا الأدوية هي مثل الزاج والقلقطار[1] وأقوى من ذلك الزنجار[2]، ولذلك قد لا يمتنع أن يكون الزاج في بعض الأبدان منبتا.

وهذا الفعل ههنا. أعني قلع اللحم الزائد، ليس للطبيعة فيه تأثير كالحال في إنبات اللحم. وإنما هو من فعل الصناعة.

---

(١) هو نوع من الزاج العراقي ، ومنه سوري، ومنه القلقاديس، وجميع هذه الأنواع نافعة من النملة والحمرة، وإذا خلط مع ماء الكراث وسعط به قطع الرعاف، وحمول أقطع نزف الدم من الرحم وإذا دق مع الشب أجزاء سوية وعجن بماء الحصرم وتحملت منه المرأة ضاق فرجها وقطع الرطوبة النازلة منه وزاد في حرارته، يبدل بعضه من بعض، وشربته قيراطين وبدله أيضا زنجار.

(٢) وهو نوعان منه معدني، وهو ما يوجد في معادن النحاس ومنه عملي، وكله حار يابس في الرابعة بدله زهر النحاس ، وصنعته نحاس محرق ودقيق الباقلاء ونوشادر وملح أندراني أجزاء سواء يعجن بالخل ويقطر في خرقة صوف ويرصع للشمس.

١٤٨- فهذا هو القول في القروح الحادثة في اللحم في ظاهر البدن أو في باطنه خلوا من سوء مزاج، وأما سوء المزاج إذا تركب مع القرحة فإنه يتنزل منها منزلة السبب الذي ليس يمكن أن تبرأ القرحة حتى يرتفع. وكذلك إن كان معه تورم.

وقد عرفت معالجة سوء المزاج مما سلف. لكن على كل حال فينبغي أن نذكر به ههنا إذكارا فنقول: إن سوء المزاج الحادث بالقرحة لا يخلو أن يكون من قبل الدم الواصل إليها. وذلك إذا كان خارجا في كيفيته أو كميته أو كليهما. وإما أن يكون في نفس القرحة فقط.

وإما أن يجمع الأمران جميعا. فإن كان ذلك من قبل الدم الواصل إليها فينبغي أن نتأمل هل الفاعل لذلك الدم الواصل إليها رداءة أخلاط جملة البدن أو كثرتها أو كلاهما. فإن كان ذلك فالاستفراغ العام. وإن كانت الكثرة مجردة فالاستفراغ بالفصد.

وإن كانت الرداءة فالاستفراغ بالدواء المسهل. وقد عرفت المواضع التي تستحق استفراغا استفراغا من هذه الاستفراغات فلا معنى لإعادتها. وربما كان الفاعل لذلك عضوا واحدا من أعضاء البدن فينبغي حينئذ أن نجتهد في استفراغه.

وربما كان ذلك العضو مئوفا مثل أن تكون به دوالي أو غير ذلك وحينئذ ينبغي أن تشتد عنايتنا بتنقية البدن. وبالجملة فنحتال في ردع تلك المادة عن ذلك العضو المقرح بجميع وجوه الردع التي ذكرناها فيما سلف: من تقوية العضو وجذب المادة إلى خلاف الجهة.

وأما إن كان سوء المزاج في القرحة نفسها فقد ينبغي أن نعنى به ونقلعه، مثل إن كانت القرحة يابسة رطبناها بالماء السخن، وإن كانت رطبة جعلنا الأدوية المنبتة فيها أجف ما ينبغي. وكذلك نفعل إن كانت حارة أو باردة. وإن كان اللحم الذي في القرحة قد صلب حتى تثألل، فينبغي حينئذ أن تقطعه بالحديد ثم تضع عليه الدواء المنبت.

وأما الورم فلا سبيل أيضا إلى إشفاء القرحة دون شفائه وإن كانت الأدوية الشافية له تضاد علاج القرحة. وإن اجتمع الأمران في القرحة عنينا بهما جميعا: أعني فساد الدم الواصل إليها وسوء المزاج الحادث بها.

وأظنك ليس يخفى عليك بعد هذا ما السبب في أن لا تبرأ القرحة، فإنه لا خلو أن يكون ذلك إما من قبل الأدوية المستعملة فيها إذا كانت غير موافقة، وإما من قبل أن المادة التي تصل إليها غير ملائمة.

وإما من قبل أن الطبيعة التي في العضو قد اختل فعلها لغلبة صنف من أصناف سوء

المزاج هنالك أو أكثر من صنف واحد. وأما القروح المتآكلة التي تحدث عن الأخلاط الرديئة كقروح الأكلة وغير ذلك، فلن يخفى عليك أن معالجتها باستفراغ البدن وتعديل مزاجه وتجفيف القرحة نفسها، بغاية ما يمكن من التجفيف بمثل الترياق وما أشبهه.

١٦- تفرق الاتصال في الأوراد والشرايين

١٤٩- فهذا هو القول في علاج تفرق الاتصال الحادث في اللحم بسيطا ومع سوء المزاج. وينبغي أن نقول في تفرق الاتصال الحادث في الأوراد والشرايين، فنقول: أما تفرق الاتصال الحادث في الأوراد فهو يلتحم بسهولة.

وأما الانفصال الذي يحدث في الشرايين فيعسر ما يندمل، إلا ما كان من ذلك صغيرا أو في بدن صبي. ولأن في انفتاح هذه العروق قد يرهق أمر آخر وهو أهم، وذلك هو سيلان الدم.

فقد ينبغي أن نقول ههنا كيف السبيل في قطعه، فإن الأدوية اللاحمة ههنا هي اللاحمة هنالك. لكن ينبغي أن تكون ههنا أيبس.

وأما انبثاق الدم فهو يكون على أوجه: وذلك أن منه ما يكون بانصداع العرق وفاعل ذلك إما شيء من خارج أو من داخل. والأشياء التي من خارج هي الأشياء التي تقطع أو ترض أو تمدد.

والأشياء التي من داخل هي التي تأكل بحدتها أو تمدد حتى تفتح العرق. وقد يكون انبثاق الدم بانفتاح فوهة العرق وقد يكون بالرشح. ونحن نبتدئ من هذه الأوجه بالانفجار الذي يكون عن الانصداع، إذ كان أخطرها، فنقول:

١٥٠- إن العرق متى انصدع وكان في ظاهر البدن فإن قطع الدم يتأتى بوجهين: أحدهما تميل المادة عن ذلك العضو، وبخاصة متى كان السبب في ذلك كثرة من الدم. والوجه الثاني سد موضع الانفجار وذلك يكون إما بالأصبع إن كان قليلا.

فإن الأصبع متى حبست على موضع الانفجار جمد هنالك الدم فانقطع، إما بالربط وإما بالكي، وذلك أن الكي يفعل على فم الجرح خشكريشة، وإما بالأدوية القابضة المغرية كالأدوية التي تركب من العلك المطبوخ وغبار دقيق الحنطة[1] وجبسين

---

(١) حارة في الأولى معتدلة في الرطوبة واليبس والمسلوقة بطيئة الهضم، نفاخة تولد الدود والحنطة الكبيرة الحمراء أغذى ، انظر (الموجز في الطب) لابن النفيس، وأجوده الحنطة الصلبة الرزينة وهي كثيرة الغذاء والمسلوقة بطيئة الهضم، وهي تنفي الوجه وسويقها ثقيل =

وما أشبه ذلك.

وحمد جالينوس في الانفجار الذي يكون في الشرايين الدواء المتخذ من الصبر والكندر وبياض البيض ووبر الأرنب حمدا كثيرا. قال: وذلك أن هذا مع أنه يسد موضع انفجار الدم ينبت اللحم فوق العرق، وذلك أحوج شيء نحن إليه في هذا، لأن اللحم متى لم ينبت على فم الجرح أصاب عن ذلك العلة المعروفة بأم الدم.

والكي بالنار غير مأمون لأنه ربما سقطت الخشكريشة وانفجر الدم مرة ثانية. وأيضا فإن الكي يذهب جزءا كبيرا من اللحم، ونحن في هذا الموضع إلى إنبات اللحم أحوج منا إلى نقصه.

وإنما يحمد الكي في الانبعاث الذي يكون لموضع تآكل العرق. لكن الكي حينئذ يقوم مقام رافع السبب الفاعل للتآكل، وقد يردع الدم عن العضو بأن يبرد العضو وبخاصة متى كان السبب في انبعاثه حرارة الدم.

وقد تستصعب هذه الوجوه فنلتجئ حينئذ إلى قطع العرق وبتره، شريانا كان أو وريدا، فإن العرق إذا بتر تقلص من طرفيه فانقطع الدم.

والأحزم في ذلك أن نربطه عند أصله الذي يلي القلب ثم نبتره. وأما تمييل الدم إلى جهة أخرى فذلك يتأتى بأن ينصب العضو نصبة يكون بها فم الجرح مرتفعا إلى فوق بعد أن نتوخى في ذلك العضو وضعا غير موجع، وبأن نميل المادة إلى ضد الجهة التي يسيل منها الدم وإما إلى أقرب المواضع: مثال تمييلها إلى أقرب المواضع أن الدم الذي يكون من الفم قد يصرف إلى الأنف، والذي يكون من المثانة قد يصرف إلى الرحم.

ومثال تمييلها إلى ضد الجهة وضع المحاجم على الكبد في الرعاف من الجانب الأيمن وفي الطحال من الجانب الأيسر.

والمحجمة أيضا إذا وضعت في القفا في الرعاف يميل الدم أيضا إلى ضد الجهة، فإن

-

والحنطة الممضوغة على الريق نافعة للصحة. والحنطة جنس نباتات عشبية حولية زراعية معروفة من فصيلة النجيليات وفيها عدة أنواع. ويستخدم معقما واقيا من شحنات الأشعة المميتة مزيلا لرائحة الفم الكريهة مولدا للنشاط والحيوية. وفي الوقت الراهن تستخلص منه مادة الروتين من المجموع الخضري والبذور وهي المركب الوحيد في الأدوية الطبية المستخدمة في وقف منع النزيف الدموي الداخلي.

الوراء ضد الأمام. من هذا النحو أيضا وضع المحاجم بين الثديين في نزف الرحم.

والدم يجذب إلى ضد الجهة أو إلى أقرب المواضع: إما بالفصد وإما بالدلك وإما بشد الأعضاء وإما بالأدوية مثل الأدوية المدرة للطمث. إلا أن استعمال الفصد في ذلك علاج عرضي، وذلك أنه معالجة الشيء بما يجانسه. فينبغي أن يستعمل بتوق، وإنما يشبه أن يكون علاجا ذاتيا حيث يكون الفاعل لانبعاث الدم كثرته.

١٥١- وأما الانفجار إذا كان في داخل البدن فليس إلى قطعه سبيل إلا بالأدوية القابضة والأغذية الغليظة. وينبغي أن يؤخذ الاستدلال أيضا ههنا من وضع العضو وخلقته وسائر الأمور التي عددنا.

والأدوية القابضة في ذلك على مراتب، كما أن انبعاث الدم في ذلك على مراتب. فأقوى الأدوية في ذلك الجلنار والسماق والأقاقيا والعفص الفج وقشر الرمان. والأضعف في ذلك الشاذنج ودقاق الكندر ولسان الحمل وعنب الثعلب.

وحمد جالينوس لسان الحمل في النزف الذي يكون من الرحم لتاكل هنالك. قال: ومن شأني إذا استعملته أن أخلط به بعض الأدوية الشديدة القبض ومن أصعب هذا الانصداع الذي يكون في باطن البدن انصداع عروق الصدر وأصعب من ذلك انصداع عروق الرئة.

وقد ظن قوم أن انصداع عروق الرئة شيء لا يلتحم، وجالينوس يضمن أنه متى وقعت إليه هذه العلة في ابتدائها أنه يلحمها بدمها فأما متى صارت إلى التقيح فإنه فيما يزعم أمر لا يتأتى، يعني لا يتأتى البرء الكامل فيها. ولكن قد يمكن أن يعيش العليل دهرا طويلا إذا تدبر بالتدبير الذي أصفه، حتى أنه ليس يموت من هذه العلة. وهذا ينفهم لعمري من كلام جالينوس وإن كان لم يصرح به كل التصريح.

وأما الحدث فشاهدوا ذلك: زعم ابن سينا أن امرأة عاشت بذات الرئة عشرين سنة كانت تأكل خبزها بالجلنجبين[١] السكري، وكذلك الحدث من أطباء عصرنا زعموا أنهم شاهدوا ذلك في غير ما شخص.

١٥٢- فأما وجه علاج انصداع عرق في هذا العضو من أول الأمر، وذلك إما

---

(١) الجلنجبين: معرب عن فارسية (كل أنجبين) يعني: ورد وعسل وهو الورد المربى، اما العسل حار يابس في الثانية والسكر حار في الثالثة رطب في الأولى والمعمول من السكر يقال له بالعجمية كل باسكاس والنوعان يقويان الدماغ والمعدة.

لصيحة شديدة أو غير ذلك من الأشياء التي من خارج، فلذلك يكون إما أن يفصد العليل من أول الأمر من الأكحل إن كان هنالك امتلاء مفرط أو من الباسليق إن لم يكن هنالك امتلاء، والأجود أن يخرج له الدم مقسما على مرتين وتشد منه الأطراف، أعني أصول الأفخاذ وأصول الذراعين وتأمرهم ما استطاعوا أن لا يسعلوا.

وجالينوس يأمر أن يسقوا في أول الأمر خلا ممزوجا بماء إن زكن الطبيب أن في الرئة دما قد انعقد. وهذا العلاج مضاد للسبب والعرض، وذلك أن الخل من شأنه أن يهيج السعال، وهو ههنا عرض ينبغي أن تصرف العناية إليه، وهو أيضا ينكأ القروح فيزيد بهذا السبب في سيلان الدم.

فالأحزم في هذا الموضع أن يتجنب ويسقى العليل ما فيه ردع وقبض وتقوية، ويختار من القابض ما فيه لطافة لبعد الموضع. وأنفع الأشياء في ذلك عندي شراب الورد بماء أنقع فيه جوز السرو وجفت البلوط(١) وأذناب الخيل، أجزاء سواء ورأى بعض المتأخرين أن يكون الماء قد أطفئ فيه حديد محمي حتى يذهب منه جزء كبير فبهذا العلاج يمكن أن تندمل هذه القرحة بدمها.

وفي هذا كله تلطيف الغذاء من أهم الأشياء: يكفي في ذلك ماء الشعير مع سويق حب الرمان أو سويق الشعير بالغداة، وأوقيتان من خبز بالعشي مع خصى ديك.

١٥٣- وأما إن كان سبب انصداع العرق فيها نزلة أصابت، وذلك إما بجهة تهييجها للسعال. وإما بجهة أكلها لجوهرها. وذلك أنه إذا كانت عن خلط حاد، فإن الأحزم في هذا الموضع هو الاستفراغ العام: وذلك بالفصد والإسهال ووضع الدواء المجفف على الرأس.

وأما إن كان السبب في النزلة سببا باردا فالقرنفل في ذلك. والفلفل والفوذنج نعم الدواء.

---

(١) والبلوط من أهم أشجار الأحراج من الفصيلة البلوطية وهو يعالج سقوط الشرج. وفي سقوط الشرج عند الأطفال تستعمل مكمدات في الشرج من مغلي لحاء البلوط في النبيذ الأحمر ويعالج الإفراز المهبلي عند النساء ويفيد في معالجة الجروح والقروح النتنة ويعالج الاكزيما وغيرها من إصابات الجلد بذرّ مسحوق اللحاء فوقها ويفيد في معالجة التبول الليلي والبصاق المدمم أو القيء المدمم وجميع أنواع النزيف المعدي والمعوي ونزيف البواسير وزيادة نزيف الحيض الشهري ويفيد في معالجة إفراط الحموضة في المعدة وضمور الكبد.

وأما إن كانت عن سبب حار فيكفي في ذلك البسباسة وقشر الأترج وبالجملة كل دواء قوي التجفيف قليل الحرارة، فإنه لا سبيل ههنا أن يندمل الجرح والسبب الفاعل باق.

ولأن الوقت ضيق مخافة أن يقيح الجرح. فلذلك ينبغي أن يرفع السبب الفاعل بعناية: وليس ذلك أكثر من أن يجتهد في تجفيف البدن بكل ما يمكننا. ولذلك الترياق في هذا الموضع دواء حسن جدا وبخاصة الحديث، مع أنهم زعموا أن من خاصته قطع الدم كما يقطع الإسهال.

فإن كان ذلك كذلك فالعلاج بالترياق مشترك لصنفي انفجار الدم من الرئة، أعني الذي يكون عن سبب من خارج والذي يكون عن سبب من داخل.

وحمد جالينوس أيضا في هذا الوضع أقراص أندرون والأقراص المتخذة بالبزور.
وأما إذا قاحت فإن جالينوس يزعم أن السبب في امتناعها من قبول البرء أن الصديد ليس إلى إنقاء القرحة منه سبيل إلا بالسعال. والسعال يزيد في التورم والتورم يزيد في الصديد. إلا أن هذا لو كان كما زعم لما كان لأحد سبيل إلى أن ينقطع النفث من رئته ويعيش دهرا طويلا كما حكوا.

لكن يشبه أن يكون السبب في ذلك أن هذا العضو إذا تورم لا تقل البرء قرحته بل تصلب ويبقى العليل كذلك يعيش دهرا طويلا، وذلك شيء راجع إلى جملة جوهر هذا العضو، لا أن يتكلف في هذا غير ذلك.

ومن قاحت رئته إما بسبب ورم كان هنالك فانفجر بمدة بيضاء. وإما لانصداع أهمل حتى صار إلى التقيح. فأنفع ما يعالج به ما فيه بعض جلاء وتجفيف مع تقوية كالبرشاوشان والقرصعنة وقشر الأترج والبسباسة مع عروق السوس والتزام أكل خبزه بمربى الورد أو الزبيب العسلي.

وشرب اللبن في هذا الموضع محمود، وكذلك ماء الشعير. وينقل العليل إلى البلاد الجنوبية في الذي يكون سببه زكاما باردا أيضا.

١٥٤- وأما قروح قصبة الرئة فإنها أسهل برءا، وبالجملة فينبغي في تجفيفها أيضا وفي تجفيف قروح الرئة بأن تأمر العليل أن يمسك في فمه ما فيه جلاء وتجفيف مع تمليس ويستلقي على قفاه، فإن بهذا الوجه قد يمكن أن يصل من ذلك إلى الرئة شيء على جهة الرشح، كما يهبط الطل على الحائط.

وأما انفجار الدم الذي يكون بانفتاح أفواه العروق فعلاجه هو نحو هذا العلاج.
وأما رشح الدم فشفاؤه يكون بالأدوية الباردة القابضة. وإن كان السبب في ذلك رقة الدم

فبالأغذية الغليظة. فهذا ما رأينا أن نذكره من معالجة تفرق الاتصال الحادث بالعروق.

وينبغي أن نقول في تفرق الاتصال الحادث بالعصب. فنقول:

١٧- تفرق الاتصال الحادث بالعصب

١٥٥- أما العصب من جهة ما شأنه أن يقبل التشنج عند أدنى رطوبة تصيبه فقد يجب أن نعنى غاية العناية عندما تصيبه نخسة أن لا يرم. وذلك يكون بالعناية بجملة البدن أعني بالفصد والإسهال وأن لا يلبث في الجرح صديد أصلا ولا يكون هنالك وجع.

ولأن العصب من الأعضاء الغائرة الكثيفة لم يكف في تنشيف الصديد منه الأدوية اللاحمة، بل أوفق الأدوية له ما كان فيه تجفيف مع حرارة تجذب ذلك الجزء الصديدي من غير لذع، ولذلك قد نعني في أول الأمر في هذا الجرح بتوسيعه. وهذه الأدوية تختلف بالأقل والأكثر: فأضعفها علك البطم إذا استعمل وحده وأقوى من ذلك إذا استعمل مع يسير من الفريفون. وإنما ينفع وحده في الأبدان الرخصة. وأما الأبدان الصلبة فيوافقها في هذا المعنى السكبينج وحده مع الزيت فقط أو مع علك البطم.

وكذلك الجاوشير والحلتيت أيضا نافع في هذا المعنى. والكبريت الذي لم تصبه النار إذا خلط بالزيت نافع في هذه الجراحات. والراتينج في هذا المعنى يقرب من علك البطم وكذلك العلك الرطب.

١٥٦- وأما إذا انخرقت العصبة وقد انكشط من عليها الجلد فليس تحتمل مثل هذه الأدوية بل يكفي في هذا الموضع النورة المغسولة بالزيت والتوتيا المغسولة أيضا.

وإن كان البدن صلبا فحسبك أقراص أندرونز وإذا انقطعت العصبة عرضا ولم تنبتر فهو أشد خوفا منها إذا انقطعت طولا. ولذلك يحذر على هؤلاء أن يصيبهم تشنج.

فليعن بتدبير هؤلاء غاية العناية من إخراج الدم والاستفراغ وتعريق رقبته وإبطيه بزيت حار وبخاصة متى كان القرح في اليد، كما أنه يجب أن تعرق بالزيت أربية من كان القرح في رجليه.

١٥٧- وأما ما يسكن به وجع العصب إذا كان غير مكشوف فهو الزيت الحار، لأن الماء الحار هو مضاد لهذا الجوهر: أعني جوهر العصب وأما إذا كان مكشوفا فالزيت يوضره إلا أن يرهق إلى ذلك شدة الوجع.

وينبغي أن تكون الأدوية التي توضع على العصب سخنة بالفعل، فإن هذا العضو أكثر شيء تألما عن البرد، وإذا كان التورم، وخفنا على العليل التشنج بترنا العصب فإن بذلك ينجو من الموت، وإن كنا بهذا الفعل نورثه زمانة في العضو الواصل إليه ذلك

العصب.

١٥٨- وأما الرباطات فهي تحتمل من المداواة ما هو أشد وأقوى من مداواة العصب. وكذلك الأمر في الأوتار، وإن كانت الأوتار أقرب إلى العصب.

والرباطات التي تتصل بالعضل يجب أن تعالج بمثل معالجة العصب. وأما ما يتصل من ذلك بالعظم فلا تضره الأدوية القوية وإذ قد قلنا في التفرق الحادث في العروق والعصب، فقد ينبغي أن نقول في تفرق الاتصال الحادث في العظم، وهو المسمى كسرا، وبذلك يتم القول في هذا الجنس من المرض، فنقول:

١٨- تفرق الاتصال الحادث في العظم: الكسر

١٥٩- أما ما وقع من الكسر في العظام عرضا فإنه ضرورة يميل من العظمين أحدهما على الآخر، إما يمينا وإما شمالا، وإما قداما وإما خلفا، فيجب لذلك أولا أن نرده على استقامة.

لكن لما كان هذا الكسر في الأكثر ليس يكون مستويا بل بزوائد لم تأمن إن رمنا رده أن تنكسر تلك الزوائد فيقع في بلية أعظم. فلذلك يجب أن يمد كل واحد من العضوين عن صاحبه مدا ما، وذلك باليد أو بالآلات التي كانت جرت عادة القدماء أن يمدوا بها، إن كان في زماننا هذا من يحسن ذلك.

فإذا مد العضو ترك حتى يتقلص بالعضل الذي فيه ثم يسوي ما هنالك إن احتيج إلى التسوية. ولأن العليل لا يمكنه أن يحفظ العضو المكسور على الوضع الذي رد عليه وبخاصة عند النوم وعند الحركة إلى الخلاء، فلابد من ربطه.

١٦٠- وأوفق الربط له فيما يراه أبقراط أن يتخذ له لفافتان نبتدئ بإحداهما من موضع الكسر ثم يصار بها إلى فوق الكسر.

واللفافة الأخرى يبدأ بها أيضا من موضع الكسر ثم يمر إلى أسفل العضو. وإنما اختار أبقراط هذا الرباط لأنه يجمع مع شد العضو أنه يمنعه من أن تنصب إليه مادة فتورمه، بخلاف ما يكون الأمر لو ابتدئ بالرباط من فوق إلى الجرح نفسه.

وأبقراط يأمر أن يجعل هذا الرباط غبا، وذلك في السابع الأول خوفا من أن يحدث هنالك تورم. ومتى حدث أدنى وجع حل الرباط وطلي على العضو بالأدوية المسكنة للوجع. وكذلك متى وجد في العضو حكة نطل بالماء السخن. فإذا تجاوز السابع وأمن الورم فليس يكفي حينئذ في إمساك العضو على وضعه تلك اللفائف فقط، مخافة أن ينجبر معوجا، بل يوضع على اللفائف رفادات تمسك العضو.

قال الرازي والجابرون من أهل زماننا فإنهم يضعون الرفائد من أول الأمر في السابع. وأما أبقراط فإنه يحذرها مخافة التورم. وأيضا في السابع ليس يخاف على العظم أن ينجبر معوجا، بل ينبغي أن تكون العناية في السابع الأول مصروفة إلى منع حدوث الورم.

قلت وأما الجابرون من أهل زماننا فإنهم يضعون الرفائد في أول الأمر مع بعض الأدوية التي تشد العضو كدقيق الدرمك وبياض البيض وغير ذلك. ويتركون العضو كذلك إلى أن يبرأ وأظن أن من يتخلص بين يدي هؤلاء من التورم فإنما يتخلص بالاتفاق. بل ينبغي أن تحل الرفائد بعد السابع الأول، وذلك لا أقل في كل سبعة أيام وينظر كيف انعقاد ذلك الرشبذ. فإن العظم لا ينجبر بعينه وإنما ينجبر هنالك شيء شبيه به.

فإن كان أغلظ مما يجب وضع هنالك من الأدوية أدوية كثيرة التجفيف وشدت اللفائف. فإن كان أرق نطل بالماء السخن وأرخيت اللفائف. وإن كان معتدلا فالأدوية الداملة من أوفق شيء لتولد مثل هذا الجوهر لأنها بيبسها تعينها على الانعقاد.

وأما التدبير بالغذاء والدواء ففي السابع الأول ينبغي أن يشق لصاحبه العرق ويسهل. إن كان هنالك امتلاء بخاصة، ويلطف الغذاء جملة.

فإذا تجاوز السابع الأول غذي بأغذية شبيهة بذلك الجسم الذي تروم توليده وهي الأغذية الغليظة اللزجة، وأما إن كان الكسر مع جرح فينبغي أن يترك فم الجرح مكشوفا ليسيل الصديد منه وإن كانت شظايا من عظام توجع فلتخرج وأما إذا كان الشق طولا فالرباط نفسه يشفي من ذلك مع ما ذكرنا من التدبير وأما أمر عظام الرأس إذا نفذ الجرح فيها إلى الصفاق فإنه ينبغي أن يقور ما حواليه من العظم ونشف الصديد، وإلا لم يكن سبيل إلى برئه.

ومن يفعل ذلك غير موجود في زماننا هذا، فهذا هو القول في جميع أصناف سوء المزاج وأصناف تفرق الاتصال المنسوبين أولا إلى الأعضاء المتشابهة وثانيا إلى الآلية وينبغي بعد أن نقول في الأمراض التي تنسب إلى الأعضاء الآلية نسبة أولى، فنقول:

١٩- أمراض الأعضاء الآلية

١٦١- إن الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء الآلية منها أمراض الزيادة في العدد والنقص فإن أمراض الزيادة والنقص في المقدار هي منسوبة إلى المتشابهة ومنها أمراض الخلقة وهي تنقسم إلى الشكل والملاسة والخشونة والسدة والانفتاح. ومنها أمراض الوضع.

١٦٢- أما أمراض الزيادة في العدد فمنها الطبيعي كالأصبع الزائدة وهذا لا تكاد تنظر فيه صناعة الطب. ومنها غير الطبيعي وهذا أصناف: فمنها الحصى المتولدة في المثانة

والكلى. ومنها الحيات والديدان المتولدة في البطن، ومنها الخيلان والثآليل المتولدة في البدن، ومنها نزول الماء في العين، ومنها الظفرة، ومنها البردة. ومنها القيح المجتمع في العين، ومنها الرحى المتولدة في أرحام النساء.

وكل هذه أسبابها المتقدمة المادة الخارجة عن الطبع في كميتها وكيفيتها. فإن كانت بعد هذه العلل في حد التكون فالعناية أولا إنما تكون بقلع أسبابها، وذلك يكون بالاستفراغ العام، ثم بعد ذلك قلع تلك الزوائد وإزالتها. وإن كانت هذه العلة قد تم تكونها فليس الغرض من شفائها إلا غرض واحد وهو قلع الزوائد.

فهذه هي المداواة التي تعم جميع هذه الأصناف. وأما ما يخص واحدا واحدا منها فهو ما أقول: أما الحصى فقلعها وإزالتها يكون بالأدوية المخصوصة بذلك وقد ذكرت فيما سلف. وأما الديدان والحيات فإنها تقتل بالأدوية المخصوصة بذلك وقد ذكرت فيما سلف.

وأما الديدان والحيات فإنها تقتل بالأدوية المرة كالأفسنتين والشيح، وأما الدود المعروف بحب القرع فيحتاج إلى أقوى من ذلك بمنزلة الشرخس. وأما الخيلان والثآليل فإنها تقلع بالأدوية وبالحديد.

وأما المنكوسة من ذلك فإنها تقلع بريشة تلتقمها كما تدور، وأصلح الريش لهذا الفعل ريش الديوك وريش العقبان.

١٦٣- وأما الماء النازل في العين فإنه إذا كان نضجا فإنه ينقلع بالقدح وأما القيح فإنه يقلع بأن يحدر إلى أسفل.

قال جالينوس وأعرف رجلا من الكحالين كان يجلس المريض على كرسي ويهز رأسه حتى يرى القيح قد انحدر. وليس يمكن هذا في الماء النازل في العين فإنه شبيه بالغمام يرجع عندما يزال إلى أسفل. ولذلك ليس الحيلة فيه إلا أن يغوص في خمل العين وإلا عاد.

والشيافات المتخذة بالمرارات نافعة في نزول الماء وفي القيح. وقد يستفرغ القيح بالبط.

وأما الظفرة فإذا كانت كبيرة فقلعها يكون بالحديد وإذا كانت صغيرة فبالأدوية.

وأما البردة فقطعها يكون بالحديد. وأما العلة المعروفة بالرحى فقلعها يكون بالأدوية المدرة للطمث المسقطة للأجنة.

وأما أمراض النقص فمنها سقوط الشعر وتمرطه في العلة المعروفة بالقرع وداء

الثعلب و الحية. وأما نقصان أصبع أو غير ذلك من الأعضاء فلا سبيل إلى برئه.

١٦٤- وأما الحيلة في وجه انجبار الشعر وتولده. فلما كنا قد علمنا أن الشعر تولده إنما يكون من الفضل الدخاني كان ضرورة سقوطه من فساد هذا الفضل وخروجه عن الطبع في كيفيته. ولذلك ما ينبغي أن نركن إلى الفضل الغالب على البدن فتخرجه بالإسهال. وكذلك نستعمل الأدوية المحللة فيما لحج من ذلك في العضو نفسه.

وأما نقصان اللحم فقد قلنا في وجه جبره. وأما أمراض الخلقة فأحدها، كما قلنا، الشكل. وهذا أكثر ذلك إنما يكون طبيعيا، فلذلك لا سبيل إلى إصلاحه. وأظن أن الأعضاء المَؤُوفة الشكل لو وضعت من أول الولادة في قوالب مستقيمة الشكل وبقيت كذلك زمان النمو كله لاستقام شكلها. ومنها أمراض الملاسة والخشونة.

أما أمراض الخشونة فإنما يفعلها أبدا خلط حريف، وذلك إما مرة صفراء وإما سوداء وإما بلغم مالح. وشفاء هذا يكون باستفراغ هذا الفضل وإحالته وتقوية الأعضاء الخشنة أن لا ينصب إليها مثل هذا الفضل بالأدوية القابضة وتمليسها بالأدوية المملسة.

وكثيرا ما يتضاد ههنا قلع السبب مع العناية بتمليس العضو نفسه مثل السحج الحادث عن البلغم المالح. لكن ليس يخفى عليك من القوانين المتقدمة كيف يصنع. وأما أمراض الملاسة فسببها الأخلاط اللزجة، وشفاؤها يكون بقلع تلك الأخلاط.

ومنها أمراض السدد؛ وشفاء السدد إن كانت في حد التكون فباستفراغ الخلط الفاعل لها وتفتيح السدد نفسها بالأدوية المفتحة. وإن كانت قد فرغ تكونها وليس هناك امتلاء فبالأدوية المفتحة فقط. وأما انفتاح المجاري فعلاجه يكون بالأدوية القابضة المقوية للعضو.

وقد تستعمل فيه المخدرة. وذلك إذا أفرط فعل القوة الدافعة أو الماسكة المملسة.

١٦٥- وأما أمراض الوضع فمن أشهرها الفتوق الحادثة في البطن والأنثيين. والفتوق التي في البطن تعالج بأن يستلقي العليل على ظهره ولا يتصرف، وبالأدوية القابضة اللطيفة القبض كجوز السرو وجفت البلوط وما أشبه ذلك، وإن كانت هنالك نفخة تمنع المعى أن يرجع عولج بالأدوية المحللة للنفخ. وأما الفتوق التي تعرض في الأنثيين فما كان من ذلك عن رطوبة أو ريح فعلاجه يكون بالأدوية المحللة الرداعة.

وأما ما كان عن انحدار المعى هنالك فبالأدوية القابضة ويلزم العليل وضعا يمكن فيه أن يرجع ذلك المعى وتركه التصرف جملة، وهذا الصنف عسير العلاج. ومن أمراض الوضع الحدبة، وعلاجها يكون باستفراغ الخلط المزلق للفقار واستعمال الأدهان المحللة

العطرة هنالك.

ومن أمراض الوضع أيضا الخلع ومداواة هذا تكون برد العضو إلى موضعه قبل أن يرم.

وجميع الأعضاء إذا انخلعت اختل وضعها إلا خلع العضد من المنكب ومفصل الورك لأن رأس العضد إذا انخلع يدخل في الإبط ورأس الفخذ في الأربية. والعلامة لخلع مفصل العضد نتوء مستدير تحت الإبط وكذلك يحس في خلع المفصل في الأربية.

١٦٦- فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الأمراض بأوجز ما أمكننا وأبينه. وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء مرض مرض من الأمراض الداخلة على عضو عضو من الأعضاء. وهذا وإن لم يكن ضروريا، لأنه منطو بالقوة فيما سلف من الأقاويل الكلية، ففيه تتميم ما وارتياض.

فإنا ننزل فيه إلى علاجات الأمراض بحسب عضو عضو وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنانيش حتى نجمع في أقاويلنا هذه إلى الأشياء الكلية الأمور الجزئية. فإن هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئية ما أمكن، إلا أنا نرجئ هذا إلى وقت نكون فيه أشد فراغا لعنايتنا في هذا الوقت بما يهم من غير ذلك. فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء وأحب أن ينظر بعد ذلك في الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر.

وهذا الكتاب سألته أنا إياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا إلى خروجه. وهو، كما قلنا، كتاب الأقاويل الجزئية التي قيلت فيه شديدة المطابقة للأقاويل الكلية.

إلا أنه مزج هنالك مع العلاج العلامات، وأعطى الأسباب على عادة أصحاب الكنانيش. ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا إلى ذلك، بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج.

وبالجملة من تحصل له ما كتبناه من الأقاويل الكلية أمكن له أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنانيش في تفسير العلاج والتركيب.

والله الموفق للصواب.

فهرس المحتويات

ترجمة مختصرة للمصنف ———— ٣
مقدمة المؤلف ———— ٦

الكتاب الأول: تشريح الأعضاء

١ - أصناف أعضاء بدن الإنسان ———— ١٠
٢- القول في العظام ———— ١٠
٣- في العروق ———— ١٣
٤- في العروق غير الضوارب ———— ١٤
٥- في العصب ———— ١٦
٦- القول في العضل ———— ٢٠
٧- في الرأس ———— ٢١
٨- في هيئة العين ———— ٢٢
٩- في هيئة الأنف ———— ٢٣
١٠- في هيئة الأذن ———— ٢٣
١١- في هيئة اللسان ———— ٢٣
١٢- في هيئة الحلق والفم ———— ٢٣
١٣- في هيئة الصدر والرئة ———— ٢٤
١٤- في هيئة القلب ———— ٢٤
١٥- في هيئة المعدة والمريء ———— ٢٥
١٦- في هيئة الأمعاء ———— ٢٦
١٧- في هيئة الكبد ———— ٢٧
١٨- في هيئة الطحال ———— ٢٧
١٩- في هيئة المرارة ———— ٢٧
٢٠- في هيئة الكلى ———— ٢٧
٢١- في هيئة المثانة ———— ٢٨
٢٢- في هيئة مراق البطن ———— ٢٨
٢٣- في هيئة الأنثيين والقضيب ———— ٢٨
٢٤- في هيئة الثدي ———— ٢٨
٢٥- في هيئة الرحم ———— ٢٨

الكتاب الثاني: الصحة

١- معنى الصحة، وما يأخذه الطب من العلم الطبيعي ———— ٣٠
٢- المزاج النوعي صنفان: معتدل وغير معتدل ———— ٣١
٣- أمزجة الأعضاء المتشابهة الأجزاء ———— ٣٢
٤- ما هو أسطقس للعضو وما هو غير أسطقس ———— ٣٣
٥- أمزجة الأعضاء الآلية ———— ٣٥
٦- المزاج المعتدل أو الحال الصحية ———— ٣٥
٧- الهيئة الفاضلة ———— ٣٨
٨- المادة والصورة والغاية في أعضاء الإنسان ———— ٣٩
٩- وجهة نظر الأطباء ووجهة نظر الفلاسفة في قوى الكائن الحي ———— ٤٠
١٠- القول في منافع الأعضاء البسيطة ———— ٤٢
١١- القول في منافع أعضاء الغذاء ———— ٤٨
١٢- لمن الرئاسة على القوة الغاذية؟ للكبد أم للقلب؟ ———— ٥٠
١٣- في منافع أعضاء التناسل ———— ٥٤
١٤- القول في منافع آلات القوى الحساسة ———— ٥٨
١٥- لمن الرئاسة في الإحساس: للقلب أم للدماغ؟ ٥٩
١٦- عضو اللمس.. واللسان ———— ٦٢
١٧- العين وتركيبها ———— ٦٢
١٨- في السمع ———— ٦٤
١٩- في الشم ———— ٦٥
٢٠- القول في منافع أعضاء الحركة الإرادية ———— ٦٦
٢١- المتحرك الأول والمحرك الأول في جسم الإنسان ———— ٦٦
٢٢- العضلات: عددها، وظائفها ———— ٦٨
٢٣- القول في آلات التنفس ———— ٧١
٢٤- الرئة وعملها: لمن حركتها، لذاتها أم للصدر؟ ٧٣
٢٥- قصبة الرئة وعملها ———— ٧٦
٢٦- المتخيلة والمفكرة والحافظة... ———— ٧٧
٢٧- النوم: ما هو؟ وبأي عضو يكون؟ ———— ٧٩
٢٨- الفصول الأربعة وتأثيرها في الصحة ———— ٨٢
٢٩- أعدل البلدان ———— ٨٢

الكتاب الثالث: المرض

١- تعريف المرض مفهوم من تعريف الصحة ———— ٨٥
٢- أصناف الأمراض ———— ٨٥
٣- في أسباب الأمراض الحارة اليابسة المادية ———— ٨٧
٤- الحميات الصفراوية ———— ٨٩
٥- الأورام الصفراوية ———— ٩٣
٦- القول في الأمراض الباردة الرطبة المادية ———— ٩٤
٧- في الأمراض الباردة اليابسة المادية ———— ٩٦

٨ - في الأمراض الحارة الرطبة المادية ٩٧
٩ - القول في الأمراض المركبة المادية ٩٩
١٠ - القول في الأمراض غير المادية ١٠١
١١ - القول في أمراض الأعضاء الآلية ١٠٣
١٢ - القول في الأعراض ١٠٧
١٣ - في المعدة ١٠٨
١٤ - في الأمعاء ١١١
١٥ - في الكبد ١١٣
١٦ - القول في القلب ١١٩
١٧ - الأعضاء الخادمة للكبد ١٢٠
١٨ - في الأعراض الداخلة على آلات التناسل ١٢٢
١٩ - الأعراض والأمراض الداخلة على الرحم ١٢٤
٢٠ - أعراض تنسب إلى النفس النباتية ١٢٥
٢١ - في الأعراض الداخلة على حس اللمس ١٢٩
٢٢ - الأوجاع: أنواعها وأسبابها ١٣٣
٢٣ - حس الشهوة للطعام والأعراض اللاحقة له ١٣٤
٢٤ - الأعراض الداخلة على الحركات الإرادية ١٣٧
٢٥ - في حاسة الذوق ١٣٩
٢٦ - في حاسة السمع ١٤٠
٢٧ - في حاسة البصر ١٤١
٢٨ - في أعراض التنفس ١٤٥
٢٩ - القول في أعراض القوى السياسية وهي التخيل والفكر والذكر ١٤٧

الكتاب الرابع: العلامات

١ - علامات الصحة وعلامات المرض ١٥٤
٢ - في العلامات الدالة على مزاج القلب ١٥٥
٣ - في علامات الدماغ المعتدل ١٥٩
٤ - القول في صحة الكبد ١٦٢
٥ - في الرئة ١٦٥
٦ - في المعدة ١٦٥
٧ - في تعرف مزاج الأنثيين ١٦٦
٨ - القول في العلامات المنذرة بالأمراض ١٦٨
٩ - في علامات غلبة الدم ١٦٨
١٠ - في علامات غلبة الصفراء ١٦٩
١١ - في غلبة السوداء ١٧٠
١٢ - في غلبة البلغم ١٧٠
١٣ - العلامات الهوائية المنذرة بالأمراض ١٧١
١٤ - أمراض صغار تنذر بأمراض كبار ١٧٥
١٥ - القول في النبض ١٧٧
١٦ - أسباب تنوع النبض واختلافه ١٨١
١٧ - في نبض الأمزجة ١٨٥
١٨ - تأثير الأشياء الخارجية في النبض ١٨٥
١٩ - البول والأعراض التي تظهر فيه ١٨٦
٢٠ - في القوام: (قوام البول) ١٨٧
٢١ - في الثفل: (ثفل البول) ١٨٧
٢٢ - في القوام: (قوام البول ودلالته) ١٨٩
٢٣ - في الثفل: (ثفل البول ودلالته) ١٩٠
٢٤ - في حمى يوم ١٩٣
٢٥ - في الحميات العفونية ١٩٣
٢٦ - في حمى الصفراء ١٩٥
٢٧ - في دلائل الحمى البلغمية ١٩٦
٢٨ - في دلائل حمى الربع ١٩٧
٢٩ - في دلائل الحمى الدموية ١٩٨
٣٠ - في دلائل حمى الدق ٢٠٠
٣١ - في علامات الأورام ٢٠١
٣٢ - في البحارين ٢٠٢
٣٣ - في أيام البحران ٢٠٦
٣٤ - علامات الخلاص والبرء ٢٠٨
٣٥ - العلامات الرديئة ٢١٠
٣٦ - في دلائل الأعضاء الآلمة ٢١٣
٣٧ - الاستمراغ والعضو الألم ٢١٨
٣٨ - الطرق التي بها يوقف على الأمراض وأسبابها ٢٢٠
٣٩ - أمراض الدماغ ٢٢٢
٤٠ - في العين ٢٢٥
٤١ - في الأذن ٢٢٦
٤٢ - في الأنف ٢٢٦
٤٣ - في الفم ٢٢٦
٤٤ - في الحلق ٢٢٧
٤٥ - في الرئة ٢٢٧

٤٦ - في الصدر ٢٢٨
٤٧ - في المعدة ٢٢٨
٤٨ - في الكبد ٢٣٠
٤٩ - في الطحال ٢٣١
٥٠ - في الكلى ٢٣١
٥١ - في المثانة ٢٣٢
٥٢ - في المعى ٢٣٣
٥٣ - في الرحم ٢٣٤

الكتاب الخامس: الأدوية والأغذية

١ - تعريف الدواء والغذاء ٢٣٦
٢ - معنى الاعتدال في الغذاء ٢٣٧
٣ - الخروج عن الاعتدال في الغذاء والدواء ٢٣٨
٤ - الأدوية وأنواع تأثيرها ٢٤٠
٥ - النضج وأنواعه ٢٤١
٦ - في الأدوية الملينة ٢٤٣
٧ - في الأدوية المحللة ٢٤٤
٨ - في الأدوية المفرِّية والمسددة ٢٤٤
٩ - في الأدوية الفتاحة والجلاءة ٢٤٥
١٠ - في الأدوية المخلخلة ٢٤٦
١١ - في الأدوية المكثفة ٢٤٦
١٢ - في الموسعة لأفواه العروق ٢٤٧
١٣ - في القابضة المضيقة لأفواه العروق ٢٤٧
١٤ - في المسكنة للأوجاع ٢٤٧
١٥ - في المنبتة للحم ٢٤٨
١٦ - في الدامِلة للقروح ٢٤٩
١٧ - في المحرقة ٢٤٩
١٨ - في الأكالة للحم والمذيبة له ٢٤٩
١٩ - في الجاذبة ٢٤٩
٢٠ - في البازهرية والمخلصة ٢٥٠
٢١ - في المدرة للبول ٢٥١
٢٢ - في المدرة للبن ٢٥١
٢٣ - في المدرة للطمث ٢٥٢
٢٤ - في المدرة للمني ٢٥٢
٢٥ - في المنقية للصدر ٢٥٢
٢٦ - الأدوية التي تفعل بخاصتها كالجذب والدفع ٢٥٣
٢٧ - في السموم ٢٥٥
٢٨ - في البازهريات ٢٥٥
٢٩ - القياس وأصنافه وحدوده في الطب ٢٥٦
٣٠ - لا سبيل للوقوف على الخاصة إلا الحس ٢٥٧
٣١ - الأدلة العقلية ظنية ومهمتها التنبيه على التجربة ٢٥٨
٣٢ - كيف التعرف على أمزجة الأدوية ٢٦١
٣٣ - أعراض أمزجة الأجسام المتشابهة الأجزاء ٢٦٢
٣٤ - القول في دلالات الطعوم ٢٦٦
٣٥ - في دلالة الألوان ٢٦٨
٣٦ - دلالات الأدوية من حيث هي نبات ٢٦٨
٣٧ - الأشياء التي يستدل بها على طبيعة الحيوان ٢٧٠
٣٨ - الأفعال الثواني والثوالث التي للأدوية ٢٧١
٣٩ - القول في أشخاص الأغذية ٢٧٢
٤٠ - القول في اللحوم ٢٧٤
٤١ - الألبان والبيض والزيوت والفواكه ٢٧٦
٤٢ - في المياه ٢٧٧
٤٣ - الأغذية الدوائية ٢٧٧
٤٤ - الكلام في الفواكه ٢٧٨
٤٥ - في البقول ٢٨٠
٤٦ - القول في الأدوية ٢٨١
- الأدوية النباتية ٢٨١
- الأدوية المعدنية ٣٢١
- ذكر اللحوم والرطوبات الحيوانية ٣٢٤
- أدوية أخرى مشهورة ٣٢٨
٤٧- القول في قوانين التركيب القسم الأول ٣٣٢
٤٨- القول في قوانين التركيب القسم الثاني ٣٣٥
٤٩- القول في قوانين التركيب القسم الثالث ٣٣٨
٥٠- قوانين كمية ما يستعمل من الدواء ٣٤٠
٥١- ضرورة معرفة درجة قوى الأدوية ٣٤١

الكتاب السادس: حفظ الصحة

الطب من ميدان الممكن وليس من ميدان الحتمي ٣٤٧
٢- الأمور التي تدخل الفساد على بدن الإنسان ٣٤٨

٣- الرياضة: أنواعها، فوائدها ٣٤٩
٤- في التدلك ٣٥٠
٥- الاستحمام..والنوم ٣٥٠
قانون لحفظ صحة المزاج المعتدل ٣٥٢
٧- تدبير الأمزجة غير المعتدلة ٣٥٩
تدبير الأمزجة الخارجة جزئيا عن الاعتدال ٣٦٤
٩- تدبير سائر الناس .. وحفظ الأبدان المشرفة على المرض ٣٦٦
الإعياء وأصنافه ٣٦٧
حفظ الصحة في المناخ الخارج عن الطبع ٣٧١
الكتاب السابع ٣٧٣
شفاء الأمراض ٣٧٣
١- الأمور العامة التي بها تكون إزالة الأمراض ٣٧٣
٢- الاستفراغ: أنواعه وشروطه ٣٧٤
٣- الزيادة والنقصان في الاستفراغ .. وإدخال الضد ٣٧٧
٤- وجوه الدلالة على استعمال الضد ٣٧٩
٥- قوة استعمال الضد وكمية المعالجة به ٣٨١
٦- كمية الاستفراغ: الفصد والإسهال ٣٨٤
٧- حمى يوم ٣٨٧
٨- الحميات المطبقة ٣٩٤
٩- مداواة الحميات العفونية بإطلاق ٤٠٣
أ - في الحمى الصفراء ٤٠٦
ب - في حميات البلغم ٤٠٩
ج- في حمى الربع ٤١١
د- في حمى الدق ٤١٣
١٠- علاج الحميات المصحوبة بأعراض تعوق مداواتها ٤١٥
١١- معالجة سوء المزاج في كل عضو على حدة ٤٢١
١٢- سوء المزاج الذي يكون مع مادة في عضو ٤٢٥
١٣- في علاج الأورام ٤٢٧
١٤- علاج الأورام الظاهرة والباطنة ٤٣٠
١٥- تفرق الاتصال في اللحم ٤٤٣
١٦- تفرق الاتصال في الأوراد والشرايين ٤٤٩
١٧- تفرق الاتصال الحادث بالعصب ٤٥٤
١٨- تفرق الاتصال الحادث في العظم: الكسر ٤٥٥
١٩- أمراض الأعضاء الآلية ٤٥٦
فهرس المحتويات ٤٦٠

AL-KULLIYĀT FĪ AL-ṬIB

The basics of medicine

by

Abu Al-Walīd Ben Rušd

(Averroes)

Edited by

Aḥmad Farīd Al-Miziyadi

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon